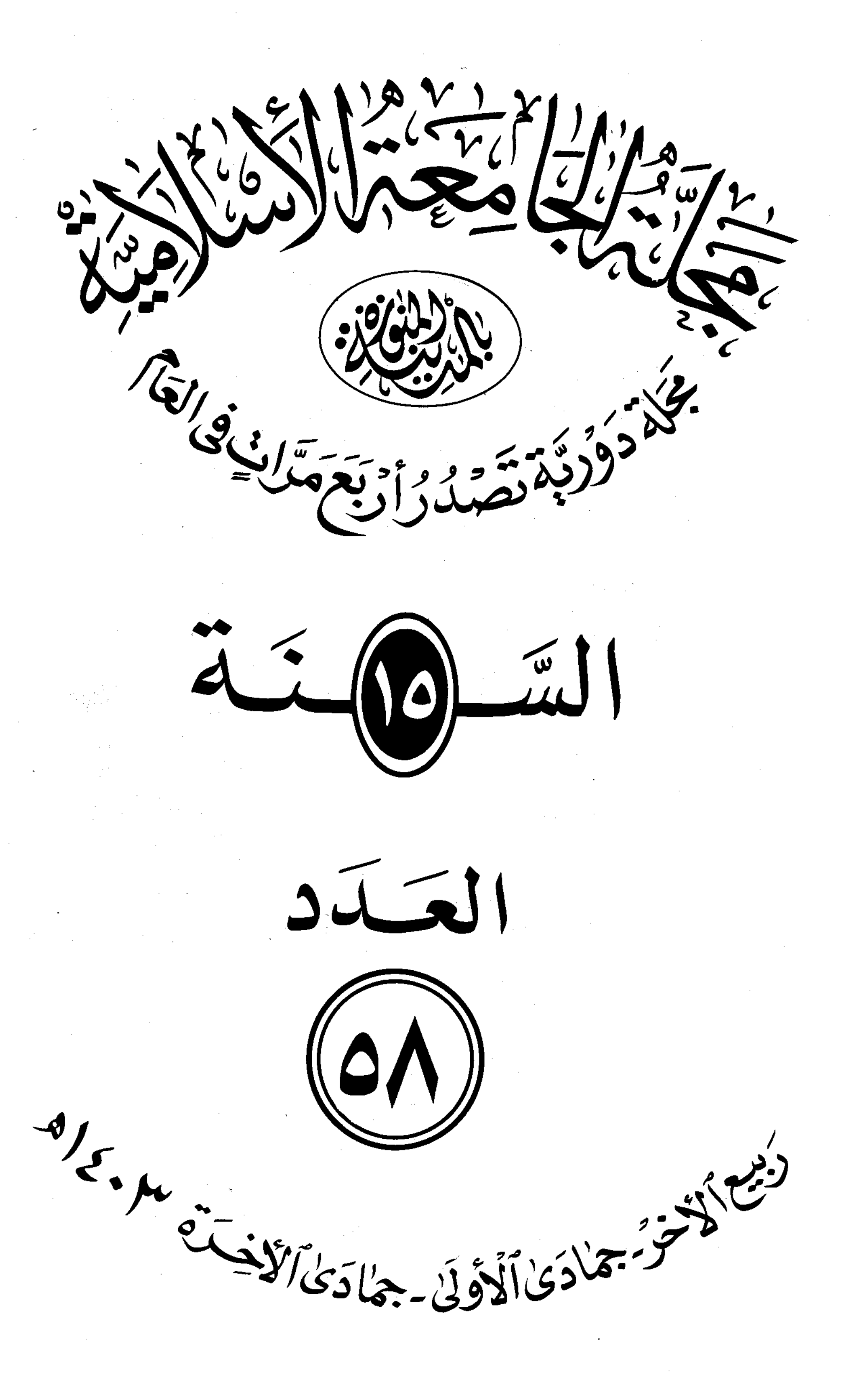
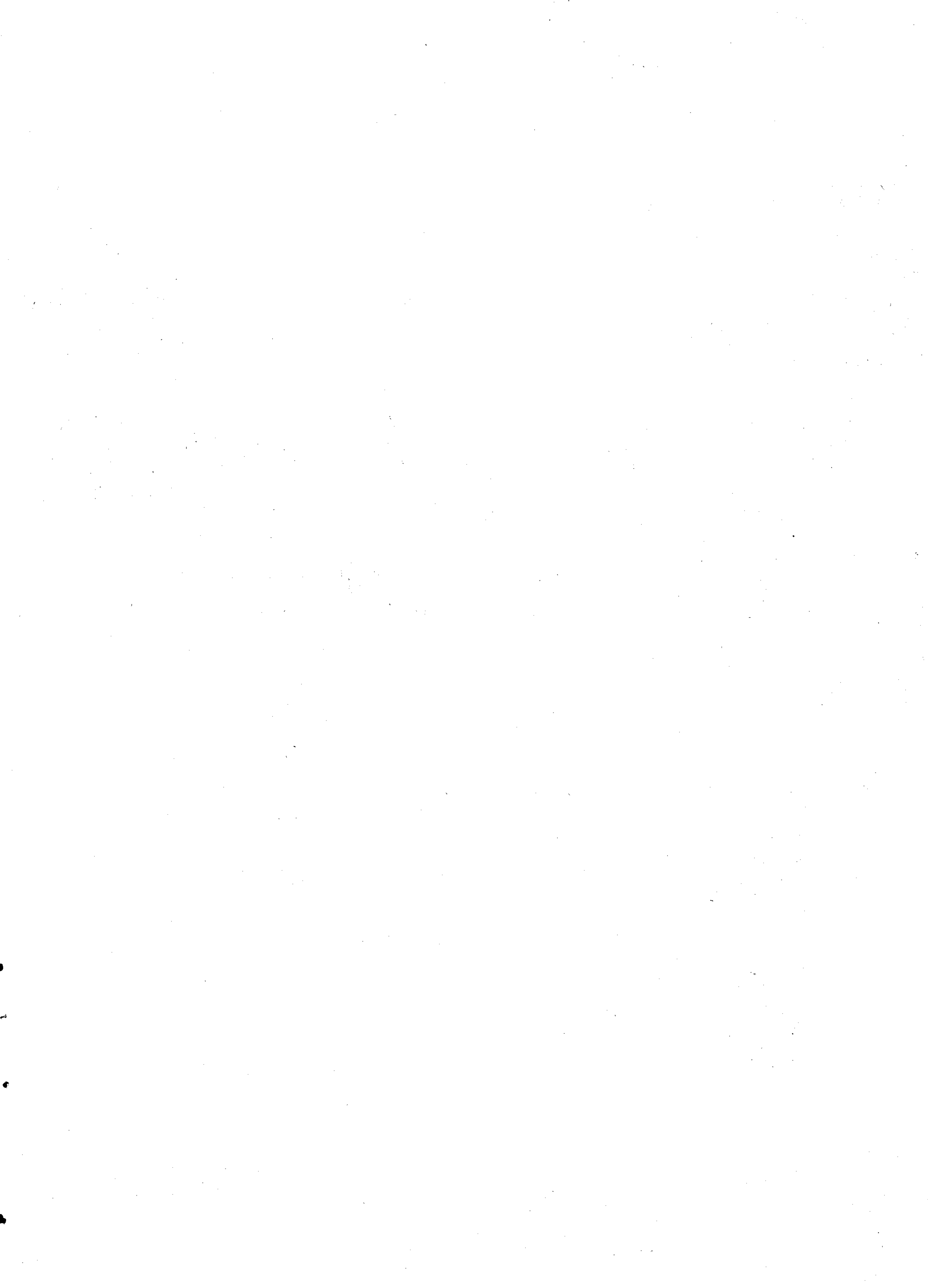

مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
السنة ١٥
العدد
٥٨
ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



هيئة التحرير

المراسلات: ترسل باسم مدير التحرير . الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة





قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ
الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

من سورة النساء



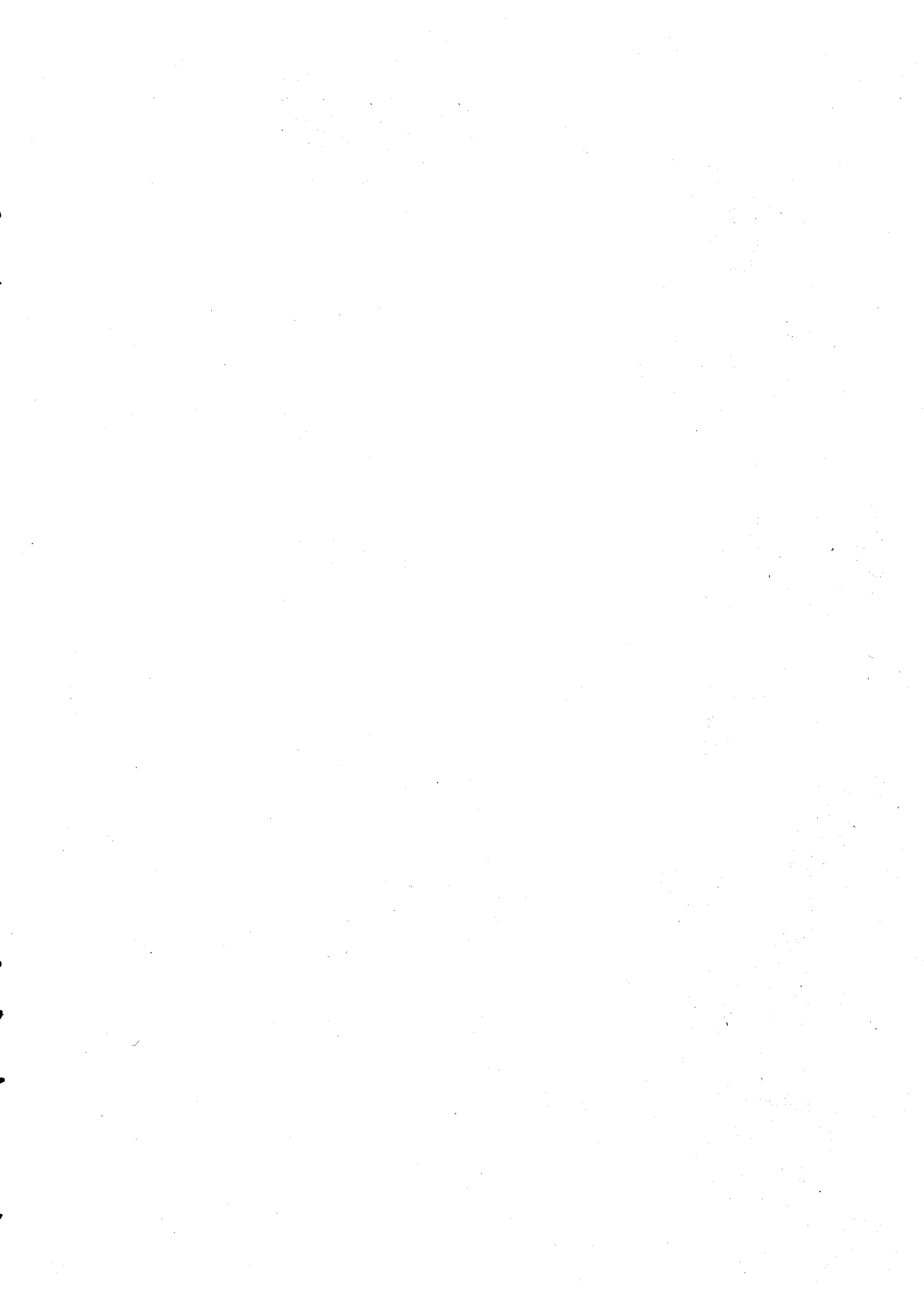


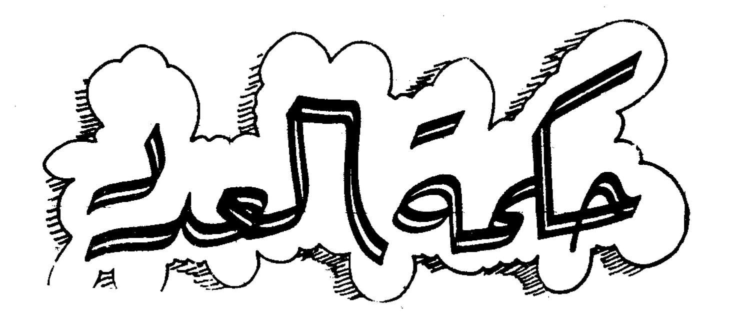
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال:

« بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. »

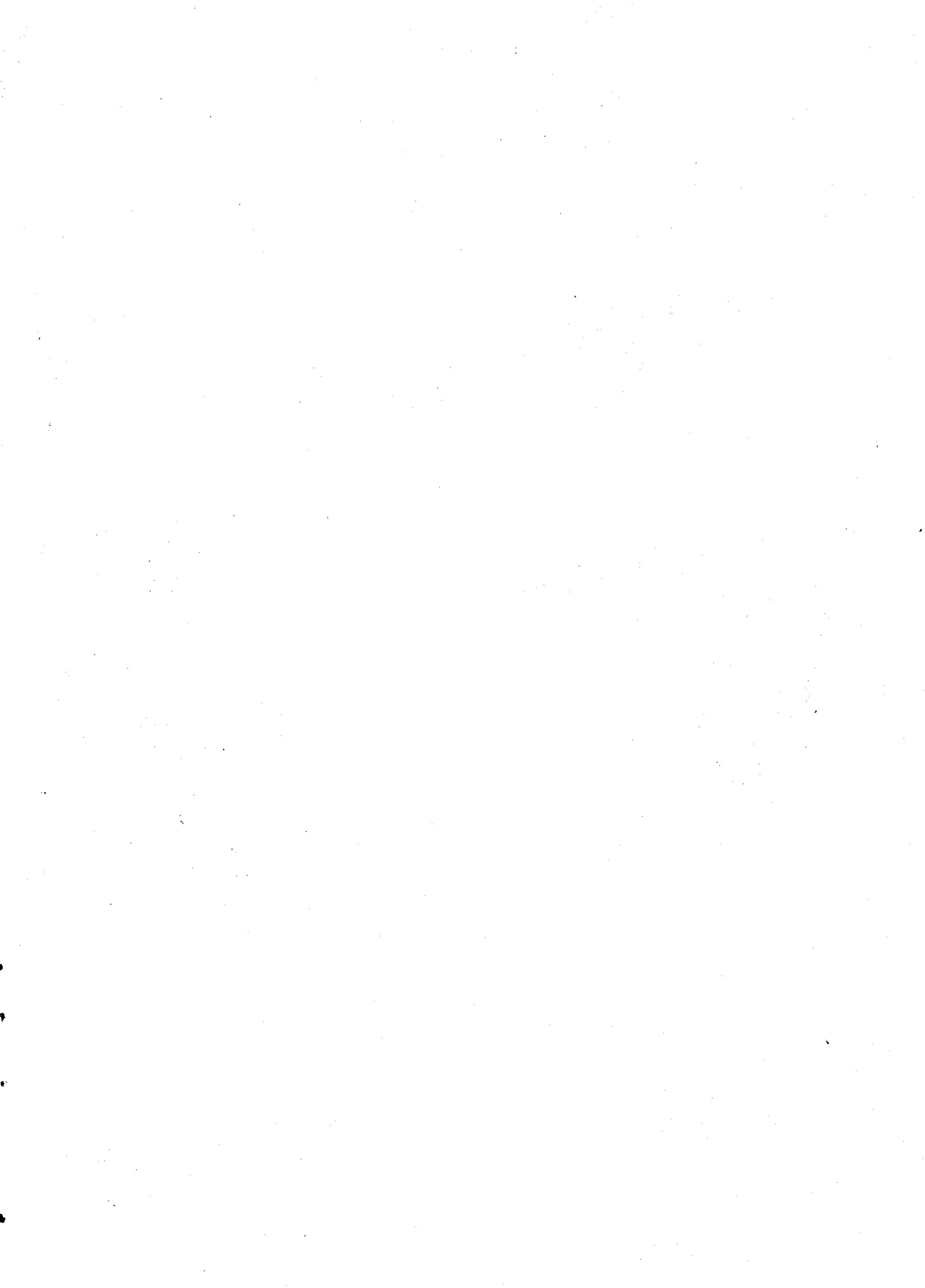
أخرجه مسلم في صحيحه

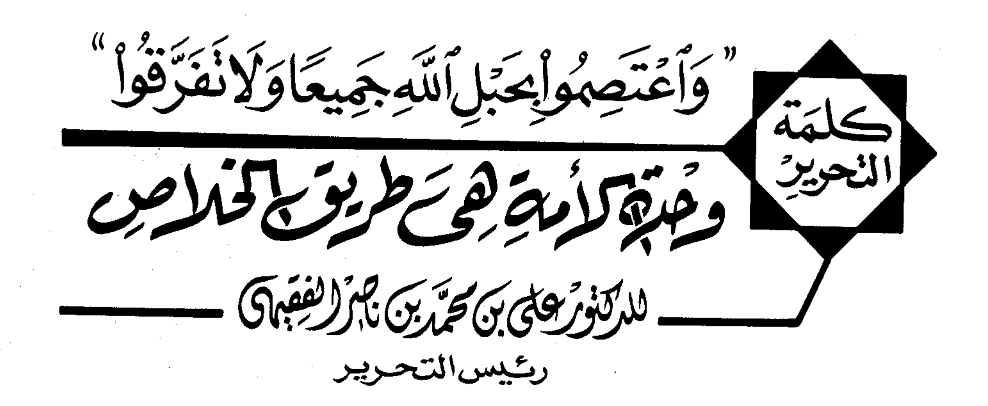




"كَثِيرٌ مِنَ ٱلجُهَّالِ ٱعْتَمَدُوا عَلَى رَحْمَةِ ٱللهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، فَضَيَّعُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ وَأَنَّهُ لَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلقَوْمِ ٱلمُجْرِمِينَ."

«الإمام ابن قيم الجوزية»





الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ٠

أما بعد :

فإن من أهداف الشريعة الإسلامية ، والدعوة المحمدية **جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها** ٠ وهذا ما توحي به عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافةً ، فقد كان الأنبياء قبله يبعثون إلى أقوامهم خاصةً ، فكل نبي خاطب قومه بقوله : (**يا قَوْمِ اعبُدُوا اللهَ ما لكُمْ مِّنْ إلهٍ غَيْرُهُ** » (هود : ٦١) ٠

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل إلى الناس جميعاً كما بين الله عز وجل ذلك في قوله : (**وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً للنَاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**) (سبأ : ٢٨) ٠

ـ وقد خاطب صلى الله عليه وسلم الناس بدعوته قائلاً :

« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ٠

كما بين لنا صلى الله عليه وسلم بعض خصائصه بقوله : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً ، وبعثتُ إلى الناس عامةً » ٠

وقد بعث صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً في وقت كانت البشرية في أشد الحاجة إلى من يأخذ بيدها وينتزعها مما حل بها من ذل وهوان إذ أصبحت تتخبط في أمواج من ظلمات الجهل والفساد في العقيدة والأخلاق والسلوك ، فتداركها الله سبحانه بهذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم ، إذ بعثه على حين فترة من الرسل ، وأنزل عليه خير الكتب ، وطلب منا الإيمان به تعالى وبرسوله وبالنور الذي أنزله على رسوله فقال تعالى : « **فآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الذي أنزَلْنَا واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير** » ٠ (التغابن / ٨) ٠

وقد جاء في هذا النور الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليستضيء به العالم كله قوله تعالى : « **وَاعتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** » (آل عمران : ١٠٣) فكان من أهداف الدين الإسلامي جمع كلمة الأمة والحفاظ على وحدتها وسلامة كيانها .

وقد بعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في مجتمع كان من **صفاته :**

١ ـ لا تربطه عقيدة ، فكل واحد يتبع هواه فيسجد للحجر والشجر .

٢ ـ وتَغِيرُ فيه القبيلة القوية على القبيلة الضعيفة فتقتل رجالها وتنهب أموالها .

٣ ـ ولا قيمة فيه للقيم والأخلاق ، وإنما المقياس هو المال والجاه .

وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعلاج حاسم لمشكلات هذا المجتمع بما يجب أن يسلكه كل مصلح ، فقد نظر للداء ووضع له الدواء . فبدأ بإصلاح القلوب أولاً ، لأن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب . **فبدأ بالعقيدة الصحيحة أولاً .**

يقول أبو الحسن الندوى في كتابه القيم : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . تحت عنوان : « **قُفْل الطبيعة البشرية ومفتاحها** » :

يقول : (لم يكن صلى الله عليه وسلم من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها ، أو يتسللون إليها من نوافذها ، ويكافحون بعض الأدواء الاجتماعية والعيوب الخلقية فحسب ، فمنهم من يوفق لإزالة بعضها مؤقتاً في بعض نواحي البلاد . ومنهم من يموت ولم ينجح في مهمته .

أتى النبى صلى الله عليه وسلم بيت الدعوة والإصلاح من بابه ، ووضع على قُفْل الطبيعة البشرية مفتاحه ، ذلك القُفْل الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في هذه الفترة ، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه .

دعا الناس إلى الإيمان بالله وحده ، ورفض الأوثان والعبادات ، والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة ، وقام في القوم ينادي : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . ودعا إلى الإيمان برسالته ، والإيمان بالآخرة) . أهـ .

أقول : فلما صفت عقيدتهم وتوجهت قلوبهم إلى الله تبارك وتعالى وحده ، محققة حكمته تعالى من خلقه لعباده كما في قوله تعالى : « **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات : ٥٦) .

وقوله : « **قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَولُ المُسْلِمِين** » (الأنعام : ١٦٢) .

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم القواعد والأسس التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية بتشريع وتوجيه من الله تبارك وتعالى · ومن تلك القواعد والأسس :

أولاً : ربط الأمة بأعمال وأقوال تشعرهم بوحدتهم لا فرق بين شخص وآخر في ذلك مثل الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ·

فلا يدخل أحد الإسلام إلا بهما ، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في صحيح البخارى ومسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ·· الحديث ·

فجميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ينطقون بهذه الكلمة وهذا يدل على وحدة الأمة الإسلامية في القول والمعتقد ·

ثانياً : يتجهون جميعاً بصلاتهم ودعائهم إلى قبْلة واحدة هى الكعبة المشرفة ·

ثالثاً : سن لهم صلاة الجمعة والجماعة خلف إمام واحد لا يختلفون عليه ·

رابعاً : فرض الله على الأمة صوم شهر واحد في السنة يصومونه جميعاً امتثالاً لأمر الله تعالى ·

خامساً : فرض عليهم حج بيته الحرام وساوى بينهم في شعائره ·

هذه التشريعات وغيرها من شعائر الإسلام شرعت بهذه الكيفيات لتشعر الأمة الإسلامية بوحدتها وجمع كلمتها ، وبذلك يستقيم أمرها ويشتد ساعدها أمام أعدائها ·

وقد بين صلى الله عليه وسلم لأمته معنى شهادة أن لا إله إلالله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنته صلى الله عليه وسلم ·

قال تعالى : (**وَأَنَّ المَساجِد لله فَلَا تَدْعُوا مع الله أَحَداً**) · (الجن : ١٨) ·

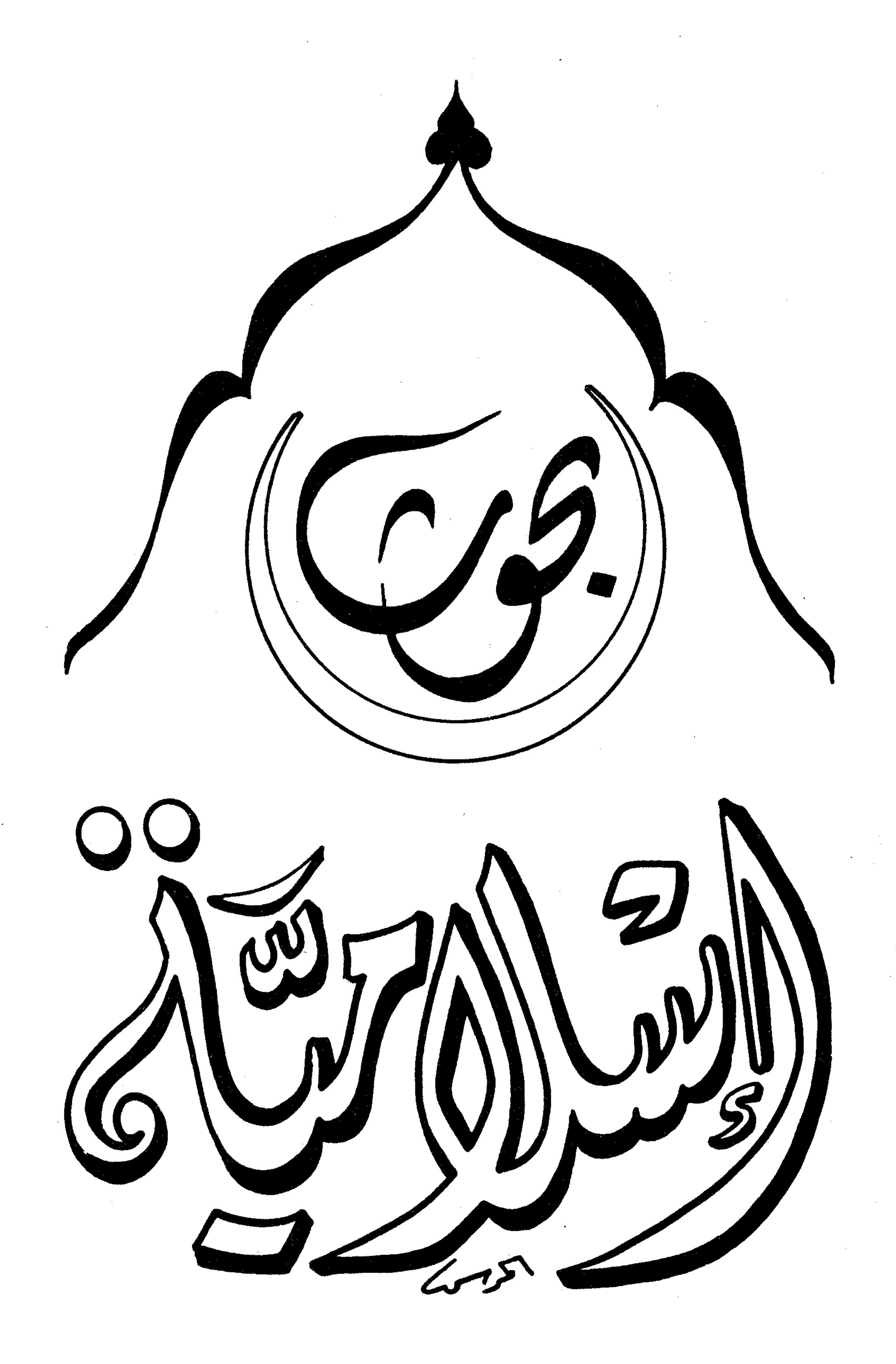
والإسلام بتعاليمه السمحة وحدة متكاملة ، عقيدة ، وعبادة ومعاملة ، ولم تفلح الأمة في وقت من أوقاتها إلا حين أخذت بتعاليم هذا الدين كاملة · نسأله تعالى أن يعيد الأمة الإسلامية إلى رشدها لتأخذ تعاليم دينها من كتاب ربها وسنة نبيه الصحيحة الشارحة والموضحة لكتاب الله تعالى الذي شرع للناس ما يصلح لهم في الدنيا والآخرة · والحمد لله رب العالمين ·

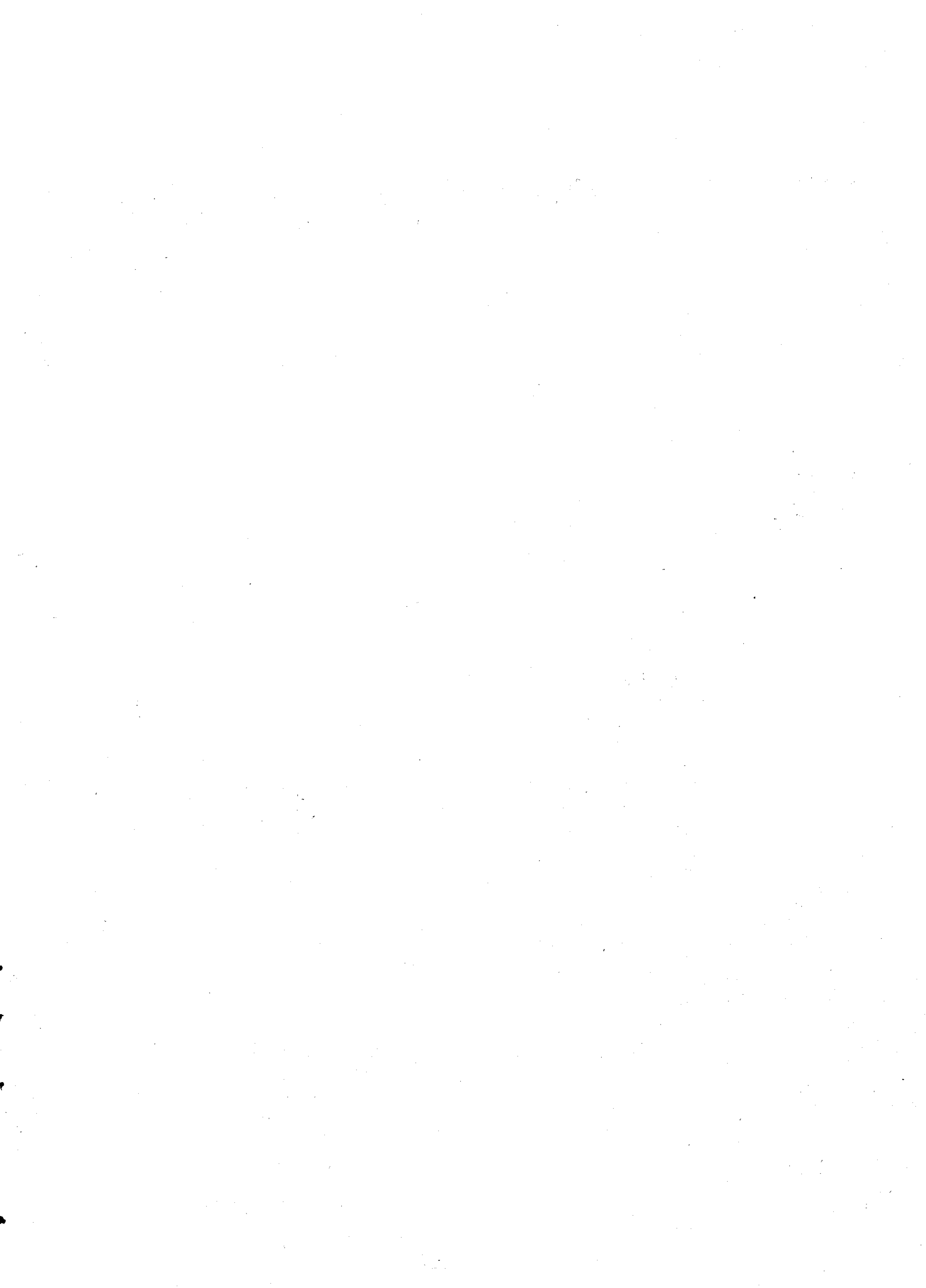
قال الله تعالى في كتابه الكريم

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

من سورة آل عمران


بحوث
إسلامية




ٱلتَّفْسِيرُ
وَ
أُصُولُهُ

أصول المفاسد فى الأرض

للشيخ أبي بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قال تعالى :

(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (الأعراف : الآية ٣٣) .

بسم الله والحمد لله . وبعد فإن أصول المفاسد فى الأرض الستة المذكورة فى هذه الآية الكريمة وهي :

١ ـ ٢ الفواحش الظاهرة ، والباطنة .

٣ ـ الإثــم .

٤ ـ البغي بغير الحــق .

٥ ـ الشــرك بالله تعالى .

٦ ـ القول على الله تعالى بدون علم .

إن **الفساد** فى الأرض عامته ناشىء عن هذه **المفاسد الستة** التى تضمنتها هذه الآية المباركة الكريمة ، ومن هنا كان على المصلحين أن يبتدئوا دعوتهم الإصلاحية بمحاربة هذه المفاسد الستة والقضاء عليها ، فإن هم نجحوا فى ذلك فقد نجحوا فيما عداه والله المستعان .

شــــرح الآيــــة :

بين يدي تفسير هذه الآية ينبغي أن يُعلم أمران الأول أن التشريع بمعنى وضع قوانين يكمل بها الإنسان ويسعد عليها فى بدنه وروحه وفى كلتا حياتيه الأولى والآخرة هذا التشريع خاص بالله تبارك وتعالى وحق له دون غيره ؛ لأنه رب الإنسان والعليم بما يضره وما ينفعه . ويدخل ضمن التشريع التحليل والتحريم فليس من حق أحد غير الله تعالى أن يحرم على الإنسان أو يحلل له ؛ إذ هذا من شأن الرب المربى ، ومن مقتضيات التربية الشاملة للروح والجسد .

ومن هنا أنكر الله تعالى على المشركين ما حللوا أو حرموا من الأنعام ركوباً وأكلاً وانتفاعاً والزينة من اللباس وغيرها لبساً وتجملاً ، فقال تعالى منكراً عليهم : قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ وهو الأمر الثاني وقد تضمن سبب نزول هذه الآية فساعد على فهم معناها والحمد لله .

إنه لما انكر تعالى على أهل الجاهلية ما حرموه بدون علم وهو نافع غير ضار أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم ما حرمه تعالى على عباده لما فيه من الضرر والشر والفساد ، فقال : إنما حرم ربي الفواحش الخ ... لا ما حرمتموه أنتم بأهوائكم بدون علم .

وصيغة القصر الدال عليها حرف « إنما » لا تعنى أن الله تعالى لم يحرم غير ما ذكر بعدها وإنما تعنى أن ما حرمه المشركون ليس حراماً وإنما الحرام ما حرمه الله تعالى ، كما أنه بالنظر إلى أن ما حرمه تعالى فى هذه الآية يعتبر أصولا للمفاسد يدخل تحتها كل فساد وشر كان كأنما المحرم كله محصور فى هذه المحرمات الستة ، فهذا وجه القصر فى الآية .

شـــــرح الكلمـــــات :

● **حـــرم :** يقال حرم الشيء يحرمه إذا حضره ومنعه فلم يأذن فيه .

● **الفواحش :** جمع فاحشة وهو الفعله أو الخصلة الذميمة القبيحة التى اشتد فحشها وقبح . وأعظم الفواحش : فاحشة الزنى واللواط . وقريب منها البخل ، وسؤال غير المحتاج للتكثر .

● **ما ظهر منها وما بطن :** أى فهى محرمة سواء ما فعل منها ، سراً ، أو جهراً ، خفية أو علانية .

● **الإثـــــم :** كل ضار فاسد من اعتقاد أو قول أو عمل فمتى وجدت فى الشيء صفة الضر أو الفساد فهو إثم ، وقد يكون الشيء ضاراً غير فاسد كالإسراف فى الأكل والشرب ، وقد يكون فاسداً غير ضار كالتبذير للمال ، وقد يكون ضاراً وفاسداً فى آن واحد كالغيبة والنميمة وكثير من المحرمات كالسرقة والخيانة وخلف الوعد والغش والحسد والرياء والكبر مثلاً .

● **البغى بغير الحق :** الاعتداء على الغير ، وذلك بمجاوزة المرء حقه إلى حق غيره ، أو ما هو له إلى ما هو لغيره من سائر الحقوق والأمتعة والمنافع .

وهو بمعنى الظلم ؛ إذ الظلم وضع الشيء فى غير موضعه والبغى منه ، إلا أن الظلم لا يقيد بلفظ (بغير حق) كما قيد البغى بها ؛ إذ لا ظلم يكون بحق بخلاف الاعتداء فقد يكون بحق كمن اعتدى على إنسان بأخذ ماله فإن له أن يعتدى عليه بأخذ ما أخذ منه قال تعالى : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) .

● **وأن تشركوا بالله :** أى تجعلوا له شركاء من الخلق تعبدونهم معه أو دونه وذلك بدعائهم والذبح والنذر لهم ، وتعظيمهم بالحلف بهم ، والرغبة فيهم والرهبة منهم ، أو بطاعتهم بقبول ما يشرعون لكم من تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم ٠

● **ما لم ينزل به سلطاناً :** السلطان الحجة والبرهان التى يذعن لها الإنسان ويسلم بالحق من أجلها ٠

ولا يدل هذا القيد فى تحريم الشرك أن الله تعالى قد يأذن فى الشرك به أو بأمر به فينزل بذلك قرآناً يتلى فيشرك به عندئذ ٠ لا ، لا ، وإنما هذا من باب فرض المحال ، لأن الشرك من أبطل الباطل وأمحل المحال ٠ فكيف ينزل الله تعالى حجة تبيحه ، أو سلطاناً يجيزه به ، وإنما هو من باب التنزل مع الخصم فقط أى لو كان الله تعالى قد أذن فى الشرك لما عبنا عليكم شرككم ولما أنكرناه عليكم ٠ وعلى سبيل المثال نقول : إنه لما أذن الله تعالى فى تقبيل الحجر الأسود بالكعبة قبله الموحدون ولم ينكر عليهم ؛ لأن الله تعالى أذن فيه ، وهذا سر الإتيان بقيد : ما لم ينزل به سلطاناً ، إذ العبادات أغلبها غير معقولة المعنى ، وإنما تفعل بأمر الله تعالى بها وإذنه فيها فإذا كان هناك حجة من كتاب أو سنة على قول أو عمل صح قوله أو عمله وإن تصور بصورة الشرك لوجود الإذن فيه ، وقيام الحجة عليه ٠

● **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون :** القول على الله هو الكذب عليه عز وجل بنسبة شىء إليه هو برىء منه ، فكل من قال : قال الله تعالى كذا ، أو حرم كذا ، أو لله تعالى كذا ، أو صفة الله تعالى كذا ، أو كره الله كذا أو أحب كذا ، والله عز وجل لم يقل ولم يحرم ، ولم يكن له ذلك ولم تكن تلك صفته ، ولم يكره ولم يحب ما نسب إليه كرهه أو محبته ، فقد قال على الله تعالى ما لم يعلم ، وكذب على أمر عز وجل ٠ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟

معنى الآية الكريمة :

لما ادعى المشركون تحريم بعض ما أحل الله عز وجل لعباده من الزينة ، والطيبات من الرزق أنكر الله تعالى ذلك عليهم . وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم مبيناً ما حرم الله تعالى على عباده من المعتقدات والأفعال والأقوال لضررها وفسادها ، وهى **سائر الفواحش** وهى كل ما قبح واشتد قبحه من اعتقاد الباطل وقوله وفعله كالكفر ، والكذب ، والزنى ، وكل قبيح فاحش القبح ٠ وسواء فى ذلك ما أعلنه فاعله ، أوستره وأخفاه ٠ **والإثم** وهو كل ما كان فاسداً ضاراً من اعتقاد أو قول أو عمل فيندرج تحته كل ما حرم الله تعالى

من المعتقدات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة . **والبغى** هو الاعتداء على الناس فى أجسامهم أو أعراضهم ، أو أموالهم ، بغير حق يسوغ ذلك الاعتداء ويجوزه .

والشرك بالله تعالى : وهو اعتقاد وجود من يكون مثل الله تعالى ، أو يشبهه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله ، كما هو أى الشرك بالله تعالى عبادة غير الله تعالى معه بأن يدعو من يعتقد أنه يجلب له نفعاً أو يدفع عنه شراً ، أو يستغيث به عند الشدة ، أو يستعيذ به عند الخوف ، أو يتقرب إليه بذبح ، أو نذر ، أو ركوع أو سجود ، أو يعظمه بحلف ، أو بطاعة فى غير طاعة الله تعالى بأن يحل له الحرام فيحله ، أو يحرم عليه الحلال فيحرمه إلى غير ذلك من صرف العبادات له .

والقول على الله تعالى بدون علم بأن ينسب إلى الله تعالى ما نفاه عن نفسه من الزوجة والولد والشريك ، أو ينسب إلى الله تعالى قولاً لم يقله ، أو عمل لم يعمله أو يصفه بصفة لم يكن تعالى متصفاً بها ، ومن ذلك أن ينسب إليه شرعا لم يشرعه ، أو تحريم شر لم يحرمه ، أو تحريم شىء لم يحرمه ، أو تحليل شىء وهو لم يحلله .

وكل هذا يدخل تحت الكذب على الله تعالى ومن أكبْر أنواع الظلم حتى إنه لا يوجد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ، قال تعالى فى غير آية : ومنْ أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟ والاستفهام هنا للإنكار والنفى معاً أى ينكر تعالى نافياً أن يكون هناك بين الناس من هو أشد ظلما ممن يكذب على الله عز وجل .

هـــــداية الآيـــــة :

إن لكل آية من كتاب الله تعالى وإن قصرت هداية خاصة بها تحملها لأهل الإيمان والتقوى وهداية هذه الآية المباركة الكريمة تتلخص فيما يلى :

١ ـ التحريم والتحليل ووضع الشرائع التى يكمل بها الإنسان ويسعد عليها من حق الله تعالى وليس من حق أى أحد ، والرسول وإن حرم أو حلل فإنما يحرم ويحلل بإذن ربه تعالى .

٢ ـ **بيان أصول المفاسد** وأمهات الذنوب هي **الكذب** على الله تعالى ، **والشرك به** عز وجل ، **والبغى بغير الحق ، والإثم** وعلى رأسه الخمر وسائر المخدرات ، **والفواحش** وعلى رأسها فاحشتي الزنى واللواط .

والدعوة إلى ترك هذه المفاسد ومقاومتها ، وتطهير المجتمع الإسلامي والإنساني منها إذ لا فلاح معها ولا فوز فى الدنيا ولا فى الآخرة والعياذ بالله تعالى .

٣ ـ الدعوة إلى أن تحل محل هذه المفاسد أصول الإصلاح المضادة لها وهى التوحيد بعبادة الله تعالى وحده بحيث لا يبقى أى مظهر من مظاهر الشرك بين الناس فتتحد القلوب وتتحد الأعمال والغايات والأهداف وتسير البشرية إلى كمالها التى خلقت مستعدة له، وإلى سعادتها التى ما برحت تنشدها طوال الحياة ·

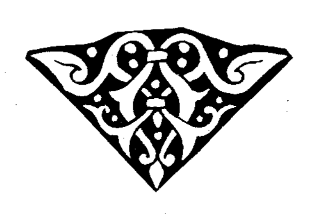
كما هى الاستقامة على طاعة الله ورسوله فعلاً وتركاً، أداءً للواجبات والسنن واجتناباً للمحرمات والمكروهات · إلى جانب إقامة الحدود، ورفع علم الجهاد رفرافاً عالياً، وغازية تخرج وأخرى تعود إلى أن يعبد الله وحده دون من سواه، ويتم تحرر الناس كل الناس من جور السلطان وعسف الطغيان · وعبادة الشيطان · وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله !!

ما فى الآية من أحكام :

لقد تضمنت الآية الكريمة حكماً شرعياً واحداً وهو تحريم الفواحش، والإثم، والبغى بغير الحق والشرك بالله تعالى، والقول على الله بدون علم · وهى أصول المفاسد كلها ·

هذا ـ وإن واجب المسلم كى تتم استقامته على منهاج الله فيكمل ويسعد : أن يتعلّم ويُعلّم ويدعو إلى ذلك بقوله وعمله وهذا هو جهاد النفس، الذى هو فرض عين على كل فرد من أفراد أمة الإسلام، وليس فى استطاعة الفرد المسلم أن يبلغ الكمال إلا عليه، كما ليس فى إمكان أمة الإسلام أن تنهض من كبوتها، وتتخلص من محنتها إلا بالتزام هذا المبدأ : مبدأ جهاد النفس بالعلم والتعلم والدعوة إلى ذلك ·

وأنت أيها القارىء الكريم وقد عرفت ضرورة الالتزام بمبدأ العلم والتعليم والدعوة، فهل يراك ربك تعالى بعد علمك هذا ناهضاً بهذا الواجب قائماً بهذا الجهاد ازاء نفسك ؟ اللهم حقق لى وله ذلك إنك على كل شىء قدير ·



عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" لَيْسَ ٱلْمُؤْمِنُ بِٱلطَّعَّانِ ، وَلَا ٱللَّعَّانِ

وَلَا ٱلْفَاحِشِ ، وَلَا ٱلْبَذِيءِ "

« رواه الترمذي »


الحديث
و
أصوله



الرُّوَاةُ الَّذِينَ كُنُّوا "بأَبِي زُرْعَة"

للدكتور سعدي الهاشمي
أستاذ مساعد بالدراسات العليا

المقدمـــــة :

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، وبعـــد :

فقد صنف أئمة الحديث وحفاظه في علوم الحديث المختلفة ، ولم يتركوا فنا من فنونه ، ولا نوعاً من أنواعه ، إلا وأبدعوا في تصنيفهم فيه وأكثروا ، ومن هذه الأنواع ، والفنون التي صنفوا فيها هو معرفة الكنى والأسماء ، وذلك لأهميته ·

قال أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) عن تصنيف الحفاظ في الكنى : « وقد صنف المحدثون فيه كتبا كثيرة ، وربما يشذ عنهم الشيء بعد الشيء » (١) ·

ونوه بأهميته ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) فقال : « وهذا فن مطلوب لم يزل أهل العلم بالحديث يعنون به ويتحفظونه ، ويتطارحونه فيما بينهم ، وينتقصون من جهله » (٢) ·

وبين الحافظ العراقى (ت ٨٠٦ هـ) سبب معرفتهم لهذا الفن وضرب لذلك الأمثال فقال : « من فنون أصحاب الحديث معرفة أسماء ذوى الكنى ومعرفة كنى ذوى الأسماء ، وتنبغى العناية بذلك ، فربما ورد ذكر الراوى مرة بكنيته ، ومرة باسمه ، فيظنها من لا معرفة له بذلك رجلين ، وربما ذكر الراوى باسمه وكنيته معا ، فتوهمه بعضهم رجلين ، كالحديث الذى رواه الحاكم من رواية ابن يوسف ، عن أبي حنيفة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد ، عن أبي الوليد ، عن جابر مرفوعا : من صلى خلف الإمام فإن قراءته له قراءة ·

---

(١) أنظر : معرفة علوم الحديث ص ١٨٣ ·

(٢) أنظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ·

قال الحاكم : عبد الله بن شداد هو بنفسه أبو الوليد بينه على بن المديني ، قال الحاكم : ومن تهاون بمعرفة الأسامي أورثه مثل هذا الوهم» (*) .

ولقد رغبت قبل سنوات أن أجمع الرواة الذين كنوا بـ (أبي زرعة) فتتبعت كتب الكنى المطبوعة والمخطوطة ، وكتب الطبقات ، والرجال ، والتواريخ المحلية ، وكتب الجرح والتعديل ، فكان حصيلة ذلك التتبع مجموعة كبيرة من الرواة ، تفوق في عددها أضعاف أضعاف ما ذكره صاحب كل كتاب على حدة ، ومهدت لهذا البحث بفوائد تتعلق به ، منها أنواع الكنى ، وأهم المصنفات في الكنى ، وتمييز بعض المحدثين بين أشهر من تكنى - (أبي زرعة ، وهما الرازى ، والدمشقى ، مساهمة بسيطة مني ، وخدمة لرجال السنة النبوية وحملة الآثار ، أرجو أن ينال استحسان المشتغلين بالسنة النبوية .

(كـــتب الكـــــنى)

١ ـ الكنى لهشام بن محمد بن السائب بن بشر (أبن الكلبى ت ٢٠٤ هـ) (١) .
٢ ـ كنى الأشراف للهيثم بن عدى (ت ٢٠٧ هـ) (٢)
٣ ـ الأسماء والكنى ـ ليحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ) (٣) .

(*) انظر : شرح ألفية العراقي ج ٣ ص ١١٦ .

والحديث رواه أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار ج ١ / ٢١٧ من طريق سفيان الثوري ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر جابر ، وكذا من طريق اسرائيل ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد ، عن رجل من أهل البصرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر غيرهما .

وانظر : ص ٢١٨ منه ، ومتن الحديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان له إمام ، فقراءة الإمام له قراءة ، وفي رواية : أن رجلا قرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر ، وأومأ اليه رجل فنهاه ، فلما انصرف قال : أتنهاني أن أقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فتذاكرا ذلك ، حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى خلف الإمام ، فان قراءة الإمام له قراءة ، وفي رواية قال : قرا رجل خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية : قال صلى الله عليه وسلم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فقرأ رجل خلفه ، فلما قضى الصلاة قال : أيكم قرأ خلفي ، ثلاث مرات ، فقال رجل : أنا يارسول الله ، قال : من صلى خلف الإمام فان قراءة الإمام له قراءة .

وانظر : روايات الحديث ، وأقوال الأئمة عن الحديث ، وطرقه في : مسند الإمام أبي خنيفة للحصكفي ص ٥٧ ـ ٥٨ ، ونصب الراية ج ٢ / ٧ ـ ١٠ ، الدراية ج ١ / ١٦٣ ـ ١٦٤ ، كتاب القراءة خلف الإمام للبيهقي ط إدارة احياء السنة من ص ١٢٤ ـ ١٣٢ ، غيث الغمام لعبد الحي اللكنوي ط ادارة احياء السنة ص ١٨٧ ـ ١٩١ ، عقود الجواهر المنيفة للزبيدي ج ١ / ٧٢ ـ ٧٣ .

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ج ١ / ١٠١ .
(٢) انظر : وفيات الأعيان ج ٦ / ١٠٧ .
(٣) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٠ .

٤ ـ الكنى ـ لعلي بن المديني (ت ٢٣٤ هـ) (١) .

٥ ـ الأسماء والكنى ـ لأبي بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) (٢) .

٦ ـ الأسماء والكنى ـ لشباب العصفري خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) (٣) .

٧ ـ الأسماء والكنى ـ لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) (٤) .

٨ ـ الكنى ـ لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) (٥) ، وهو جزء من التاريخ الكبير ، ومعظمه فيمن عرف بكنيته ، ولم يعرف اسمه ، وقد رتب الكنى على حروف المعجم (٦) .

٩ ـ الكنى والاسماء ـ لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) (٧) ، ومعظمه فيمن عرف كنيته واسمه ، ويرى أبو أحمد الكرابيسي (ت ٣٧٨ هـ) أنه منقول من كتاب الكنى للبخاري (٨) .

١٠ ـ الكنى ـ لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) (٩) .

١١ ـ الأسماء والكنى ـ لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) (١٠) .

١٢ ـ أسماء المحدثين وكناهم ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدمي (ت ٣٠١ هـ) (١١) .

١٣ ـ الكنى ـ لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت ٣٠١ هـ) (١٢) .

١٤ ـ الكنى ـ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) (١٣) .

---

(١) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٠ . التقييد والايضاح ص ٣٦٨ . الرسالة المستطرفة ص ١٢١ .

(٢) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠ .

(٣) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠ .

(٤) انظر : برنامج ابن جابر الوادي آشي ص ٢٥٦ . حيث رواه بسنده الى الإمام أحمد . وانظر : الرسالة المستطرفة ص ١٢٠ .

(٥) طبع في حيدر آباد الدكن عام ١٣٦٠ هـ .

(٦) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٢٦ .

(٧) حققه الشيخ عبد الرحيم القشقري لنيل درجة الماجستير في الجامعة الاسلامية . وهو تحت الطبع .

(٨) انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٥٨/٥ .

(٩) انظر : موارد ابن حجر ـ الرسالة التي قدمها الدكتور شاكر محمود عبد المنعم لجامعة بغداد لنيل شهادة الدكتوراه ج ٦٧٣/٢ .

(١٠) انظر : تهذيب التهذيب ج ٣٨٩/٩ .

(١١) مخطوط في المتحف البريطاني ثاني (٧٧) . انظر : تاريخ التراث العربي ج ١ / ٤١٩ .

(١٢) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .

(١٣) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٨ . فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ . فهرست ابن خير ص ٢١٤ . وذكره باسم الأسماء والكنى تبويب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج القاضي .

١٥ ـ الكنى ـ لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي الحافظ (ت ٣١٧ هـ) (١) .

١٦ ـ الأسامي والكنى ـ لأبي عروبة الحسين بن محمد الحراني (ت ٣١٨ هـ) (٢) .

١٧ ـ الأسماء والكنى ـ لأبي محمد بن عبد الله بن علي بن الجارود (ت ٣٢٠ هـ) في ستة عشر جزءا (٣) .

١٨ ـ الكنى والأسماء ـ لأبي بشر الدولابي محمد بن أحمد بن حماد الرازى (ت ٣١٠ هـ ، وقيل : ٣٢٠ هـ) (٤) . وقد رتبه على حروف المعجم ، وفصل الصحابة عن التابعين (٥) .

١٩ ـ الكنى ـ لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازى (ت ٣٢٧ هـ) (٦) .

٢٠ ـ الكنى ـ للحافظ أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي (ت ٣٥٣ هـ) (٧) .

٢١ ـ أسامي من يعرف بالكنى ـ لأبي حاتم محمد بن حيان البستي (ت ٣٥٤ هـ) ويقع في ثلاثة أجزاء (٨) .

٢٢ ـ كنى من يعرف بالأسماء ـ قال ابن الصلاح في معرفة كنى المعروفين بالأسماء دون الكنى : وبلغنا أن لأبي حبان البستي فيه كتابا (٩) .

٢٣ ـ الكنى ـ لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) (١٠) .

---

(١) انظر : موارد ابن حجر ج ٢ / ٦٧٣ .
(٢) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٢٧ .
(٣) انظر : فهرست ابن خير ص ٢١٣ . وفتح المغيث ج ٢٠٠/٣ .
(٤) طبع في حيدر اباد الدكن ـ الهند عام ١٣٢٢ هـ في مجلدين .
(٥) انظر : بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٧ .
(٦) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ . فتح المغيث ج ٤٠٠/٣ . الرسالة المستطرفة ص ١٢١ . وطبع ضمن كتابه الجرح والتعديل في حيدر اباد الدكن عام ١٣٧٣ هـ .
(٧) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .
(٨) انظر : الرسالة المستطرفة ص ١٢١ .
(٩) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٤ . وهو مخطوط كما ذكر الدكتور أكرم العمري في بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٧ .
(١٠) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .

٢٤ ـ من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة ـ لأبي الحسن محمد بن عبد الله زكريا بن حيوة (ت ٣٦٦ هـ) ، ويقع في ١٩ ورقة ، ويذكر كنية الصحابي ، ويعرف باسمه ، ثم يخرج من طريقه حديثا باسناده اليه ، ثم يذكر كنية زوجته ، ويعرف باسمها ، ويخرج من طريقها حديثا ، وربما اكتفى بالتعريف باسمها دون تخريج حديث عنها (١) ·

٢٥ ـ الكنى ـ لأبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرابيسي (ت ٣٧٨ هـ) (٢) ·

قال عنه الحافظ العراقي ، وكتاب أبي أحمد أجل تصانيف هذا النوع ، فانه يذكر فيه من عرف اسمه ولم يعرف ، وكتاب مسلم ، والنسائي لم يذكر فيه الا من عرف اسمه (٣) ·

وقال حاجي خليفة (٤) ، انه من أحسنها ترتيبا ـ أى كتب الكنى ـ ويقع كتابه في أربعة عشر سفرا (٥) ، حرر فيه وأجاد وزاد على غيره وأفاد ، ولم يرتبه على المعجم ، فرتبه ·

٢٦ ـ الحافظ الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) واختصره ، وزاد عليه ـ جزءا في كنى النساء ـ وسماه المقتني في سرد الكنى (٦) ·

٢٧ ـ الأسماء والكنى ـ لأبي عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني (ت ٣٩٦ هـ) (٧) ·

٢٨ ـ الكنى والألقاب ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٤ هـ) (٨) ·

---

(١) انظر ، بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٨ ، وذكر أن محمد حسني آل ياسين نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ مجلد ٤٧ الجزء الرابع سنة ١٩٧٢ م ·

(٢) انظر ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ ، الرسالة المستطرفة ص ١٢١ ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ·

(٣) انظر ، تدريب الراوى ج ٢٧٩/٢ ·

(٤) انظر ، كشف الظنون ج ٨٧/٨ ·

(٥) يوجد منه مجلد في مكتبة الجامع الأزهر ، يشتمل على عدة أجزاء تبتدىء من أثناء الجزء الثاني ، وتنتهي بأول الجزء الثامن عشر ، وتقي في ٣١١ ورقة ، وتوجد نسخة مصورة منه ـ في مكتبتي ـ كما يوجد منه الجزء الثاني يقع في ٤٢ ورقة في المكتبة الظاهرية ، وقد سجل كتاب الكنى الشيخ يوسف الدخيل لنيل رسالة الدكتوراه في الجامعة الاسلامية ، وفقه الله وأعانه على اخراجه ·

(٦) انظر ، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ٢٥٤ ، وقد حققه الشيخ صالح المراد لنيل رسالة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود ·

(٧) انظر ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، الرسالة المستطرفة ص ١٢١ ·

(٨) انظر ، المصدرين السابقين ·

٢٩ ـ الألقاب والكنى ـ لأبي بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفارسي الشيرازي (ت ٤١١ هـ) ، وهو في مجلد مفيد ، كثير النفع ، بل هو أجل كتاب ألف في هذا الباب قبل ظهور تأليف ابن حجر ، واختصره ـ أى كتاب الشيرازي ـ أبو الفضل بن طاهر (١) .

٣٠ ـ الكنى ـ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) (٢) .

٣١ ـ من وافقت كنيته اسم أبيه مما لا يؤمن وقوع الخطأ فيه ـ لأبي بكر أحمد ابن على بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وهو في ثلاثة أجزاء (٣) .

٣٢ ـ الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى ـ لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) (٤) ، وهو كتاب ضخم (٥) ، وله أيضاً .

٣٣ ـ من عرف من الصحابة بالكنية ، ولم يوقف له على اسم أو اختلف فيه (٦) .

٣٤ ـ أسماء المعروفين بالكنية من التابعين ، ومن بعدهم (٧) .

٣٥ ـ من لم يوقف له منهم على اسم ولا عرف بغير كنية (٨) .

٣٦ ـ فتح الباب في الكنى والألقاب ـ لأبي القاسم عبد الرحمن بن مندة (ت ٤٧٠ هـ) (٩) .

٣٧ ـ الكنى ـ لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (١٠) .

٣٨ ـ الأسماء والكنى ـ لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) (١١) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ج ١٠٦٦/٣ ، الرسالة المستطرفة ص ١٢١ .

(٢) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .

(٣) انظر : موارد الخطيب في تاريخ بغداد ص ٧٣ ، تدريب الراوى ج ٢٨٩/٢ .

(٤) انظر : فهرست ابن خير ص ٢١٤ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، الرسالة المستطرفة ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٥) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، الرسالة المستطرفة ص ١٢٢ .

(٦ ، ٧ ، ٨) ذكر هذه الكتب الثلاثة الدكتور أكرم العمري في بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٩ ، وذكر أنها توجد مخطوطة في مكتبة جامعة القرويين بفاس ، وهو من النوادر ألفها بعد الاستيعاب لأنه يحيل عليه ، وهي تحت رقم ٢٨٧ (ق ١٤٣) .

(٩) انظر : الرسالة المستطرفة ص ١٢١ ، وهو مخطوط في برلين رقم ٩٩١٧ ، وقد اطلعت عليه في عام ١٤٠١ هـ ، وقد نشر قسم منه (S. Dedering) أويسالا عام ١٩٢٧ م .

(١٠) انظر : موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، وموضوعه توافق كنية الراوى لكنية زوجته . انظر : تدريب الراوى ج ٢٩٠/٢ .

(١١) انظر : فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ .

٣٩ ـ المرتجل في الكنى ـ للحافظ الذهبي (ت ٧٤١ هـ) (١) ، وله أيضا :

٤٠ ـ ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان (٢) ·

٤١ ـ الأسماء والكنى ـ لأبي عبد الله بن مخلد (٣) ·

٤٢ ـ تجريد الأسماء والكنى ـ لأبي القاسم بن الفراء (٤) ·

٤٣ ـ الكنى ـ لثابت بن الحسن بن علي اللخمي بن الصيرفي (٥) ·

٤٤ ـ الكنى ـ لإبراهيم بن عبد الله الخزاعي (٦) ·

٤٥ ـ الكنى ـ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) (٧) ·

٤٦ ـ كتاب أسماء المكنيين من رجال الصحيحين لمحمد بن هارون المغربى (٨) .

أنــــواع الكـــــنى

١ ـ أن يكون الاسم هو الكنية ، ولا كنية له غيره :

مثاله : أبو بلال الأشعرى ، من ولد أبي موسى الأشعرى ، وهو أبو بلال بن محمد ابن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، روى عن شريك ، وغيره · وعنه أبو حاتم الرازى ، وخلق ، قال لأبي حاتم : ليس لي اسم ، اسمي وكنيتي واحد (٩) ·

٢ ـ أن يكون الاسم هو الكنية ، وله كنية أخرى :

مثاله : (ع) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، المدني · قيل : اسمه محمد ، وقيل : المغيرة ، وقيل : أبو بكر اسمه ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقيل : اسمه كنيته ، ثقة ، فقيه ، عابد ، من الثالثة ، توفي سنة أربع وتسعين ومائة (١٠) ·

---

(١) انظر : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ١٨٢ ·

(٢) انظر : المصدر السابق ص ١٦٨ ·

(٣) انظر : فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ ·

(٤) نسخة مخطوطة منه في المكتبة الأزهرية رقم خاص (١٣٤) عام (٩٠١٧) ·

(٥) انظر : فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ ·

(٦) انظر : موارد ابن حجر ج ١٧٣/٢ ·

(٧) قال السخاوي في فتح المغيث ج ٢٠١/٣ : ولي فيها أيضا ـ أى الكنى ـ تصنيف لم أبيضه الى الآن ·

(٨) توجد نسخة منه مصورة فى المكتبة المركزية بالجامعة ·

(٩) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٣٥٠/٢ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ، فتح المغيث ج ٣/ ٢٠١ ·

(١٠) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٩٨/٢ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٣٣٦/٢ ·

٣ ـ أن تكون له كنية معروفة بين الناس ولا يدرون أهي اسمه أم له اسم سواها :

مثاله : أبو أناس - بضم الهمزة وتخفيف النون ـ ابن زنيم الكناني ، ويقال : الدئلي (١) ٠

٤ ـ أن تتعد الكنى ، اثنان أو أكثر :

مثاله : (ع) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولاهم المكي ، يكنى بـ أبي الوليد ، أبي خالد ، ثقة ، فقيه ، فاضل ، وكان يدلس ، ويرسل ، من السادسة ، توفي ١٥٠ هـ (٢) ٠

٥ ـ أن تكون الكنية بحسب الظاهر لقبا في الحقيقة ، وأن تكون له كنية أخرى واسم :

مثاله : (ع) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته ، استشهد في رمضان سنة أربعين ، يلقب أبا تراب ، وهو في الظاهر كنية ، وكنيته أبو الحسن (٣) ٠

٦ ـ من اختلف العلماء في كنيته بعد اتفاقهم على اسمه :

مثاله : (ع) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل ، الكلبي الصحابي المشهور ، اختلفوا في كنيته ، قيل : أبو زيد ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو خارجة ٠ توفي سنة أربع وخمسين (٤) ٠

٧ ـ أن تكون له كنية متفق عليها بين العلماء ، ولكنهم اختلفوا في اسمه :

مثاله : (ع) أبو هريرة الدوس ، الصحابي ، الجليل ، حافظ الصحابة اختلف في اسمه ، واسم أبيه على نحو ثلاثين أو أربعين وجها ، توفي سنة تسع وخمسين (٥) ٠

---

(١) انظر : الاصابة ج ١١/٤ ، والتقييد والايضاح ص ٣٦٩ ٠

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٠٢/٦ ، تقريب التهذيب ج ٥٢٠/٢ . التقييد والايضاح ص ٣٧١ ٠

(٣) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧١ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٣ . تقريب التهذيب ج ٣٩/٢ ، الاصابة ج ٠

(٤) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧١ ، فتح المغيث ج ٣ / ٣٠٤ ، تقريب التهذيب ج ٥٣/١ ، الاصابة ج ٣١/١ ٠

(٥) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٢ ، فتح المغيث ج ٣ / ١٠٣ ، تقريب التهذيب ج ٤٨٤/٢ ، الاصابة ج ٢٠٢/٤ـ٢١١ ٠

٨ ـ أن تكون كنيته واسمه جميعا موضع خلاف :

مثاله : (م ع) سفينة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان هذا لقب لقبه به النبي ، وقد اختلفوا في اسمه ، فقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو البختري ، وقيل : غير ذلك (١) .

٩ ـ أن تكون له كنية معروفة واسم معروف ، واشتهر بهما جميعا ، ولم يختلفوا في واحد منهما :

مثاله : (ع) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي ، أبو بكر بن قحافة ، الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي في جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة (٢) .

١٠ ـ أن يكون له اسم وكنية معروفان ، ولا خلاف في أحدهما ، ولكن شهرته بالكنية دون الاسم :

مثاله : (ع) أبو ادريس ، عائذ الله ـ بتحتانية ومعجمة ـ ابن عبد الله الخولاني ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وسمع كبار الصحابة ، توفي سنة ثمانين (٣) .

١١ ـ أن تكون له كنية معروفة ، واسم معروف ، ولا خلاف في أحدهما ، ولكن شهرته بالاسم دون الكنية :

مثاله : (ع) أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث القرشي ، الزهري ، أحد العشرة ، أسلم قديما ، ومناقبه شهيرة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين (٤) .

١٢ ـ أن تكون للراوى كنية معروفة ، واسم معروف ، وكنيته موافقة لاسمه :

مثاله : أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن الطيلسان الأوسي ، حافظ الأندلس ، واسمه القاسم (٥) .

---

(١) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٢ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . تقريب التهذيب ج ٣١٢/١ . الاصابة ج ٥٨/٢ .

(٢) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . تقريب التهذيب ج ٤٣٢/١ . الاصابة ج ٣٤١/٢ـ٣٤٤ .

(٣) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٩٠/١ . شرح ألفية العراقي ج ١٢٣/٣ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . التقييد والايضاح ص ٣٧٣ .

(٤) انظر : تقريب التهذيب ج ٤٩٤/١ . شرح ألفية العراقي ج ١٢٣/٣ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . الاصابة ج ٤١٦/٢ـ٤١٧ .

(٥) انظر : تدريب الراوى ج ٢ / ٣٩٣ . منهج ذوى النظر ص ٢٥١ .

١٣ ـ أن تكون للراوى كنية ، واسم ، معروفان ، وتكون كنيته موافقة لاسم أبيه :

مثاله : (بخ م ع) أبو مسلم ، الأغر بن مسلم المديني ، نزيل الكوفة ، ثقة ، من الثالثة (١) .

١٤ ـ أن يكون للراوى اسم معروف ، ولأبيه كنية ، واسمه يوافق كنية أبيه :

مثاله : (خ م ت س) سنان بن أبي سنان يزيد بن أبي أمية ، ويقال : ربيعة الديلي ، المدني ، ثقة ، من الثالثة ، توفي سنة خمس ومائة (٢) .

١٥ ـ أن تكون للراوى كنية ، ولزوجته كنية ، وتوافق كنيته كنية زوجته :

مثاله : (ع) أبو ذر الغفاري ، الصحابي المشهور ، اسمه جندب بن جنادة على الأصح ، تقدم اسلامه ، وتأخرت هجرته ، فلم يشهد بدرا ، ومناقبه كثيرة جدا ، توفي سنة اثنتين وثلاثين (٣) .

وزوجته (أم ذر) أسلمت مع أبي ذر في أول الإسلام (٤) .

سبب تكنى عبيد الله بن عبد الكريم الرازي بكنية أبي زرعة :

لقد غطت كنية أبي زرعة لعبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤ هـ) على غيره ، فاذا ذكرت مجردة من غير نسبة ، فالمقصود بها هو .

ولقد حصل أبو زرعة كنيته ، عن طريق الرازيين الذين زاروا دمشق ، والتقوا بأبي زرعة الدمشقي ، فكنوه بنفس الكنية تيمنا ، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ، حيث روى باسناده إلى أبي زرعة الدمشقي أنه قال : « وبكنيتي كنى أبا زرعة الرازى ، وذلك أن جماعة من أهل الرى قدموا علينا بدمشق قديماً منهم أبو يحيى مزحويه ، فلما انصرفوا إلى الرى فيما أخبرني غير واحد ، منهم أبو حاتم ، رأوا هذا الفتى قد كانوا يعنون أبا زرعة

---

(١) انظر تقريب التهذيب ج ٨٢/١ ، تهذيب التهذيب ج ٣٦٥/١ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ ، منهج ذوى النظر ص ٢٥٢ .
(٢) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٣٤/١ ، تهذيب التهذيب ج ٢٤٢/٤ ، تدريب الراوى ج ٢ / ٣٩٠ ، منهج ذوى النظر ص ٢٥٢ .
(٣) انظر : تقريب التهذيب ج ٤٢٠/٢ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ ، الاصابة ج ٦٢/٤ـ٦٤ .
(٤) انظر : الاصابة ج ٤٤٨/٤ .

الرازى فقالوا له : نكنيك بكنية أبي زرعة الدمشقي ، ثم لقبني أبو زرعة الرازى **فجالسني** بدمشق ، وكان يذكر لي هذا الحديث ، وقال لي : تكنيت بكنيتك » (١) ٠

تمييز الأئمة والحفاظ بين أبي زرعة الرازى ، والدمشقي :

اشترك أبو زرعة الرازى مع أبي زرعة الدمشقي في الكنية والرواية عن بعض الشيوخ ، وهما من الأقران ، لهذه الأسباب احتاط أئمة الحديث والمصنفون فميزوا بينهما ، وضبطوا أسماء الشيوخ لكل منهما ، وذلك تجنبا لوقوع اللبس والوهم ٠

فقد تنبه عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) لهذا الأمر فميز في كتابه الجرح والتعديل بين أبي زرعة الرازى ، والدمشقي ٠

فهو لا يصرح بنسبة أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم قريب أبيه الذى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه ـ الجرح والتعديل ـ من ذكره ـ وكذا بقية كتبه ـ لأنه لا لبس في أمره ٠

أما إذا لم يؤمن اللبس فينسبه ، فمثلاً في ترجمة عبد الحميد بن بكار الدمشقي ، حينما ذكر الرواة عنه ، ذكر أبا زرعة الرازى بنسبته (٢) ، وكذلك إذا روى عن أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي أو يذكره ضمن شيوخ أو تلاميذ أحد الرواة (٣) ٠

وكذلك إذا اشترك أبو زرعة الرازى ، والدمشقي في الرواية عن أحد من الشيوخ ، فمثلاً صرح ابن أبي حاتم في ترجمة أبيه ، حيث ذكر طائفة من الرواة عنه ، وذكر منهم أبا زرعة الرازى ، والدمشقي (٤) ٠

ولقد تنبه لذلك أيضاً الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ) فإذا ذكر أبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ، أو إذا روى عنه رأياً أو قولاً ، فإنه ينسبه بالرازى كي يميزه عن أبي زرعة الدمشقي (٥) ٠

---

(١) انظر : تاريخ دمشق ٢٥٠/٧ ب النسخة المصورة المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد ، ترجمة أبي زرعة الرازى ، وكذا سير أعلام النبلاء في ترجمته أيضا ، نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة ، مصورة عن نسخة أحمد الثالث ٠

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٣/ ق ٩/١ ٠

(٣) انظر مثلا : المواضع التالية : ج ١/ق ٤٩/١ ، ج ٢/ ق ٢٣٦/١ ، ج ٢/ ق ٢٧٣/١ ، ج ٢/ق ٤٠٥/٢ ، ج ٣/ق ٢٩/١ ، ج ٣/ق ١٩/٢ ، ج ٣/ق ٢٠٩/٢ ، ج ٣/ق ٢١٢/٢ ، ج ٤/ق ٢٥/١ ، ج ٤/ق ١٠٤/١ ، ج ٤/ق ١٩/٢ ، ج ٤/ق ١٥٨/٢ ، ج ٤/ق ٤٦١/٢ ٠

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٣/ق ٢٠٤/٢ ٠

(٥) انظر : المجروحين ج ٣١/١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٥٤ ، ج ٢٣٦/٢ ، ج ٢٦/٣ ٠

هذا في معظم المواضع من كتابه ـ المجروحين ـ لأنه ينقل أقوال أئمة الجرح والتعديل في الرواة .

وإذا أمن اللبس فيذكره من غير أن ينسبه ، فقد ذكره في حادثة لقاء أبي زرعة الرازى ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، وهو رازى أيضاً ، مشهور مع الإمام أحمد بن حنبل ، وتحذيرهما له من الرواية عن محمد بن حميد الرازى (١) .

إلا أنه ذكر في موضع واحد في ترجمة معلى بن هلال الطحان (٢) من طريق أبي نعيم ـ الفضل بن دكين (ت ٢١٩ هـ) ـ وقد روى عنه كل من أبي زرعة الرازى ، والدمشقي ، وهو يريد في الغالب فيه أبا زرعة الدمشقي ، فقد ذكر ابن حجر هذا الخبر وصرح بنسبته أبي زرعة راوى الخبر عن ابن عيينة .

وروى ابن حبان في موضع آخر قولا عن أبي مسهر ـ عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي (ت ٢١٨ هـ) ، وهو شيخ لأبي زرعة الدمشقي (٣) ، ولقد أخطأ محقق كتاب المجروحين ، حيث كتب في الحاشية ترجمة لأبي زرعة الرازى ظناً منه أن هذا هو الرازى ، وهو في الحقيقة الدمشقي .

أسماء الرواة الذين كنوا بـ أبي زرعة :

(١) أبو زرعة : أحمد بن بندار بن محمد بن عبد الله بن مهران العبسي القاضي (٤) (ت ٣٨٢ هـ) .

روى عن حفص بن عمر ، الملقب نزيلة الحافظ بأردبيل (٥) .

روى عن أحمد بن محمد بن موسى الفارسي (٦) (كنيته أبو زرعة) ، (ت بعد ٣٤٠ هـ) .

---

(١) انظر : المجروحين ج ٣٠٣/٢ـ٣٠٤ .

(٢) انظر : المجروحين ج ١٧/٣ .

(٣) انظر : الجرح والتعديل ج ٣/ق ٢٩/١ ، تهذيب التهذيب ج ٩٨/٦ـ١٠١ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ، تذكرة الحفاظ ١٠٠١/٣ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٩٨٧/٣ .

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٩ ، وأردبيل ـ بالفتح ثم السكون ، فتح وفتح الدال ، وكسر الباء ، وياء ساكنة ، ولام ـ من أشهر مدن أذربيجان .

انظر : معجم البلدان ، مادة أردبيل ، وتقع الآن في الاتحاد السوفيتي .

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٧ .

وإسحق بن ابراهيم بن بوكود الاستراباذى أبو القاسم ، يعرف بأخي محمد كاالبيرايات (١) ٠

الفضل بن نعيم الاستراباذي أبو العباس يعرف بفضلان (٢) ٠

(٢) أبو زرعة : أحمد بن حميد الصيدلاني الجرجاني ، مات بمكة ٠

قال عنه حمزة السهمي : كان حافظا ، يعرف علل الحديث (٣) ٠

روى عن محمد بن عبد الأعلى ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعمرو بن علي ، روى عنه موسى بن هارون الحمال ، والحسن بن أحمد الصنعاني ٠

قال أبو عمران بن هانيء : كان أبو زرعة الجرجاني أحفظ من أبي زرعة الرازى ، قد صحب يحيى بن سعيد القطان ، وسلم يحيى بن سعيد ابنه اليه ليفيده الحديث (٤) ٠

قال إبراهيم بن محمد بن عيسى : كان موسى بن هارون يأخذ علل الحديث ، عن أبي زرعة الجرجاني ، ويدخلها في كتابه (٥) ٠

(٣) أبو زرعة : محمد بن الحسن بن حمدان المذكر الاستراباذي (٦) ٠

روى عن محمد بن يزداد بن سالم الاستراباذي ، وهميم بن همام ٠

(٤) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن هارون الاستراباذي ، ابن أخي هارون بن أحمد ٠

انتقل إلى مكة ، وتأهل بها ، ثم خرج من مكة على طريق البصرة قبل الثمانين وثلاثمائة (٧) ٠

روى عن أبي نعيم ، وجعفر بن شريك (٨) ٠

(٥) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن موسى الفارسي القاضي ، مات باستراباذ بعد الأربعين وثلاثمائة (٩) ٠

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٠٤ ٠

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٦ ٠

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٤٢٤/٢ ٠

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٤ ٠

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٥ ٠

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٢٧ ٠

(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٨ ٠

(٨) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٨ ٠

(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٧ ٠

روى عن عمران بن موسى السختياني ، ومعروف بن محمد بن زياد ، ومحمد بن حشمرد الجرجانيين ، وغيرهم .

روى عنه أبو زرعة أحمد بن بندار العيشي (١) .

وعنه أبو نعيم عبد الملك بن أحمد بن نعيم بن عبد الملك الاسترابادي (٢) .

(٦) أبو زرعة الرازى الصغير : أحمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن الحكم بن عبد الله (ت ٣٧٥ هـ) (٣) .

روى عن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الخرباني البغدادي (٤) .

سمع محمد بن إبراهيم بن مورد ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، وعلي بن إبراهيم القطان القزويني ، وعبد الله بن محمد الحارثي « شيخ البخاري » ، وبكر بن عبد الله المحتسب البخاري ، والحسين بن اسماعيل المحاملي ، ومحمد بن مخلد الدوري .

ومن شيوخه محمد بن أحيد بن عيسى ، أبو حرب البلخي الحافظ وسمع من أبي حامد بن بلال ، وعلي بن أحمد الفارسي ، نزيل بلخ ، وأبي عباس الأصم ، وأبي الفوارس السندي المصري ، وأبي الحسين محمد بن عبد الله الرازى والد تمام .

وحامد بن حماد بن المبارك بنصيبين (٥) .

روى عنه أبو زرعة أحمد بن الحسين الرازى (٦) .

وعنه تمام الرازى ، والحسين بن محمد الفلاكي ، وعبد الغني بن سعيد الأزدي ، وحمزة بن يوسف السهمي ، وأبو الفضل محمد بن أحمد الجارودي ، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي ، وعلي بن المحسن التنوخي ، وأبو الطيب أحمد بن علي الجعفري (٧) .

قال الخطيب : حدث ببغداد ، ثنا عنه القاضيان أبو علي الواسطي وأبو القاسم التنوخي ، وأبو زرعة روح بن محمد الرازى .

قال عنه الخطيب : كان حافظاً متقنا ثقة ، رحل في الحديث ، وسافر الكثير ، وجالس الحفاظ ، وجمع التراجم والأبواب .

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٧ .

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٣٩٠ .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ ، الأنساب للسمعاني ج ٧٧/٥ ، تاريخ بغداد ج ١٢٥/١٠ .

(٤) انظر : اللباب ٤٣٠/١ ، الاكمال ٢٤/١ ، تاريخ بغداد ١٠٩/٤ .

(٥) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

ونصيبين - بالفتح ثم الكسر ، ثم ياء - علامة الجمع الصحيح ، من مدن الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام ، بينها وبين سنجار (وهي تقع في العراق) تسعة فراسخ .

وانظر : معجم البلدان ، مادة نصيبين .

(٦) انظر : الاكمال لابن ماكولا ٢٤/١ .

(٧) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

قال الخطيب : أخبرنا علي بن المحسن قال : سألنا أبا زرعة الرازى عن مولده ؟ فقال : لست أحفظه ، ولكني خرجت إلى العراق أول دفعة لطلب الحديث سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وكان لي اذ ذاك أربع عشرة سنة أو نحوها .

(فقد في طريق مكة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) .

قال عنه الذهبي : له تصانيف كثيرة ، يروى فيها المناكير كغيره من الحفاظ ، ولا يبين حالها ، وذلك مما يزرى بالحافظ .

وقد سأله حمزة السهمي عن أحوال الرواة (١) .

وقال عنه الذهبي : من علماء الحديث والراحلين في علوه (٢) .

(٧) أبو زرعة بن عبد الله بن عدى ، أبو محمد الحافظ (٣) .

(٨) أبو زرعة : عمر بن القاسم بن محمد بن بندار السباك الجرجاني (٤) .

روى عن الربيع بن سليمان المرادي .

وعنه إبراهيم بن موسى ، جد حمزة السهمي .

(٩) أبو زرعة المؤذن المعلم ، يعرف باليمني - نسبة إلى اليمن : (٥) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن بندار بن سهل بن إسحق بن سعيد بن عبد الواحد الاسترا باذي ، ت باسترا باذ (٦) .

قيل له ذلك لأنه أقام باليمن وتزوج وولد بها ابنه إبراهيم .

ويقال له العطاري ، لأنه جاور محمد بن بندار العطار .

كتب الكثير ، ورحل إلى خراسان والشام والجزيرة ، وسمع الكثير من أبي العباس السراج ، وأبي الحسن بن جوصا الدمشقي ، وأبي عروبة الحراني ، وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم .

كتب بالشام عن أبي جوصا ، وبالجزيرة عن أبي عروبة ، وبمصر والعراقين عن البغوي ، وابن أبي داود ، وابن صاعد ، وعن عبد الكريم التمار ، وبفارس عن علي بن الحسين بن معدان ، مات باسترا باذ (٧) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٩/٣ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٨٨ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٣٢٧ .

(٥) نسب اليها بسبب المقام بها ... اللباب ٤١٨/٣ .

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ .

(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٣ .

روى عن محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الشيباني الكاتب الاسترا باذي أبو أحمد (١) ·

وروى عن محمد بن أحمد بن بندار ، أبو الحسين البزار الاسترا باذي (٢) وروى عنه أبو الحسن ، علي بن الحسن الابريمي ، توفي باسترا باذ سنة ثلاث عشرة وأربعمائة (٣) ·

روى عنه أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن أحمد بن نعيم بن عبد الملك النعيمي الاسترا باذي الفقيه (٤) ·

روت عنه تميمة بنت أبي شجاع ، محمد بن إبراهيم الاسترا باذية أم أبي حاجب محمد بن إسماعيل بن محمد الاسترا باذي (٥) ·

روى عن شهريار بن يزداد (٦)

(١٠) أبو زرعة : محمد بن الحداد ، ت باسترا باذ سنة ٤١٢ هـ (٧) ·

روى عن ابن شاهين (٨) ، ومن في طبقته ·

(١١) أبو زرعة : محمد بن عبد الله بن إدريس بن الحسن السوراني الاسترا باذي (ت ٣٤٢ هـ) (٩) ·

روى عن هميم بن همام وغيره ·

روى عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن محمد والد أبي سعد الادريسي توفى بسمرقند سنة ٣٧٧ هـ (١٠) ·

وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس صاحب « تاريخ سمرقند » ، توفي سلخ ذى الحجة سنة خمس وأربعمائة بسمرقند (١١) ·

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٦٧ ·

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٠٢ ·

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٣٥٥ ·

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٣١ ·

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٠ ·

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٦١٤ ·

(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٢٧ ·

(٨) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ ، المعروف بابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ) · انظر : تذكرة الحفاظ ٩٨٧ - ٩٩٠ ، والمنتظم ج ٧/١٨٢-١٨٣ ، والبداية والنهاية ١١/٣١٦-٣١٧ ·

(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٥١٦ ·

(١٠) انظر : تاريخ جرجان ص ٥١٨

(١١) انظر : اللباب ٨/٣٧ ·

(١٢) أبو زرعة : محمد بن عبد الوهاب بن هشام بن الوليد الأنصاري الحافظ الششي الجرجاني (١) ·

قال السهمي : سكن باب الخندق في سكة شش ، ومسجده معروف به الششي سكة بجرجان (٢) ·

روى عن عبد الله بن محمد بن مسعود الزهري (٣) ·

روى عنه أبو بكر الإسماعيلي ، ونعيم بن عبد الملك ، وأبو أحمد بن عدى ، واسماعيل بن سعيد ، وابن أبي عمران الجرجاني ، وأبو جعفر محمد بن أحمد القاضي (٤) ، وأبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن ابراهيم بن أحمد السهمي الجرجاني (٥) ·

قال عنه ختنه أبو بكر الاسماعيلي : كان فقيها حافظا (٦) ·

وقال عنه أبو سعد السمعاني : كان فقيها ، إماما فاضلا ، عارفا بالفقه والحديث (٧) ·

توفي في ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة (٨) ·

(١٣) أبو زرعة : محمد بن محمد بن أحمد الاستراباذي ، ختن أبي عبد الله بن السرى على ابنته (٩) ·

روى عن يوسف بن أحمد بن عبد الرحيم ·

روى عنه محمد بن عبد الله بن يحيى المذكر ·

(١٤) أبو زرعة : محمد بن محمد بن سهل بن عبد الرحمن بن أحمد الاستراباذي العنابي (١٠) ، توفى بسمرقند قبل ٣٦٠ هـ أيام الطبراني ·

سكن سمرقند وحدث بها إلى أن مات قبل الستين والثلاثمائة (١١) ·

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٨ ، والأنساب ٨ /٩٨ ·

(٢) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج ٨٠٦/٢ ، وفي الأنساب ج ٩٨/٨ قال أبو سعد السمعاني عن السكة : وهي سكة بجرجان بباب الطاق · وفي الحاشية أشار المحقق ـ رحمه الله ـ الى أنه ورد في نسختين خطيتين من الأنساب (باب الخندق) ·

(٣) وفي الأنساب ج ٩٨/٨ (مسرور) ·

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٩ ·

(٥) انظر تاريخ جرجان ص ١١٩ ·

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٩ ·

(٧) انظر : الأنساب ج ٩٨/٨ ·

(٨) انظر : اللباب ج ١٩٦/٢ ·

(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٦ ·

(١٠) العنابي : هذه النسبة إلى العناب ، وهي شيء أحمر ، من الفواكه ·

انظر : الأنساب ج ٣٨١/٩-٣٨٢ ·

(١١) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٩٩١/٣ ، اللباب ٣٦٠/٢ ، تاريخ جرجان ص ٦٣٦-٦٣٧ ، وانظر : الأنساب ج ٣٨٢/٩ ·

روى عن أبي عمرو زيد بن محمد المصري ·
روى عنه أبو سعد الادريسي ·

(١٥) أبو زرعة : محمد بن محمد بن الحسين الاسترا باذي - يعرف با بن أبي الخطيب ·

سكن سمرقند سنين كثيرة ، وخرج منها قبل ٣٨٠ هـ (١) ·

روى عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني ، ومعبد بن جمعة الروياني ، ومحمد ابن الحسن بن علي الخياطي الجرجاني ·

روى عنه أبو سعد الادريسي ، وغيره ·

(١٦) أبو زرعة : محمد بن يوسف بن محمد بن الجنيد بن عبد العزيز الكشي الجرجاني (ت ٣٩٠ هـ) (٢) ، كان صدوقاً حافظاً ·

سمع بجرجان من أبي نعيم الاسترا باذي ، وموسى بن العباس الازاذياري وعبد الله ابن محمد بن مسلم ، ختن بديل ، وجماعة ، ثم رحل إلى خراسان ، وكتب بخراسان عن أبي حاتم مكي بن عبدان ، والشرقي ، وبسرخس عن الدغولي ، وبالرى عن ابن أبي حاتم ، ومن في طبقته ، وبهمذان وببغداد وبمكة عن جماعة ، وجمع الأبواب والمشايخ ، وكان يفهم ويحفظ ، روى بجرجان شيئاً يسيراً بعد الجهد ، ثم دخل بغداد وحدث بها ، ثم دخل البصرة وأملى في جامع البصرة ثم انتقل الى مكة وحدث بها سنين الى أن توفي بها في سنة تسعين وثلاثمائة (٣) ·

حدث بالبصرة في شعبان ٣٧٤ هـ ، وحدث بمكة سنة ٣٨٥ هـ ·

روى عن أحمد بن عبد الله بن زكريا بن عبد الكريم الفقيه الجرجاني (٤) ·

روى عنه حماد بن زيدك الجرجاني (٥) ·

قال في أحمد بن محمد بن رميح النسوي الجوال : ضعيف · (٦) ·

روى عن عبد الله بن السرى أبو محمد الاسترا باذي (ت ٣٢٥ هـ) (٧) ·

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٦ ·
(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٢٤-٥٢٥ ، تذكرة الحفاظ ٩٩٧/٣ ، ٦٨٥ ، ميزان الاعتدال ٤١٣/٨ ، ٤١٦ ، تاريخ بغداد ٤٠٨/٣ ·
(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٢٤ ·
(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٧٣ ·
(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٠١ ·
(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ١٠٠ ·
(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٧٨٦ ·

قال أبو زرعة محمد بن يوسف : خرج ابن خراش (١) مثالب الشيخين وكان رافضياً (٢) .

قال أبو زرعة الكشي في أحمد بن الحسن الجرجاني أبي الحسين : ليس بشيء (٣) .

روى عنه حماد بن زيدك الجرجاني (٤) .

ومن نقده لبعض رواة الآثار ما نقله الذهبي ، عن حمزة السهمي عنه في ترجمة جعفر ابن علي بن سهل الحافظ أبو محمد الدوري الدقاق ، قال حمزة السهمي : سمعتْ أبا زرعة محمد بن يوسف الجرجاني يقول : ليس بمرضي في الحديث ولا في دينه ، كان فاسقاً كذاباً (٥) .

ونقل السهمي عنه أيضا في ترجمة جعفر بن محمد بن الفضل الدقاق (ت ٣٨٧ هـ) « جعفر الدقاق الحافظ ليس بمرضي في الحديث ولا في دينه ، وكان فاسقاً كذاباً .

قال الخطيب : قدم بغداد حاجاً ، وكان صدوقاً حافظاً (٦) .

وقال عنه الذهبي : الحافظ الإمام .

روى عن أبي العباس محمد بن عبد الله الدغولي ، ومكي بن عبدان النيسابوري ، وأبي نعيم بن عدى ، ومحمد بن عبدك الشعراني ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم .

رحل إلى العراق والحرمين (٧) .

روى عنه القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي ، وأبو القاسم الأزهرى وعبد العزيز بن علي الأزجي ، وعبد الغني بن سعيد الحافظ (٨) .

نقل الذهبي عن حمزة بن يوسف السهمي أنه قال عنه : جمع أبو زرعة هذا الأبواب والمشايخ ، وكان يحفظ ويفهم ، أملى علينا بالبصرة ، ثم انه جاور بمكة الى أن توفي بها في سنة تسعين وثلاثمائة (٩) .

---

(١) ابن خراش : الحافظ البارع الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف المروزي البغدادي ، الذي قال عنه الذهبي : مات الى غير رحمة الله سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

وقال عنه : فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك ان صدقت في الترحال ـ كان يقول : شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات ـ . فما عذرك عند الله ؟ مع خبرتك بالأمور ، فأنت زنديق معاند للحق ، فلا رضي الله عنك .

تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ٦٨٥/٢ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٩٩ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٠١ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤١٣/١ .

(٦) انظر : تاريخ بغداد ٤٠٨/٣ .

(٧) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ .

(٨) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ .

(٩) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ .

روى عنه أبو معمر الفضل بن اسماعيل بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلي الإمام (١) ·

روى عنه أبو عمران موسى بن العباس الازأذبادي (ت ٣٢٤ هـ) (٢) ·

روى عن محمد بن أحمد بن محمد بن علي الاسترابادي (٣) ·

قال أبو زرعة الكشي في أبي شافع اسمه واسم أبيه واسم جده غير ما ذكر هو حاميهم ، وكان ثقة في الحديث إلا أنه كان يشرب المسكر (٤) ·

روى عن يوسف بن يعقوب بن حماد الاسترابادي (ت ٣٢٣ هـ) (٥) ·

قال الخطيب : حدثني الأزهري ، قال : مضيت إلى أبي زرعة الجرجاني لما قدم بغداد ، فسألته أن يحدثني عن الدغولي حديث الثورى عن زائدة ، فأبى فألححت عليه المسألة ، فحلف بالطلاق أن لا يحدثني به ببغداد ، فانتظرته حتى كان اليوم الذى رحل فيه الحجاج ، فخرجت معه ولم أفارقه حتى خرج من البلد ، فلما صار وراء مقبرة باب الكناس قال لي : قد عزمت أن أحدثك حديث الدغولي ، ثم قال : حدثنا أبو العباس محمد بن عبد الله الدغولي بعد جهد جهيد ، قال : روى لنا محمد بن مشكان قال : حدثنا يزيد بن أبي حكيم ، حدثنا سفيان الثورى حدثنا زائدة بن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله ابن أبي أوفى ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد ·

قال الخطيب : ثنا أبو بكر البرقاني قال : قال الدارقطني : لم يحدث به إلا ابن مشكان عن العدني ·

وحدثنا البرقاني ، ثنا الحسين بن علي التميمي ، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ، ثنا أبو زكريا يحيى بن زكريا الأعرج ، ثنا محمد بن مشكان ، ثنا يزيد ابن أبي حكيم العدني ، ثنا سفيان عن زائدة بنحوه ·

قال البرقاني : كان أصحابنا يقولون : تفرد به الدغولي حتى ظهر لنا هذا ·

ورواه الذهبي في تذكرة الحفاظ (٦) ، من طريق عبد الغني بن سعيد الحافظ قال : أى عبد الغني : حدثني أبو زرعة محمد بن يوسف الجرجاني بمكة بعد جهد وعناء وذكر

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٣٥ ·

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٤٣ ·

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٠ ·

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٥٠ ·

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٧ ·

(٦) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ ·

الحديث ، ثم قال الذهبي : غريب ، والمشهور حديث الثورى عن أبي يعفور العبدي ، عن ابن أبي أوفى ، وأما حديثه عن زائدة ففرد ·

ورواه الذهبي من طريق شعبة ، عن أبي يعفور ·

(١٧) أبو زرعة الرازي الأصغر : روح بن محمد البديحي القاضي الفقيه الشافعي (ت ٤٢٣ هـ) ـ سبط الحافظ أبي بكر بن السني ـ ولى قضاء أصبهان مدة ، وسمع الحديث ورواه ، كتب عنه الخطيب أبو بكر البغدادي (١) ·

قال عنه السمعاني : سمع الحديث ورواه ، كتب عنه الخطيب أبو بكر البغدادي ·

« سمع أبا زرعة أحمد بن محمد بن جمان ، وأبا الفضل العباس بن الحسين الصغار ، وجعفر بن عبد الله بن يعقوب بن الفناكي ، وأحمد بن فارس اللغوي ، وعلي بن محمد بن القصار الرازى ، وأبا زرعة أحمد بن الحسين الرازى ، والحسين بن علي التميمي النيسابوري ، واسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوى ، وأبا الهيثم أحمد بن عمر بن شبويه المروزي ، وأبا حامد أحمد بن الحسين المروزي ، وأبا منصور محمد بن أحمد بن شبويه الأبيوردي » (٢) ·

قال عنه الخطيب : قدم علينا بغداد حاجاً ، وحدث بها فكتبنا عنه في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ولقيته بالكرج في سنة احدى وعشرين فكتبت عنه هناك ، وكان صدوقاً فهما أديباً يتفقه على مذهب الشافعي وولى قضاء أصبهان ، وبلغنى أنه مات بالكرج في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ·

سمع السلفي من أصحابه (٣) ·

(١٨) أبو زرعة ، الدمشقي الصغير ، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي دجانة ، عمرو بن عبد الله بن صفران النصري ، وهو ابن أخي الحافظ أبي زرعة الدمشقي (ت قبل ٣٦٠ هـ) (٤) ·

حدث عن الحسين بن محمد بن جمعة ، وإبراهيم بن دحيم وطائفة ·

روى عنه تمام الرازى ، وأبو علي بن مهنا ·

(١٩) أبو زرعة المصري الفقيه الزاهد ، شيخ الديار المصرية ـ حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبْي (ت ١٥٨ هـ) ·

---

(١) انظر : اللباب ١٢٨/١ ، الكفاية للخطيب ص ١٢٢ ، ٣٩٥ ، تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ ، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٧٥٦/٢ ، تاريخ بغداد ٤١٠/٨ ·

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٤١٠/٨ ·

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠١/٣ ، وانظر : الأنساب ج ١١٥/٢ ·

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠١/٣ ·

روى عنه الليث ، وابن المبارك (١) .

(٢٠) (خ ٤) أبو زرعة : المغيرة الثقفي مولاهم الكوفي ، وهو والد المحدث عثمان ابن المغيرة ، الأعشى الذى قال عنه أحمد بن حنبل :

عثمان بن المغيرة هو عثمان بن أبي زرعة ، وهو عثمان الأعشى ، وهو عثمان الثقفي الكوفي ، ثقة ليس أحداً روى عنه من شريك (٢) .

(٢١) أبو زرعة : عقبة بن يزيد بن سعيد بن قتادة بن جبلة بن نمر بن نمير بن الحارث النسائي ، منسوب الى بني نسي ، وهو بطن من الصدف ، وهو مصري (ت ٢٩٤ هـ) (٣) وفى الانساب قال توفى فى ذى الحجة ٢٧٤ هـ .

(٢٢) أبو زرعة : محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة ، من موالي ثقيف (ت ٣٠٢ هـ) ، قاض رفيع القدر من أهل دمشق ، ولى قضاء مصر سنة ٢٨٤ هـ (٤) .

(٢٣) القاضي أبو زرعة ، غير الذى مر ذكره وهو في عصره (٥) .

(٢٤) أبو زرعة الطبري المقرىء ، ولده أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن أبي زرعة المحدث الفقيه الحنبلي ، من أهل آمل طبرستان (ت ٥٢٨ هـ) (٦) .

(٢٥) أبو زرعة : وهب الله بن راشد المصري ، مؤذن الفسطاط .

روى عن يونس الأيلي ، وحيوة بن شريح .

روى عنه عبد الرحمن ، ومحمد ، وسعد بنو عبد الله بن عبد الحكم وربيع بن سليمان الجيزي المصري .

غمزه سعيد بن أبي مريم وغيره .

قال أبو حاتم : محله الصدق ، وفضل ابن وارة عليه عنبسة بن خالد .

وقال عنه أبو زرعة الرازى ـ وقد سأله ابن أبي حاتم ـ : ليس لي به علم لأني لم أكتب عن أحد عنه (٧) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ ١٨٥/١ ، تهذيب التهذيب ٦٩/٣ ، ٦٩/٣ ، الكنى والأسماء لمسلم (لوحة ـ ٤١) ، الجرح والتعديل ج ١/ق ٣٠٦/٢ ، فتح الباب ص ١٢٤ ـ ب .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ١٥٥/٧ ، ميزان الاعتدال ٣٤/٣ وكذا ٥٠/٣ ، الجرح والتعديل ج ٣/ق ١٦٧/١ .

(٣) انظر : اللباب ٣٠٨/٣ . انظر : الأنساب ورقة ٥٦٠ / أ واللباب ٣ / ٣٠٨

(٤) انظر : شذرات الذهب ٢٣٩/٢ ، طبقات السبكي ١٩٦/٣ ، الأعلام للزركلي ١٤٢/٧ ، الولاة والقضاة ص ٥١٨ .

(٥) انظر : طبقات الشافعية ١٩٧/٣ .

(٦) انظر : طبقات الشافعية ٨٦/٤ .

(٧) انظر : ميزان الاعتدال ج ٣٥٢/٤ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج ١٠٨٤/٣ ، وفتح الباب ورقة (١٢٥ ـ أ) ، والجرح والتعديل ج ٤/ق ٢٧/٢ ، ج ١/ق ٤٦٤/٢ ، ج ٢/ق ٩٢/١ .

(٢٦) أبو زرعة : عبد الأحد بن الليث (أبو زرارة) بن عاصم بن كليب القتباني ·

روى عن عثمان بن الحكم الجذامي المصري من بني نضرة ·
وروى عن حيوة بن شريح ، ومالك بن أنس ، ويحيى بن أيوب وغيرهم ·
وسمع من جده ، وهو صدوق في الحديث ·
توفي سنة ٢٢٨ هـ (١) ·

(٢٧) أبو زرعة السنجي ، صاحب تاريخ مروالزو القنجي (٢) ·

(٢٨) أبو زرعة : عبد الرحمن مولى المقداد بن الأسود ، سمع منه أبو هلال (٣) ·
روى عنه أبو هلال مرسل ـ قاله البخاري ·

(٢٩) أبو زرعة ابراهيم ، وكان من مسلمة أهل الكتاب ·
روى عنه إسماعيل بن عبيد الله (٤) ·

(٣٠) أبو زرعة : عبد الله بن أبي زكريا الشامي ، واسم أبي زكريا الشامي : اياس ابن يزيد بن خزاعة الدمشقي (٥) ·

(٣١) أبو زرعة : عبيد الله بن أبي بكر اللفتواني ·
قال ابن النجار في تاريخه (٦) : كتب إلي أبو زرعة عبيد الله بن أبي بكر اللفتواني ، أنبأنا أبو الخير شعبة بن أبي شكر بن عمر الصباغ (٧) ·
اللفتواني : نسبة إلى لفتوان ، إحدى قرى أصبهان (٨) ·

(٣٢) قال ابن الجوزي : حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد قال : حدثني جدي لأبي سعيد بن الحسن بن جعفر (٩) ·

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب ج ١١٠/٧ـ١١١ ، والأنساب ج ٣٣٨/١٠ـ٣٣٩ ·
(٢) انظر : الأنساب ج ٣٤٠/٦ـ٣٤١ ، واللباب ٨٠/٢ ، ج ٢٣/٣ ·
(٣) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة ـ ٤١ ـ » · الجرح والتعديل ج ٢/ق ٢٣٥/٢ . فتح الباب في الكنى والألقاب « ١٢٥ ـ أ » ·
(٤) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة ـ ٤١ ـ » ·
(٥) انظر : الجرح والتعديل ج ٢/ق ٧/٢ ·
(٦) انظر : تاريخ ابن النجار : هو ذيل تاريخ بغداد . ألفه الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) · طبع المجلد الأول منه ١٣٩٨/١٩٧٨ م في حيدر آباد الدكن ـ الهند ·
(٧) انظر : اللآليء المصنوعة ٣٤٢/١ . المناقب ٤ ·
(٨) انظر : اللباب ٣ / ١٣٢ ·
(٩) انظر : الموضوعات ١٢٤/١ ·

(٣٣) أبو زرعة : أحمد بن نفيس المصيصي ، كتب عنه أبو بكر الأبهري بحلب (١) .

حدث عن محمد بن عمرو بن حنان .

روى عنه أبو بكر الأبهري ، وقال : سمعت منه بحلب وهو ثقة (٢) .

المصيصي : نسبة الى المصيصة ، مدينة على ساحل البحر (٣) الأبيض المتوسط .

(٣٤) أبو زرعة المقدسي : أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن علي بن سماقة الاسعردي (ت ٦١٣ هـ) .

حدث بمصر بمسند الشافعي عن أبي زرعة المقدسي (٤) .

(٣٥) أبو زرعة : محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زرعة القزويني ، ولد ٣٢٤ ـ ٣٩٨ هـ (٥) .

سمع ابن صالح ، ومحمد بن الحسن بن الفتح ، وأقرانهما من شيوخ قزوين ، وبالعراق الدارقطني ، وابن هشام وأقرانهما .

وبالأهواز ابن عبدان الحافظ ، سمع منه تاريخ البخاري ، واستشهد في سنة ثمان وأربعمائة ، وقد انقطع نسله (٦) .

(٣٦) أبو زرعة : عبد الله بن الحسين بن أحمد .

ذكره القزويني في ترجمة أخيه أحمد بن الحسين بن أحمد أبو علي ، الفقيه المتوفي سنة ٣٨٢ هـ (٧) .

(٣٧) أحمد بن الحسين بن علي الرازى الصوفي ، سمع بقزوين من أبي داود سليمان بن يزيد الفامي (٨) .

الفامي : بفتح الفاء ، وسكون الألف ، وفي آخرها ميم ـ نسبة الى بيع الفواكه اليابسة ، أو نسبة الى قرية من قرى واسط من ناحية فم الصلح (٩) .

---

(١) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ١٤٢٥/٤ .

(٢) انظر : الاكمال لابن ماكولا ٣٦٢/٧ .

(٣) انظر : اللباب ٢٢١/٣ .

(٤) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٦٩٢/٢ .

(٥) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ٢٥٩ ـ أ » . نسخة وقف سلطان سليم خان ـ تركيا .

(٦) انظر : ج ٧ الارشاد ـ علماء قزوين .

(٧) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ١٣٥ ـ أ » .

(٨) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ١٣٥ ـ ب » .

(٩) انظر : اللباب ج ٤١٠/٢ .

(٣٨) أبو زرعة ، الحسن بن عبد الكريم بن الحسن بن علي الكرجي (١) ، قتله الملاحدة بأبهر سنة ٥٢٩ هـ (٢) .

الحسن بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم أبو زرعة الكرجي ، سبط الأول ، قتل ٥٥٩ هـ .

(٣٩) أبو زرعة الماكي - ذكره في ترجمة ابنه ، أبو الطيب بن أبي زرعة الماكي .

سمع عبد الرزاق بن همام ، من أبي عبد الله أبي طاهر بن فضلان بن حامد الكرجي ، سمع الأستاذ أبا اسحاق السماذي بقزوين سنة ٥٢٩ هـ ، وسمع أبا منصور عبد الكريم بن محمد بن حامد الخيام في داره سنة ٥٢٧ هـ (٣) .

(٤٠) عبد الكريم بن أبي زرعة الحداد ، سمع الخليل بن عبد الله الحافظ سنة ٤٤٣ هـ (٤) .

(٤١) أبو زرعة ، عبد الكريم بن اسحق بن سهلويه (أجاز لعبد الله بن أحمد بن حسنه يه بن حاجي أبو بكر الزبيري من أقران الرافعي) (٥) .

سمع من السيد أبي حرب الهمداني سنة ٥٨٣ هـ (٦) .

(٤٢) أبو زرعة ، عبيد الله بن الحسين ، سمع أبا الحسن القطان - علي بن ابراهيم ابن سلمة القزويني (٢٥٤ - ٣٤٥ هـ) (٧) .

(٤٣) أبو زرعة ، عبيد الله بن ميسرة بن علي بن الحسن بن ادريس (ت ٣٧٩ هـ) (٨) .

(٤٤) أبو زرعة بن مالك ، ذكره في ترجمة عثمان بن الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الكسائي أو الكيساني (أخو أبي زرعة بن مالك) (٩) .

---

(١) الكرجي - بفتح الكاف والراء والجيم ، في آخرها - هذه النسبة الى الكرج وهي بلدة من بلاد الجبل بين أصبهان وهمذان . انظر ، الأنساب ج ٦٦/١١ ، وفي معجم البلدان ج ٤٤٦/٤ بين همذان ونهاوند ، بين الكرج وبين كل واحدة منهما سبعة فراسخ . وتقع الآن في الوقت الحاضر في ايران .

(٢) انظر ، تاريخ قزوين (١٨٨ - أ) .

(٣) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٢٩ - ب » .

(٤) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٥٢ - أ » .

(٥) انظر ، هو أبو القاسم ، إمام الدين عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي (ت ٦٢٣ هـ) أنظر ، ......

(٦) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة ورقة « ٢٥٤ - أ » .

(٧) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٠ - أ » ، انظر ، ترجمة القطان في تذكرة الحفاظ ج ٨٥٦/٣-٨٥٧ .

(٨) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٢ » .

(٩) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٤ - ب » .

(٤٥) أبو زرعة الماكي : عبد الله بن الحسين بن أحمد الفقيه ، كبير ، فقيه مفت ، حافظ ، كثير السنن والسماع (ت ٤٠٦ هـ) ٠

سمع بقزوين ، وببغداد ، والبصرة ، ونيسابور ، واسفراين ، وجرجان والدينور (١) ٠

سمع ببغداد أحمد بن جعفر القطيعي ، وعبد الله بن ماس وبالبصرة الفاروق بن عبد الكريم الخطابي ، ويوسف بن يعقوب الخيرصي ، وبجرجان عبد الله بن عدى الحافظ ، وأبا بكر الاسماعيلي ٠

وبنيسابور إسماعيل بن نجيد ، وباسفراين شافع بن أبي عوانة (ت ٤٠٦ هـ) (٢) ٠

(٤٦) أبو زرعة بن متويه : محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج بن فروخ أبو زرعة بن أبي بكر ، يعرف بابن متويه القزويني ، من المشهورين المكثرين ٠

قال الخليل الحافظ ، كان عالما بهذا الشأن وارتحل الى أبي خليفة سنة ثلاثمائة ، وسمع بقزوين على بن أبي طاهر ، ومحمد بن مسعود ، وغيرهما ، ودخل الشام ومصر سنة ثلاثين ، فمات عند رجوعه بقوميسين وهو في حد الكهولة » (٣) ٠

قال الخليل : أبو زرعة محمد بن أحمد بن الفرج بن متويه ثقة عارف بهذا الشأن ، سمع بقزوين محمد بن مسعود الأسدي ، ويوسف بن حمدان ، وبالعراق أبا خليفة ، وزكريا الساجي ، ثم ارتحل فى ثمان وعشرين إلى الشام ، وكتب الكثير ، فمات عند رجوعه في الطريق قريبا من قوميسين سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو كهل ٠

روى عنه ابن لال الهمذاني ـ أحمد بن علي بن أحمد (ت ٣٩٨ هـ) وغيره ، وحدثنا عنه ابنه بحديثين (٤) ٠

(٤٧) الجنيد بن أبي زرعة ، أبو القاسم ، سمع ابن خالويه الدربندي في خانقاه سهر هيزة سنة ٤٩٣ هـ (٥) ٠

(٤٨) حيدر بن أبي زرعة ، أبو القاسم ، سمع من أبي القاسم علي بن الحسن بن بلكونة سنة ٢٩١ هـ ، لعلها ٤٩١ هـ (٦) ٠

(٤٩) أبو زرعة : طلحة بن محمد بن العباس ، روى عن أبي محمد بن سعيد بن محمد بن نوح ٠

---

(١) انظر : تاريخ قزوين ـ ورقة « ٢٥٦ ـ أ ـ ب » ٠

(٢) انظر : الارشاد للخليلي في علماء قزوين ٠

(٣) انظر : التدوين في أخبار قزوين « ٤٢ ـ أ » ٠

(٤) انظر : الارشاد في علماء قزوين للخليلي ٠

(٥) انظر : التدوين « ورقة ١٨٣ ـ أ » ٠

(٦) انظر : التدوين « ورقة ١٨٤ ـ ب » ٠

قال عنه الخطيب البغدادي : « أحسبه من أهل خراسان » .
روى عنه محمد بن المظفر (١) .

(٥٠) أبو زرعة : عبيد الله بن عثمان بن علي بن محمد أبو زرعة البناء الصيدلاني (٢) .

سمع القاضي المحاملي ، وعثمان بن جعفر بن اللبان ، ويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ، وأبا القاسم بن داود الكاتب (٣) .

قال الخطيب : حدثنا عنه الأزهري ، والخلال ، والعتيقي ، وأبو الفرج االطناجيري ، وغيرهم (٤) .

وروى عنه أيضا أحمد بن علي بن يحيى بن العباس ، أبو منصور الاسداباذي (٥) (٣٦٦ ـ ٤٦١ هـ)

قال الأزهري (٦) : ثقة (٧) .
قال العتيقي (٨) : ثقة مأمون (٩) .
ولد أبو زرعة سنة سبع عشرة وثلاثمائة (١٠) .
ومات في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (١١) .

(٥١) أبو زرعة : روى عن أبي أدريس ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشي .

روى عنه أبو الخطاب .

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه ، فقلت : من أبو زرعة هذا ؟ فقال : مجهول (١٢) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٣٤٩/٩ .
(٢) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/١٠ .
(٣) و (٤) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/١٠ .
(٥) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٢٥/٤ .
(٦) الأزهري ، من أشهر شيوخ الخطيب البغدادي ، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري .
(٧) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/١٠ .
(٨) العتيقي : أحد الثقات المكثرين ، أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي (٣٦٧ ـ ٤٤١ هـ) .
انظر : الأنساب ج ٢٣٣/٩ ، واللباب ٣٢٣/٢ .
(٩) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/١٠ .
(١٠) و (١١) المصدر السابق .
(١٢) انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٤/ق ٣٧٤/٢ ، وفتح الباب ـ ورقة « ١٢٥ ـ أ » والتاريخ الكبير ج ٣٢/٩ .

(٥٢) أبو زرعة الافريقي ، حدث عن بكر بن سواد ، عداده في أهل مصر ، قاله لي أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (١) .

(٥٣) زرعة بن أبي زرعة العقيلي ، روى عن ربيعة بن زكار ـ الذى روى عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه (٢) .

(٥٤) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن جمان ، ذكره الخطيب البغدادي ضمن شيوخ أبي زرعة روح بن محمد بن أحمد الرازى ، الذى توفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (٣) .

(٥٥) أبو زرعة : أحمد بن علي بن الحسين الرازى ، روى عن جماعة ، وعنه جماعة ، ومن مروياته ، ما رواه متصلاً إلى ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بلالاً ينادى بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ، وانما كان بينهما قدر ما ينزل هذا ويرقى هذا (٤) .

(٥٦) أبو زرعة الصيرفي : محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الحارث ، سمع أبا القاسم البغوي ، حدث عنه أبو بكر البرقاني ، والقاضي أبو العلاء ـ الواسطي .

روى عنه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدث في جامع المدينة ببغداد (٥) .

(٥٧) أحمد بن شبيب ، أبو زرعة الصوري ، حدث عن أحمد بن خليد الحلبي

روى عنه عبد الله بن عدى الجرجاني (٦) .

(٥٨) أبو زرعة المكي : أحمد بن موسى بن يونس بن حرب بن شبيب بن زيد ابن ابراهيم التميمي ، روى عن أحمد بن أبي روح ، والحسن بن أبي سعيد الشيباني .

روى عنه أبو الطيب محمد بن جعفر بن عيسى بن الكدوش الوراق ، وعبد الله بن محمد بن السقا الواسطي ، وأبو بكر بن المقرىء الأصبهاني (٧) .

---

(١) انظر : فتح الباب ـ ورقة « ١٢٥ ـ أ » .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ١/ق ٤٧٨/٢ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ج ٤١٠/٨ .

(٤) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ج ٤٠٥/١ .

والحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

انظر : صحيح البخاري بشرح فتح الباري ج ٩٩/٢ .

(٥) انظر : تاريخ بغداد ج ١١٩/٣ .

(٦) انظر : تاريخ بغداد ج ١٩٤/٤ .

(٧) انظر : تاريخ بغداد ج ١٤٨/٥ .

(٥٩) أبو زرعة المكي ، كان مقيما بالشام بصور ، حدث عنه أبو حاتم - أحسبه الرازى (١) .

(٦٠) أبو زرعة الحراني ، ذكره عبد الرحمن بن عائشة الحضرمي (٢) .

(٦١) أبو زرعة الجرجاني ، وبالأصل (الجرجكاني) ، كان بمكة ، حدث عن البغداديين والبصريين ، روى عنه موسى بن هارون البغدادي (٣) .

(٦٢) عمر بن أبي زرعة بن عبد العزيز ، أبو حفص الأملى الشجاعي (٤)

(٦٣) أبو زرعة مولى المقداد بن الأسود .

قال أبو عمر : اسمه عبد الرحمن ، وهو تابعي ، وحديثه مرسل .

قال البخاري : حديثه منقطع .

روى عنه أبو هلال الراسبي الذى يروى عن قتادة وطبقته (٥) .

(٦٤) أبو زرعة : بلال بن سعد التجيبي البرْنيلي (٦) ، وهو مولى بني سوم بن عدى ، حدث وروى عنه إبراهيم بن نشيط ، قيل : أنه قتل في فتنة القراء بمصر سنة سبع عشرة ومائتين (٧) .

(٦٥) (قد ت ق) الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ، ويقال : عرزم الأشعري أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو زرعة الأردني الطبراني .

روى عن أبيه ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وعنه عبد الله بن علي بن زيد ، وعيسى بن سنان ، ومكحول ، والزبير بن سليم ، وعبد الله بن نعيم الأردني ، وأبو طلحة الخولاني ، والأوزاعي .

قال العجلي : تابعي ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات .

قال أبو مسهر : كان ولى دمشق مرتين ، وكان عمر بن عبد العزيز مات وهو والى عليها .

---

(١) انظر : فتح الباب (١٢٥ - أ) .

(٢) انظر : الاصابة ج ٣٢٠/٤ .

(٣) انظر : فتح الباب (١٢٥ - أ) .

(٤) ورقة ٤٣٠ - ب .

(٥) انظر : الاصابة ج ٨٣/٤ .

(٦) قال أبو سعد السمعاني : البرنيلي - بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء ، وكسر النون ، وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، وفي آخرها اللام ، هذه النسبة إلى أبرنيل ، وهي كورة بشرقي أرض مصر .

(٧) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة ٤١ » ، وفتح الباب « ورقة ١٢٥ - أ » .

قال خليفة في الطبقات : مات سنة خمس ومائة (١) ٠

(٦٦) أبو زرعة : طاهر بن طاهر بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الهمذاني ، انتقل به أبوه الى همذان فاستوطنها الى أن مات ٠

أسمعه أبوه بالرى من محمد بن الحسن المقومي ، وبالرون من عبد الرحمن بن محمد الروني كتاب السنن لأبي عبد الرحمن النسائي ، وبالكرج مسند الإمام أبي عبد الله الشافعي ، وسمع سنن ابن ماجه من أبي منصور المقومي ، ورواها عنه الكثير من المحدثين ٠

ولد بالرى سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بهمذان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسمائة (٢) ٠

(٦٧) أبو زرعة : سليمان بن إبراهيم القيرواني ٠

روى عن عبد الرحمن بن أشرس (٣) ، وروى عنه يحيى بن محمد بن خشيش ـ أظنه مغربيا صاحب مناكير ـ ، روى عن أهل القيروان (٤) ٠

(٦٨) أبو زرعة النوشجاني الشيرازي الخطيب بكازرون أحمد بن محمد (٥) ٠

قرأ كتاب الكامل للهذلي في القراءات على أبي الحسن علي بن جعفر السعيدي ٠

وقرأ أبو القاسم الهذلي نفس الكتاب عليه ـ أى على أبي زرعة (٦) ٠

(٦٩) أبو زرعة الموصلي : شريك بن منّاس بن يعقوب (٧) ٠

من شيوخه : يوسف بن زريق الموصلي ٠

وهو ـ أى أبو زرعة شريك ـ أحد شيوخ أبي نعيم الأصفهاني ٠

(٧٠) أبو زرعة : عبيد الله بن محمد بن أحمد بن راشد ، ت بعد ٣٤٠ هـ (٨) ٠

حدث عن أبيه ، وأبي بكر بن النعمان ٠

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٤٦/٤ ، وتاريخ بغداد ج ٢٤٧/٧ ٠

(٢) انظر : ترجمته في التدوين في أخبار قزوين ورقة « ٤٠ ـ أ » والتقييد في رواة السنن والأسانيد لابن نقطة ، نسخة المتحف البريطاني ٠ والبداية والنهاية ج ٢٦٤/١٢ ، وشذرات الذهب ج ٢١٧/٤ ٠

وقد أفردنا له ترجمة خاصة في (طبقات الرواة لسنن ابن ماجه) ضمن كتابنا دراسات حول سنن ابن ماجه ٠

(٣) عبد الرحمن بن أشرس ، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٥٤٨/٢ : مجهول الحال ٠

وقال ابن الجنيد : ليس به بأس ٠ وضعفه الدارقطني ٠

(٤) انظر : ميزان الاعتدال ج ٤٠٨/٤ ٠

(٥) انظر : غاية النهاية للجزري ج ١٣٧/١ ، ٢١٤ ، ٢٩٩ ٠

(٦) انظر : غاية النهاية ج ١٣٧/١ ٠

(٧) انظر : تاريخ أصبهان ٢١/٢ ٠

(٨) انظر : أخبار أصبهان ١٠٤/٢ ٠

حدث عنه أحمد بن موسى قال : ثنا أبو زرعة عبيد الله بن محمد بن أحمد سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة ·

(٧١) أبو زرعة ، ويقال له : أبو بكر : محمد بن علي بن عبد الله (١) ·
وقيل : أبو العباس الخطيب مقرىء ، مقبول ، ت سبع وثلاثمائة ·
روى القراءة عرضا عن اسماعيل القاضي ، والبزى ، والحلواني ، وداود بن أبي طبية ، والشموني ·
وروى عنه القراءة عرضا أبو العباس المطوعي ، قرأ عليه بصعيد مصر (٢) ·

(٧٢) (د) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصرى ، أبو زرعة الدمشقي ، شيخ الشام في وقته ·
روى عن محمد بن المبارك الصوري ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وأبي نعيم وأحمد ابن حنبل ، وغيرهم ·
وعنه أبو داود ، ويعقوب بن سفيان ، وابن أبي حاتم ، وأبو العباس الأصم ، وغيرهم ·

قال ابن أبي حاتم : كان رفيق أبي ، وكتب عنه ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا ، ثقة ، سئل أبي عنه فقال : صدوق ·
وقال الخليلي : كان من الحفاظ الأثبات ·
قال الهروي وغيره : مات في جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ (٣) ·

من آثـــاره :

١ ـ التاريخ ـ يتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ الخلفاء الراشدين (٤) ·
٢ ـ الأحاديث والحكايات والعلل والسؤلات (٥) ·
وله مؤلفات عديدة في علوم الحديث المختلفة ، وخاصة في علم الرجال (٦) ·

---

(١) انظر : غاية النهاية ـ ترجمة رقم ٣٢٩٤ ·

(٢) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ٢١٣/٢ ·

(٣) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٣٦/٦ ، طبقات الحنابلة ج ٢٠٥/١ ـ ٢٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١٧٧/٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ٦٢٤/٢ ، والجرح والتعديل ج ٢/ق ٦٧/٢ ، وفتح الباب ورقة « ١٢٥ ـ أ » ، وميزان الاعتدال ج ٥٨٢/٨ ·
وانظر : ترجمته مفصلة في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ـ تحقيق الأخ شكر الله قوجاني ، ونشره المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٨٠ م ·

(٤) انظر : المصدر السابق ·

(٥) مخطوط في الظاهرية مجموع ٣/١٥/٣ (من ٤٢ أ ـ ٥٥ أ ، ٦٠٥ هـ) فيض الله ٦٩ (٤/٢ الجزء الأول ٤٨ أ ـ ٦٠ ب ، ٦٠٥ أ ، وانظر : تاريخ التراث ج ٤٨٤/١ ط ١٩٧٧ م

(٦) انظر : تاريخ أبي زرعة الدمشقي ج ٤٨/١ ـ ٧٧ ·

(٧٣) أبو زرعة : روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي ٠

قال ابن حجر : ذكره بعضهم في الصحابة ، ولا يصح له صحبة ، بل يجوز أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فان لأبيه صحبة ورواية ، كما سيأتي ، ووقع في الكني لمسلم له صحبة ، وقال أبو أحمد الحاكم : يقال له صحبة ، وما أراه يصح ٠ وقال ابن منده : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ٠

وذكره محمد بن أيوب في الصحابة ، ولا يصح له صحبة ٠

وكذا حكم بصحبته أبو عروبة ، وحسين القباني ٠

وقال أبو عمر - ابن عبد البر - وأبو نعيم ، وابن مندة : لا يصح له صحبة ٠

وقال ابن أبي خيثمة : وممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم روح بن زنباع ٠

وذكره أبو زرعة الدمشقي ، وابن سميع في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام ٠

وقال أبو سعد السمعاني : من أهل فلسطين ، من خيار التابعين ، كان عابدا غزاء ٠

وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز ٠

قال أبو سليمان بن زبر : مات سنة أربع وثمانين (١) بالأردن ٠

(٧٤) أبو زرعة : معبد بن خالد الجهني _ توفي سنة اثنتين وسبعين ، وهو ابن بضع وثمانين سنة ٠

أسلم قديما ، وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم فتح مكة وكان يلزم البادية ٠

قال ابن أبي حاتم : وأبو أحمد الحاكم ، وابن حبان ، والعسكري : له صحبة ، وله رواية عن أبي بكر ، وعمر (٢)

(٧٥) أبو زرعة الفقيه الاسترابادي : إبراهيم بن محمد _ قدم بغداد ، وحدث بها عن نعيم بن عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجاني ، وعنه القاضي أبو عبد الله الصيرفي (٣) ٠

---

(١) انظر ترجمته في : الاصابة ج ٥٢٤/٨ ط دار الفكر ، الكنى والأسماء للدولابي ج ١٨٢/٨ ، الكنى والأسماء لمسلم « لوحة - ٤١ - » ، وفتح الباب « ورقة ١٢٤ - ب » ، والجرح والتعديل ج ٨/ق ٤٩٤/٢ ٠ البداية والنهاية ج ٥٣/٩ ، وتاريخ الاسلام ج ٢٤٨/٣ ، الأنساب ج ٢٢٥/٣ ، ص ١٦٣ ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربعي ت ٣٧٩ هـ - تحقيق الطالب عبد الله بن أحمد بن سليمان (رسالة ماجستير نوقشت عام ١٤٠١ هـ في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة) ٠

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٢٢/١٠ - ٢٢٣ ، والاصابة ج ٤٣٩/٣ ط دار الفكر ٠

(٣) انظر : تاريخ بغداد ج ١٧٢/٦ ٠

(٧٦) أبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي ، روى عن بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي ، ويكنى أبا ثمامة ـ فقيهاً كبيراً من التابعين (١) ٠

وعداده في أهل مصر ـ كذا قاله عنه أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ٠

(٧٧) أبو زرعة : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ من علماء القرن الرابع ـ

حضر قراءة كتاب (الصاحبي) في فقه اللغة على مؤلفه أحمد بن فارس في المحمدية بمدينة الرى سنة ٣٨٢ هـ (٢) ٠

له : حجة القراءات ٠

شرف القراء في الوقف والابتداء ٠

مجالس أملاها على طلابه ٠

(٧٨) أبو زرعة القاضي المعروف بابن أبي عصمة محمد بن محمد بن عبد الوهاب ابن عصام بن الحكم بن عيسى بن زياد بن عبد الرحمن ، من أهل عكبرا ٠

حدث عن أبي القاسم البغوى ، ومحمد بن عثمان العسكرى ، وجعفر بن محمد بن العباس البزار ، ومحمد بن مخلد الدوري (٣) ٠

(٧٩) (ع) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله بن جابر ، وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر ، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث البجلى الكوفي ، قيل اسمه هرم ، وقيل : عبد الله وقيل : عبد الرحمن ، وقيل : عمرو ـ قاله النسائي ـ ، وقيل : جرير ـ قاله الواقدي ـ ٠

قال البخاري في تاريخه : هرم أبو زرعة ، سمع ثابت بن قيس ، وقال في الأوسط (أى تاريخه) : قال لي علي بن عبد الله : هرم أبو زرعة هذا ، ليس هو عمر بن جرير ، انما هو أبو زرعة آخر ٠

قال بعضهم : إنه غلابي ٠

وقال ابن عساكر : فرق ابن المديني بين أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، وبين هرم أبي زرعة صاحب أبي قيس ٠

---

(١) انظر : نفح الطيب ج ٥٦/٣ ٠

(٢) انظر : مقدمة كتاب حجة القراءات للأستاذ سعيد الافغاني ٠

(٣) انظر : تاريخ بغداد ج ٢٢٧/٣ ٠

قال ابن حجر : وذكر ابن حبان في الثقات أبا زرعة بن عمرو بن جرير فيمن اسمه هرم ، ثم قال : ويقال : اسمه كنيته (قلت) : وبالرجوع للثقات لابن حبان تبين أنه ذكره فيمن اسمه (هذيل) .

رأى عليا ، وروى عن جده ، وأبي هريرة ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وثابت بن قيس النخعي ، وغيرهم .

وجرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي (١) كان من علماء التابعين ، وهو ثقة (٢)

وروى عنه جرير بن أيوب البجلي (٣) .

(٨٠) (ت) أبو زرعة عن أبي أدريس الخولاني ، قيل : هو ابن عمرو بن جرير (٤) .

(٨١) أبو زرعة هرم سمع ثابت بن قيس ، روى عن الحسن بن عبيد الله .
قال البخاري : ليس هذا هو ابن جرير ، هذا آخر (٥) .

(٨٢) أبو زرعة : عبد الرحمن بن عمرو بن جرير كوفي ، روى عن أبي هريرة وجرير بن عبد الله .

روى عنه عمارة بن عمير ، وإبراهيم النخعي ، وعمارة بن القعقاع ، والحسن بن عبيد الله ، وأبو فروة ، وجرير ، ويحيى أبناء أيوب البجلي ، وشمر بن عبد الرحمن ، وسلم ابن عبد الرحمن ، وعبد الله بن يزيد ، ويزيد بن زاذي .
قال عنه يحيى بن معين : ثقة (٦) .

(٨٣) (بخ د س ق) أبو زرعة : يحيى بن أبي عمرو السيباني - بفتح المهملة

---

(١) انظر : الجرح والتعديل ج ١/ق ٥٠٢/١ .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ج ٨٧/١٢ ، ٩٩ - ١٠٠ ، وج ١٣/٨ ، وكتاب التاريخ للمقدمي ورقة « ٧ - أ » ، وميزان الاعتدال ج ٥٢٠/٤ ، والطبقات ص ١٥٨ ، وشرح العلل لابن رجب ج ١٦٢/١ ، الكنى والأسماء لمسلم - لوحة ٤١ - وسماه هرم ، والثقات لابن حبان فيمن اسمه هرم ، وابن مندة في فتح الباب ورقة « ١٢٤ - ب » ، والتاريخ الكبير ج ٤ /ق ٢٤٣/٢ ، ج ٩٠/٩ الكنى .
وانظر : تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي ص ٢٨٠ هـ عن يحيى بن معين ص ٢٣٩ حيث وثقه .

(٣) انظر : الجرح والتعديل ج ١/ق ٥٠٣/١ .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب ج ١٠٠/١٢ .

(٥) انظر : فتح الباب (١٢٤ - ب) .

(٦) انظر : الجرح والتعديل ج ٢/ق ٢٦٥/٢ - ٢٦٦ .

وسكون التحتانية (١) ـ الحمصي ، ابن عم الأوزاعي ، عداده في أهل الشام .

روى عن أبيه ، وأبي مريم ، والوليد بن سفيان ، وروح بن زنباع ، وعبد الله بن الديلمي ، وعبد الله بن بجير ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعمرو بن عبد الله السيباني ، وغيرهم (٢) .

وروى عنه إبراهيم بن أبي عبلة ، وابن عمه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، وعبد الله بن المبارك ، ومحمد بن شعيب ، وغيرهم (٣) .

قال أحمد بن حنبل : شيخ ثقة ثقة (٤) .

وقال دحيم ، والعجلي ، ويعقوب بن سفيان : ثقة (٥) .

وقال ابن خراش : صدوق (٦) .

وقال أبو علي النيسابوري : أحد الثقات ، يجمع حديثه (٧) .

وذكره ابن حبان في الثقات .

وقال أبو حاتم ، وأبو زرعة الرازيان : لم يسمع من ذى مخبر بينهما عمرو بن عبد الله الحضرمي (٨)

شهد غزاة القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك ، وبقى بعد الخمسين ومائة .

وقال ابن زبر (٩) ، وضمرة بن ربيعة : مات سنة ثمان وأربعين ومائة (١٠) .

(**٨٤**) عبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الحميد بن علي بن أبي الفتح بن اسماعيل ، أبو شكر الحنفي ، ويقال : أبو زرعة ، كان أحد فقهاء أصحاب الرأى (١١)

(**٨٥**) أبو زرعة بن سليمان السلولي القزويني : ذكره في ترجمة محمد بن محمود ابن أبي زرعة السلولي القزويني الذى تفقه على والد الرافعي ، صاحب التدوين (١٢) .

---

(١) انظر : الاكمال لابن ماكولا ج ١١٢/٥ ، والأنساب ج ٣٣٣/٧ وقال عنه : من أهل الرملة . وانظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج ٨١٩/٢ .

(٢) و (٣) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/١١ ، الجرح والتعديل ج ٤/ق ١٧٧/٢ .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/١١ ، الجرح والتعديل ج ٤/ق ١٧٧/٢ .

(٥) و (٦) تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/١١ .

(٧) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/١١ .

(٨) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦١/١١ ، والمراسيل لابن أبي حاتم ص ٢٤٦ .

(٩) انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر في وفيات ١٤٨ .

(١٠) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦١/١١ .

وانظر مصادر في ترجمته في : التاريخ الكبير ج ٤/ق ٢٩٣/٢ ، وميزان الاعتدال ج ٣٩٩/٤ ، ونسبه بالشيباني ، والكنى لمسلم (لوحة ٤١) ، والمعرفة والتاريخ ج ٥١٠/٢ ، وفتح الباب (ورقة « ١٢٤ ـ ب ») .

(١١) تاريخ قزوين ـ ورقة (٢٣٦ ـ أ) .

(١٢) التدوين ـ ورقة (١٠٠ ـ ب) .

(٨٦) أبو زرعة أحمد بن عيسى بن حرب بن شيبة التميمى المكي أحد شيوخ أبى بكر محمد بن ابراهيم المقرىء الأصبهانى المتوفى سنة ٣٨١ هـ ٠ (١) ٠

(٨٧) أبو زرعة : أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم الكردي الرازياني المصري الشافعي الحافظ (٧٦٢ ـ ٨٢٦ هـ) ٠

أول ما طعن في الثالثة من عمره ، رحل به أبوه الى دمشق (سنة خمس وستين) فأحضره الكثير على الجم الغفير من أصحاب الفخر بن البخاري ، وابن عساكر ، وغيرهما ، ثم عاد إلى القاهرة فأكثر عن مشايخ عصره ، ورحل ثانيا إلى دمشق بعد موت الطبقة الأولى ،

ورحل إلى بيت المقدس ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وسمع الكثير من شيوخ عصره ٠

ظهرت نجابته ، واشتهرت نباهته ، وأجيز وهو شاب بالافتاء والتدريس ، وصار يزداد فضلا مع ذكائه وتواضعه وحسن شكله وشرف نفسه وسلامة باطنه ، فأقبل عليه الناس ، وساد بجميع ذلك في حياة والده واشتهر بالفضل مع الدين المتين ٠

صنف الكثير في الحديث وغيره ، ومن كتبه الحديثية :

١ ـ (البيان والتوضيح لمن خرج له في الصحيح ، وقد مس بضرب من التجريح) وهو أول ما صنف ٠

٢ ـ المستفاد من مبهمات المتن والاسناد ٠

٣ ـ تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل ٠

٤ ـ ذيل الكاشف ـ أضاف اليه رجال مسند الإمام أحمد ٠

٥ ـ الأطراف بأوهام الأطراف ٠

٦ ـ ترتيب المسانيد وتقريب الأسانيد ٠

٧ ـ كشف المدلسين ٠

٨ ـ شرح الصدر بذكر ليلة القدر ٠

٩ ـ الأربعون الجهادية ٠

١٠ ـ جمع طرق المهدى ٠

وهذا الإمام آخر من وقفنا عليه تكنى بـ (أبي زرعة) (٢) ٠

---

(١) المعجم ورقة / ٦٥٠

(٢) انظر : ذيول تذكرة الحفاظ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٨ ، وص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ٠ شذرات الذهب ج ١٧٣/٧ ٠

المصـــــــادر

أولاً : المخطوطـــات :

١ ـ **تاريخ مواليد العلماء ووفياتهم** : لابن زبر محمد بن عبد الله الربعي الدمشقي (ت ٣٧٩ هـ) . نسخة المتحف البريطاني .

٢ ـ **تاريخ دمشق** : لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ابن عساكر) (ت ٥٧١ هـ) . النسخة المصورة في معهد المخطوطات في القاهرة .

٣ ـ **التدوين في أخبار قزوين** : لأبي القاسم إمام الدين عبد الكريم بن محمد القزويني (ت ٦٢٣ هـ) . نسخة تركيا ـ وقف سلطان سليم خان .

٤ ـ **التقييد لرواة السنن والأسانيد** : لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) .. نسخة المتحف البريطاني رقم ٤٥٨٦ شرقي .

٥ ـ **سير أعلام النبلاء** : لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث استانبول رقم ٢٩١٠ / ١ .

٦ ـ **فتح الباب في الكنى والألقاب** : لأبي عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة الأصفهاني (ت ٣٩٥ هـ) نسخة مكتبة برلين رقم ٩٩١٧ .

٧ ـ **كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم** : لأبي بكر محمد بن أحمد بن محمد القاضي المقدمي (ت ٣٠١ هـ) . نسخة المتحف البريطاني رقم ٣٦١٩ شرقية .

٨ ـ **الكنى والأسماء** : لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)) . نسخة دار الكتب ـ الظاهرية ـ ضمن مجموع رقم ١ .

٩ ـ **المنتخب من كتاب الارشاد إلى علماء البلاد** : لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي (ت ٤٤٦ هـ) بانتخاب الحافظ السلفي نسخة تركيا ـ آيا صوفيا رقم ٢٩٥١ .

******

ثانياً : المطبوعـــات :

١٠ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** : لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ) ٣ أجزاء ـ نشر مكتبة القدس ـ مصر ١٣٥٧ هـ .

١١ ـ **الأنســـاب** : لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن .

١٢ ـ **الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف** : لابن ماكولا أبي نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ) طبعة دائرة المعارف العثمانية .

١٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** : لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) .

١٤ ـ **إمام الكلام مع حاشية غيث الغمام** : لعبد الحي اللكنوي . ط ادارة احياء السنة ـ باكستان .

١٥ ـ **اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) . نشر المكتبة التجارية ـ القاهرة .

١٦ ـ **البداية والنهاية** : لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) . طبعة دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٤ م .

١٧ ـ **بحوث في تاريخ السنة المشرفة** : للدكتور أكرم ضياء العمرى حفظه الله . ط الثالثة ١٩٧٥ م بيروت ـ مؤسسة الرسالة .

١٨ ـ **تاريخ جرجان** : لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم (ت ٤٢٧ هـ) طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ .

١٩ ـ **تاريخ أبي زرعة الدمشقي** : للحافظ عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري (ت ٢٨١ هـ) نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ م .

٢٠ ـ **التاريخ الكبير** ـ لمحمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) طبعة المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر ـ مصورة على طبعة حيدر آباد الهند .

٢١ ـ **تاريخ عثمان بن سعيد الدرامي** (ت ٢٨٠ هـ) عن يحيى بن معين طبعة دار المأمون للتراث ـ سوريا .

٢٢ ـ **تاريخ بغداد** ـ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ ٠

٢٣ ـ **تاريخ التراث العربي** لفؤاد سركيس ـ طبعة الهيئة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٧ م ٠

٢٤ ـ **تذكرة الحفاظ** ـ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ـ طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٥ م ٠

٢٥ ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** ـ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) طبعة القاهرة ١٩٦٤ م ٠

٢٦ ـ **التقييد والايضاح ـ شرح مقدمة ابن الصلاح** ـ للحافظ زين الدين عبد الرحيم ابن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) ـ طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ٠

٢٧ ـ **تقريب التهذيب** ـ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) طبعة دار المعرفة ـ بيروت ١٣٩٥ هـ ٠

٢٨ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** ـ لعبد القادر بن بدران الدمشقي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق (١٣٢٩ هـ / ١٣٣٢ هـ) ٠

٢٩ ـ **تهذيب التهذيب** ـ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ٠

٣٠ ـ **توضيح الأفكار لمعاني الآثار** ـ لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) مطبعة الخانجي ـ مصر ـ ١٣٦٦ هـ ٠

٣١ ـ **الثقــــات** ـ لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) طبعة حيدر آباد الدكن ٠

٣٢ ـ **الجرح والتعديل** ـ لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاكم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) طبعة حيدر آباد ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ م ٠

٣٣ ـ **حجة القراءات** ـ لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ مؤسسة الرسالة ـ ط ١٣٩٩ هـ بيروت ٠

٣٤ ـ **الدراية على تخريج أحاديث الهداية** ـ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ط الفجالة الجديدة ـ مصر ٠

٣٥ ـ **الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام** ـ للدكتور بشار عواد ـ ط عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ٠

٣٦ ـ **ذيل تذكرة الحفاظ** ـ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) طبعة حسام القدسي في القاهرة ٠

٣٧ ـ **ذيل تاريخ بغداد** ـ للحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) طبعة حيدر آباد ١٣٩٨ هـ ٠

٣٨ ـ **ذكر أخبار أصبهان** ـ لأحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) طبعة ليدن ١٩٣١ م ٠

٣٩ ـ **الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السنة المشرفة** ـ للسيد محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥ هـ) الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ ٠

٤٠ ـ **شرح ألفية الحديث** ـ لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت ٨٠٦ هـ) طبعة فاس ـ ١٣٥٤ هـ ٠

٤١ ـ **شرح علل الترمذي** ـ لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) طبعة دار الملاح للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ ٠

٤٢ ـ **شرح معاني الآثار** ـ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١ هـ) مطبعة الأنوار ـ مصر ٠

٤٣ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ـ لابن العماد الحنبلي (ت ١١٣٨ هـ) طبعة القدسي ـ مصر ٠

٤٤ ـ **الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع** ـ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) مصر ٠

٤٥ ـ **طبقات الشافعية** ـ لعبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ هـ) طبعة عيسى البابي الحلبي ـ ١٩٦٧ م ٠

٤٦ ـ **الطبقـــات** ـ لأبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ) نشر دار طيبة ١٤٠٢ هـ ٠

٤٧ ـ **عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة** ـ لمحمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥ هـ ط القاهرة ٠

٤٨ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء** ـ لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) ط القاهرة ـ ١٩٣٢ م

٤٩ ـ **فتح البارى بشرح صحيح البخاري** ـ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الطبعة السلفية مصر ٠

٥٠ ـ **فهرست ما رواه عن شيوخه** ـ لأبي بكر محمد بن خير بن عمر الاشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ٠

٥١ ـ **الكفاية في علم الرواية** ـ لأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) طبعة دار الكتب الحديثة ـ مصر ٠

٥٢ ـ **الكنى والأسماء** ـ لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) حيدر آباد الدكن ـ ١٣٢٢ هـ ٠

٥٣ ـ **كتاب القراءة خلف الإمام** ـ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) طبعة ادارة احياء السنة ـ باكستان ٠

٥٤ ـ **المراسيل** ـ لابن أبي حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ ٠

٥٥ ـ **مسند الإمام أبي حنيفة** ـ لأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) طبعة حلب ٠

٥٦ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ ليعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) طبعة مؤسسة الرسالة ـ ١٤٠١ هـ ٠

٥٧ ـ **معرفة علوم الحديث** ـ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) طبعة محمد بن سلطان النمنكاني ٠

٥٨ ـ **معجم البلدان** ـ لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٨ هـ) طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت ٠

٥٩ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ـ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) طبعة دار احياء الكتب العربية ـ ١٣٨٢ هـ ٠

٦٠ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ـ لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ـ طبعة حيدر آباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ هـ ٠

٦١ ـ **موارد ابن حجر العسقلاني في الاصابة** ـ للدكتور شاكر محمود عبد المنعم ـ رسالة الدكتوراه التي تقدم بها لجامعة بغداد .

٦٢ ـ نصب الراية لأحاديث الهداية ـ لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) طبعة المكتب الاسلامي بيروت ـ ١٣٩٣ هـ .

٦٣ ـ **معجم الشيوخ** ـ لأبى بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء ت ٣٨١ هـ ـ مخطوط ـ نسخة دار الكتب المصرية مصطلح ٢٧ م .

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

« ٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، ٱلتَّقْوَىٰ هَا هُنَا بِحَسْبِ ٱمْرِئٍ مِنَ ٱلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ ٱلْمُسْلِمَ.

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن

صَلاةُ المُسَافِر

للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

(المسألة الأولى) حكم القصر والاتمام في السفر :

للعلماء فيه رأيان :

الرأي الأول : إن القصر هو الفرض المتعين على المسافر · لا يجوز إتمامه أبداً · وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحاب الرأي ·

قال الشيخ الكاساني : إن فرض المسافر من ذوات الأربع ركعتان لا غير ؛

وقال الشافعي : أربع كفرض المقيم إلا أن للمسافر أن يقصر رخصة · ثم قال : من مشايخنا من لقب المسألة بأن القصر عندنا عزيمة ، والاكمال رخصة · وهذا التلقيب على أصلنا خطأ ، لأن الركعتين من ذوات الأربع في حق المسافر ليستا قصراً حقيقة عندنا بل هما تمام فرض المسافر ، والاكمال ليس رخصة في حقه بل هو إساءة ومخالفة للسنة · هكذا روى عن أبي حنيفة أنه قال : من أتم الصلاة في السفر فقد أساء ، وخالف السنة » (١) ·

وقالوا أيضاً : من صلي الفرض الرباعي أربعاً في السفر ، فإن قعد في الثانية بعد التشهد صحت صلاته مع الكراهة لتأخير السلام ، وما زاد على الركعتين نفل ، وإن لم يقعد في الركعة الثانية لا يصح فرضه ·

وقد بالغ حماد بن أبي سليمان فقال : من أتم صلاته في السفر فعليه أن يعيدها ·

الرأي الثاني : إن القصر ليس بواجب متعين وهو رأي الجماهير من الفقهاء والمحدثين إلا أنهم اختلفوا في أفضلية القصر وإتمامه فعند أحمد : القصر والإتمام سواء وإن المسافر إن شاء صلى ركعتين وإن شاء أتم · وروي عنه أيضاً التوقف في هذه المسألة · فقال : أنا أحب العافية من هذه المسألة ·

وقال الشافعي : القصر أفضل وروي أنه قال : الاتمام قياساً على أفضلية الصوم في السفر والقصر رخصة ·

---

(١) البدائع والصنائع : ١ / ٢٨٣ ·

والقول الأول يرجحه ابن دقيق العيد والثاني يرجحه النووي عن الإمام الشافعي · وقال الإمام مالك : القصر سنة فمن فعل فقد أصاب ومن لم يفعل فليس عليه شيء ·

بعض الأدلة للإمام أبي حنيفة ومن معه لوجوب القصر :

١ - **حديث عائشة :** أنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر · « قال الزهري : فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم قال : تأولت كما تأول عثمان » (١) ·

وقد أخرج ابن جرير في تفسير سورة النساء : أن عائشة كانت تصلى في السفر أربعاً ، فإذا احتجوا عليها تقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في حرب ، وكان يخاف ، فهل تخافون أنتم » ·

أخذ الإمام أبو حنيفة بظاهر قولها : « فرضت صلاة السفر ركعتين » وقال غيره : معنى قولها : فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتيم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار وثبتت دلائل الاتمام فوجب المصير إليها (٢) ·

ويقال أيضاً : إن عائشة لم تدرك تشريع الأحكام بمكة لأنها كانت صغيرة والحديث موقوف عليها لم تسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجب التأويل وقد قال بعض العلماء إن ذلك كان من فقهها : منهم القاضي عياض.وقالوا : لو كان ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لتواتر نقله عن جملة من الصحابة لأن الصلاة من معالم الدين ولا يمكن أن تكون خافية على جمهور الناس ·

ثم روي عن عائشة رضي الله عنها كما ذكره الترمذي في جامعه (٣) وغيره أنها كانت تتم الصلاة في السفر فلو كانت تعتقد أن الصلاة في السفر ركعتين لا زيادة عليهما وأنهما على سبيل الوجوب فما كان لها أن تخالف هذا · يقال إنها تأولت كما تأول عثمان وسوف يأتي هذا ·

قال الحافظ : وقد جاء عنها سبب الاتمام صريحاً فيما أخرجه البيهقي (٤) من طريق هشام بن عروة عن أبيه أنها كانت تصلي في السفر أربعاً فقلت لها : لو صليت ركعتين ، فقالت : يا ابن أختي إنه لا يشق علي ، اسناده صحيح وهو دال على أن القصر رخصة · وأن الاتمام لمن لا يشق عليه أفضل · انتهى كلامه (٥) ·

---

(١) رواه البخاري (٢ / ٥٦٩ مع الفتح) ومسلم (٢ / ٤٧٨) وأبو داود (٢ / ٥) ·
(٢) انظر شرح مسلم للنووي (٥ / ١٩٥) ·
(٣) ٢ / ٤٣٠ ·
(٤) ٣ / ١٤٣ ·
(٥) الفتح (٢ / ٥٧١) ·

٢ ـ حديث ابن عباس : قال « فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة (١) ٠

يقال في هذا الحديث مثل القول في حديث عائشة لمن أراد الاقتصار على الركعتين في السفر ٠

وأما قوله : وفي الخوف ركعة واحدة فقد ذهب إلى ذلك جماعة من السلف وهو الذي فهمه أبو داود فبوب في سننه بقوله : يصلي بكل طائفة ركعة ولا يقضون ٠ وممن قال بهذا الحسن والضحاك وإسحاق بن راهوية وقد روى عن الأخير أنه قال : أما عند الشدة فتجزيك ركعة واحدة تومىء بها ايماء ، فإن لم تقدر فسجدة واحدة ، فإن لم تقدر فتكبيرة لأنها ذكر الله وأما غيره فقالوا بركعة واحدة ٠

والجمهور على أن صلاة الخوف كصلاة الأمن في عدد الركعات فإن كانت في الحضر وجب أربع ركعات ، وإن كانت في السفر وجب ركعتان ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الأحوال وبه قال من الجمهور : مالك وأبو حنيفة والشافعي هذا ملخص ما قاله الخطابي في معالم السنن (٢) : ولكن يصلي على حسب الامكان ركعتين ، أى وجه يوجهون إليه رجالاً وركباناً يومِئون إيماءً ٠

وقال أحمد : كل حديث روى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز انتهى ٠

وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم صلوا صلاة الخوف ركعة واحدة ٠ منهم حذيفة ، قال ثعلبة ابن زهدم : كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال : أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فقال حذيفة : أنا فصلي بهؤلاء ركعة ، وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا (٣) ٠

وكذلك روى زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فكانت للقوم ركعة وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين »(٤) ٠

وأما الجمهور فتأولوا هذه الأحاديث : بأن المراد به ركعة مع الإمام وركعة أخرى يأتي بها كما

---

(١) رواه مسلم (١ / ٤٧٩) وأبو داود (٢/ ٤٠) والنسائي (١٦٩/٣) وابن ماجه (٣٣٩/١) وأبو عوانه (٣٣٥/٢) كل بطريق أبى عوانة عن بكير بن اخنس عن مجاهد ، عن ابن عباس ٠ إلا أن ابن ماجه لم يذكر قوله « وفي الخوف ركعة » ٠

(٢) هامش سنن أبي داود (٣٩/٢) ٠

(٣) رواه أبو داود (٣٨/٢) والنسائي (١٦٧/٣) ٠ قال أبو داود : وكذا رواه عبيد الله بن عبد الله ، ومجاهد ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠ وعبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويزيد الفقير وأبو موسى (رجل من التابعين وليس بالأشعري) جميعاً عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠ وقد قال بعضهم عن شعبة في حديث يزيد الفقير : إنهم قضوا ركعة أخرى ، وكذالك رواه سماك الحنفي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذالك رواه زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فكانت للقوم ركعة . وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعة انتهى ٠

يقول بعض العلماء : إنما ذلك عند شدة الخوف كما روى عن جابر بن عبد الله أنه كان يقول : الركعتان في السفر ليستا بقصر ، انما القصر واحدة عند القتال ٠

(٤) رواه النسائي (١٦٨/٢) واسناده حسن ٠

جاءت الأحاديث الصحيحة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الأدلة (١) ٠

قال الإمام الشافعي : وإنما تركناه لأن جميع الأحاديث في صلاة الخوف مجتمعة على أن على المأمومين من عدد الصلاة ما على الإمام ٠ وكذلك أصل الفرض في الصلاة على الناس واحد في العدد ٠

وحديث ابن عباس من جملة الأحاديث التي ذكرها الشيخ ابن الهمام في معرض أدلة أبي حنيفة مع أنه لا يصلح أن يكون دليلاً له لأنه لا يقول بالشطر الأخير من الحديث وهو قوله : وفي الخوف ركعة ٠

٣ ـ حديث عمر بن الخطاب قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

رواه النسائي وابن ماجة (٢) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عمر بن الخطاب قال النسائي : إن فيه انقطاعاً لأن ابن أبي ليلى لم يسمع من عمر ٠ انتهى ٠

قال الشيخ ابن الهمام : « واعلاله بأن عبد الرحمن لم يسمع من عمر مرفوعاً بثبوت ذلك ٠ حكم به مسلم في مقدمة كتابه (٣) انتهى ٠

يقصد به الشيخ ابن الهمام قولَ مسلم في مقدمة صحيحه وهو « وأسند عبد الرحمن بن أبي ليلى وحفظ عن عمر بن الخطاب ٠٠ وصحب علياً ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم حدثياً « والقضية معروفة بين أهل العلم وهي رواية المعنعن فذهب الإمام مسلم إلى أن روايته تحمل على الاتصال إذا ثبت التلاقي ، أو أمكن ولم يثبت بالتصريح مع احتمال الإرسال وذهب المحققون من أهل العلم كعلي ابن المديني والبخاري وغيرهما إلى تضعيف رواية المعنعن إذا لم يثبت لقاءه بمن روى عنه في عمره ولو مرة واحدة ٠ وذلك كما قال النووى : « دليل هذا المذهب المختار أن المعنعن عند ثبوت التلاقي إنما حمل على الاتصال لأن الظاهر ممن ليس بمدلس أنه لا يطلق ذلك إلا على السماع ، ثم الاستقراء يدل عليه فإن عادتهم أنهم لا يطلقون ذلك إلا فيما سمعوه إلا المدلس ولهذا رددنا رواية المدلس فإذا ثبت التلاقي غلب على الظن الاتصال ، والباب مبني على غلبة الظن فاكتفينا به وليس هذا المعنى موجوداً فيما إذا أمكن التلاقي ولم يثبت فإنه لا يغلب على الظن الاتصال فلا يجوز العمل على الاتصال ويصير كالمجهول ٠ فإن روايته مردودة لا للقطع بكذبه أو ضعفه بل للشك في حاله » انتهى (٤) ٠

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي : ١٩٧/٥ ٠

(٢) النسائي (١١٨/٣) وابن ماجه (٣٣٨/١) كما رواه أيضاً أحمد (٣٧/١)وابن حبان (موارد الظمآن ١٤٤) كل بطرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ٠

(٣) انظر شرح فتح القدير (٣٩٦/١) ٠

(٤) انظر شرح مقدمة مسلم للنووى (١٢٨/١) ٠

وأما سماع ابن أبي ليلى فقد اتفق يحي بن معين وأبو حاتم والنسائي على أنه لم يسمع من عمر ابن الخطاب ولذا روى أبو يعلي الموصلي من طريق الثورى عن زبيد اليامي عن عبد الرحمن عن الثقة عن عمر بن الخطاب · فإنه جعل بين عبد الرحمن بن أبي ليلى وبين عمر واسطاً (١) · ولا ندري من هو هذا الثقة ·

٤ ـ حديث ابن عمر : قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضلّال ، فعلمنا فكان فيما علمنا أن الله عز وجل أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر ·

رواه النسائي · هكذا عزاه صاحب المنتقي به ولم يقل الشوكاني شيئاً في شرح المنتقي ولم أجده في السنن للنسائي وكذا قال أيضاً الزيلعي (٢) ·

٥ ـ حديث ابن عمر أيضاً : قال : صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك . متفق عليه ·

وقول ابن عمر يقضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتم في طول حياته في السفر ·

وليس فيه دليل لمن ذهب إلى الوجوب لأن النبي صلى الله عليه وسلم عمل بالرخصة لبيان الجواز وكذلك ليس فيه حصر بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتم طول حياته لأن ابن عمر لم يلازمه في جمع أسفاره وسوف يأتي من عائشة ما يخالف هذا ·

٦ ـ حديث أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المتم للصلاة في السفر كالمقصر في الحضر » ·

رواه الدارقطني (٣) عن شيخه أحمد بن محمد المغلس وهو كذاب · وفيه أيضاً بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن عن أبي يحي المديني ·

أدلة الجمهور على أن القصر ليس بواجب :

قال الإمام الشافعي : قال الله عز وجل : « **وإذا ضربْتُمْ في الأرض فلَيْس عليْكُم جُنَاحٌ أن تَقْصُرُوا من الصلاة إن خفْتُمْ أنْ يفْتنَكُمْ الذينَ كفَرُوا** (النساء ، الاية ١٠١) · قال : فكان بيناً في كتاب الله تعالى أن قصر الصلاة في الضرب والخوف تخفيف من الله عز وجل عن خلقه ، لا أن فرضا عليهم أن يقصروا كما كان قوله تعالى : « **لا جُنَاح عليْكُمْ إنْ طَلَّقْتُمْ النِّسا ، مالَمْ تمسُّوهُنَّ أوْ تَفْرضُوا لَهُنَّ فريضَةً** » (البقرة الاية : ٢٣٦) رخصة ، لا أن حتماً عليهم أن يطلقوهن في هذه الحال ،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١ / ٣٥٠) ·

(٢) انظر نصب الراية (٢/١٩٠) ·

(٣) لم أجد هذا الحديث في سنن الدارقطني في مظانه لكنه عزاه الزيلعي في نصب الراية (٢/١٩٠) إليه ·

وكما كان قوله : « **لَيْس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ** » (البقرة . الاية ١٩٨) « يريد ، والله تعالى أعلم : أن تتجروا في الحج . لا أن حتماً عليهم أن يتجروا . كما كان قوله « **فَلَيْس عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابهنَّ** » (النور . الاية ٦٠) وكما كان قوله « **ليس عليكم جُناحٌ أن تأكلوا مِنْ بيوتكم :** » لا أن حتماً عليهم أن يأكلوا من بيوتهم ، ولا بيوت غيرهم » ٠

ثم قال : والقصر في الخوف والسفر بالكتاب ثم بالسنة ، والقصر في السفر بلا خوف سنة ، والكتاب يدل على أن القصر في السفر بلا خوف رخصة من الله عز وجل لا أن حتماً عليهم أن يقصروا كما ذلك في الخوف والسفر » انتهى (١) ٠

كأن الإمام الشافعي يشير إلى أن لفظة « جناح » تستعمل في المباحات والمرخصات دون العزائم والفرائض ٠

وإليكم بعض الأدلة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ ــ **عن يعلي بن أمية قال :** قلت لعمر بن الخطاب إنما قال الله سبحانه وتعالى « **إِذَاضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْس عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِن الصلات إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الذينَ كَفَرُوا إِنَّ الكَفرِين كَانُوا لَكُمْ عَدوًّا مُّبيناً** » النساء (١٠١)

فقد أمن الناس قال عمر : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » (٢) ٠

فقول النبي صلى الله عليه وسلم « صدقة » يدل صراحة بأنه ليس بعزائم ٠ والمعلوم أن المتصدق عليه يكون مختاراً في قبول الصدقة وردها ٠ والأمر في قوله .

فاقبلوا صدقته . أمر ندب لا ايجاب ٠ ولا تناقض بين هذا الحديث ، والحديث المتقدم « صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر » أي غير ناقص في الأجر والثواب لمواظبة النبي صلى الله عليه عليه وسلم وأمره بذلك ما فيه من العلة ٠

قال الخطابي : وفي هذا حجة لمن ذهب إلى أن الاتمام هو الأصل ٠ ألا ترى أنهما قد تعجبا من القصر مع عدم شروط الخوف . فلو كان أصل صلاة المسافر ركعتين لم يتعجبا من ذلك ٠ انتهى ٠

قال الربيع : قال الشافعي : فدل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن القصر في السفر بلا خوف صدقة من الله . والصدقة رخصة لا حتم من الله أن يقصروا ٠

---

(١) الأم : ١٧٩/١ ٠

(٢) رواه مسلم (٤٧٨/١) وأبو داود (٧/٢) وابن ماجه (٣٣٩/١) وأحمد (٢٥/١ ــ ٢٦) والشافعي في الأم ((١٧٩/١) كلهم بطرق عن عبد الله بن عمار . عن عبد الله بن بابأه ، عن يعلي بن أمية ٠ وعبد الله بن باباه : بموحدتين بينهما ألف ساكنة ، ويقال : بابيه بتحتانية بدل الألف . ويقال بحذف الهاء وهو من الثقات ٠

ودل على أن يقصروا في السفر بلا خوف إن شاء المسافر . وأن عائشة قالت : كل ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتم في السفر وقصر » (١) ٠

وقد روى ابن مردويه عن ابن عمر أنه قال : الركعتين في السفر رخصة نزلت من السماء فإن شئتم فردوها (٢) ٠

وحديث عمر بن الخطاب هذا أولى بالقبول لأنه لا يحتمل كما يحتمل قول عائشة فإن فيه التصريح بأنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية الكريمة فقال : :

إن القصر في السفر رخصة وكان مشرطاً في بداية الإسلام بالسفر والخوف وبعد ذهاب الخوف هي هدية من الله فمن شاء قبلها ، ومن شاء ردها بينما يحتمل قول عائشة رضي الله عنها بأن يكون ذلك من فقهها أو اجتهادها كما قال القاضي عياض وغيره ، قال البغوي « قوله ـ صذقة تصدق الله بها عليكم ـ دليل على أن القصر رخصة وإباحة لا عزيمة (٣) ٠

٢ ـ حديث أنس بن مالك (رجل من بني عبد الله بن كعب) ٠

قال أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتغذى فقال : أدن فكل . فقلت أني صائم فقال : أدن أحدثك عن الصوم أو الصيام إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة . وعن الحامل والمرضع الصوم أو الصيام ٠ والله لقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم كليهما أو أحدهما ٠

فيا لهف نفسي أن لا أكون طعمت من طعام النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ٠

قال الترمذي : حديث أنس بن مالك الكعبي حديث حسن ولا نعرف لأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد ٠ انتهى ٠ نقل المندرى تحسين الترمذى وأقره ٠

وأنس بن مالك هو القشيرى الكعبى الأنصاري المشهور الذى خدم النبى صلى الله عليه وسلم وكان أحد المكثرين من الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠

وفي الحديث دليل صريح لمن قال بأن الصلاة في السفر لم تفرض ركعتين وإلا لما قال النبي صلى عليه وسلم بأن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة ٠ فكان الأصل هو الاتمام والقصر رخصة من الله ٠

---

(١) انظر سنن البيهقي : ١٤١/٣ ٠

(٢) انظر تفسير ابن كثير : ٣٤٨/٢ ٠

(٣) انظر شرح السنة (٤ / ١٦٩) ٠

(٤) رواه الترمذى (٨٥/٢) وأبو داود (٧٩٦/٢) والنسائي (١٧٨/٤ في سياق آخر عن النمرى) وابن ماجه (٥٣٣/١) وأحمد (٤/ ٣٤٧) ٠

٣ ـ **حديث عائشة :** أخرج النسائي في سننه عن العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الأسود عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة . قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت ، وأتممت وأفطرت وصمت فقال أحسنت يا عائشة » وما عاب علي (١) ٠

وقال الزيلعي (٢) : العلاء بن زهير قال فيه ابن حبان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات فبطل الاحتجاج به كذا قال في كتاب الضعفاء وذكره في كتاب الثقات أيضاً فتناقض كلامه فيه انتهى ٠ وزهير بن العلاء ممن وثقه ابن معين وغيره فلم يأخذ العلماء فيه بقول ابن حبان ٠ كما قال الذهبي : العبرة بتوثيق يحي ٠ و يقال أيضاً إن في متن هذا الحديث نكارة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في رمضان قط كما أخرج الشيخان عن قتادة عن أنس قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة واحدة واعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجه ٠

ويمكن أن يجمع بين هذا وذاك بأن خروجه من المدينة كان في أواخر رمضان ووصوله إلى مكة كان في أوائل ذي القعدة ٠ إلا أنه بعيد لطول المدة ٠

أو يقال لعل عائشة كانت فيمن خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفره عام الفتح وكان سفره ذلك في رمضان ولم يرجع من سفره ذلك حتى اعتمر عمرة الجعرانة فأشارت بالقصر والاتمام والفطر والصيام ٠

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال إن هذا كذب على عائشة رضي الله عنها فإنها لم تكن لتصلي بخلاف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الصحابة وهى تشاهدهم يقصرون ٠ كيف والصحيح عنها أنها قالت : إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة زيد في صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر ٠ فكيف يظن بها مع ذلك أن تصلي بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه » (٣) ٠

ولكن الصحيح أنها أتمت ولو بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق ذكره ٠

---

(١) النسائي (١٢٢/٣) وكذا رواه البيهقي (١٤٢/٣) والدارقطني (١٨٨/٢) ٠

قال البيهقي : عبد الرحمن بن الأسود قد أدرك عائشة فدخل عليها وهو مراهق ، وروى بطريق آخر عن العلاء بن زهر ، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة وقال : هذا متصل واسناده حسن ٠

(٢) انظر نصب الراية (١٩١/٢) ٠

(٣) انظر زاد المعاد (٤٦٤/١) ٠

وقد روى الدارقطني (١) باسناد صحيح قال : ثنا الحاملي ، ثنا سعيد بن محمد بن ثواب ثنا أبو عاصم ، ثنا عمرو بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصر في السفر ويتم ، ويفطر ويصوم » .

وبطريق الدارقطني رواه البيهقي (٢) ووافق على تصحيح الدارقطني وقال أيضاً : ولهذا شاهد من حديث دلهم بن صالح ، والمغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو ، وكلهم ضعيف . انتهى .

ونقل الزيلعي تصحيح الدارقطني والبيهقي وأقره أيضاً إلا أنه قال : وقد يعارض هذا بحديث ابن عمر أنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ... الخ . وقد أجيب عنه .

٥ ـ حديث ابن عمر : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته .

رواه أحمد (٣) قال ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزية عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أيضاً ابن خزيمة (٤) وابن حبان في صحيحيهما إلا أنهما زادا حرب بن قيس بين عمارة ونافع وبهذا الوجه رواه الخطيب البغدادي (٥) إلا أن شيخ أحمد فيه علي بن عبد الله وهو الوجه الثاني عند أحمد وعلي بن عبد الله هو ابن المديني . يقال لعل الدراوردي حفظ الاسنادين وهو ما يسمى المزيد في متصل الأسانيد .

واسناد أحمد على شرط مسلم .

وللحديث شواهد منها :

١ ـ حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني (٦) .

وأما شواهد أخرى فهي ضعيفة . مثل حديث عبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس بن مالك وأبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وغيرهم . انظر مجمع الزوائد .

في هذا الحديث دليل على أن الاتيان بالرخص مثل العمل على العزائم فمداومة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على قصر الصلاة لا تدل على الوجوب بل كانت مداومة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الدارقطني (١٨٩/٢) .
(٢) سنن البيهقي ٣ : ١٤٢ .
(٣) أحمد في مسنده ٢ : ١٠٨ .
(٤) صحيح ابن خزيمة ٣ : ٢٥٩ .
(٥) تاريخ بغداد ١٠ : ٣٤٧ .
(٦) مجمع الزوائد ٣ : ١٦٢ .

على الرخص مثل عمله على العزائم . وأما الأحاديث التي استدل بها الإمام أبو حنيفة فهي أكثر ما تدل فتدل على أن القصر أفضل لمداومة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وأما قول عائشة رضي الله عنها وغيرها بأن الصلاة في السفر فرضت ركعتين فله عدة معاني :

منها : فرضت صلاة السفر ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم .

ومنها : وقيل معناه أقرت على ما كانت عليه من الوجوب ، ومعنى زيد في صلاة الحضر أي نسخ كونها ركعتين لأن زيادة الركعتين يمنع من الاكتفاء بالركعتين فوقع النسخ في صلاة الحضر .

ومنها : المنسوخ في السفر هو وجوب الركعتين وجعلهما سنة والمنسوخ في الحضر وجوب الركعتين إلى الأربع .

ومنها : فرضت بمعنى قدرت لأن الفرض بمعنى التقدير في اللغة . ومنها قول الطبرى : المسافر إذا اختار القصر فهو فرضه . وكذلك اختلف الناس أيضاً في تأويل عثمان . وأصح تأويل في هذا ما ذكره النووى والمحققون وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . بأن عثمان وعائشة رأيا القصر جائزاً والاتمام جائزاً فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام (١) .

ويحمل على هذا قصة ابن مسعود التي رواها عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضى الله عنه بمنى أربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين . وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان . (متفق عليه) .

فكان ابن مسعود أيضاً ممن يرى الجواز وإن كان الأولى عنده القصر وإلا لما كان له أن يصلي الركعات أكثر من الوجوب لأن زيادة الركعات على الوجوب لا تجوز بحال من الأحوال وأما أنه ترك الأولى فذلك لدفع الشر والفتنة فإن الخلاف شر ووقع التصريح في رواية البيهقي : أني لأكره الخلاف (٢) . وفي رواية أبي داود (٣) « الخلاف شر » وكذا ذكره الإمام الشافعي في الأم (٤) .

---

(١) ذكر النووي بعض هذه المعاني في شرحه لمسلم ٥ : ١٩٥ .
(٢) السنن : ١٤٤/٣ .
(٣) لم أجده في مظانه في السنن ولكن عزاه الحافظ إليه في الفتح (٥٦٤/٢) وجاء في رواية البيهقي أيضاً .
(٤) انظر الام : ١٨٠/١ .

وقد صرح الحافظ بأن ابن مسعود لم يكن يعتقد بأن القصر واجب ولو كان اعتقد غير هذا لما تعمد ترك الفرض (١) وقد ذكر العلماء عدة تأويلات غير أنها كلها منتقدة (٢) .

وقد احتج الشافعي على عدم وجوب القصر بأن المسافر إذا دخل فى صلاة المقيم صلى أربعا باتفاقهم . ولو كان فرضه القصر لم يأتم مسافر بمقيم (٣) .

المسألة الثانية : مسافة القصر :

فيها عدة أقوال للعلماء جعلها ابن المنذر وغيره أكثر من عشرين قولاً ولكن أهمها كالاتي :

١ ـ **مذهب ابن حزم :** أقل مسافة القصر هو الميل لما رواه ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن ابن عمر . وأيضاً اطلاق قول الله عز وجل : « **وإذا ضربتم في الأرض** » . والسنة لم تخصص سفراً دون سفر . وإنما لم يسم دون الميل قصراً لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يخرج إلى البقيع لدفن الموتى . وإلى الفضاء لقضاء الحاجة وما كان يقصر الصلاة . قال رحمه الله تعالى بعد نقل الأخبار الكثيرة عن الصحابة : « وبه يقول أصحابنا في السفر إذا كان على ميل فصاعداً في حج أو عمرة أو جهاد وفي الفطر . فى كل سفر » (٤) .

٢ ـ **مذهب الظاهرية :** مسافة القصر ثلاثة أميال لحديث أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال . أو ثلاثة فراسخ (شك شعبة) صلى ركعتين (٥) .

وشك شعبة في هذا الحديث يبطل استدلال الظاهرية به فإن الفرسخ ثلاثة أميال . فإن قال ثلاثة فراسخ فيكون تسعة أميال . والمعروف الأخذ بالكثير أحوط لأن القليل يندرج تحت الكثير . إلا أن يقال أنهم أخذوا بالقليل واستأنسوا في ذلك بحديث أبي سعيد الخدرى أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر فرسخاً قصر الصلاة . رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور (٦) .

---

(١) الفتح : ٥٦٤/٣ . ٥٦٥ .

(٢) انظر زاد المعاد : ٤٦٩/١٠ ـ ٤٧١ .

(٣) الام : ١٨٠/١ .

(٤) المحلي : ١٣/٥ .

(٥) رواه مسلم (٤٨١/١) وأبو داود (٨/٢) عن محمد بن جعفر غندر . عن شعبة عن يحي بن يزيد الهنائي قال سألت أنس بن مالك عن قصرة الصلاة .

(٦) ذكره الحافظ في التلخيص (٤٧/٢) وعزاه لسعيد بن منصور فقط ولم يتكلم عليه بشيء . وفيه أبو هارون العبدي وهو عمار بن جوين قال عنه في التقريب متروك . ومنهم من كذبه وكان شيعياً .

ولا دليل لهم في حديث أنس . قال : صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً . وخرج يريد مكة فصلى بذى الحليفة العصر ركعتين (١) · لأنه يدل على ابتداء القصر . وجميع الأحاديث التي ذكروها تحمل على ذلك ·

٣ ـ وذهب الشافعي ومالك وفقها ، أصحاب الحديث وغيرهم : إلى أنهم أنه لا يجوز القصر إلا في مسيرة مرحلتين قاصدتين وهي ثمانية وأربعون ميلاً هاشمياً . والميل ستة الاف ذراع . والذراع أربع وعشرون أصبعاً معترضة معتدلة . والاصبع ست شعيرات معتدلات (٢) ·

وروى مثل هذا ابن قدامة عن الإمام أحمد أيضاً . وقدر هذه المسافة بمسيرة يومين وهو تقدير ابن عباس فإنه قدر مسيرة يومين من عسفان إلى مكة ومن الطائف إلى مكة ومن جدة إلى مكة (٣) ·

أخرج عبد الرازق عن ابن جريج عن عطاء أنه قال : سألت ابن عباس فقلت أقصر الصلاة إلى عرفة أو إلى منى قال : لا · ولكن إلى الطائف وإلى جدة . ولا تقصروا الصلاة إلا في اليوم التام ولا تقصروا فيما دون اليوم · فإن ذهبت إلى الطائف أو إلى جدة أو إلى قدر ذلك من الأرض . إلى أرض لك أو ماشية فاقصر الصلاة فإذا قدمت فأوف (٤) ·

ولكن هذه الرواية مخالفة لرواية مسيرة يومين التي أشار إليها ابن قدامة ·

هذا هو مذهب المعروف عن الأئمة الثلاثة فإنهم جميعاً قالوا لا تقصر الصلاة إلا في مسيرة يومين كما نقله النووى والحافظ والبغوى · إلا أن صاحب الهداية نسب إلى الإمام الشافعي مسيرة يوم واحد بالسير الوسط وقدر بالفرسخ مثل تقدير اليومين وهو ستة عشر فرسخاً أو ثمانية وأربعون ميلاً · فالذي يظهر من هذا أن العبرة بالفرسخ لا بالأيام والله تعالى أعلم ·

٤ ـ وذهب الإمام أبو حنيفة : إلى أن مسافة القصر مسيرة ثلاثة أيام ولياليها سير الابل ومشى الأقدام لقوله صلى الله عليه وسلم « يمسح المقيم كمال يوم وليلة . والمسافر ثلاثة أيام ولياليها » هكذا قال صاحب الهداية ·

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٨٠/١ ـ ٤٨١) وأبو داود (٩/٢) والترمذي (٤٢١/٢) كلهم عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن إبراهيم بن ميسرة عن أنس · ورواه النسائي (٢٣٧/٨) باسناد آخر ·

(٢) شرح مسلم للنووى (١٩٥/٥) ·

(٣) انظر المغني : ٢١٠/٢

(٤) المصنف : ٥٢٤/٢

قال الشيخ ابن الهمام : أما تقدير إحدى وعشرين فرسخاً أو ثمانية أو خمسة عشر فهي على اعتقاد مسيرة ثلاثة أيام ولا تصح هذه التقديرات بل العبرة بثلاثة أيام (١) وقال الكاساني : ومن مشائخنا من قدر بخمسة عشر فرسخا . وجعل لكل يوم خمس فراسخ ومنهم من قدر بثلاثة مراحل (٢) ٠

يقال إن في هذا لبياناً لأكثر من مدة المسح وليس فيه ما يدل على أن المسافر لا يكون مسافراً إلا بعد ثلاثة أيام ٠

٥ ـ **وذهب الإمام البخاري :** إلى أن مسافة القصر مسيرة يوم وليلة ٠ هكذا بوب في صحيحه إلا أنه ذكر تحت الباب حديثين أحدهما حديث ابن عمر ولفظه « لا تسافر المرأة ثلاثا إلا مع ذي محرم » (٣) ٠

والحديث الثاني حديث أبي هريرة ولفظه « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة ٠

وهو موافق لترجمة الباب ٠

قال الحافظ : إن البخاري اختار أن أقل مسافة القصر يوم وليلة (٤) ٠

وأمام هذه الأقوال المتعارضة المختلفة نحا المحققون إلى بيان الراجح بعدة وجوهات ٠ منها ما قاله الشيخ الكاساني الحنفي « ولنا ماروينا من الحديثين . ولأن وجوب الإكمال كان ثابتاً بدليل مقطوع به فلا يجوز رفعه إلا بمثله . وما دون الثلاث مختلف فيه ٠ والثلاث مجمع عليه . فلا يجوز رفعه بما دون الثلاث » (٥) ٠

وقال الخرقي : « ولا أرى لما صار إليه الأئمة حجة . لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة . ولا حجة فيها مع الاختلاف ٠ وقد روى عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما احتج به أصحابنا . ثم لو لم يوجد ذلك لم يكن في قولهم حجة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله ٠ وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذي ذكره **بوجهين :**

أحدهما : أنه مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها . ولظاهر القران . لأن ظاهره اباحة القصر لمن ضرب في الأرض لقوله تعالى : « **وإذا ضربتم في الأرض ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** » ولقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلي بن أمية . فتبقى ظاهر الاية متناولا كل ضرب الأرض ٠

---

(١) انظر شرح فتح القدير ١ : ٣٩٢

(٢) انظر البدائع والصنائع ١ : ٢٨٧ ـ ٢٨٨

(٣) البخاري ـ مع الفتح ٢ : ٥٦٦

(٤) انظر فتح الباري ٢ : ٥٦٦

(٥) البدائع والصنائع ١ : ٢٨٩

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « يمسح المسافر ثلاثة أيام » جاء لبيان أكثر مدة المسح . فلا يصح الاحتجاج به هاهنا . وعلى أنه يمكنه قطع المسافة القصيرة في ثلاثة أيام وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم سفراً فقال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم .

والثاني : أن التقدير بابه التوقيف . فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد . سيما وليس له أصل يرد إليه ولا نظير يقاس عليه . والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر إلا أن ينعقد الاجماع على خلافه » (١) .

وبهذا يصح أن يقصر المسافر في كل سفر يسمى سفراً في العرف بدون قيد مسافة معينة وبدون نظر إلى نوعية السفر ووسائله كالطائرة والقطار والسيارة وغير ذلك والله تعالى أعلم بالصواب .

وأما الموضع الذي يقصر منه : فقال ابن المنذر « أجمعوا على أن لمريد السفر أن يقصر إذا خرج عن جميع بيوت القرية التي يخرج منها (٢) .

وهو رأي مالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق وأبي ثور . وحكى ذلك عن جماعة من التابعين (٣) .

وحكى عن عطاء وسليمان بن موسى أنهما أباحا القصر في البلد لمن نوى السفر ، وعن الحارث ابن أبى ربيعة أنه أراد سفراً فصلى بهم في منزله ركعتين ، وفيهم الأسود بن يزيد ، وغير واحد من أصحاب عبد الله (٤) .

وروى عبد الرزاق عن عطاء بطريق ابن جريج قولاً مثل الجمهور ولفظه : « إذا خرج الرجل حاجاً فلم يخرج من بيوت القرية حتى حضرت الصلاة فإن شاء قصر ، وإن شاء أوفي ، وما سمعت في ذلك من شيء » (٥) .

---

(١) انظر المغني : ٢/٢١٢
(٢) الاجماع ص ٤٣
(٣) المغني ٢ : ٢١٤
(٤) المصدر السابق
(٥) مصنف عبد الرازق ٢ : ٥٣١

المسألة الثالثة : جمع تأخير دون تقديم :

حديث أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر . ثم نزل فجمع بينهما . فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ، ثم ركب » (١) .

وفي الحديث جواز على جمع تأخير دون تقديم وهو رأى ابن حزم .

جمع تقديم وتأخير :

حديث معاذ بن جبل . قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً . والمغرب والعشاء جميعاً » .

رواه مسلم (٢) عن زهير وأبو داود (٣) والنسائي (٤) عن مالك . وابن ماجة (٥) عن سفيان الثوري كلهم عن أبي الكبير . عن أبي الطفيل عامر . عن معاذ .

ثم روى مسلم أيضاً باسناده عن قرة بن خالد : حدثنا أبو الزبير نحوه وفيه « فقلت ما حمله على ذلك قال : فقال : أراد أن لا يحرج أمته » .

وروى أبو داود (٦) فقال : حدثنا يزيد بن خالد الرملي الهمداني . حدثنا المفضل بن فضالة . والليث بن سعد . عن هشام بن سعد . عن أبي الزبير بهذا الإسناد . ولفظه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة تبوك . إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر . وإن ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر حتى ينزل للعصر . وفى المغرب مثل ذلك . إن غابت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وأن يرتحل قبل أن تغيب الشمس أخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم جمع بينهما .

---

(١) رواه البخاري (٥٨٣/٢ . ٥٨٣) ومسلم (٤٨٩/١) والنسائي (٢٨٤/١) كلهم عن قتيبة بن سعيد قال : حدثنا المفضل بن فضالة . عن عقيل . عن ابن شهاب عن أنس بن مالك . ثم روى البخاري أيضاً عن شيخه حسان الواسطي (وهو ابن عبد الله بن سهيل الكندى المصرى) عن المفضل نحوه . ورواه أيضاً عن عمرة الناقد . حدثنا شبابة بن سوار المديني . حدثنا ليث بن سعد . عن عقيل بن خالد . باسناده ولفظه (كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يجمع بين الصلاتين في السفر أخر الظهر حتى يدخل العصر . ثم يدخل وقت العصر . ثم يجمع بينهما) وروى أيضاً عن أبي الطاهر . وعمرو بن سواد قالا : أخبرنا ابن وهب . حدثني جابر بن اسماعيل عن عقيل باسناده ولفظه « أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى وقت العصر . فيجمع بينهما . ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء . حين يغيب الشفق » .

وروى أبو داود (١١/٢ ـ ١٢) عن قتيبة وابن وهب قالا : حدثنا مفضل عن عقيل (كذا الصواب وفي نسخة أبي داود : مفضل بن عقيل) باسناده نحو رواية الشيخين .

ثم روى أيضاً فقال حدثنا سليمان بن داود المهرى . حدثنا ابن وهب . أخبرني جابر بن إسماعيل عن عقيل باسناده نحو رواية مسلم » .

(٢) ٤٩٠/١

(٣) ١٠/٢

(٤) ١ : ٢٨٥/١

(٥) ٣٤٠/١

(٦) ١٢/٢

قال أبو داود : رواه هشام بن عروة ، عن حسين بن عبد الله عن كريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث المفضل والليث .

ثم روى أبو داود (١) والترمذى (٢) كلاهما عن قتيبة بن سعيد قال : أخبرنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل باسناده ولفظه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليهما جميعاً ، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار ، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليهما مع العشاء ، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب » .

قال أبو داود : ولم يرو هذا الحديث إلا قتيبة وحده . وقال الترمذى : حديث معاذ حديث حسن غريب ، تفرد به قتيبة ، لا نعرف أحداً رواه عن الليث غيره . وحديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل عن معاذ حديث غريب . والمعروف عند أهل العلم حديث معاذ من حديث أبي الزبير ، عن أبي الطفيل عن معاذ « أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء » رواه قرة بن خالد وسفيان الثوري ومالك ، وغير واحد عن أبي الزبير المكي . انتهى .

أقول : لقد زال تفرد قتيبة برواية أبي داود عن الرملي ، ومن طريق أبى داود رواه البيهقي (٣) لكنه قال : عن الليث بن سعد « فجعل الليث شيخ المفضل وإنما هو قرينه . ولم يتنبه الحافظ ابن القيم فقال : فهذا المفضل قد تابع قتيبة ، وإن كان قتيبة أجل من المفضل وأحفظ ، لكن زال تفرد قتيبة به ، ثم أن قتيبة صرح بالسماع فقال : حدثنا ولم يعنعن ، فكيف يقدح في سماعه ، مع أنه بالمكان الذي جعله الله به من الأمانة ، والحفظ ، والثقة ، والعدالة » انتهى (٤) .

والصواب : أن الذي تابع قتيبة إنما هو الرملي لكنه خالف في اسناده فقال : الليث عن هشام بن سعد ، عن أبي الزبير عن أبي الطفيل ، فإما أن يصار إلى الجمع فيقال الليث بن سعد فيه اسنادان عن أبي الطفيل روى أحدهما قتيبة والاخر الرملي ، وأما يصار إلى الترجيح فيقال : قتيبة أجل وأحفظ من الرملي فروايته أصح ، والجمع أولي (٥) .

---

(١) ١٨/٢

(٢) ٤٣٨/٢

(٣) البيهقي ، ١٦٢/٣

(٤) زاد المعاد ، ٤٧٩/١

(٥) انظر ارواء الغليل ، ٣٠/٣

وأما ما أشار إليه الترمذي من حديث قرة بن خالد فرواه مسلم كما سبق ذكره ، ورواه أيضا الإمام أحمد في مسنده (١) وحديث مالك رواه أبو داود كما سبق ذكره ورواه مالك في موطئه أيضاً (٢) ٠

وقد أطال العلماء الكلام في رواية قتيبة بن سعيد **وملخص هذه الأقوال كما ذكره الشوكاني هي خمسة :**

أحدها : أنه حسن غريب كما قال الترمذي ٠

الثاني : أنه محفوظ صحيح قاله ابن حبان ٠

الثالث : أنه منكر قاله أبو داود ٠

الرابع : أنه منقطع قاله ابن حزم ٠

الخامس : أنه موضوع ٠ قاله الحاكم ٠ انتهى (٣) ٠

أقول : هذه الأقوال جميعاً تدور حول علتين ٠ إحداهما تفرد قتيبة بن سعيد ، والثانية عنعنة يزيد ابن أبي حبيب ويجاب عن الأولى بأن قتيبة بن سعيد ثقة ثبت كما قال الحافظ ، فلا يضر تفرده كما هو معلوم في علم الحديث وتخطيئة الثقات بالظن أمر مرفوض لأنه يؤدى إلى الشك في جميع الثقات ٠

ويجاب عن الثانية بأن يزيد بن حبيب غير معروف بالتدليس ، وقد أدرك أبا الطفيل حتماً ، فإنه ولد سنة ٥٣ ومات سنة ١٢٨ ، وتوفي أبو الطفيل سنة ١٠٠ أو بعدها وعمر يزيد حينئذ ٤٧ سنة (٤) ٠

وأما دعوى الحاكم (٥) بأنه موضوع فباطل قال الحافظ في التهذيب (٦) إن البخاري قال : قلت لقتيبة مع من كتبت عن الليث بن سعد حديث يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل ٠ قال : مع خالد المدائني : قال محمد بن إسماعيل : وكان خالد المدائني هذا يدخل الأحاديث على الشيوخ ٠ وقال أبو سعيد بن يونس لم يحدث به إلا قتيبة ، ويقال إنه غلط وإن الصواب عن أبي الزبير ، ثم قال الحافظ : وما اعتمده الحاكم من الحكم على ذلك بأنه موضوع فليس بشيء ٠ فإن مقتضى ما استأنس به من الحكاية التي عن البخاري أن خالداً أدخل هذا الحديث عن الليث ففيه نسبة الليث مع إمامته ، وجلالته ،

---

(١) مسند أحمد : ٢٢٨/٥ ـ ٢٢٩

(٢) موطأ مالك : ١٢٢/٨ ـ ١٢٣ مع التنوير ٠

(٣) انظر نيل الأوطار : ٢٦٢/٣

(٤) انظر ارواء الغليل : ٣٠/٣ وقد أطال الشيخ الألباني في الرد على من يضعف هذا الحديث ٠

(٥) لقد أطال الحاكم الكلام على هذا الحديث في كتابه علوم الحديث وحكم عليه بأنه موضوع وعلل ذلك « بأنه شاذ الاسناد والمتن ، ولا نعرف له علة نعلل بها » مع اعترافه بأن رواته أئمة ثقات ٠ ص ١١٩ ـ ١٢١ والمعروف ليس الشاذ ما انفرد به الثقة بل إنما الشاذ أن يخالف الراوى غيره ممن هو أحفظ منه وأوثق ٠

(٦) ٣٦٠/٨

إلى الغفلة حتى يدخل عليه خالد ما ليس من حديثه . والصواب ما قاله أبو سعيد بن يونس أن يزيد ابن أبي حبيب غلط من قتيبة ، وأن الصحيح عن أبي الزبير . وكذالك رواه مالك وسفيان عن أبي الزبير عن أبي الطفيل لكن في متن الحديث الذي رواه قتيبة التصريح بجمع التقديم في وقت الأولى وليس في حديث مالك . إذا جاز أن يغلط في رجل من الاسناد فجائز أن يغلط في لفظة من المتن . والحكم عليه مع ذلك بالوضع بعيد جداً » .

وهذه الغلطة التي نسبها الحافظ إلى قتيبة بن سعيد غير مسلم لأنه من الثقات .

فإذا زاد في روايته ولم ينكر عليها أحد من زملائه فلا يحكم عليه بالغلط . بل هو من قبيل زيادة الثقة وهي مقبولة .

ولحديث معاذ من طريق قتيبة بن سعيد في جمع تقديم شاهد من حديث ابن عباس . وهو الاتي :

٢ ـ **حديث ابن عباس :** قال : ألا أحدثكم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر قال : قلنا بلى قال : : كان إذا زاغت الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب . وإذا لم تزغ له في منزله سار حتى إذا حانت العصر نزل فجمع بين الظهر والعصر . وإذا حانت المغرب في منزله جمع بينهما وبين العشاء . وإذا لم تحن في منزله ركب . حتى إذا حانت العشاء نزل فجمع بينهما » (١) .

فقه الحديث : هذا الحديث يدل على جواز الجمع مطلقاً بسبب السفر وهو اختيار الإمامين الشافعي وأحمد . وبه قال جماعة من الصحابة منهم : علي بن أبي طالب . وسعد بن أبي وقاص . وسعيد بن زيد . وأسامة بن زيد . ومعاذ بن جبل . وأبو موسى . وابن عمر وابن عباس وغيرهم . وهو رأى جماعة من التابعين منهم : عطاء بن أبي رباح . وطاوس . ومجاهد . وعكرمة . وجابر بن زيد . وربيعة . وأبو الزناد . ومحمد بن المنكدر . وصفوان بن سليم . وهو رأى الثورى . وإسحاق . وأبو ثور . وابن المنذر . ومن المالكية أشهب وغيرهم .

والنظر يشهد له ذلك فإن الله أباح للمسافر أن يقصر من الصلوات بسبب السفر الذي هو مظنة للمشقة . فالجمع أولى بالرخصة فإن أداء الصلوات في أوقاتها أعظم مشقة في السفر .

---

(١) رواه الشافعي (١١٦/١) وأحمد (٣٦٧/١ ـ ٣٦٨) والدارقطني (٣٨٨/١) والبيهقي (٣/ ١٦٣) من طرقهم عن ابن جريج عن حسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة وكريب كلاهما عن ابن عباس .

وحسين ضعيف . قال الحافظ في التلخيص (٤٨/٢) واختلف عليه فيه وجمع الدارقطني في سننه بين وجوه الاختلاف فيه ، إلا أن علته ضعف حسين . ويقال إن الترمذى حسنه وكان باعتبار المتابعة ، وغفل ابن العربي فصحح اسناده لكن له طريق أخرى أخرجها يحي ابن عبد الحميد الحماني في مسنده عن أبي خالد الأحمر ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، وروى إسماعيل القاضي في الأحكام عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن عروة عن كريب عن ابن عباس نحوه » انتهى .

قال الشيخ الألباني : فالحديث صحيح عن ابن عباس بهذه المتابعات والطرق ، وقواه البيهقي بشواهده فهو شاهد آخر لحديث معاذ من رواية قتيبة تدل على حفظه ، وقوة حديثه ، راجع ارواء الغليل (٣٢/٣) .

الجمع بين الصلاتين إذا جد به السير :

١ ـ **حديث ابن عمر :** قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعجله السير في السفر يؤخر المغرب ، حتى يجمع بينها وبين العشاء (١) ·

٢ ـ **حديث أنس بن مالك :** قال إن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا عجل عليه السير يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر ، فيجمع بينهما ، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق (٢) ·

فقه الحديث : والحديث يدل على الجمع بين الصلاتين لمن جد به السير · وهو قول مشهور عن مالك ، وبه قال أسامة بن زيد وابن عمر ·

قال مالك : لا يجمع الرجل بين الصلاتين في السفر إلا أن يجدبه السير ، فإن جد به السير بين الظهر والعصر يؤخر الظهر حتى يكون في آخر وقتها ، ثم يصليها ، ثم يصلي العصر في أول وقتها ، ويؤخر المغرب حتى يكون في آخر وقتها قبل مغيب الشفق ، ثم يصليها في آخر وقتها قبل مغيب الشفق ، ثم يصلي العشاء في أول وقتها بعد مغيب الشفق · ثم قال : والأمر عندنا في الجمع بين الصلاتين لمن جد به السير (٣) هذا هو رأي مالك في الجمع بين الصلاتين ، وأما ما نقله ابن قدامة بأن الجمع بين الصلاتين في السفر في وقت إحداهما جائز في قول أكثر أهل العلم ومنهم مالك (٤) فهو مخالف لمذهب المدونة · ولكن يبدو من أقوال الأئمة المالكيين المتأخرين ان الجمع يجوز مطلقاً · ففي حاشية الدسوقي : جواز الجمع مطلقاً سواء جد في السير أم لا ، كان جده لإدراك أمر أم لأجل قطع المسافة والذي حكي تشهيره هو الإمام ابن رشد (٥) ثم الصورة التي بينها الإمام مالك والأئمة المالكيون أنها جمع صورى ، لا جمعاً حقيقياً ·

والقيد في حديث ابن عمر وأنس بن مالك لمن جد به السير للغالب وليس شرطاً للجمع لما نرى إطلاق الأمر في أحاديث الجمع ·

وذهب الإمام أبو حنيفة وصاحباه إلى أن الجمع خاص بعرفة ومزدلفة · وهو قول الحسن وابن سيرين ، وبه قال ابن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص ·

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٨٨/١) والنسائي (٢٦٧/١) كلهم عن ابن شهاب عن سالم ، عن ابن عمر ومالك (١٢٣/١ مع التنوير) عن نافع عن ابن عمر ، كما رواه مسلم أيضاً عن يحيى ، والترمذي (٤٤١/٢) عن عبدة بن سليمان ، كلاهما عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر إذا كان جدبه السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق » وكان يقول : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

قال الترمذي : حسن صحيح ·

(٢) رواه مسلم (٤٨٩/١) والنسائي (٢٨٧/١) وأبو داود (١٨/٢) كلهم عن جابر بن إسماعيل ، عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس · إلا أن أبا داود لم يذكر قوله « إذا عجل عليه السير » ·

(٣) انظر المدونة : ١١٦/١ ـ ١١٧

(٤) انظر المغني : ٢٢٣/٢

(٥) حاشية الدسوقي علي الدردير : ٣٣٩/١

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

قال ابن عباس : أي مفروضاً (١) .

وقال ابن مسعود : إن الصلاة كوقت الحج (٢) .

ثم بجميع أحاديث المواقيت مثل أمامة جبرائيل وغيره .

وقالوا : لا يجوز أن نترك ما ثبت بالتواتر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر الاحاد .

وذكروا أيضاً تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفرط في أداء الصلوات في أوقاتها مثل حديث رواه مسلم عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة أن يؤخر صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى .

وبحديث ابن عمر قال : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء قط في السفر إلّا مرة (٣) .

وفي اسناده : عبد الله بن نافع وهو أبو محمد المخزومي مولاهم الصائغ يروي عن أبي مودود عن سليمان بن أبي يحي عن ابن عمر .

قال البخارى : يعرف حفظه وينكر وقال أبو حاتم : ليس بالحافظ وهو لين يعرف حفظه وينكر ووثقه ابن معين .

وقال أبو داود بعد رواية الحديث : وهذا يروى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر موقوفاً على ابن عمر أنه لم ير ابن عمر جمع بينهما قط إلا تلك الليلة يعني ليلة استصرخ على صفية . وروى من حديث مكحول عن نافع أنه رأى ابن عمر فعل ذلك مرة أو مرتين انتهى .

وقد حمل العلماء الحنفية هذا الحديث على تقدير صحته الجمع بين المغرب والعشاء في مزدلفة .

وأما الأحاديث التي مر ذكرها فقالوا إنها على ثلاثة أقسام : بعضها يدل على الجمع الفعلي . وبعضها يوهم الجمع الوقتي . وبعضها يدل على مطلق الجمع .

وأول من أجاب عن هذه الأحاديث بعد تسليم صحتها هو الإمام أبو جعفر الطحاوى فقال : هو تأخير الأولى . وتعجيل الآخرة (٤) .وهو المعروف بين الحنفية بجمع صورى . أو بجمع فعلي .

(١ ـ ٢) انظر تفسير ابن كثير سورة النساء : ١٠٣

(٣) رواه أبو داود ٢ : ١٣

(٤) شرح معاني الآثار : ١٦٦/١

وقد أجاب المحدثون عن هذه الاشكالات وأطالوا البحث فيها فقال الخطابي : الجمع رخصة فلو كان على ما ذكروه لكان أعظم ضيقاً من الإتيان بكل صلاة في وقتها . لأن أوائل الأوقات وأواخرها مما لا يدركه الخاصة فضلاً عن العامة (١) ·

وقال ابن قدامة : وهذا فاسد لوجهين : أحدهما أنه جاء الخبر صحيحاً في أنه كان يجمعهما في وقت إحداهما . والثاني : أن الجمع رخصة فلو كان على ما ذكروه لكان أشد ضيقاً وأعظم حرجاً من الاتيان بكل صلاة في وقتها . لأن الاتيان بكل صلاة في وقتها أوسع من مراعاة طرفي الوقتين بحيث لا يبقى من وقت الأولى إلا قدر فعلها . ومن تدبر هذا وجده كما وصفنا . ولو كان الجمع هكذا لجاز الجمع بين العصر والمغرب . والعشاء والصبح . ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك . والعمل بالخبر على الوجه السابق إلى الفهم منه أولى من هذا التكلف الذي يصان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمله عليه (٢) ·

والدليل على أن الجمع رخصة قول ابن عباس « أراد أن لا يحرج أمته » رواه مسلم ·

وأما من خص الجمع بمن جد به السير فيرد عليه بما وقع التصريح في حديث معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة في غزوة تبوك . ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل . ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جمعاً » (٣) ·

قال الإمام الشافعي : قوله : دخل ثم خرج : لا يكون إلا هو نازل . فللمسافر أن يجمع نازلا ومسافراً · وقال ابن عبد البر : في هذا أوضح دليل على الرد من قال :

لا يجمع إلا من جد به السير . وهو قاطع للالتباس » (٤) ·

وأما قول العلماء الحنفية : لا يجوز أن نترك ما ثبت بالتواتر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر الآحاد ·

فيجاب ليس هناك ترك لما في الكتاب والسنة وإنما هو تخصيص . وتخصيص المتواتر يجوز بالحديث الصحيح وهو معلوم من أصول الدين · ويبدو أن المحققين من العلماء الحنفية لما وجدوا صعوبة حمل الأحاديث الصحيحة على الجمع الصورى رجعوا عما كانوا عليه ·

---

(١) الفتح : ٥٨٠/٢

(٢) المغني : ٢٢٤/١.

(٣) رواه مالك في الموطأ : ١٢٣/١ مع التنوير ·

(٤) انظر فتح البارى : ٥٨٣/٢

فهذا الشيخ عبد الحي اللكنوى المحقق الحنفي يقول : « حمل أصحابنا يعني الحنفية الأحاديث الواردة في الجمع على الجمع الصوري . وقد بسط الطحاوى الكلام فيه في شرح معاني الآثار ولكن لا أدرى ماذا يفعل بالروايات التي وردت صريحا بأن الجمع كان بعد ذهاب الوقت . وهى مروية في صحيح البخارى وسنن أبي داود . وصحيح مسلم وغيرها من الكتب المعتمدة على ما لا يخفى على من نظر فيها . فإن حمل على أن الرواة لم يحصل التمييز لهم فظنوا قرب خروج الوقت فهذا بعيد عن الصحابة الناصين على ذلك . وأن اختير ترك تلك الروايات بإبداء الخلل في الإسناد فهو أبعد مع إخراج الأئمة لها . وشهادتهم بتصحيحها . وإن عورض بالأحاديث التى صرحت بأن الجمع كان بالتأخير إلى آخر الوقت . والتقديم في أول الوقت فهو أعجب . فإن الجمع بينها بحملها على اختلاف الأحوال ممكن بل هو الظاهر » انتهي (١) .

وهذا هو الحق في هذا الموضوع والله تعالى أعلم .

عن أبي هريرة قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ، أولاَ أدُلُّكُمْ على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » (أخرجه مسلم) .

من أقوال الإمام الشافعي رحمه الله :

(من تعلّم الفقه علا مقدارُهُ ، ومن تعلّم الحديثَ قويت حُجّتتهُ ، ومن تعلّم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلّم اللغة رقّ قلبه ، ومن لم يَصُنْ نفسَه لم ينفعه عِلْمُهُ) .

(١) التعليق المجد : ١٢٩

العَقِيدَة



مسلك القرآن الكريم

في إثبات الوحدانية

(٤)

د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
عميد شئون المكتبات بالجامعة

جـ ـ تذكير المخاطبين بالنعم التى انعم الله بها عليهم :

من الأساليب التى سلكها القرآن الكريم لرد الفطرة إلى طبيعتها التى فطر الله الناس عليها ، تذكيرهم بالنعم التى أسداها إليهم والتى يدركون بالحس أنهم لم يحدثوا منها شيئاً ، وانما الله هو الذى تفضل بها عليهم ·

ثم يعقب ذلك بعرض بعض قصص الأنبياء في دعوتهم لاممهم لمثل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلاص العبادة لله وحده . وبيان ما حل بأولئك الذين لم يستجيبوا لدعوة أنبيائهم من العذاب . تحذيرا للمخاطبين أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك المكذبين وقد عرض القرآن الكريم كثيراً من ذلك في سور متعددة نذكر من ذلك نموذجين :

الأول : قوله تعالى : (**ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين · وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون · فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ، وشجرة تخرج من طور سيناء وتنبت بالدهن وصبغ للآكلين · وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون · وعليها وعلى الفلك تحملون**) (المؤمنون : الآية ١٧ ـ ٢٢) ·

وبعد أن عدد الله تبارك وتعالى هذه النعم ، وهي في نفس الوقت آيات واضحات ودلالات بينات على وحدانيته سبحانه وتعالى ، اتبع ذلك بذكر الأنبياء مع أممهم وبيان ما حل بالمكذبين منهم · قال : (**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر**

مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الأولين) إلى قوله : (ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين · فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون · وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون · ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون) (المؤمنون : الآية ٣١ ، ٣٢) ·

إلى قوله : (فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين · ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين · ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون · ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون) (المؤمنون : الآية ٤١ ـ ٤٤) ·

وهكذا يقص الله تبارك وتعالى على هذه الأمة ما حل بالأمم السابقة التي كذبت رسلها فأهلكهم الله جميعا فأصبحوا أحاديث وكأنهم لم يوجدوا ، (ولقد جاء آل فرعون النذر · كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) (القمر : الآية ٤١ ـ ٤٣) ·

النموذج الثاني :قوله تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون · ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) (النحل : الآية ١ ـ ٣) ·

ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عن الشركاء فهو الواحد الأحد ، ليس له شريك في الملك ، (ومن يشرك بالله فكأن ما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكانٍ سحيقٍ) (الحج : الاية ٣١) ·

ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عن الشركاء فهو الواحد الأحد ، ليس له شريك في الملك ، (ومن يشرك بالله فكأن ما خر السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكانٍ سحيقٍ) (الحج : الآية ٣١) ·

ويقرر أمر النبوة ، بانزال الملائكة بالوحى من السماء ، على من اختارهم واصطفاهم من عباده (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) (الحج : الآية ٧٥) · لينذروا الناس ويبينوا لهم أن الإله المعبود هو الله وحده ، وأن هذه الآلهة المزعومة والشركاء المدعوين من دونه لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً · (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ....) ·

ثم يتبع ذلك بالأدلة على من يستحق العبادة ، تلك الأدلة التي تخاطب العقل والوجدان معاً · أدلة ملموسة محسوسة يعيشها المخاطبون يشاهدونها بأبصارهم ، ويدركونها بعقولهم منها :

١ ــ خلق السموات التى يدرجون تحتها ·

٢ ــ وخلق الأرض التي يعيشون عليها ·

٣ ــ وخلق المخاطبين أنفسهم ، فهم الدليل والمستدل عليه (**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) ·

٤ ــ وخلق ما به استقامة حياتهم وصلاح معاشهم ·

يقول الله تعالى في ذلك : (**خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون · خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين · والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون · ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون · وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم · والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون**) (النحل : الآية ٣ ـ ٧) ·

هكذا يبين الله تعالى الأدلة على وحدانيته فالموجد لجميع المخلوقات يجب أن يكون هو المعبود وحده (**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**) ·

ويخبر عن النقلة الهائلة بين خلق الإنسان من نطفة ضعيفة حقيرة مهينة لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً ، وبين أن يصبح خصيماً مبيناً ، ومن يخاصم ، يخاصم خالقه الذى أوجده من العدم : (**وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهي رميم**) (يس : الآية ٧٨) ·

ثم يذكر الإنسان بأن من نعم الله عليه هذه المركوبات التى سخرها له ، من الخيل والبغال والحمير ، والتى يتخذها زينة ، ويشير إلى ما سيخلقه مما لا يعلمه المخاطبون في عصرهم من أنواع المركوبات ، والحاملات للأثقال التى يشق عليهم حملها ، والأنواع المعدة للزينة (**ويخلق ما لا تعلمون**) ·

ثم يتبع ذكر الآيات المحسوسة والمشاهدة التي هي جزء من حياة الإنسان : ويطلب منه أن يتفكر ويتعقل هذه الآيات ، ثم يتذكر لعله بذلك يشكر الله الذى أوجد له هذه النعم

ويسرها له حتى يعبده وحده لأن الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ، **بخلاف الذى لا** يستطيع الخلق والايجاد .

يقول الله تعالى في ذلك : **(هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى في الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون)** (النحل : الآية ١٠ ـ ١٦) .

ثم يلفت أنظار المخاطبين الغافلين عن التعقل والتدبر في هذه المشاهد ، ويذكرهم بأن موجد هذه الأشياء وخالقها ومسخرها لهم هو المستحق للعبادة وحده ، وينفي سبحانه التسوية بين المعبود الحق ، والمعبودات الباطلة التى لا تخلق شيئاً وذلك في استفهام انكاري فيقول :

(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) (النحل : الآية ١٧ ـ ١٨) .

ويختم هذا العرض لهذه الآيات ببيان علمه الشامل لما تكنه الصدور أو تظهره إذ لا فرق عنده سبحانه بين ما توسوس به الأنفس ، وبين ما تظهره فهو يعلم السر وأخفى **(والله يعلم ما تسرون وما تعلنون)** .

ويعقب ذلك ببيان حال الآلهة المدعوة من دونه ، وأنهم عاجزون لا يخلقون شيئاً ، وهم يخلقون فكيف يسوغ دعاؤهم ، ومنهم أموات لا يشعرون بالوقت الذى فيه يبعثون .

(والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياءٍ وما يشعرون أيان يبعثون) (النحل : الآية ٢٠ ـ ٢١) .

أما الإله الحق فهو واحد ، لا تعدد فيه لأن تعدد الآلهة يحصل به الفساد في الكون ولا ينكر الوحدانية إلا المتكبرون الكافرون باليوم الآخر .

(إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) (النحل : الآية ٢٢) .

فمن أسباب الاعراض عن الحق الكبر ، والكبر غمط الحق ، وقد بين تعالى في آيات كثيرة أن جزاء المتكبرين النار ·

وبعد هذا العرض الموجز لهذه النماذج التى سلكها القرآن الكريم لاثبات الوحدانية في الالوهية ، تبين أن المشركين لم يدعوا لمعبوداتهم أنها تخلق أو ترزق أو تحي أو تميت ، وإنما ذلك كله لله ·

وكل الذى يطلبونه منها هو التوسط لهم عند الله ، فهم يدعونها ويتقربون إليها بالنذور والقرابين لتقربهم إلى الله زلفى · (**··· ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**) (الزمر : الآية ٣) ·

فما عبادتهم تلك ؟ أوضحت الآيات السابقة أن من عبادتهم لها :

١ ـ دعـــاؤها ·

٢ ـ حبها والخوف منها ـ الاستشفاع بها ·

والعبادة في الإسلام ليست محصورة في الصلاة والصوم وأركان الإسلام مثلاً ؟ لأن الله يقول : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) (الذاريات : الآية ٥٦) ·

فهل يستطيع البشر أن يصلوا فلا يفتروا ، وان يصوموا الدهر فلا يفطروا ، ليس ذلك في استطاعتهم ولم يهيئوا لذلك · فالإنسان مركب من روح وبدن ولكل مطالبه ·

وإنما معنى العبادة أوسع من ذلك وقد بينت الآية التالية شمولها وهي قوله تعالى : (**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين · لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**) (الأنعام : الآية ١٦٤ ـ ١٦٥) ·

ومن هنا يتضح شمول العبادة لأنواع كثيرة من أفعال العباد يصرفها كثير من الناس لغير الله ظناً منهم أن ذلك من الأمور الجائزة وهي من صميم العبادة التى لا يجوز صرفها لغير الله ومن ذلك :

١ ـ الدعـــــــاء :

وقد نص الله تبارك وتعالى في كتابه أن الدعاء عبادة · قال تعالى : (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**) (غافر : الآية ٦٠) ·

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : (**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً . فلما أعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً**) (مريم : الآية ٤٨ ـ ٤٩) .

فقد بين الله في الآيتين أن الدعاء عبادة ، ففي الآية الأولى ، قال : ادعوني ... إن الذين يستكبرون عن **عبادتي** ، فالعبادة هى الدعاء .

وقول إبراهيم : وأعتزلكم وما **تدعون** من دون الله ... فلما اعتزلهم وما **يعبدون** من دون الله . فدعاء غير الله عبادة والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

وفي الحديث الدعاء مخ العبادة .

ولذلك فإن المشركين كانوا يخلصون الدعاء لله في وقت الشدة ، كما في قوله تعالى : (**هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين**) (يونس : الآية ٢٢) .

يقول الشيخ محمد الغزالى في كتابه عقيدة المسلم ص ٦٤ تحت عنوان : توحيد العامة وما يعلوه من غبار . (ينبغى لهذه الأمة أن تكون مثلاً عاليا في إسلام الوجه لله وافراده بالنية والعمل . بيد أننا نلحظ ـ آسفين ـ أن هناك مسالك شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين ، لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير ، وضلال الاتجاه واضطراب المقصد . ولا نحب أن نوارب في الكشف عن هذه العلة ، فإن أى خلل في دعائم التوحيد معناه الخبل الذى يدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف .

إذ التوحيد في الإسلام حقيقة وعنوان ، وساحة وأركان ، وباعث وهدف ، ومبدأ ونهاية .

قال : ولسنا ـ كذلك ـ ممن يحب تصيد التهم للناس ، ورميهم بالشرك جزافاً ، واستباحة حقوقهم ظلماً وعدواناً .

ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل ، والنصح الخالص والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد عنها أدنى انحراف .

ثم يضرب الأمثلة على هذا الانحراف من واقع الأمة المسلمة في هذا العصر فيقول :

لقد اهتمت حكومة انجلترا ـ في سبيل مكافحة الشيوعية ـ بالحالة الدينية في مصر ! فكان مما طمأنها على إيمان المصريين (!) : أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوى بطنطا هذا العام ٠

قال : والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى ، فطالما أوفدت رسميا لوعظهم ، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط لا ما يستدعى الزجر بالكلام ٠ ثم يبين حالهم ولماذا جاءوا الى صاحب الضريح ، فيقول : جاءوا للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء ٠

ولمن النذور ؟ ولمن الدعاء ؟ إنه أول الأمر للسيد ٠

فإذا جادلت القوم قالوا : إنه لله عن طريق السيد البدوى ٠

وأوضح بعد ذلك : ان من بدهيات الإسلام الأولى ، أن الطلب ووسيلته جميعاً يجب أن يكونا من الله

(**إياك نعبد وإياك نستعين**) (الفاتحة : الآية ٥) ٠

« إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » (رواه أحمد والترمذي) ٠

أقول : إن ما ذكره الشيخ محمد الغزالى عن حال أولئك الملايين عند ضريح السيد البدوى ، هو حال أكثر العالم الإسلامي في شرق الأرض وغربها ، وقد شاهدت بعيني وسمعت بأذني من يطلب من السيد الإدريسي ـ وهو متمسك بالحلة الخضراء المكسي بها الضريح داخل المسجد ـ الولد والشفاء من المرض ، ورد الغائب ، وكل ما لا يطلب إلا من الله الواحد الأحد ٠

إن هؤلاء إذا قلت لهم : قولوا : لا إله إلا الله ٠ امتدت بها حناجرهم وارتفعت بها أصواتهم وقالوها أكثر من سبعين مرة ٠ وهم مع ذلك سادرون في هذا العمل لأنهم لا يعرفون معناها ، وماذا تريد منهم أن يلتزموا به أمام خالقهم عبادة وحكماً وسلوكاً ٠

أما الذين قال لهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم : قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ٠٠ فمن وفقه الله ، قالها وعمل بمقتضاها فلم يدع غير الله ولم يتحاكم إلى سواه ٠

ومن لم يوفق قال : أجعل الألهة إلهاً واحداً ٠ وسلّ سيفه فكان الأب يقتل ابنه والابن يقتل أباه ٠ فهل إن ذلك لمجرد النطق بلفظ : لا إله إلا الله ٠٠ ! لا ٠٠

لأن من كان في آخر لحظة من حياته كأبي طالب حين طلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا إله إلا الله ليحاج له بها عند الله ، لم يقلها ، فأبو جهل كان عنده يقول له : أترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر كلامه أن قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إلهَ إلا الله فكان من أهل النار ، وأنزل الله فيه قوله : **(إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)** (القصص : الآية ٥٦) .

ومن هنا نوجه نداءنا إلى الأساتذة الفضلاء ، وهم من قادة الفكر الإسلامي المهتمين بتوجيه شباب الأمة الإسلامية إلى الخير ، الشباب الذى تعلق عليه آمال الأمة في قيادتها إلى ما فيه عزها وفلاحها في الدنيا والآخرة ، أن يرجعوا أولاً لدراسة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم في مكة وهى ثلاثة عشر عاماً قضاها رسول الله من عمر الدعوة ، إلى أى شيء كان يدعو الناس ، وما طريقته وأسلوبه في مخاطبة الأمة التى بعث فيها .

الواقع أنه مكث تلك الفترة لاصلاح قلوب الناس وتخليصها من الشركاء المتشاكسين ، دعاهم إلى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ووعدهم بأنهم إن قالوها دانت لهم العرب والعجم ، وكان المخاطبون يفهمون معناها ، وما تضمنته من نفى واثبات .

وقد تحقق ذلك الوعد لمن قال تلك الكلمة **(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)** (النور : الآية ٥٥) .

أولئك الذين رباهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم تلك التربية الفريدة في نوعها حتى عمرت قلوبهم بالإيمان ، تلقوا الأحكام عند نزولها بصدور رحبة وإيمان راسخ ، فلبوا داعى الله قدموا نفوسهم رخيصة في سبيله ، يرجون إحدى الحسنيين وإلا فما الذى حمل الصحابي الجليل أن يرمي التمرات من يده ويتقدم للقتال حين علم أن ليس بينه وبين الجنة إلا الشهادة في سبيل الله . وما الذي حمل الغامدية أن تقدم نفسها للعقوبة حين ارتكبت معصية الزناء .

أولئك طبقوا قوله تبارك وتعالى : **(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)** (الأحزاب : الآية ٣٦) .

وقد استمر التمكين للمؤمنين حين بقوا على الشرط ـ يعبدونني لا يشركون بي شيئا ـ إن تنصروا الله ينصركم ٠

أقــول هــذا لأعود إلى كلمة قالها الشيخ الغزالى ، عن حال هؤلاء الملايين من المسلمين الذين يتهافتون على زيارة الأضرحة مقدمين لها النذور والقرابين ، يقول عن هؤلاء : « ولو دعوا لواجب ديني لفروا نافرين ، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار » ٠

لماذا كانوا كذلك ونحن نرى أن الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دعوا للواجبات الدينية استجابوا لله ولرسوله ، والناس هم الناس ٠

والجــواب : إن قلوب أولئك نقيت من شوائب الشرك بالله فأصبحت خالصة له ، لا يوجد بها شركاء متشاكسون ٠

وفي الحديث : إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ٠

فبصلاح القلوب تنقاد الجوارح ، فالقلب ملكها ، وفي المثل الشائع : الناس على دين ملوكهم ٠

وقد بين الشيخ الغزالى في كتابه عقيدة المسلم ص ٦٦ ـ ٦٧ بأن القول بأن هؤلاء الذين يهرعون إلى هذه الأضرحة يعرفون الله ، ويعرفون أنه وحده مجيب كل سؤال ، وباعث كل فضل ، ومن دونه لا يملكون من ذلك شيئاً ، إن هذا الدفاع لا يغنى شيئا ، لأن هذه المعرفة لا تصلح ولا تقبل إلا إذا صحبها إفراد الله بالدعاء والتوجه والاخلاص ، فإن المشركين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك ٠

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله)
(يونس : الآية ٣١ ـ ٣٢) ٠

ومع أنهم يقولون « الله » بصراحة وجلاء فلم يحسبوا بهذا القول مؤمنين ، لأن الإيمان ـ إذا عرفت الله حقاً ـ ألا تعرف غيره فيما هو من شؤنه ٠ ولذلك يستطرد القرآن في مخاطبة هؤلاء :

(... فقل أفلا تتقون ، فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ٠ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)
(يونس : الآية ٣١ ـ ٣٢) ٠

إن العامة عندما يشدون الرحال إلى قبور تضم رفات بعض الناس · وعندما يهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنون أنهم أبواباً لله ، إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة · ومهما قلبنا عملهم هذا من جميع وجوهه فلن نجد فيه ما يطمئن إليه ضمير المؤمن أبداً · ومحبة الصالحين وبغض الفاسدين من شعائر الإسلام حقاً ·

ثم قال : ومظاهر الحب والبغض معروفة ··· وهي مصادقة للأحياء أو منافرة ، واستغفار للموتى أو لعنة · وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذى يصطنعه المسلمون اليوم ؟ ؟ إن الواحد منهم قد يصادق أفسق الناس ، وقد يقطع والديه ـ وهما أحياء ـ ثم تراه مشمراً مجداً في الذهاب إلى قبر من قبور الصالحين ، لا ليدعو له ويطلب من الله أن يرحم ساكن هذا القبر ، بل ليسأل صاحب القبر من حاجات الدنيا والآخرة ما هو مضطر إليه وذلك ضلال مبين · اهـ ·

والإسلام بصفائه ونقائه ، ومنهجه الذى سلكه في المحافظة على سلامة فكر وسلوك اتباعه قطع دابر كل وسيلة تصل الإنسان بالشرك ، فالبناء على قبور الصالحين قباباً واتخاذ المساجد عليها الذي كان تقليداً قديماً قضى عليه الإسلام ، إذ أن ذلك من مظاهر الوثنية ، فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأمره أن يسوى بالأرض كل قبر مشرف ، وأن يهدم كل صنم ، فجعل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في اضلال الناس ·

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته عند وفاته مما صنعته الأمم السابقة : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا لا تتخذوا القبور مساجد أني أنهاكم عن ذلك » ·

وكان يرفع الخمرة عن وجهه في مرض الموت ويكرر هذا الدعاء : « اللهم لا تجعل قبرى من بعدى وثناً يعبد » ·

يقول الشيخ الغزالى بعد ذكر هذه الأحاديث التى حذر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتباع اليهود والنصارى : « ومع هذا التحذير كله ومع كثرة الدلائل التى انتصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحظور فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين ، وتنافسوا في تشييد الأضرحة حتى أصبحت تبن على أسماء لا مسميات لها بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات · ومع ذلك فهى مزارات مشهورة ومعمورة تقصد لتفريج الكرب وشفاء المرضى وتهوين الصعاب » (١) · اهـ

(١) عقيدة المسلم ص ٦٨ ·

٢) أ ـ **الحب القلبي :**

حين نزل القرآن الكريم كان المخاطبون يتخذون انداداً من دون الله ، حسية مثل الأصنام المتخذة من الأحجار والأخشاب وغيرها ، إذ كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ٠ ومعنوية كالقبيلة وغيرها من أوثان الجاهلية التى لا يستطيع المرء الخروج عليها وان تأكد له خطأ سلوكها ، فقد قال قائلهم في التمسك بما عليه قبيلته ولو كان ظلماً وعدواناً :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

هذه الأنداد يحبها المشركون حباً يجعلهم يقدمون محبتها على محبة الله ٠ **(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ٠٠٠)** (البقرة : الآية ١٦٥) ٠ فتسويتهم محبتها بمحبة الله شرك أكبر ، فكيف إذا قدموا حبها على حبه ٠

(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) (الأنعام : الآية ١٣٦) ٠

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك ٠

وقد أخبر الله عن حال كثير من الناس الذين يتخذون مع الله الأنداد ، كيف تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً في العبادة ، وإلى شريعته وحدها قانوناً في الحكم ، والى منهج الله وحده نظاماً للحياة ، أما إذا ذكرت المناهج الأرضية نظاماً للحياة وشريعة في الحكم فرحوا واستبشروا يقول تعالى : **(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون)** (الزمر : الآية ٤٥) ٠

أما المؤمنون بالله فقد وصفهم الله بأنهم أشد حباً لله **(والذين آمنوا أشد حباً لله)** أى المؤمنون بالله أشد حباً له من حب المشركين لآلهتهم (١) ٠ لذلك فهم يقدمون أنفسهم رخيصة في سبيله فقد باعوها له **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ٠٠٠)** (التوبة ، الآية ١١١) ٠

ب ـ محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من صميم الدين ، ولا يؤمن أحد حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ٠

(١) ابن جرير ٢ / ٦٦ ، طبعة ثانية ١٣٧٣ هـ ٠

ومن علامات حب المؤمن للرسول صلى الله عليه وسلم نصر دينه بالقول والفعل والذب عن سنته ، والتخلق بأخلاقه ، وتقديم ما شرعه وأمر به على هوى النفس وشهواتها ، وكذلك كثرة ذكره بالصلاة عليه فمن صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا .

ثم أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تستلزم طاعته واتباعه وبذلك يستحق العبد حب الله له .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (آل عمران : الآية ٣١) .

فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فكتاب الله يكذبه .

والمطلوب من العبد ديناً أن يحب الله ، وأن يحبه الله ، ولا يحب الله عبده إلا إذا اتبع نبيه ظاهراً وباطناً ، وصدقه خبراً ، وأطاعه أمراً ، وآثره طوعاً واختياراً .

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ...) (النساء : الآية ٥٩) .

(... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ...) (الحشر : الآية ٧) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده .

وفي رواية أنس رضى الله عنه : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (١) .

وفي البخاري في كتاب الإيمان والنذور .. من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لأنت يارسول الله أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى . فقال : لا . والذى نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال عمر : فإنك الآن أحب إلى من نفسي . فقال : الآن ياعمر (٢) .

ولاشك أن حظ أصحابه الذين كانوا معه من هذا الحب كان اتم ، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ومنزلته أعلم من غيرهم ، والناس يتفاوتون في ذلك وقد عبر بعض الصحابة عن هذا الحب المكين بأقوالهم وأفعالهم .

---

(١) خ / الإيمان - فتح البارى ١ / ٥٨ ح ١٤ ، ١٥ .

(٢) خ / الإيمان والنذور - فتح البارى ج / ١١ / ٥٢٣ ح ٦٣٢ .

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه . وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه اجلالاً له . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت . لأنى لم أكن أملأ عيني منه (١) .

هكذا كانت محبة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحبونه أكثر من أنفسهم ، يقتدون به يطيعون أوامره يجتنبون ما نهى عنه .

وما نشأت البدع إلا من تقديم هوى النفس على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بسنته ولذلك سُمّي منتحلوها بأهل الأهواء .

(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) (القصص : الآية ٥٠) .

ولا يعصم من الهوى إلا طاعة الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

يقول ابن القيم في النونية ص ٥٧٩ :

فهـو المطـاع وأمره العالى على ... أمـــر الورى وأوامر السلطـــان
وهـوالمقــدم فى محبتنا على الـ ... أهـــلـــين والأزواج والولــــدان
وعلى العبـــاد جميعهم حتى على ... النفس التى قـــد ضمهـــا الجنبـــان

فهل ما يعمله كثير من الناس بدعوى المحبة للرسول من أمور لم يعملها الصحابة الذين عرفنا اجلالهم وتقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مديح واطراء يكون محبة .

ففي حديث عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله (٢) .

ولكن ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وخشيه على أمته وقع الناس فيه .

ففي نظم البوصيري قوله :

يا أكـرم الخلق مالى من ألوذ به ... ســواك عند حلـول الحادث العمم
إن لم تكن فى معادى آخذاً بيدى ... فضـــلاً وإلا فقل يا زلـــة القـــدم

(١) مسلم : كتاب الإيمان ١ / ١١٣ ح ١٩٢ .
(٢) أخرجاه في الصحيحين .

وقولـــه :

فإن من جودك الدنيـــا وضرتهـــا ومن علـــومك علـــم اللـــوح والقلم

فاذا كانت الدنيا وضرتها من جود الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن « **من** » للتبعيض ، فماذا بقى للخالق جل وعلا ، والله يقول لنبيه : **قل لوكنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير وما مسنى السوء ...** » ٠٠ وقالت عائشة رضى الله عنها لمسروق كما فى صحيح مسلم ١ / ١٥٩ ح / ٧٨١ (ومن قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم يعلم ما فى غدٍ فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : « **قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** » (النمل / ٦٥) ٠

فهذا الغلو والاطراء هو الذى حذر الرسول أمته صلى الله عليه وسلم منه ٠ حيث قال : لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم ٠ وقد صار حظ أكثر هؤلاء منه صلى الله عليه وسلم مدحه بالاشعار والقصائد والغلو الزائد ، مع عصيانهم له في كثير من أمره ونهيه (١)

٣) الشـــــفعاء :

لقد سلك المشركون في اتصالهم بالله مسلك اتخاذ الوسطاء ليتشفعوا لهم عند الله ٠

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (يونس : الآية ١٨) ٠

تبين الآية الكريمة أن هؤلاء يعبدون آلهة لا تنفعهم ولا تضرهم في الدنيا حال عبادتهم إياها ٠ فقولهم عنها إنها تشفع لهم في المآل عند الله جهل شنيع ، ولذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخاطبهم خطاب المنكر عليهم ٠

(قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض) كما بين لهم أن هذا زعم باطل فالشفاعة لا تكون عند الله إلا باذنه ٠

(من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) (البقرة : الآية ٢٥٥) ٠

إن اتخاذ شفعاء يخافون ويرجون ويطلب منهم أن يشفعوا لهم عند الله شرك بالله ، لأن الشفاعة لا تكون عند الله الا بإذنه ٠ والله لا يعلم لنفسه شريكاً ولا شفيعاً ٠

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠

وقد اتخذ كثير من الناس هذا العمل المنافي لتوحيد الله وسيلة إلى الله وأسموه توسلا بالصالحين وقد لبس إبليس وأعوانه على كثير من الناس في هذا الباب وحرمهم من حق تمتع هو به فقد قال لهم :

ا ـ إنكم عصاة والله إنما يتقبل من المتقين ، فلو ذهب الإنسان ليدعو ربه وهو متلبس بالسيئات لم يجب الله سؤاله ـ لذا فلابد من واسطة مقبولة ولا تكون تلك الواسطة إلا الولى الصالح ٠

ب ـ إن هذا العمل ليس شركاً لأن النية هى معيار الحكم على الأعمال ، وأنتم لم تنووا شركا ٠

جـ ـ ثم إن مثل هذا العمل جائز فقد كان العلماء يتوسلون إلى الله بالأنبياء وغيرهم من الصالحين ٠

هذه بعض الشبه التى تلقى ليتقبل الناس مثل هذه الأعمال ٠

ونرى أن نبدأ أولاً بذكر التوسل المشروع ، ثم نبين بعد ذلك وجهة الرد على الشبه التى سبق ذكرها والتى لبس بها على كثير من الناس فنقول : إن التوسل المشروع هو :

١ ـ التوسل بالإيمان بذات الله ـ (**ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها**) ٠ فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (اللهم اني أسألك بأنك أنت الله الذى لا إله إلا هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) (١) ٠

٢ ـ التوسل بالعمل الصالح ـ كما في قصة الثلاثة الذين آواهم الغار ، فانطبقت عليهم صخرة ، فكل واحد منهم دعا الله بعمله الخالص الذى قدمه لله تعالى وطلب منه أن يفرج عنهم ما هم فيه وهكذا دعا الثلاثة حتى ازيحت الصخرة عنهم فخرجوا يمشون (٢) ٠

٣ ـ دعاء المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب ، ولا فرق في ذلك بين الفاضل والمفضول فقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم من عمر بن الخطاب أن يدعو له ، بل والمسلمون يدعون له ويطلبون له الوسيلة دائماً ٠

٤ ـ إذا توسمت في شخص ما أنه من أهل الصلاح والتقوى ، وأحببت أن يدعو لك جاز لك ذلك فتطلب منه أن يدعو الله وأنت تؤمن على دعائه ٠

---

(١) حم ٤ / ٣٣٨ من حديث محجن بن الأذرع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وس / الدعاء ٣ / ٤٥ من حديث محجن ٠

(٢) متفق عليه ٠ خ / ٠ م / كتاب الذكر والدعاء / باب قصة أصحاب الغار ٤ / ٩٩ ، ح ١٠٠ ٠

هذه الأنواع هي الأنواع المعروفة في هذا الباب وعمل بها سلفنا الصالح ، أما تلبيس إبليس وأعوانه على الناس بأنهم عصاة والله يتقبل من المتقين فلا بد من واسطة ، وهم يقولون هذا عند التوجه إلى الأضرحة والطلب من أصحابها ما لا يقدر عليه إلا الله فهذه مغالطة :

فالمشركون دعو الله مباشرة بدون واسطة واستجاب الله دعاءهم . **(... دعو الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق)** (يونس : الآية ٢٢ ، ٢٣) .

وإبليس نفسه دعا ربه مباشرة بدون واسطة جبريل أو غيره من الملائكة ممن لم يعص الله وأجيب .

(قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال : فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم) (الحجر : الآية ٣٦ ـ ٣٨) .

فكيف يجوز هذا الحق للمشركين ، ولإبليس وهو رئيس العصاة وقائد الكفار إلى النار ، ولا يسوغ لجمهور المسلمين العصاة أن يلجؤا الى ربهم والله يقول : **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ...)** (غافر : الآية ٦٠) .

بل القرآن يدعو العصاة والذين ارتكبوا فواحش وظلموا أنفسهم ان يلجؤا الى الله ويستغفروه مباشرة .

(... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) (آل عمران : الآية ١٣٥) .

(... غافر الذنب وقابل التوب ...) (غافر : الآية ٣) .

وأما كون النية هي معيار الحكم على الأعمال .

فالجواب : إن العمل الصالح المقبول يشترط فيه شرطان :

١ ـ النية الخالصة **(ألا لله الدين الخالص)** **(إنما الأعمال بالنيات)** .

٢ ـ أن يكون موافقاً لما أمر به الله ورسوله . ودعاء الأموات والتقرب إليهم ممنوع شرعاً بل هو شرك بالله . **(ومن أضل ممن يدعوا من دون الله)** (الأحقاف : الآية ٥) .

والقول بأن العلماء كانوا يفعلون ذلك غير صحيح ، فالعلماء ما كانوا يتوسلون بالموتى اطلاقاً ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم في زمن عمر بن الخطاب حين اجدبوا طلبوا منه أن

يستسقى لهم فلما فرغ من الصلاة قال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك فتسقنا والآن نستسقى بعم نبيك (١) · قم ياعباس فادع الله لنا فقام ودعا لهم والمسلمون يؤمنون على دعائه ومن دعائه :

« اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث » ·

ولم يثبت عن الصحابة ولا التابعين ومن سلك منهجهم أنهم توسلوا بذوات الأحياء ، إنما كان توسلهم بدعائهم ، كما في قصة عمر هذه مع العباس ·

٤) النيـــة والقصـــد :

الأعمال الصالحة المقبولة عند الله تعالى : هي ما كانت خالصة لوجهه تعالى ، موافقة لشرعه ·

قال تعالى : **(ألا لله الدين الخالص)** · **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)**

وفي الحديث : « إنما الأعمال بالنيات » ·

وقد شاع عند الكثير من الناس القول بأن العمل لا ينظر إليه وإنما تعتبر النية المصاحبة له ·

وهذا القول غير صحيح في الشريعة الإسلامية · وإنما العمل المقبول المثاب عليه عند الله يشترطه فيه شرطان :

١ ـ النية الصالحة لقوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات · وهذا معنى قوله : ألا لله الدين الخالص · فإذا خالط هذه النية أمراً آخر بأن يعمل هذا العمل من أجل أن ينال دنيا ، أو يثني عليه من يشاهده كان مرائياً · وذلك يحبط عمله هذا الذى صار فيه الرياء ·

٢ ـ أن تكون صورته موافقة للشرع ، وإلا كان مبتدعا · وهذا معنى قول العلماء في العمل المقبول عند الله « أن يكون خالصاً صواباً » ·

يقول الله تعالى في ذلك منبهاً عباده إلى أن تكون أعمالهم التي يتقربون بها إليه تعالى خالصة له ·

---

(١) خ / الاستسقاء / باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء اذا قحطوا / فتح البارى ٢ / ٤٩٤ ح ١٠١٠ ·

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود : الآية ١٥ ، ١٦) .

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً ، فكل من التمس الدنيا بعمل الآخرة أُوفي الذى التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذى كان يعمله ، وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقيل إن الآية نزلت في اليهود والنصارى ، ولكن حكمها عام لكل من اتصف بهذا الوصف (١) .

٥) حـــق التشـــريع :

قال الله تعالى : **(اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)** (التوبة : الآية ٣١) .

١ ـ الاحبار جمع حبر وهم علماء اليهود .

٢ ـ الرهبان جمع راهب وهم علماء النصارى .

والرب هو الخالق المالك المتصرف في خلقه كيف يشاء . وهو المشرع لهم فهو أعلم بما يصلح حال عباده في حالهم ومآلهم **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** . وقد وصف الله من تصدى لذلك بأنه مفتر على الله كذاب في تشريعه لأن نص التحليل والتحريم لله وحده . **(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)** فهذا حق له تعالى لا يجوز لمخلوق أن يتقدم بين يدى الله فيشرع لعباده من دونه ، ان ذلك مشاركة الله فيما هو من خصائصه والذين يتقبلون هذا التشريع وتطمئن نفوسهم إليه ويعملون به هم مشركون بالله .

فاتخاذ الأحبار والرهبان أربابا هو في التشريع إذ الأحبار والرهبان مخلوقون لله كغيرهم من البشر ، إلا أنهم شاركوا الله في تشريعهم لخلقه بالتحليل والتحريم الذى هو من خصائص الخالق سبحانه وتعالى . يفسر هذا حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه الذى رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما حين جاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية :

---

(١) ابن كثير ٢ / ٤٣٩ .

(**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**) الآية . قال : قلت إنهم لم يعبدوهم . فقال : « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » .

وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير « اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وقال السدى : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى : (**وما أمروا إلا ليعبدو إلهاً واحداً**)أى الذى إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ (**لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**) (١) .

يقول سيد قطب في ظلال القرآن ج ٤ / ٢٠٣ بعد أن نقل كلام ابن كثير وغيره في تفسير الآية : (**ومن النص القرآنى الواضح الدلالة ، ومن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو فصل الخطاب ، ثم من مفهومات المفسرين الأوائل والمتأخرين ، تخلص لنا حقائق في العقيدة والدين ذات أهمية بالغة نشير إليها هنا بغاية الاختصار .**

* إن العبادة هى الاتباع في الشرائع بنص القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية إليهم ... ومع هذا فقد حكم الله ـ سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية ـ وبالكفر في آية تالية السياق ـ لمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها واتبعوها .. فهذا وحده ـ دون الاعتقاد والشعائر يكفى لاعتبار من يفعله مشركا بالله الشرك الذى يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين .

* إن النص القرآني يسوى في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم وأطاعوهم واتبعوهم ، وبين النصارى الذين قالوا بألوهية المسيح اعتقاداً وقدموا إليه الشعائر في العبادة . فهذه كتلك سواء في اعتبار فاعلها مشركا بالله ، الشرك الذى يخرجه من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين .

* إن الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عبادة ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهية ، ولا تقديم الشعائر التعبدية له .

ويخلص بعد ذلك الى القاعدة المعروفة عند المفسرين والأصوليين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأن القرآن تشريع عام للبشرية كلها في كل زمان ومكان .

---

(١) ابن كثير ح ٢ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

فيقول : « إن دين الحق الذى لا يقبل الله من الناس كلهم دينا غيره هو (الإسلام) .. والإسلام لا يقوم إلا باتباع الله وحده في الشريعة - بعد الاعتقاد بألوهيته وحده وتقديم الشعائر التعبدية له وحده - فاذا اتبع الناس شريعة غير شريعة الله صح فيهم ما صح في اليهود والنصارى من أنهم مشركون لا يؤمنون بالله - مهما كانت دعواهم في الإيمان - لأن الوصف يلحقهم بمجرد اتباعهم لتشريع العباد لهم من دون الله بغير انكار منهم يثبت فيه أنهم لا يتبعون الا عن اكراه واقع بهم لا طاقة لهم بدفعه وانهم لا يقرون هذا الافتئات على الله » .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال فِتَناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، أو يُمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينَهُ بِعَرَضٍ من الدنيا » .

(أخرجه مسلم) .

عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في النار » ، فلما قفّى دعاه فقال : « إنّ أبِي وأبَاك في النّارِ » .

(أخرجه مسلم) .



يقول الله عز وجل :

« هُوَ اللهُ الذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ عالِمُ الغيبِ والشهادةِ هُوَ الرحمنُ الرحيمُ ● هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هُوَ الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجَبَّارُ المتكبرُ سبحانَ اللهِ عما يُشركونَ ● هُوَ اللهُ الخالقُ البارىءُ المصوِّرُ لهُ الأسماءُ الحُسْنَى ، يُسبحُ لهُ ما في السماواتِ والأرضِ وهُوَ العزيزُ الحكيمُ »

(الحشر ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) ٠

تشتمل هذه الآيات الكريمات على ستة عشر اسماً من أسماء الله الحسنى ، هى :

الله ـ العالم ـ الرحمن ـ الرحيم ـ الملك ـ القدوس ـ السلام ـ المؤمن ـ المهيمن ـ العزيز ـ الجبار ـ المتكبر ـ الخالق ـ البارىء ـ المصور ـ الحكيم ٠

وقد أسلفت الكتابة في حلقات سابقة بما يسر الله لى من بعض معاني أسمائه :

الله ـ العالم ـ الرحمن ـ الرحيم ـ الملك ـ العزيز ـ البارىء ـ الحكيم ٠٠

وأحاول ـ بحول الله وقوته ـ أن أكتب في هذه الحلقة شيئاً مما ييسر الله تعالى لى فهمه من معاني باقي الأسماء في الآيات الشريفات المذكورات ٠

وقبل أن أدخل في هذا البحث أود أن أشير إلى أول كلمة في هذه الآيات وهى قوله تعالى : (هو) ، ذلك أن بعض الذين شرحوا أسماء الله الحسنى ، ذكروا أن هذه الكلمة إنما هى اسم من أسماء الله الحسنى ، ـ وهذا مسلك عجبت له كثيراً ، لهذا أردت أن أبين خطأ هذا الفهم لقيامه على غير دليل ٠

(هو) ليس اسماً من أسماء الله الحسنى :

من الذين قالوا إن (هو) اسم من أسماء الله الحسنى أبو القاسم عبد الكريم القشيري (١) في كتابه (شرح أسماء الله الحسنى) (٢) ، وكان نص ما قاله ما يأتي :

(اعلم أن « هو » اسم موضوع للإشارة ، وهو عند الصوفية إخبار عند نهاية التحقيق ، وهو يحتاج عند أهل الظاهر (٣) إلى صلة تعينه ليكون الكلام مفيداً ، لأنك إذا قلت : هو ثم سكتَّ ، فلا يكون الكلام مفيداً حتى تقول : هو قائم أو قاعد ، أو هو حي أو ميت وما أشبه ذلك .

فأما عند القوم (٤) فإذا قلت هو ، فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق ، فيكتفون عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب باستيلاء ذكر الله على أسرارهم وانمحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه (٥) ، . وكان الإمام أبو بكر بن فورك رضى الله عنه يقول : هو : حرفان : هاء وواو ، فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج ، والواو تخرج من الشفة وهو أول المخارج ، فكأنه يشير إلى ابتداء كل حادث منه وانتهاء كل حادث إليه وليس له ابتداء ولا انتهاء ، وهو معنى قوله سبحانه (هو الأول والآخر) ، ، فقوله : (هو الأول) : إخبار عن قدمه ، وقوله (الآخر) إخبار عن استحالة عدمه) (٦) .

---

(١) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الملقب بجمال الدين ، إمام التصوف في عصره المولود عام ٣٧٦ هـ والمتوفى عام ٤٦٥ هـ .

(٢) حققه وشرحه الأستاذ عبد المنعم عبد السلام الحلواني .

(٣) **أقول** : يشير القشيري بقوله : أهل الظاهر : إلى عقيدة أهل التصوف الذين يقولون إن الإسلام له وجهان : وجه ظاهر ، ووجه باطن : فالوجه الظاهر هو النصوص ويسمونه الشريعة ، ويسمون الذين يتمسكون بالنصوص أهل الظاهر أو أهل الشريعة ، والوجه الباطن هو المعاني البعيدة الخفية للنصوص التي لا يعلمها أهل الظاهر، ويسمون هذا الباطن الحقيقة ، ويسمون الذين يعرفونها أهل الحقيقة وهم في نظرهم الصوفية وهذا كلام باطل لأن الإسلام ليس له ظاهر وباطن ؛ بل إن ظاهره كباطنه . يشير إلى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) .

(٤) أقول : يقصد بالقوم : الصوفية .

(٥) أقول : يقصد أنهم يغيبون عن عالم الشهادة ، وهذه هى عقيدة الفناء في الله ، وهى من عقائد الصوفية الخبيثة الباطلة .

(٦) **أقول** : هذا كلام خبط لا سند له ، فكم من الكلمات أولها يخرج من أقصى الحلق وآخرها يخرج من الشفتين ولا تشير إلى ابتداء ولا انتهاء مثل (هُبْ) ، و (هُمْ) ، و (هُفْ) وما شاكل ذلك ، فليس لمخارج الكلمات مُعَوَّل في المعنى . إضافة إلى ذلك فإن كلمة (هو) إنما هى ضمير يدل على الغائب ، وليس اسماً ، فضلاً عن أن يكون اسماً لله تعالى ـ ويجب أن يعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية يوقَفُ فيها عندما ورد النص به ، ولا مجال للاجتهاد فيها ـ ولم يرد نص في الكتاب والسنة على أن (هو) اسم من أسماء الله تعالى ، وإنما ذلك من تلبيسات إبليس التى أوحى بها إلى أعوانه فيما سول لهم وأملى لهم .

ثم قال القشيرى : (وقد حكى عن بعضهم أنه قال : رأيت بعض الوالهين ، فقلت ما اسمك ؟ فقال : هو ، قلت : من أنت ؟ فقال : هو ، قلت : من أين جئت ؟ فقال : هو ، قلت : من تعنى بقولك : هو ؟ فقال : هو ، فما سألته عن شيء إلا قال : هو . فقلت : لعلك تريد الله ، قال : فصاح وخرجت روحه) (١) .

ثم قال القشيري : (وقال أهل الإشارة (٢) : إن الله تعالى كاشف الأسرار بقوله : هو ، وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء ، وقيل كاشف المحبين بقوله : هو ، وكاشف المُتَيَّمِينَ بقوله : الله ، وكاشف العلماء بقوله : أحد ، وكاشف العقلاء بقوله : الصمد ، وكاشف العوام بقوله : (لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) ، وقيل : كاشف الخواص بإلهيته ، وكاشف خاصة الخاصة بهويته ... الخ) (٣) .

هذا ما قاله القشيري في معنى (هو) (٤) .

وأعجب مما كتبه القشيري ، ما كتبه محقق وشارح كتابه المذكور في هامشه ، إذ قال :

(هو : اسم من أسماء الله ، له هيبة وجلال عند أرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهدة (٥) . ومخرجه من باطن القلب ، وله حرارة تزكى الجسد والروح ،

---

(١) أقول : وهذه الحكاية ـ فضلاً عن نسبتها إلى مجهولين بدون إسناد . فإنها نوع من خيال المبتدعة المبطلين الذين يعيشون مع الأوهام التي تنسجها لهم الشياطين .

(٢) أقول : يقصد بأهل الإشارة : الصوفية .

(٣) أقول : قوله كاشف بقوله (هو) ليس دليلا على أن اسمه سبحانه (هو) .. بل إن (هو) ضمير يدل عليه سبحانه كما يقول تعالى : (إني **أنـا** ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى • **وأنـا** اخترتك فاستمع لما يُحى • إننى **أنـا** الله لا إله إلا **أنـا** فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى) ، فهل قال أحد بأن كلمة (أنا) اسم من أسماء الله تعالى ؟ ما قال بذلك أحد ، بل قال الجميع .. إن هذه الكلمة ضمير يدل على المتكلم ـ فما الفرق إذن بين الضمير المتكلم (أنا) والضمير الغائب (هو) ؟ لا فرق بينهما في كون كل منهما ضميراً ، وليس واحد منهما اسماً من أسماء الله تعالى على الإطلاق . ودليلنا في هذا عدم ورود النص في الكتاب والسنة بشيء من ذلك . والله سبحانه أعلم .

(٤) شرح أسماء الله الحسنى للقشيرى ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٥) أقول : يقصد المحقق الشارح بأرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهد : أهل الطرق الصوفية .

ذلك بأن عقيدة هؤلاء الضالة الباطلة أن غاية التصوف : إنما هو الكشف والمشاهدة . بمعنى أن يكشف لأحدهم اللوح المحفظ فيقرأ فيه ماكان وما سيكون ، وأن يشاهد الله تعالى فيراه رأى العين . ويقرر الغزالى في كتابه إحياء علوم الدين جزء ٢ ص ١٦٦ أن المشاهدة تتم أثناء الخلوة إذ يقول : (الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم ، فإن لم يكن له مكان مظلم . فيلف رأسه بجيبه أو يدثر بكساء أو ازار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق . ويشاهد جلال الحضرة الربوبية) ـ وعقيدة المشاهدة باطلة . والحق فيها ما اعتقده أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى ادخر رؤيته سبحانه للمؤمنين في الجنة . فتكون هذه الرؤية لهم في وضوحها كما يرون القمر ليلة البدر . وتكون أعظم ما ينالون .. بل أعظم من الجنة . وذلك في قوله تعالى : **(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)** (يونس أية ٢٦) . والحسنى هى الجنة . والزيادة هى النظر إلى وجه الله عز وجل . ومن ثم فرؤية الله في الدنيا لم يمكن عباده منها بل ادخرها للمؤمنين في الجنة . ومن هذا يتضح بطلان عقيدة الصوفية في المشاهدة في الدنيا .

ومعناه حاضر لا يغيب ، لا يشتمل عليه زمان ، ولا يحويه مكان ، منزه عن مشابهة الحوادث ، قريب من عبده في أي زمان ومكان ، الإله هو ، ولا إله إلا هو ، إلى أن قال : هو مصدر الجلال والجمال لأهل شهود النور الذاتي والمعنوي (١) ـ ثم قال : هو هو ، ولا مشهود غيره (٢) . ثم قال : وهو الضمير الدال على اسم الله ، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (٣) .

وهكذا يبين لنا مما كتب أولئك الصوفية ، أنهم يزعمون أن ضمير الغائب (هو) هو اسم من أسماء الله الحسنى ، ولذلك ينادونه سبحانه بقولهم :

(يا هو) كقول قائلهم : (فيا هو قل أنتَ أنا ويا أنا قل أنت هو)

كما تجد أولئك القوم يذكرون الله تعالى في أذكارهم وحضراتهم بهذا الضمير على أنه أحد أسمائه الحسنى سبحانه . فنسمعهم يقولون : (هُو ـ هُو ـ هُو ـ هُو) ويرددون هذه الكلمة مئات المرات زاعمين أنهم يذكرون الله باسم من أسمائه الحسنى .

وقد كذبوا على الله تعالى ، وسمَّوه بما لم يسمِّ به نفسه ، وشرعوا له ما لم يشرعه سبحانه ، وقالوا عليه بغير علم ، والله تعالى حرم ذلك فقال جل وعلا : **(قل إنما حَرَّمَ رَبِّىَ الفواحشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ ، والإثمَ والبَغْىَ بغيرِ الحق ، وأنْ تُشْرِكُوا بالله ما لم يُنزِّلْ به سُلْطَاناً ، وأن تَقُولُوا على الله مالا تَعْلَمُون)** (الأعراف آية ٣٣) .

---

(١) أقول : يقصد الشارع عقيدة المشاهدة الباطلة .

(٢) أقول : يشير الشارح إلى عقيدة أخرى من عقائد الصوفية الزائغة وهى عقيدة وحدة الوجود . ويعنون بها أن الله حل في كل شيء ، فأصبحت الموجودات كلها لا حقيقة لوجودها غير الله . فكل شيء هو الله . وذلك يظهر من قول قائل الصوفية :

فـيا هو قـل أنـت أنـا ويا أنـا قـل أنت هـو
ما فى الوجـود غيرنـا أنـا وهـو وهـو وهـو

وقولـه :

وفـى كـل شىء لـه آيـة تـدل على أنـه عينـه

وقول الزنديق محيى الدين بن عربى :

الرب عبـدٌ والعبـد ربٌ ياليت شـعرى من المكلف ؟
إن قلـتَ عبدٌ فـذاك ربٌ أو قلـت ربٌ أنى يكـلـف ؟

وقوله كذلك :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنـا وما الله إلا راهب فى كنيسة

وهذا الهراء معناه أن الله حَلَّ في العبد ، وفي الكلب ، وفي الخنزير ، وفي كل شيء ، وصار كل شيء في الوجود هو الله ... تعالى الله عما يقول أولئك المجرمون عُلُوًّا كبيراً .

(٣) المرجع السابق ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٠٢٣ .

وأهل السنة يؤمنون بأسماء الله الحسنى التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة ، فهي توقيفية يُوقَفُ عند ما نُص عليه ، وقد خلصت له الأسماء السنية ، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق ، لم يَستحدث تعالى صفةً كان منها خلياً ، ولا اسماً كان منه بريًّا ، تبارك وتعالى (١) .

ومن ثم فليس لأحد ـ كائناً من كان ـ أن يسمى الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه ، أو يشرع غير ما شرع الله .

بعد أن انتهيت من هذا المبحث ، أدخل الآن في إتمام عرض ما ييسر الله تعالى لى من معاني باقي الأسماء في الآية التي صدرت بها هذه الحلقة ، وذلك فيما يلي :

القُدُّوس :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو بضم القاف (قُدُّوس) على وزن (فُعُّول) وهو صيغة مبالغة من (القُدْس) وهو الطهارة . ولكن سيبويه كان يرى أنه بالفتح (قَدُّوس) على وزن (فَعُّول) لأنه ليس عنده في الكلام (فُعُّول) أصلاً . وقال ثعلب : كل اسم على (فَعُّول) فهو مفتوح الأول مثل سَفُّود وكَلُّوب وسَمُّور وشَبُّوط وتَنُّور إلا السُّبُّوح والقُدُّوس فإن الضم فيهما أكثر ، وقد يُفتحان (٢) .

واسم (القُدُّوس) سبحانه متضمن لكمال طهارته من جميع صفات النقص والعيب .

● وقد ورد اسم (القُدُّوس) جل وعلا في القرآن الكريم مرتين فقط (٣) : مرة في قوله تعالى : **(هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القُدُّوس ...)** (الحشر آية ٢٣) ، ومرة في قوله تعالى : « **يسبح لله ما في السموات وما فى الأرض الملك القُدُّوس العزيز الحكيم** » (الجمعة آية ١) .

وقد ذكر الإمام ابن كثير في معنى (القُدُّوس) قوله : قال وهب بن منبه : الطاهر ، وقال مجاهد وقتادة : المبارك ، وقال ابن جريج : تُقَدِّسه الملائكة الكرام (٤) .

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٢ .

(٢) مختار الصحاح في مادة (ق د س) .

(٣) المعجم المفهرس ص ٥٣٨ .

(٤) تفسير ابن كثير الجزء ٤ ص ٣٤٤ .

وقال صاحب جامع البيان في معني (القُدُّوس) : الطاهر البليغ في النزاهة عن كل نقصان (١) .

وقال الإمام الشوكاني في معنى (القُدُّوس) : الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص .

والقَدُوس بالتحريك في لغة أهل الحجاز السطل لأنه يتطهر به ، ومنه القادوس لواحد الأواني التى يُستخرج بها الماء ، وقرأ الجمهور (القُدُّوس) بضم القاف ، وقرأ أبو ذر وأبو السماك بفتحها ، وكان سيبويه يقول (سَبُّوح قَدُّوس) بفتح أولهما (٢) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في معنى (القُدُّوس) : المقدس من كل عيب ونقص المعظم المجد ، لأن (القُدوس) يدل على التنزيه من كل نقص والتعظيم لله في أوصافه وجلاله (٣) .

● أقول : واسم (القُدُّوس) أفهم منه أنه اسم من أسماء الله الحسنى الذي يدل على أبلغ الطهارة المطلقة من كافة صفات النقص لله عز وجل ، إذ قد تنزه سبحانه عن جميع النقائص ونفاها عن نفسه ، فوجب على المؤمن أن ينزه خالقه جل وعلا عن كل عيب ونقص ، ولا سبيل له إلى ذلك إلا بأن يثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى وصفات الكمال العليا ، دون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، وأن ينفى عن الله جل وعلا ما نفى عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص ، كما أثبت السلف الصالح رضوان الله عليهم ونفوا ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، انطلاقاً من قوله تعالى : « **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ** » (الشورى آية ١١) .

السُّبُوح :

وهو اسم من أسماء الله عز وجل على صيغة (فُعُول) وهو صيغة مبالغة ـ ولم يرد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم ، وإنما ورد في السنة المشرفة : فقد روى الإمام مسلم في صحيحه ـ بسنده ـ عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِخِّير أن عائشة (رضى الله عنها) نبأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ) ـ

---

(١) جامع البيان الجزء ٢ ص ٣٥٠ .
(٢) فتح القدير الجزء ٥ ص ٢٠٧ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء ٨ ص ١٠٧ .

وقد ذكر الإمام النووى أن قوله (سُبُوحٌ قُدُّوسٌ) بضم السين والقاف وبفتحهما والضم أفصح وأكثر . وأن المراد بالسُبُوح القُدُّوس : المُسَبَّح المُقَدَّس فكأنه قال : مُسَبَّحٌ مُقَدَّسٌ رب الملائكة والروح . ومعنى سُبُّوح : المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق ، وقُدُّوس : المُطهر من كل مالا يليق بالخالق .

وقال القاضي عياض أنه قيل فيه : سُبُّوحاً قُدوساً على تقدير أُسبِّح سُبُّوحاً ، أو أذكر ، أو أعظم ، أو أعبد . وأن قوله : ربُّ الملائكةِ والرُّوحِ قيل : الروح ملك عظيم ، وقيل : يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام ، وقيل : خلق لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة ، والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

● أقول : واسم (السبوح) أفهم منه أن الله عز وجل هو المستحق وحده أن ينزه عن جميع النقائص والعيوب ، إذ أنه تبارك وتعالى وحده صاحب صفات الكمال ونعوت الجلال المطلقة التي لا حدود لها . وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك إيماناً كاملاً .

ولو أن المؤمن آمن بأن الله سبحانه هو (السُّبُّوح القُدُّوس) واستقر ذلك الإيمان خالصاً في قلبه ، وبدا أثره على لسانه وجوارحه ، لما فتر عن تسبيح خالقه وتنزيهه تنزيهاً كاملاً عن النقائص جميعاً ، ولحرص على تطهير قلبه من الأرجاس والشركيات والدنايا ، والتزم توحيد الله عز وجل ، ولما صدر عن قلبه إلا العمل الخالص الطاهر ، لأن الإناء لا ينضح إلا بما فيه ، ومن ثم يقبل الله عمله ، ويدخله في رحمته ورضوانه .

السَّلَام :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، وهو مصدر كالسلامة من سَلِمَ أى برىء من العيوب .

● وقد ورد اسم (السَّلَام) في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : « **هو الله الذي لا إله إلا هو الملكُ القُدوسُ السَّلَام ..** » (الحشر آية ٢٣) .

وقد ذكر أبو إسحاق الزجاج في معنى (السَّلَام) : أنه هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه (٢) .

وذكر الإمام ابن كثير في معنى (السَّلَام) : أى من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ـ الجزء ٤ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .
(٢) المعجم المفهرس ص ٣٥٦ .
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣١ .

وذكر صاحب جامع البيان في معنى (السَّلَام) : أى ذو السلامة من كل نقص (١) ٠

وذكر الإمام الشوكاني في معنى (السَّلَام) : أى الذي سلم من كل نقص وعيب ، وقيل المسلِّم على عباده في الجنة كما قال تعالى : **(سلام قولاً من ربٍّ رحيم)** ، **وقيل :** الذي سلم الخلق من ظلمه ، وبه قال الأكثر ـ وقيل : المسلم لعباده ٠ وهو مصدر وصف به للمبالغة (٢) ٠

● أقول : واسم (السَّلَام) سبحانه أفهم منه أنه جل وعلا سالم من جميع صفات النقص ، ومتصف بجميع صفات الكمال ـ وقد سلَّم (السلام) عز وجل أولياءه من المرسلين وغيرهم من العيوب ، فسلَّم المرسلين منها في قوله **(وسلام على المرسلين)** أى أنه سبحانه سلَّم رسله في أقوالهم : فلا يقولون على الله إلا الحق ، ولا يُبَلِّغون أممهم إلا الحق ، وسلَّمهم كذلك في أعمالهم : فلا يشركون بالله شيئاً ٠ وكذلك يسلِّم (السَّلَام) أولياءه غير المرسلين ، فقال تعالى : « **قل الحمد لله وسَلَامٌ على عباده الذين اصطفى** » ٠ (النمل آية ٥٩) ، فتسلم أقوالهم وأعمالهم من كل عيب وشرك ، ولهذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم بما يعني ذلك : فقد أخرج الإمام مسلم بسنده ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المسلمين خير ؟ قال : (مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده) (٣) ، وسلامة اللسان واليد آية على طهارة القلب ؛ إذ أن القلب هو المحرك ، وبصلاحه يصلح الجسد كله ـ كما أن (السَّلام) سبحانه يهدى عباده المؤمنين سبل السلام ، فقال تعالى : « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السَّلام** » (المائدة آية ١٦) ، ويجعل تحيتهم يوم لقائه السَّلام ، فقال تعالى : « **تحيتهم يوم يلقونه سَلَام** » (الأحزاب آية ٤٤) ، ويدخلهم الجنة التي سماها دار السلام ، فقال تعالى : « **لهم دار السلام عند ربهم** » (الأنعام آية ١٢٧) ، ويجعل دخولهم فيها بسَلَام ، فقال تعالى : « **إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسَلَام آمنين** » (الحجر آية ٤٦) ، ويجعل تحيتهم فيها السَّلَام ، فقال تعالى : « **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سَلَام**) (يونس آية ١٠) ، وطَيَّب لهم الإقامة فيها فلا يسمعون فيها إلا السَّلام ، فقال تعالى : « **لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلاّ قيلاً سَلَاماً سَلَاماً** » (الواقعة آية ٢٦) ٠

---

(١) تفسير ابن كثير ـ الجزء ٤ ص ٣٤٤ ٠

(٢) جامع البيان ـ الجزء ٢ ص ٣٥٠ ٠

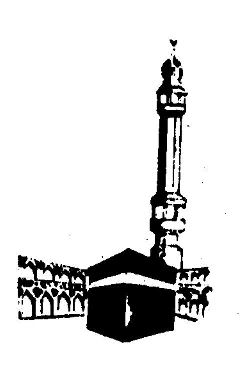
(٣) صحيح مسلم ٠

ولا يبلغ أحد الجنة إلا إذا أسلم وجهه لله وحده ، وأسلم قلبه لله دون غيره ، واستمر على ذلك حتى يلقاه سبحانه ، ونجد معنى ذلك في قوله تعالى : « **ومن يُسْلِمْ وجهه إلى الله وهو مُحسنٌ فقد استمسك بالعروة الوُثقى** » (لقمان آية ٢٢) ، وقوله : « **يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم** » (الشعراء آية ٨٩) ، وقوله : « **فإلهكم إلهٌ واحدٌ ، فله أسْلِمُوا ، وبَشِّرْ المُخْبتين** » (الحج آية ٣٤) ، وقوله : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تُقَاته ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون** » (آل عمران آية ١٠٢) .

وتحقيقاً لهذه السلامة ـ فوق ما تضمنته هذه الآيات الكريمات وغيرها ـ فقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكره ـ المتضمن لطلبها من ربه سبحانه ـ دبر كل صلاة ـ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه ـ بسنده ـ عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال : (اللهمَّ أنتَ السّلامُ ومنكَ السّلاَمُ تباركتَ ذا الجلال والإكرام) وفي رواية : (ياذا الجلال والإكرام) .

أسأل الله جل وعلا أن يخلص أعمالنا لوجهه ، وأن يسلم قلوبنا إليه ، وأن يُثَبّتها على دينه ، وأن يختم لنا بعقيدة التوحيد ختام الإيمان .

(يتبع)



خرافة يجب تكذيبها

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

اطلعت على ما نشرته جريدة عكاظ فى عددها (رقم : ٥٩٧٧) الصادر فى يوم الاثنين الموافق ١٤٠٢/١٢/٢٤ هـ ص (٢٠) نقلا من صحيفة السياسة الكويتية عن الرجل المدعو محمد المصري الذى يزعم أنه أغمى عليه يوم الأربعاء وظن أنه ميت ودفن يوم الأربعاء وأخرج من قبره يوم الجمعة وما رأى من العجائب والغرائب .. الخ . ونظرا الى كون هذه الحكاية قد تروج على بعض الناس ويظن صحتها رأيت التنبيه على بطلانها وأنها خرافة لا تروج على عاقل بل هى كذب بحت زورها من سمى نفسه محمد المصري أو غيره لاغراض خسيسة حملته على ذلك ومن المعلوم ان من يسمع كلام أهله وكلام الطبيب وكلام المشيعين لجنازته لا تخفى حياته لا على الطبيب ولا على غيره ممن ينظر اليه ويقلبه ثم كيف يكون مغمى عليه وهو يعي ويحفظ كل ما دار حوله ومن المعلوم أيضا أن سنة الله فى عباده ان من جعل فى محل مكتوم ضيق لا يعيش مثل هذه المدة ثم من المعلوم شرعا ان ملكى القبر لا يأتيان الى الحى اذا وضع فى القبر وانما يأتيان الى الميت والله سبحانه يعلم الأحياء والأموات وهو الذى يرسل الملكين الى الميت لسؤاله ثم هذا الرجل الكذاب وصف الملكين بما يدل على انهما رجلان لا ملكان ثم الملكان لا يخبران الميت لا بحسناته ولا بسيئاته وانما يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فان أجاب جوابا صحيحا فاز بالنعيم وان أجاب بالشك عذب ثم ما ذكره بعد ذلك من المناظر الغريبة انما قصد بذلك ترويج باطله وايهام الناس انه من الناجين حتى يعطفوا عليه ويساعدوه بما طلب منهم أو يعطفوا عليه بدون طلب وقد يكون من قصده الشهرة بين الناس حتى يطلب فى كل مكان ليسأل عما رأى ويحصل له بعض ما يريد ومن جهله قوله (وتشاء الصدف أن كان أهلى قد جاؤا لزيارة قبري) ومثل هذا الكلام لا يجوز والصواب أن يقال (ويشاء الله) لأن الصدف لا مشيئة لها . والخلاصة أن هذه الحكاية موضوعة مكذوبة لا أساس لها من الصحة كما يتضح ذلك من سياقها وواقعها ولا ينبغى لصحفنا ولا للصحف التى تحترم نفسها أن تنشر مثل هذه الخرافات ونسأل الله ان يطهر صحفنا وصحف المسلمين من كل باطل وان يكبت الخداعين والماكرين ويفضحهم ويكفى المسلمين شرهم وان يوفق جميع المسلمين للفقه فى دينه والثبات عليه أنه سبحانه خير مسؤول . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..

الفقهُ في أصولِه

رُخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليها من الآثار

— ٤ —

الدكتور أحمد طه ريان
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر

انتهاء سريان الرخصة :

تنتهى رخصة الفطر بانقطاع صفة السفر عن المسافر ، وذلك بدخوله إلى المكان الذى يجمع الإقامة به مدة تقطع حكم السفر كما بيناها سابقاً ، إذا كان دخوله إلى هذا المكان قبل طلوع الفجر ، فإذا تحقق هذان الشرطان ـ وهما : نية الإقامة والدخول قبل الفجر ـ وجب عليه انشاء نية الصوم لليوم الذى يشهد طلوع فجره مقيما وهذا باتفاق أهل العلم ، لأنه شهد بعضاً من الشهر صحيحاً مقيماً وقد قال تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** .

فإن علم أنه سيدخل إلى محل الإقامة بعد الفجر فلا يجب عليه أن يبيت نية الصوم بل له أن يدخل إلى دار الإقامة بنية الفطر . وهذا أيضاً باتفاق أهل العلم ..

لكن الخلاف بين العلماء فيمن وصل بالفعل إلى دار الإقامة قبل الزوال وكان على نية الفطر ، فالمالكية والشافعية ، يجيزون له الاستمرار على الفطر بدون كراهة عند المالكية وعلى الأصح عند الشافعية .

ووجه هذا القول : أنه كان وقت إنشاء النية ـ وهو طلوع الفجر ـ مسافراً ، وقد عمل بالرخصة التى تبيح له الفطر ، ومادام قد انتهى وقت انشاء النية ، فمن حقه أن يستمر على فطره ، وله أن يفعل كل ما يفعله المفطر من أكل وجماع وغير ذلك ، إلا أن الشافعية استحبوا له ألا يظهر الفطر عند من يجهل عذره حتى لا يتهم ويعاقب ..

ورواية مرجوحة عند أحمد ؟ يمنع مثل هذا الشخص من الجماع أثناء فطره هذا ..

أما الحنفية ؟ فقد أوجبوا على من وصل إلى دار إقامته قبل الزوال : أن يمسك بقية يومه ؟

ووجهتهم على هذا القول ؛ أن هذا الشخص قد انقطعت عنه الرخصة بوصوله إلى دار إقامته في وقت يصح فيه إنشاء نية الصوم وهو ما قبل الزوال . لذلك وجب عليه انشاء نية الصوم (١) .

مبنى كل من الرأيـــــين :

اعتبار علماء الحنفية أن وقت إنشاء نية الصوم لا ينتهى بطلوع الفجر بل يستمر إلى ما قبل الزوال ؛ إنما يرجع لحديث عائشة رضى الله عنها « دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء فقلت : لا . قال : فإنى صائم ، ثم أتانا يوماً آخر ، فقلت يارسول الله أهدى لنا حيس ، فقال أرنيه فلقد أصبحت صائما فأكل » (٢) .

لكن الفرق شاسع بين إنشاء النية في صوم واجب كرمضان وبين إنشائها في صوم التطوع ، فان النية في صيام رمضان يجب أن تكون من طلوع الفجر وتستمر الى غروب الشمس قال تعالى : **(حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** (البقرة : الآية ١٨٧) . فأوجب تعالى الإمساك للصوم من طلوع الفجر .

وبما أن صيام رمضان واجب فإن الإمساك من طلوع الفجر فيه واجب ..

وهذا بخلاف صوم التطوع ؛ فإنه مبنى على المسامحة ، فقد سئل مجاهد عن المعنى المراد من حديث عائشة رضى الله عنها فقال : ذاك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها رواه مسلم في صحيحه ، وقد جاء هذا القول مرفوعاً متصلا بحديث عائشة المتقدم عند النسائي عن طريق مجاهد أيضا (٣) ..

أما القول بأن النية في صيام رمضان لابد أن تكون من طلوع الفجر فهو يتمشى مع صريح القرآن الكريم **(حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** ـ ومع ما جاء في الحديث الشريف من رواية حفصة رضي الله عنها « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » (٤) قال صاحب التحفة : وقد صححه ابن خزيمة وابن حبان وقال الحاكم في الأربعين : صحيح على شرط الشيخين ، وقال في المستدرك : صحيح على شرط البخاري ، وقال الدارقطني : رواته كلهم ثقات ، وصحح البخاري والنسائي وقفه على ابن عمر (٥) .

---

(١) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٦٥ والمجموع جـ ٦ ص ٢١٥ شرح الزرقاني على خليل جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٦ .

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٩ والنسائي جـ ٤ ص ١٩٣ طبعة احياء التراث ببيروت .

(٤) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي جـ ٣ ص ٤٢٦ .

(٥) تحفة الأحوذي جـ ٣ ص ٤٢٦ .

لكن ما قاله صاحب التحفة عن موقف النسائي من هذا الحديث ؟ يحتاج الى وقفة : فقد أورد النسائي أربع روايات متصلة مرفوعة عن ابن عمر عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد له ست روايات عن ابن عمر عن حفصة ، ثم رواية عن حفصة وعائشة برواية ابن شهاب عنهما ثم أورد له روايتين عن ابن عمر (١) فلا أدرى لماذا اختار أن يعبر عن موقف النسائي من الحديث : بأنه اختار صحة الوقف على ابن عمر مع كل هذه الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حفصة ؟

وقال الترمذي تعليقا على الحديث السابق ، وإنما معنى هذا عند بعض أهل العلم لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان ، أو في صيام نذر ، إذا لم ينوه من الليل لم يجزه (٢) ..

لذلك كله أقول : إن المختار : هو رأى هذا الفريق الذى يرى ضرورة إجماع النية على الصيام من طلوع الفجر ، فإذا ما وصل المسافر بعد طلوع الفجر الى دار الإقامة فلا يجب عليه الإمساك بقية يومه ، بل له أن يستمر مفطرا حتى انتهاء هذا اليوم الذى وصل فيه ، كما أن له أن يفطر على ما شاء مما أحله الله له والله أعلم .

بيان الآثار المترتبة على الأخذ بهذه الرخصة

اتفق أهل العلم على أن المسافر إذا اجتمعت لديه شروط الأخذ بالرخصة - حسب ما بيناه سابقا - وأفطر تبعا لذلك ، فإنه يجب عليه قضاء الأيام التى أفطر فيها ، إلا أنهم اختلفوا في عدد من المسائل المتعلقة بذلك ..

وفيما يلي بيان بأهم المسائل المختلف فيها وآرائهم حولها ومستند كل رأى ، بيان مدى قربه أو بعده من السنة المطهرة . ونعقد لذلك عدداً من المطالب نبدؤها بالمطلب الأول فنقول :

هل يجب التتابع في قضاء الأيام التى أفطرها في سفره :

اختلف أهل العلم في وجوب التتابع في قضاء الأيام التى أفطرها المسلم أثناء سفره عملا بالرخصة . على فريقين :

---

(١) سنن النسائي جـ ٤ ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٥٨ .

(٢) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي جـ ٣ ص ٤٢٧ .

الفريق الأول : يرى وجوب التتابع في القضاء · وقد حكى هذا الرأى ، عن ابن عمر وعائشة والحسن البصري وعروة ابن الزبير والنخمى وداود الظاهري ..

وقد نقل عن داود قوله : هو ـ أى التتابع ـ واجب غير شرط ، بمعنى أن تاركه يأثم لكن مع ذلك يعتد بما صامه شرعا (١) ..

وأهم الأدلة التى استدل بها لهذا الفريق مايلى :

١ ـ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان عليه صوم رمضان فليسرده ولا يقطعه » (٢) ..

وقد نوقش هذا الاستدلال ، بما نقله البيهقي عن يحى بن معين والنسائي والدارقطنى من تضعيفهم لعبد الرحمن بن إبراهيم أحد رجال هذا الحديث (٣) ..

وقد رد على هذه المناقشة بما نقل عن بعض أصحاب الحديث من توثيقهم لعبد الرحمن هذا ، فقد وثقه البخاري في تاريخه كما وثقه ابن معين · ونقل عن أحمد بن حنبل ، أنه قال : لا بأس به ، وقال أبو زرعة : لا بأس به أحاديثه مستقيمة ، وعن الدارقطنى ، أنه وثقه في هذا الحديث وقال ابن عدى : لم يتبين في حديثه ورواياته حديث منكر فأذكره به ، وقال ابن القطان : هو مختلف فيه والحديث من روايته حسن (٤) · وأخيرا قال فيه الحافظ ابن حجر : ثقة حافظ متقن (٥) ..

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : نزلت (فعدة من أيام أخر متتابعات) فسقطت متتابعات (٦) ..

فهذا اللفظ (متتابعات) الذى نزل متعلقا بأيام أخر يوضح الحالة التى ينبغى أن يكون عليها قضاء هذه الأيام الأخر وهي : أن يكون القضاء متتابعا ..

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٩ . المجموع جـ ٦ ص ٣٣٦ . المغنى جـ ٣ ص ١٥٨ ·

(٢) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٩ ·

(٣) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٩ ·

(٤) الجوهر النقي جـ ٤ ص ٢٥٩ على هامش السنن الكبرى ·

(٥) تقريب التهذيب جـ ١ ص ٤٧٠ دار المعرفة ـ بيروت ·

(٦) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨

ولكن يناقش هذا الاستدلال بأن السند الذى روى به هذا القول عن عائشة رضى الله عنها ، وهو عبد الرزاق ، عن ابن جريح ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، روى به أيضا تأويل قولها « سقطت » : بأنها تريد : نسخت ٠ لا يصح له تأويل غير ذلك (١) ٠

ويرد على هذه المناقشة ، بأن النسخ قد يكون نسخا للتلاوة مع بقاء الحكم ، وقد يكون النسخ للتلاوة والحكم معا ، وليس في هذه الرواية ما يدل على إرادة أحد هذين الأمرين ٠

٣ ـ ما روى من قول علي رضى الله عنه : من أن « قضاء رمضان متتابعا » (٢) ٠

ويناقش هذا ، بأنه من رواية الحارث الأعور ، وهو ضعيف بل وروى عن طريقه أيضا عن علي رضي الله عنه « أنه كان لا يرى به متفرقا بأسا » (٣) ٠

٤ ـ مشابهة القضاء للأداء : أى بما أن الأداء لا يصح الا متتابعا ، فالقضاء كذلك ، اذ لا فرق بين الأداء والقضاء ، كما هو الأمر في قضاء الصلاة ٠٠

ويناقش هذا الاستدلال ، بالفرق بين الأمر الصادر من المشروع بالأداء وبين الأمر الصادر بالقضاء ، حيث جاء الأمر بالأداء مقرونا ببيان تحديد الوقت الذى يجب فيه الصيام تحديدا واضحا ٠ قال تعالى : **(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ٠ فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** ٠

أما الأمر الصادر بالقضاء فقد جاء بصيغة النكرة الواقعة في سياق الإثبات قال تعالى : **(ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)** ٠ وهذه الأيام الأخر مطلقة ٠ فيجوز القضاء في أى وقت مفرقا أو متتابعا ٠٠

كما أنه يفارق الصلاة ؟ لأن الصلاة ملاحظ فيها دائما ، في الأداء والقضاء قوله صلى الله عليه وسلم (صلوا كما رأيتموني أصلي) ٠

كما أن الصلاة اذا تركها المرء عددا قليلا من الأوقات كخمس أوقات فأقل فكثير من الفقهاء يوجب الترتيب بينها ، أما أكثر من ذلك فلا ، وهذا موضع مختلف فيه بين الفقهاء ٠

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨ ٠

(٢) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٩ ٠

(٣) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٦٠ ٠

الفـــريق الثـــــاني :

نقل عدم وجوب التتابع عن عدد كبير من الصحابة والتابعين والفقهاء ، منهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأنس وأبو هريرة والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك وأحمد واسحاق وأبو ثور (١) .

أهم الأدلة التى استدل بها لهذا الفريق مايلى :

١ ـ قال تعالى : **(ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) .**

وقد أوضحنا وجه الدلالة من هذه الآية قريبا ويتلخص في : أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بقضاء أيام الفطر بسبب المرض والسفر في أيام أخر بعد انتهاء رمضان دون قيد ..

ويرد على هذا الاستدلال ، بما جاء من قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ السابق من أن هذه الآية كانت (فعدة من أيام أخر متتابعات) فسقط لفظ متتابعات ..

ويجاب ، بأن السقوط ، قد فسر بالنسخ ، والنسخ محتمل لنسخ الحكم والتلاوة معا ولنسخ التلاوة دون الحكم ، ومعلوم أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وعلى ذلك فبقيت الآية محكمة ، وقد فهمها الصحابة على هذا النحو :

أ ـ فقد سئل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عن قضاء رمضان ، فقال : ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضائه فأحصى العدة واصنع ما شئت (٢) ..

ب ـ وسئل معاذ بن جبل رضى الله عنه عن قضاء رمضان ، فقال : احصى العدة وصم كيف شئت . وقد نقل مثل هذا القول وبهذا اللفظ عن ابن محيريز (٣) ..

جـ ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : يقضيه متفرقا ، فان الله قال : (فعدة من أيام أخر) (٤) ..

د ـ وعن أنس بن مالك ، أنه كان لا يرى به بأسا ويقول : انما قال الله فعدة من أيام أخر (٥) ونقل مثل هذا القول عن ابن عباس (٦) ..

---

(١) المغنى جـ ٣ ص ١٥٨ والزرقاني على خليل جـ ٢ ص ٢١٥ وفتح القدير جـ ٢ ص ٣٥٤ . والمجموع جـ ٦ ص ٣٢٦ .
(٢) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨ .
(٣) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨ والمصنف جـ ٤ ص ٢٤٤ .
(٤) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨ والمصنف جـ ٤ ص ٢٤٣ .
(٥) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٨ والمصنف جـ ٤ ص ٢٤٣ .
(٦) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٥٣ مع عمدة القارىء .

قال تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) ..**

حيث جاء أسلوب المطالبة بالأداء مغايرا لأسلوب المطالبة بالقضاء . فالأداء قد حدد فيه زمن الصوم تحديدا كاملا ، أما في جانب القضاء ، فاكتفى في الأمر به بذكر المماثلة في العدد بين الأيام التى أفطر فيها والأيام التى سيقضيها بدلا عنها . دون أن يحدد وقت معين لقضاء هذه الأيام ..

قد يقال : أن أمر القضاء وان جاء مطلقا في الآية . فان حديث أبي هريرة قد قيد هذا الاطلاق ..

فيجاب بأن ما قيل في سند هذا الحديث حتى مع ترجيح جانب الصحة فيه يجعله غير صالح لتقييد مطلق الكتاب ..

المختـــــار : هو قول من يرى عدم وجوب التتابع . لأن الأمر في الرخص مبنى على التخفيف والمسامحة ، ولأن فهم الصحابة للآية والذى اتضح من استدلالهم بها على عمومها ، أقوى من الاحتمالات الواردة في حديث عائشة رضى الله عنها الا أن الأفضل هو التتابع ـ كما يقول الجمهور ـ للجمع بين الأدلة من جهة ، وللمسارعة في أسقاط الواجب وابراء الذمة من جهة أخرى .

والله أعلم .

هل يجوز للمسافر الصوم قضاء لرمضان سابق عليه ؟

يرى ابن حزم للمسافر في شهر رمضان جواز الصيام أثناء سفره قضاء لأيام كانت عليه من رمضان السابق (١) ..

وجهة ابن حزم في الجواز :

يقول ابن حزم : ان الله سبحانه وتعالى : منع المسلم المسافر من صيام رمضان أثناء سفره . ولكن لم يمنعه من أى صيام آخر غير هذا الشهر . سواء كان هذا الصيام ـ الآخر ـ نذرا أو تطوعا أو قضاء لرمضان سابق عليه . وعلى هذا فلا مانع من صيام رمضان السابق . للمسافر خلال رمضان الذى يسافر فيه . لقوله تعالى (فعدة من أيام أخر) وهذه الأيام الأخر لم يحدد لها وقت فيجوز آداؤها في كل وقت (٢) ..

---

(١) المجموع جـ ٦ ص ٢٦٠ المحلى جـ ٦ ص ٣٩١ .

(٢) المحلى جـ ٦ ص ٣٩١ .

من يرى عدم الجواز :

يرى أكثر الفقهاء عدم جواز قضاء رمضان السابق للمسافر خلال سفره في رمضان التالى له ٠ وقد حكى ابن المنذر هذا الرأى عن سعيد بن المسيب وأحمد واسحاق وأبي ثور ، كما أنه رأى مالك والشافعي وجمهور الفقهاء (١) ..

ولم يذكر مستند لأصحاب هذا الرأى لكننى وجدت أثرا منقولا عن عطاء ، في رجل أفطر رمضان ثم أقام ولم يقضه حتى ألقاه رمضان المقبل مسافرا ، أيفطر ان شاء ، قال نعم ، ثم يطعم ثلاثين مسكينا ثلاثين مدا (٢) ..

لكن من الواضح : أن عطاء هنا ، أجاز الفطر ولكنه لم يمنع عن صيامه قضاء عن رمضان السابق ، كما يقول المجيز فليس فيه ما يفيد المنع ..

إلا أننا حينما نلاحظ الحكمة من رخصة الفطر للمسافر ، وهى تخفيف المعاناة التى يجدها المسافر خلال سفره ، ثم نلاحظ أن الأخذ بهذه الرخصة ليس محتما ـ كما أوضحنا ذلك سابقا ـ كانت النتيجة : أن من كانت لديه قدرة على تحمل مشقة السفر ، أو كانت ظروف سفره تساعد على تخفيف هذه المشقة الى القدر المحتمل عادة ، كان الأولى به ، هو صيام الفرض الحاضر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد ثبت مما تقدم أنهم كانوا يصومون خلال شهر رمضان وأن هذا الصيام كان عن رمضان الحاضر الذى يكونون فيه ، وأما الادعاء بأنهم كانوا يصومون تطوعا أو نذرا أو قضاء لرمضان سابق عليهم فهي دعوى جاءت على خلاف الأصل وعلى مدعيها اقامة الدليل على اثباتها ..

ومجمل القول في هذه المسألة ، أن القول بجواز قضاء رمضان السابق للمسافر خلال شهر رمضان التالى له في أثناء سفره فيه ، هذا القول قد يتفق مع مذهب ابن حزم الذي يمنع المسافر من الصيام خلال سفره في شهر رمضان ..

أما عند الجمهور الذين يجيزون الفطر والصوم للمسافر خلال شهر رمضان بل ويعتبرون الصيام أفضل لمن قوى عليه ـ لحديث أبي سعيد المتقدم وغيره مما أسلفنا ـ فهذا العمل فيه مخالفة عندهم لما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث لم يثبت ذلك عن أحد منهم بالرغم من كثرة أسفارهم ٠ كما أن ابن حزم مع كثرة استيعابه وجمعه للسنن والآثار لم يستطع ايراد سنة واحدة أو أثر واحد يدلل به على ما ذهب اليه ، كل ما في الأمر أنه بنى رأيه في هذه المسألة على الأصل الذى تثبت به من قبل وهو حرمة الصيام على المسافر

(١) المجموع جـ ٦ ص ٣٣٧ ، شرح الزرقاني على مختصر خليل جـ ٢ ص ٢١٥

(٢) المصنف جـ ٤ ص ٢٤١ ٠

خلال شهر رمضان . ولما وجد كثرة النصوص التى تثبت صيام النبي صلى الله عليه وسلم وصيام أصحابه ، قام بثنى عنان كل هذه النصوص ، على أن الصيام الثابت فيها لم يكن عن رمضان الحاضر بل كان عن غيره ، من نذر أو تطوع أو قضائه لرمضان السابق وهكذا . غفر الله لنا وله ..

هل يجب الاطعام على من فرط في قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر ؟

أكثر أهل العلم على أن المسافر الذى أخذ بالرخصة فأفطر في سفره خلال شهر رمضان - كله أو بعضه - ثم استمر في سفره - أو شغل عنه بمرض ونحوه من الأعذار القاهرة - حتى أدركه رمضان الثاني ، فانه لا يجب عليه الاطعام وانما يلزمه بعد انتهاء سفره أو الشفاء من مرضه أن يقضي رمضان السابق ثم التالى له بالترتيب .

وقد نقل هذا الرأى عن طاوس والحسن البصرى والنخعى وحماد بن أبي سليمان والأوزاعي ومالك واسحاق وأحمد وأبي حنيفة والمزني ودواد ..

وقد اختار هذا الرأى البيهقي واستدل له بقوله تعالى : (فعدة من أيام أخر) (١) ..

وقد حكى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة ، أن مثل هذا الشخص : يصوم رمضان الحاضر عن الحاضر ويفدى عن الغائب باطعام كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه (٢) .

ولم أجد مستندا لهذا القول ، وعموم قوله تعالى (فعدة من أيام أخر) يرد عليه : اذ عموم الآية يوجب القضاء في أيام أخر ولم يعين وقتاً لهذه الأيام الأخر فهى تشمل العمر كله ..

أما من أقام بعد انتهاء سفره ولم يقض الأيام التي أفطرها خلال سفره حتى أدركه رمضان الآخر ، فجمهور الفقهاء على أنه يجب عليه حينما يقضي هذه الأيام - من رمضان السابق - أن يطعم مع كل يوم مسكينا وقد قال بذلك : ابن عباس وأبو هريرة وعطاء بن أبي رباح والقاسم بن محمد والزهري والأوزاعي ومالك والثورى وأحمد واسحاق الا أن الثورى : قال بوجوب مدين عن كل يوم . وقد نقلت بذلك نصوص كثيرة من الصحابة والتابعين في المصنف والسنن الكبرى (٣)..

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٣ . المجموع جـ ٦ ص ٣٣٦ والمصنف جـ ٤ ص ٢٣٤ ص ٢٣٦ . الزرقاني على مختصر خليل جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٢) المجموع جـ ٦ ص ٣٣٦ . والمصنف جـ ٤ ص ٢٣٥ .

(٣) المجموع جـ ٦ ص ٣٣٦ . الزرقاني على خليل جـ ٢ ص ٢١٦ . والمصنف جـ ٤ ص ٢٣٤ . ٢٣٦ . ٢٣٧ . والسنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٣ .

والحكمة من القول بوجوب الاطعام ؛ أن مثل هذا الشخص يعتبر مفرطا في القضاء في الأيام التى يجب عليه القضاء فيها والتى تنتهى بنهاية شهر شعبان التالى له أو هي ما بين الرمضانين ، لذلك استحق أن يجازي باطعام كل يوم مسكينا مع القضاء بالصيام ..

ويرى الحسن البصري وابراهيم النخعى وأبو حنيفة والمزني وداود : أن عليه القضاء بالصيام فقط ولا فدية عليه (١) .. وقد نقل عن داود قوله في هذا الصدد : من أوجب الفدية على كل من أخر القضاء حتى دخل رمضان آخر ليس معه حجة من كتاب ولا سنة ولا اجماع (٢) .

وهو كما قال : الا أنه يقال أيضا : أن من نفى وجوب الفدية عليه ليس له مستند من كتاب أو سنة أو اجماع ؟ .

أما العموم المستفاد من قوله تعالى : (فعدة من أيام أخر .) فهو يفيد جواز القضاء في أى أيام أخر قبل رمضان التالى أو بعده ليس الا . أما الاطعام فهو أمر زائد على القضاء فلا تثبته الآية ولا تنفيه ..

واذا تساوى القولان من هذه الناحية ؛ فانه ينظر الى الآثار المروية عن الصحابة رضى الله عنهم ، اذ هم قريبو العهد بالتنزيل وأدرى بمواقع النصوص . فقد روى البيهقي بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما في رجل أدركه رمضان وعليه رمضان آخر ؛ قال يصوم هذا ويطعم عن ذاك كل يوم مسكينا ويقضيه ..

كما روى أيضا بسنده الى أبي هريرة : أنه قال : في رجل تتابع عليه رمضانان ففرط فيما بينهما ، يصوم الذى حضر ويقضي الآخر ويطعم لكل يوم مسكينا (٣) ..

والواقع أن الموقف الذي اتخذه جمهور الفقهاء هنا بالتفرقة بين شخصين : أحدهما شغل عن القضاء بالسفر أو المرض حتى أدركه رمضان الآخر فجعلوه معذورا يكتفى منه بالقضاء فقط . والآخر الذى كانت لديه فسحة من الوقت ولم ينتهزها وفرط في القضاء ولم يهتم بالاسراع لأداء الواجب الذى شغلت به ذمته حتى وافاه رمضان الآخر ، فأوجبوا عليه الاطعام مع القضاء لرمضان الأول . هذا الموقف يتفق مع النصوص الشرعية ولا يتعارض معها ، وهو وان لم يكن فيه نص صريح في الموضوع لكن نصوص الشريعة متوافرة في التفرقة بين المحسن

---

(١) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٥٤ مع عمدة القارىء . المجموع جـ ٦ ص ٣٣٦ . فتح القدير جـ ٢ ص ٣٥٤ . السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٣ .

(٢) الجوهر النقي مع السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٢ .

(٣) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٣ .

والمسيء وقد قال صلى الله عليه وسلم فيمن منع زكاة ماله (إنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل ··) الحديث (١) ·

الحكم فيمن شغل عن القضاء حتى مات

من سافر وأخذ بالرخصة فأفطر ولم يقض ما عليه حتى مات : له حالتان :

الحالة الأولى : من اتصل عذره بالموت :

المسافر الذى أخذ بالرخصة فأفطر واستمر في سفره حتى مات أو عاد من سفره ولكن لم تتح له الفرصة للقضاء فاستمر مشغولا بالمرض أو غيره حتى مات ، فيرى أهل العلم بما يشبه الاجماع ، أنه لا شيء عليه ولا يصام عنه ولا يطعم ، لقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (البقرة : الآية ٢٨٦) ·

كما أنه شبيه بالحج ، فمن لم يستطع أداء الحج من وقت بلوغه حتى مات فلا شيء عليه (٢) ·

وقد نقل عن طاوس وقتادة ، أنه يطعم عنه عن كل يوم مسكين لأنه عاجز فأشبه الشيخ الهرم ·

ولكن رد عليهما ، بأن الشيخ الهرم عامر الذمة بخلاف الميت الذى تنتهى ذمته بالموت عند أكثر الفقهاء ، كما أن الشيخ الهرم من أهل العبادات بخلاف الميت الذى تنقطع أهليته بالموت (٣) ·

الحالة الثانية : من فرط بترك القضاء حتى مات :

اذا عاد المسافر من سفره صحيحا واستمر كذلك ولم يحدث له مانع يمنعه من القضاء حتى أدركه الموت ، فقد قال عدد كبير من الصحابة والتابعين والفقهاء ، أنه يطعم عنه عن كل يوم مُدٌّ من طعام من غالب قوت البلد ، وممن قال بذلك ، ابن عباس وابن عمر وعائشة وأبو عبيد وابن علية والخزرجي ومالك وأبو حنيفة وأحمد والثوري والليث والأوزاعي والشافعي في المشهور عنه ·

---

(١) سنن أبي داود مطبوعة مع شرحها عون المعبود جـ ٤ ص ٤٥٣ والسنن الكبرى جـ ٤ ص ١٠٥ ·

(٢) المجموع جـ ٦ ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، والزرقاني على مختصر خليل جـ ٢ ص ٢١٦ ·

(٣) المجموع جـ ٦ ص ٣٤٣ ·

إلا أن الحنفية يشترطون أن يوصى بالإطعام عنه قبل موته ولم يشترط باقي الأئمة ذلك ، لأن الإطعام عنه يعتبر عبادة والعبادة لابد فيها من النية ، ولذلك يخرج الإطعام عنه من ثلث ماله (١) ٠

أما بقية الفقهاء فيعتبرونه من الحقوق المالية المتعلقة بديون العباد فلذا جازت فيها النيابة ٠

وقد حكى ابن المنذر عن ابن عباس والثوري ، أنه يطعم عنه عن كل يوم مُدان (٢) ٠

وقد احتج لهذا الفريق الذى يرى الإطعام على من فرط حتى مات بما يلى :

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يموت وعليه رمضان ولم يقض : قال : يطعم عنه لكل يوم نصف صاع من بر » (٣) ٠

قال البيهقي - بعد سرده لهذا الحديث - هذا خطأ من وجهين :

أحدهما : رفعه الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من قول ابن عمر ٠

والآخر : قوله نصف صاع وانما قال ابن عمر : مدا من حنطة (٤) ٠

وقد نقل النووى كلام البيهقي هذا واحتج به (٥) ٠

لكن صاحب الجوهر النقي تعقب كلام البيهقي في تضعيف هذا الحديث وقال : ان البيهقي فهم : أن محمدا ، الذي روى عنه أشعث هو ابن أبي ليلى ٠ وكذا صرح به الترمذي ٠ وقد أخرج ابن ماجه هذا الحديث في سننه بسند صحيح عن أشعث عن محمد بن سيرين عن نافع عن ابن عمر مرفوعا ٠ ثم قال : فإن صح هذا فقد تابع ابن سيرين ابن أبي ليلى ، فلقائل : أن يمنع الوقف ، أى أن يمنع الدعوى بوقف هذا الحديث على ابن عمر رضى الله عنهما (٦) ٠

ورواية ابن ماجه التى أشار إليها صاحب الجوهر النقي ، جاءت بلفظ « من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكين » (٧) ٠

---

(١) فتح القدير للكمال جـ ٢ ص ٣٥٨ ٠

(٢) المجموع جـ ٦ ص ٣٤٣ ، والزرقاني على مختصر خليل جـ ٢ ص ٢١٦ ، والسنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٤ ٠

(٣) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٠٤ ، وسنن الترمذي ، ولفظه عنده : من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكينا ٠ جـ ٣ ص ٤٠٥ مع شرحه تحفة الأحوذي ٠

(٤) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٤ ٠

(٥) المجموع جـ ٦ ص ٣٤١ ٠

(٦) الجوهر النقي على السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٦٥٤ ٠

(٧) سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٥٣٤ ٠

وقد نقل السندي تعليقا للمزي في الأطراف جاء فيه : قوله - يشير الى ابن ماجه - عن محمد بن سيرين : وهم ، فإن الترمذي : رواه ولم ينسبه ثم قال الترمذي . وهو عندي محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١) .

ولا أدرى هل المزي هو الواهم في نسبته ابن ماجه الى الوهم ، حيث اعتمد على تصريح الترمذي ، بأن روايته للحديث عن طريق محمد بن عبد الرحمن ، فاعتبر أن كل طرقه تدور عليه وأن من روى خلاف ذلك ، يعتبر واهما .

وقد يكون الأمر على خلاف ذلك ، بأن يكون ابن ماجه رواه عن طريق محمد بن سيرين ، فيكون متابعا ، وقد يكون ابن ماجه قد وهم في نسبته الى محمد بن سيرين . والله أعلم بالصواب .

٢ - عن عبادة بن نسى رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من مرض في رمضان فلم يزل مريضا حتى مات لم يطعم عنه وان صح فلم يقضه حتى مات أطعم عنه » (٢) .

هذا الحديث فى سنده ابن أرطأة وهو مدلس ، فلا يصلح للاحتجاج به .

٣ - عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند صحيح قال في الرجل المريض في رمضان فلا يزال مريضا حتى يموت ، قال : ليس عليه شيء فان صح فلم يصم حتى مات أطعم عنه كل يوم نصف صاع من حنطة (٣) .

٤ - روى الاطعام بسند صحيح عن عمر بن الخطاب والزهري والحسن والنخعى وعطاء (٤) .

٥ - أن الشخص المفرط في القضاء حتى مات مثله مثل الشيخ الفاني الذى عجز عن الصيام في آخر عمره فانه يجب في حقه الاطعام ويسقط عنه الصوم وإنما جازت المماثلة هنا

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه جـ ١ ص ٥٣٤ . وسنن الترمذي جـ ٣ ص ٤٠٧ مع شرحه تحفة الأحوذي .

(٢) المصنف جـ ٤ ص ٢٣٧ .

(٣) المصنف جـ ٤ ص ٢٣٧ .

(٤) المصنف جـ ٤ ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

لأن قضاء الصيام على التراخي باتفاق أكثر الفقهاء ما عدا داود · الا أن بعضهم يوجب الفدية في حالة التفريط وبعضهم لا يوجبها (١) ·

مقـــدار الفديـــة :

الفدية عند أبي حنيفة والثوري ـ ونقل أيضا عن ابن عباس ـ : مدان من البر أو أربعة من الشعير أو التمر (٢) ·

أما الفدية عند أكثر الفقهاء ، فهي مد من الطعام من غالب قوت أهل البلد ، وسواء كان التأخير لعام أو لعامين ، وهناك وجه عند الشافعية ، أنه يجب دفع مُدَّيْنِ عن كل يوم ، اذا كان قد مضى عليه رمضانان ، وصححه المتأخرون منهم (٣) ·

أما الفريق الثاني : فيرى : أن من فرط في قضاء الصيام ، فانه يصام عنه سواء قام بذلك وليه عنه أو استأجر من يصوم عنه أو قام أجنبي بالصيام عنه من تلقاء نفسه ·

وقد قال بذلك : طاوس والحسن البصري والزهري وقتادة وأبو ثور وداود ، وهو قول الشافعي في مذهبه القديم ، وهو أصح القولين عنه عند محققي الشافعية (٤) ·

وقد استدل لهذا الفريق بما يلى :

١ ـ حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » (٥) ·

وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث بما روى عن عمارة بن عمير عن امرأة عن عائشة في امرأة ماتت وعليها الصوم ، قالت : يطعم عنها وروى عنها من وجه آخر عن عائشة أنها قالت : لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم (٦) ·

وقد أجاب البيهقي ، بأن ما ذكر لا يوجب ضعفا في الحديث ، فمن يجوز الصيام عن الميت يجوز الإطعام عنه ، وفيما روى عنها في النهى عن الصوم عن الميت نظر (٧) ·

---

(١) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٥٤ ·
(٢) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٥٧ ·
(٣) المجموع جـ ٦ ص ٣٤٢ ·
(٤) المغنى جـ ٣ ص ١٥٢ · المجموع جـ ٦ ص ٣٤٣ · السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٥ . المصنف جـ ٤ ص ٢٣٩ ·
(٥) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٥ . صحيح البخاري جـ ١١ ص ٥٨ مع شرحه عمدة القارىء ·
(٦) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٧ ·
(٧) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٧ ·

وقد عقب صاحب الجوهر على دعوى البيهقي في قوله : وفيما روى عنها في النهى عن الصوم عن الميت نظر ، فقال قد صح ذلك عنها ، ثم ذكر ما جاء عند أبي جعفر الطحاوي بسنده الى عمرة بنت عبد الرحمن قالت : قلت لعائشة ان أمي توفيت وعليها صيام رمضان أيصلح أن أقضي عنها ، فقالت : لا ولكن تصدقي عنها مكان كل يوم على مسكين خير من صيامك · ثم قال : هذا سند صحيح (١) ·

وقد قال بعض أهل العلم اذا أفتى الصحابي بغير ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعبرة بروايته لا بفتواه · وعلى ذلك فارشاد عائشة رضى الله عنها الى الإطعام بدلا عن الصيام أو نهيها عن الصيام وأمرها بالإطعام لا يؤثر على صحة الحديث · وعلى قوة الاحتجاج به ·

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ان أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ، فقال : لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها · قال : نعم · قال : فدين الله أحق أن يقضى » (٢) ·

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا : « أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فقال أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه ؟ قالت : نعم · قال فدين الله أحق بالقضاء » (٣) ·

وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث، بما رواه عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لا يصوم أحد عن أحد ويطعم عنه (٤) ·

وبما رواه البيهقي بسنده الى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن ابن عباس في الإطعام عمن مات وعليه صيام شهر رمضان وصيام شهر نذر · وفي رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس ورواية أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في صيام شهر رمضان أطعم عنه وفي النذر قضى عنه وليه ·

---

(١) الجوهر النقي جـ ٤ ص ٢٥٧ على السنن الكبرى ، ومشكل الاثار للطحاوي جـ ٣ ص ١٤٢ طبعة الهند ·

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٦ . صحيح البخاري مع شرحه عمدة القارىء جـ ١١ ص ٦١ ·

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٥ وأشار اليه البخاري جـ ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القارىء الا انه قد جاء في هذه الرواية عند البخاري وفي السنن الكبرى بلفظ « وعليها صوم نذر » السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٦ والبخارى جـ ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القارىء ·

(٤) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٧ ·

ثم قال البيهقي : وفي نسبة ذلك الى ابن عباس نظر (١) ٠

وقد أجاب صاحب الجوهر ، على تشكك البيهقي حول نسبة الإطعام الى ابن عباس بدلا من الصيام ، بما رواه النسائي في سننه ٠٠ عن عطاء عن ابن عباس قال : لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة ٠ ثم قال : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين خلا ابن عبد الأعلى فانه على شرط مسلم (٢) ٠

ومن جهة أخرى ، فإن الشافعي ، قد اعتذر عن العمل بحديث ابن عباس الوارد في القضاء بالصيام عن الميت ، وقال : انه أشبه ألا يكون محفوظا ٠ وذلك لأن الزهري قد حدث عن عبيد الله عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : نذرا ولم يسمه (٣) ٠ مع حفظ الزهري وطول مجالسة عبيد الله لابن عباس ٠ فلما جاء غيره عن رجل عن ابن عباس يغير ما ما في حديث عبيد الله ، أشبه ألا يكون محفوظا ، فان قيل أتعرف الذى جاء بهذا الحديث يغلط عن ابن عباس ، قيل نعم (٤) ٠٠

فقد أجيب عن ذلك بأن الظاهر تعدد القصة ، أى أن القصة التى سئل فيها صلى الله عليه وسلم عن الصوم تصريحا ، غير قصة سعد بن عبادة التى سأل فيها عن النذر مطلقا ٠ ويتأيد ذلك بحديث عائشة في الصحيحين والذى أوردنا في صدر أدلة هذا الفريق ٠

٣ ـ عن بريدة قال : بينا أنا جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتته امرأة ، فقالت : يارسول الله : اني تصدقت على أبي بجارية ، وأنها ماتت ٠ فقال : وجب أجرك وردها عليك بالميراث ٠ قالت : يارسول الله ، انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : صومي عنها ٠ قالت : انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : حجي عنها » (٥) ٠

٤ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان نجاها الله أن تصوم شهرا فنجاها الله سبحانه وتعالى ، فلم تصم حتى ماتت ، فجاءت ابنتها أو أختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها » ورجاله رجال الصحيح (٦) ٠

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٧ ٠

(٢) الجوهر النقي جـ ٤ ص ٢٥٧ على السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٧ ، ومشكل الآثار للطحاوي جـ ٣ ص ١٤١ ٠

(٣) يشير بذلك الى حديث ابن عباس « ان سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أمي ماتت وعليها نذر ، فقال : اقضه عنها ٠ السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٦ ٠

(٤) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٦ ، الام جـ ٢ ص ٩٠ طبعة الشعب ٠

(٥) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٦ ٠

(٦) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٦ ، ومشكل الاثار للطحاوي جـ ٣ ص ١٤٠ طبعة الهند ٠

أما الفريق الثالث : فيرى أن من مات وعليه صيام وقد فرط فيه ، فإنه يصام عنه النذر ويطعم عن صيام رمضان ·

وقد قال بهذا الرأى : أحمد واسحاق ونقل عن ابن عباس (١) ·

ومن أهم الأدلة التى استند اليها هذا الفريق :

١ ـ ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » وقد أشرنا من قبل الى أنه مروى في الصحيحين · الا أن موضع الشاهد هنا : أن أبا داود بعد أن ذكر هذا الحديث في سننه عقبه بقوله : هذا في النذر وهو قول أحمد بن حنبل (٢) ·

وهذا القول منه ، تخصيص : لعموم الحديث حتى يتفق مدلوله مع الأدلة الأخرى التى نص فيها على أن الميت ان كان عليه صيام نذر صام عنه وليه والأصل في النصوص الشرعية العامة أنها تبقى على عمومها حتى تقوم قرينة تفيد التخصيص ·

٢ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، ان أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ، فقال : لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم · قال : فدين الله أحق أن يقضى » وقد أشرنا من قبل الى أن هذه الرواية متفق عليها بين الشيخين بنفس اللفظ ·

أما رواية ابن عباس الثانية « أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمي ماتت وعليها صوم شهر . فقال : أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه ؟ قالت : نعم · قال : فدين الله أحق بالقضاء » ·

وهذه الرواية جاءت في صحيح مسلم بهذا اللفظ الا أنها عند البخاري ـ تعليقا ـ « ان أمي ماتت وعليها صوم نذر » (٣) وفي السنن الكبرى للبيهقي : عن ابن عباس : أن سعد بن

---

(١) المغنى جـ ٣ ص ١٥٢ . والمجموع جـ ٦ ص ٣٤٣ . والسنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٥ ·

(٢) سنن أبي داود جـ ٧ ص ٤٠ . ٤١ مع شرحه عون المعبود ·

(٣) صحيح البخاري جـ ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القارىء ·

عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أن أمي ماتت وعليها نذر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقضه عنها » (١) . والشاهد هنا ، أن رواية البخاري ، جاءت مبنية لنوع الصوم الذى كان يسأل عنه : وقد أمر بقضائه ، وهو صوم النذر أى أن هذه الرواية بينت الإجمال الموجود في الرواية الأولى عند كل من البخاري ومسلم وأيضا الرواية الثانية عند مسلم ·

٣ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اذا مرض الرجل في رمضان ثم مات ولم يصح (ولم يصم) أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء ، وان نذر (وان نذر نذرا) (وان كان عليه نذر) قضى عنه وليه (٢) وقد أشرنا من قبل الى هذا القول المنسوب الى ابن عباس والى أن هذا النقل صحيح عنه ، وواضح أنه موقوف عليه ·

المختـــــار : هو رأى الفريق الثالث : الذى يرى ، أن من مات وعليه صيام من رمضان فانه يطعم عنه · أما ان كان عليه صيام نذر فانه يقضيه عنه وليه ، وذلك : لأن رواية البخاري التى نص فيها على النذر وكذلك الرواية التى أخرجها البيهقي في قصة سعد بن عبادة وهي صريحة في السؤال عن صيام النذر ، ثم ما روى عن ابن عباس وعائشة في هذا السبيل كل ذلك يعتبر مبينا للإجمال الموجود في حديث بريدة وغيره ، كما أنه بهذا الرأى يمكن الجمع بين كل الأدلة الواردة في الموضوع ، والجمع بين الأدلة والعمل بها كلها أولى من العمل ببعضها وإهدار بعضها الآخر · كما أنه بهذا القول ، يمكن تفادي ما يترتب على القول الثاني : من دخول النيابة في صيام شهر رمضان وهو عبادة بدنية محضة واجبة من الشارع بخلاف النذر فقد أوجبه العبد على نفسه فصار بمنزلة الدين الذى استدانه والدين تدخله النيابة · ولهذا قال ابن القيم عن هذا الرأي : وهذا أعدل الأقوال وعليه يدل كلام الصحابة وبهذا يزول الإشكال (٣) · والله أعلم ·

النتـــــائـــج

١ ـ لكل مسافر حق الأخذ برخصة الفطر في السفر سواء شهد بداية الشهر مقيما أو حاضرا ·

٢ ـ مقدار المسافة التي تتحقق بها رخصة الفطر هى أربعة برد وتقدر الآن بأربعة وثمانين كيلو مترا ·

---

(١) السنن الكبرى جـ ٤ ص ٢٥٦ ·

(٢) سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود جـ ٧ ص ٣٦ ·

(٣) من تعليقه على سنن أبي داود جـ ٧ ص ٣٧ مع شرحها عون المعبود ·

٣ ـ الفطر في السفر رخصة يجوز الأخذ بها ويجوز تركها والصيام عملا بالعزيمة ٠

٤ ـ الأفضل الفطر لمن يشق عليه الصيام أما من لم يشق عليه فالأفضل في حقه الصيام ٠

٥ ـ تتحقق رخصة الفطر في كل سفر الا سفر المعصية ما لم يتب المسافر منها فان تاب تحققت في حقه ٠

٦ ـ يبدأ العمل بالرخصة متى تحقق وصف السفر بالشخص مريد السفر ، فمن حقه الفطر قبيل تحركه من دار اقامته اذا كان قد أخذ أهبته للسفر وان كان الأحوط أن يتم ذلك بعد مغادرة البيوت ٠

٧ ـ من أجمع على إقامة عشرة أيام وجب عليه تبييت نية الصوم وان كان الأحوط تبييت هذه النية لمن أجمع على اقامة أربعة أيام ٠

٨ ـ من أخذ بالعزيمة وصام في سفره ، فله حق الفطر أخذا بالرخصة في أى وقت شاء ٠

٩ ـ تنتهى الرخصة اذا وصل المسافر الى دار اقامته قبيل طلوع الفجر حيث يجب عليه انشاء نية الصوم فان وصل بعد طلوع الفجر فانه يستمر على فطره الى نهاية اليوم ٠

١٠ ـ من أخذ بالرخصة وافطر فانه يجب عليه القضاء فيما بين رمضان الذي سافر فيه الى رمضان التالى سواء كان القضاء مفرقا أو متتابعا وان كان القضاء متتابعا أفضل ٠

١١ ـ من أخذ بالرخصة وأفطر في سفره فلا يحق له الصيام بنية القضاء عن أيام سابقة عليه من رمضان الفائت ٠

١٢ ـ من شغل عن قضاء ما عليه من رمضان حتى وافاه رمضان التالى ، فانه يقضيه بعد انتهاء رمضان الحاضر ولا فدية عليه أما من لم يشغل عن القضاء وفرط فيه حتى وافاه رمضان التالى له فانه يلزم بالفدية مع كل يوم يقضيه عن رمضان السابق ٠

١٣ ـ من شغل عن القضاء حتى مات فان اتصل عذره بالموت فلا شىء عليه ومن فرط في القضاء فان كان عليه صيام نذر صام عنه وليه وان كان عن رمضان أطعم عنه عن كل يوم مد من طعام ٠

نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

للدكتور عوض عبد الله أبو بكر
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة - ١ -

القضاء من الامور المعروفة والمقدرة عند الأمم . مهما تفاوتت هذه الأمم فى درجات الحضارة رقياً وانحطاطاً . ذلك لأن الخصومة من لوازم الطبيعة البشرية . فلو لم يكن هناك رادع للقوى عن الضعيف لاختل النظام وعمت الفوضى . وإلى هذا أشار المولى عز وجل فى الآية الكريمة : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)** (الحج : ٤٠) . وفى قوله تعالى : **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)** (البقرة : ٢٥١) . فلا غرابة إذن أن تحترم الشريعة الإسلامية القضاء . وتعنى به وترسى قواعده منذ أول نشأتها .

فبعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة . ومع بداية إرساء قواعد الدولة الإسلامية . وتأسيس أجهزتها وسلطاتها . أخذ القضاء مكانه فى صدارة الأجهزة التى عنى الرسول صلى الله عليه وسلم بتأسيسها . فجاء فى الحلف الذى عقده النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وأهل المدينةمن المسلمين وغيرهم . « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده . فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم » (١) فكان هذا صريحاً فى أن كل خصومة أو نزاع يرد إلى القاضي الأول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على أن بساطة ذلك المجتمع الناشىء لم تكن تستدعى فى المدينة نفسها كثيراً من القضاة . حيث لم تكن هناك خصومات كثيرة . ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم ينيب عنه بعض أصحابه حين يرسل بعضهم واليا إلى ناحية أعلنت خضوعها لحكومة الإسلام الأولى . فكان هؤلاء يحكمون بما علموه منه - صلى الله عليه وسلم - وبما استفادوه من صحبته .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٠٤ ط البابى الحلبى سنة ١٣٧٥ هـ .

فلا غرابة إذن إذا نبغ فى القضاء عدد من الصحابة رضوان الله عليهم . أمثال علىّ رضى الله عنه . الذى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن قائلا : « إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضينّ حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول . فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء . قال علىّ : فما زلت قاضيا وما شككت فى قضاء بعد » (١) .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى جمعت رسالته إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أحدث النظريات فى النظم القضائية (٢) . ومنهم عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضى الله عنهم . وغير هؤلاء كثيرون .

فجاء بذلك الفقه الإسلامي منذ فجره حاوياً لنظامه القضائي الذى يتسق مع عدله وشموله . ومن يرجع إلى كتب الفقه الإسلامي يجد بحوث الفقهاء القيمة فى مختلف فروع القضاء . فى ضبط الدعوى وشروطها . ونظام قبولها وردها . وفى مراتب القضاء المطلق منه والمقيد كالحسبة وولاية المظالم . وفى أدب القاضي وما يجب أن يتصف به . وإمكان تخصيصه بالزمان والمكان والدعوى . وفى علاقة القاضي بالحاكم . وغير ذلك من علوم القضاء .

ولعل أهم هذه العلوم ذلك الذى يتعلق بالإثبات . والإثبات كما يعرفه رجال القانون الوضعى هو : إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التى يحددها القانون على صحة واقعة قانونية يدعيها أحد طرفى الخصومة وينكرها الطرف الاخر » (٣) أو هو ما عرف عند فقهاء الشريعة الإسلامية بطرق القضاء .

وترجع أهمية الإثبات إلى أنه الأداة الضرورية التى يعول عليها القاضي فى التحقيق من الوقائع المطروحة فى الدعوى . والوسيلة العملية التى يعتمد عليها الأفراد فى صيانة حقوقهم المترتبة على تلك الوقائع . حتى أنه ليصح القول بأن كل تنظيم قضائي يقتضي حتماً وجود نظام للإثبات . والواقع أن الغالبية العظمى من النظم القضائية نزلت على حكم هذه الضرورة وعنيت بالإثبات . إلا أنها لم تلتزم فى ذلك مذهباً معينا . وبالاستقراء والنظر فى هذه النظم نجدها قد سلكت ثلاثة مذاهب فى الاثبات :

---

(١) سنن أبى داود جـ ٣ ص ٣٢٨ ط هندية حديثة .

(٢) كتاب عمر إلى أبى موسى فى القضاء أخرجه الدارقطنى في سننه جـ ٤ ص ٢٠٦ ط دار المحاسن للطباعة سنة ١٣٨٦ هـ وفى التعلبق المغنى على الدارقطنى لأبى الطيب العظيم أبادى قال : أخرجه البيهقى فى المعرفة .

(٣) الدكتور عبد الودود يحيى : دروس في قانون الاثبات ص ٣ . الدكتور أحمد أبو الوفا : التعليق على نصوص قانون الاثبات ص ٢٢٢ .

الأول : مذهب الإثبات المطلق . ويرمى هذا المذهب إلى عدم تقييد القاضي بطرق معينة . بل يترك للقاضي الحرية الكاملة فى اتخاذ الدليل الذى يطمئن إليه . فله أن يستكمل ما نقص من الأدلة التى عجز عنها الخصم . وله أن يحكم بعلمه الشخصي . وله استدراج الخصوم ومباغتهم لانتزاع الحقيقة من أقوالهم . وإلى هذا المذهب تميل القوانين الوضعية الجنائية الحديثة بحجة تطور الجريمة وأساليبها وصعوبة إثباتها بالطرق المحددة .

غير أن هذا المذهب منتقد من حيث أنه يمنح القاضي سلطة واسعة قد تؤدى إلى اعتسافه وانحرافه عن جادة الصواب . فيتحكم فى تعيين طرق الإثبات وتحديد قيمتها بما يهوي دون رقابة ، كما يؤدى إلى اضطراب العدالة . وفقدان الثقة بالقضاء لاختلاف التقدير من قاضٍ لاخر ، كما يشجع الظالمين المماطلين على المنازعة فى الحق الثابت أملا فى الإفادة من اختلاف القضاة فى التقدير .

الثاني : مذهب الإثبات المقيد . ويقوم هذا المذهب بالحد من السلطة المطلقة الممنوحة للقاضي فى المذهب السابق . وذلك بتحديد طرق معينة للإثبات . فلا يستطيع الخصوم إثبات دعواهم إلا من خلالها . ولا يستطيع القاضي تكوين عقيدته إلا بهذا الدليل الذى حدده القانون . فلا يحكم بعلمه الشخصي . ولا يجعل للدليل قيمة أكثر مما هو محدد له بالقانون .

وعيب هذا المذهب - بالرغم مما يكفله للقضاء من ثقة واستقرار - أنه يجعل دور القاضي سلبياً . ووظيفته آلية . مما يؤدي إلى أن يصدر القاضي حكما بغير ما ارتاح له ضميره . إذا نمى إلى اعتقاده أن الحقيقة الواقعة ظاهرة بدليل من غير الطرق التى حددها القانون .

الثالث : مذهب الإثبات المختلط : هو المذهب الذى يجمع بين المذهبين السابقين . فيحاول الجمع بين مميزاتهما . والتخفيف من مضارهما . فهو مع تحديده لطرق الإثبات إلا أنه يمنح القاضي سلطة فى تقدير الأدلة . فمثلا : له أن يقضي بما أجمع عليه الشهود . أو أن يقضي بعكسه . وله سلطة تقدير القرائن . وهذا المذهب هو ما تأخذ به أغلب القوانين الوضعية المعاصرة . فتبلغ حدها الأقصى فى المواد الجنائية من جهة حرية القاضي فى تقدير الأدلة . وحدها الأدنى فى المواد المدنية حيث تكون سلطة القاضي فى تقدير الأدلة أقل كثيرا من سلطته فى المواد الجنائية (١) .

---

(١) محمد عبد اللطيف : قانون الإثبات في المواد المدنية ص ٦ . الدكتور سليمان مرقص : أصول الإثبات في المواد المدنية ص ٧ .

فإلى أى هذه المذاهب يتجه الفقه الإسلامي فى منهجه للإثبات ؟

يميل بعض الفقهاء وأبرزهم ابن قيم الجوزية إلى مذهب الإثبات المطلق الذى يعطى القاضي الحرية المطلقة فى تكوين عقيدته من أى دليل يعرض عليه ، ولا يتقيد بطريق إثبات معين ، ويتضح ميل ابن القيم إلى مذهب إطلاق الإثبات مما يأتي :

أولاً : تفسيره للبينة حيث يجعلها كل ما يبين من الحق ، ولا يقصرها على شهادة الشهود كما قال غيره من الفقهاء . فيقول : « فالبينة اسم لكل ما يبين من الحق ، ومن خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد لم يوف مسماها حقه » (١) .

ثانيا : إجازته للقاضي أن يتوصل للحق بالتحايل على الخصم استدلالاً بما كان يفعله إياس بن معاوية وشريح (٢) .

ثالثاً : إجازته للقاضي أن يقضي بالفراسة بالرغم من استتار خطوات الاستنتاج فيها ، وأن الدليل المأخوذ منها غير معروف لغير القاضي . وسنعرض رأى ابن القيم فى الحكم بالفراسة بشيء من التفصيل إن شاء الله .

رابعاً : يقول فى اعلام الموقعين : « فإذا ظهرت أمارات الحق ، وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره . والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته فى نوع واحد وأبطل غيره . فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها . والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها ، وأنما المراد غاياتها التى هي المقاصد » (٣) .

فأنت ترى صراحة نصه على عدم التقيد بطريق محدد للإثبات ، فأى سبيل يبين به وجه الحق يكون دليلاً معتبراً مادام قد كشف للقاضي وجه الدعوى .

وبناء على هذا القول الذى يقضي بعدم حصر أدلة الثبوت عنده ، فقد ذكر فى كتابه الطرق الحكمية كثيرا من طرق القضاء التى يخالفه فيها كثير من الفقهاء كالقرعة ، وشهادة الكفار ، والفراسة ، وغيرها .

---

(١) الطرق الحكيمة ص ٢٩ ط مطبعة مصر سنة ١٩٦٠ م .

(٢) إياس بن معاوية بن قرة المزني ، قاضي البصرة ومضرب المثل فى الفطنة والذكاء والفراسة توفى سنة ١٢٢ هـ . الاعلام جـ ص ٣٧٦ ط مصورة بيروت . وشريح بن الحارث الكندي من أشهر القضاء فى صدر الإسلام . ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية . توفى سنة ٧٨ هـ . الاعلام جـ ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٣٧٣ ط دار الجيل بيروت .

مذهب جمهور الفقهاء :

أما بالنسبة لجمهور الفقهاء وما اتجهت إليه أنظارهم فى الإثبات ، فيرى بعض فقهاء القانون المصرى أنهم أخذوا بمذهب الإثبات المقيد نظراً لما رآه منهم فى تحديد الشهادة تحديداً دقيقاً ، وجعلها مراتب مترتبة ، والتزامهم بهذا التحديد (١) .

وفى نظري أن هذا القول ليس بصحيح ، فالفقهاء لم يأخذوا بمذهب تقييد الإثبات على ما هو عليه عند أصحابه ، إنما القول بأنهم أقرب إلى المذهب المختلط هو الصواب عندى ، علما بأن نظرة الفقه الإسلامي للإثبات نظرة متميزة لم يكن همها أن تكون ضمن أى من المذاهب المذكورة .

ونرى أن الفقه الإسلامي كان قريباً من المذهب المختلط للأسباب الآتية :

أولاً : إنهم حددوا طرق الإثبات وجعلوها فى أدلة معينة ، ولكنهم لم يحدوا من سلطة القاضي فى تقدير الأدلة كما فعل أنصار المذهب المقيد . وبذلك لم يجعل الفقهاء وظيفة القاضي آلية لا أثر لها فى تقدير الأدلة ، فللقاضي عند جمهور الفقهاء أن يقضي بغير ما أجمع عليه الشهود إذا ظهر الحق من طريق غيرهم . ومن ذلك قالوا : لا تحد المرأة إذا شهد عليها أربعة بالزنا وظهر أنها بكر (٢) .

ثانياً : إنهم أعطوا القاضي سلطة تقدير القرائن . هذه السلطة وإن كانت تضيق فى مجال الحدود ، إلا أنها تتسع فى غيرها من الدعاوى الجنائية ، كما تتسع فى دعاوى المعاملات المالية . وسيتضح هذا القول عند كلامنا عن القرائن إن شاء الله . وسلطة تقدير القرائن هو ما تميز به المذهب المختلط .

ثالثاً : إنهم لم يجيزوا للقاضي أن يقضي بعلمه الشخصي ، وهذا ما تميز به المذهب المختلط .

رابعا : قالوا : إنه لا يلزم من الأمر باستشهاد رجلين أو رجل وامرأتين فى الديون وقت التحمل ألا يحكم القاضي بذلك الدين . فإن ثبت من طريق آخر كالنكول ، أو شاهد ويمين المدعى قضى به (٣) .

---

(١) انظر : اصول الإثبات فى المواد المدنية السابق ذكره . هامش ص ٤ .

(٢) تحفة المحتاج لابن حجر الهيثمي الشافعي جـ ٩ ص ١١٤ ط البابي الحلبي سنة ١٣١٥ هـ . المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ٨ ص ٢٠٧ ط دار المنار سنة ١٣٦٧ هـ . البحر الزخار فقه زيدى جـ ٥ ص ١٨٠ ويقول بذلك الدسوقي المالكي وإن كان المذهب على خلاف هذا القول . انظر الشرح الكبير وحاشية الدسوقي جـ ٤ ص ٣١٩ ط مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٩ هـ .

(٣) بداية المجتهد جـ ٢ ص ٤٦٩ ط البابي الحلبي سنة ١٣٧٩ هـ . الطرق الحكيمة ص ١٤ . طرق القضاء فى الشريعة الإسلامية : احمد ابراهيم ص ١٣ .

ولا شك أن هذا مزج بين تحديد الأدلة وحرية القاضي فى تقديرها ، كما أنه تخفيف لمضار تقييد الإثبات ، وهو ما لجأ إليه أنصار المذهب المختلط .

خامساً : إنهم جعلوا الشهادة حجة فيما قامت عليه مهما كان المدعى به ، ولم يقيدوها بقدر معين كما فعل بعض القانونيين من أنصار المذهب المختلط (١) .

وهذا يدل على أن بعض القوانين التى أخذت بالمذهب المختلط أشد تضييقا من الفقه الإسلامي ، لأن القاضي فى هذه القوانين لا يحكم بشهادة الشهود إذا جاوز الحق المدعى به القدر الذى حدده القانون ، ولو اعتقد القاضي صحتها وصدقها فيما قامت عليه .

كل هذه الأسباب تجعل نظرة جمهور الفقهاء أقرب إلى المذهب المختلط الذى يجمع بين مزايا المذهبين الآخرين المقيد والمطلق ، ويخفف من مضارهما ، فهو يحدد أدلة الإثبات ولا يحد من سلطة القاضي فى تقدير هذه الأدلة ، كما لا يطلق للقاضي الحرية ليتخذ دليله فى الدعوى من أى دليل يراه أو يطمئن إليه ، حتى لا يتعسف القضاة فتتمكن تهمة استغلالهم لسلطة وظيفتهم ، فكان أن حدد الفقه الإسلامي طرقا للإثبات لا يتجاوزها القاضي ، وليس للخصوم أن يثبتوا دعواهم بغيرها .

وبالرغم من قولنا أن الفقه الإسلامي كان قريبا من مذهب الإثبات المختلط ، إلا أنه قد حوى نظاماً للإثبات تفرد به وميزه عن القوانين التى أخذت بالمذهب المختلط ، ذلك لأنه لم يكن متأثراً بمذهب معين ، إنما هو تشريع من لدن حكيم خبير .

فإذا كان مذهب الإثبات المختلط قد ترك للقاضي الحرية فى استخلاص حكمه من أى دليل يعرض عليه فى الدعوى الجنائية ، فإن الفقه الإسلامي قد قسم الدعاوى الجنائية إلى ثلاث طوائف ، قيد الأدلة فى طائفتين ، وهما الحدود والقصاص ، وترك له الحرية فى طائفة التعزير ، وسنرى إيضاحاً أكثر لهذا القول عند كلامنا عن القرائن إن شاء الله تعالى .

كما أن القوانين التى أخذت بالمذهب المختلط قد سعت إلى تقييد الإثبات فى الدعوى المدنية بقدر كبير ، فلم تأخذ بشهادة الشهود مثلاً إذا جاوز الحق المدعى به قدراً معيناً ، كما لم تقبل إثبات بعض الحقوق المدنية إلا بالكتابة ، بينما لا نجد هذه القيود فى الفقه الإسلامي ، فالشريعة الإسلامية بما تغرسه فى الفرد من إصلاح وتهذيب ، وبما تحثه عليه من مراقبة لله عز وجل تبعده عن تهمة الكذب والتزوير ، فهى بذلك تفترض أمانة الشخص

---

(١) يقيد القانون المصري الشهادة فى الحقوق المدنية فلا يحكم بها إذا جاوز الحق المدعى به عشرين جنيها . مجموعة الأعمال التحضيرية جـ ٣ ص ٣٩٦ .

وصدقه فيما شهد به ، ولذلك كانت هذه الشهادة حجة فيما قامت به . وللقاضي أن يستند عليها فى حكمه مهما كان القدر المدعى به ، وهذا لا يمنعه من مساءلة الشهود ومعرفة مدى صدقهم ومعرفتهم للواقعة المطروحة .

كما أن مبدأ الإثبات بالكتابة مع وجوده واحترام الفقه الإسلامي له وحثه عليه ، إلا أن الفقهاء لم يجعلوه شرطا لا يجوز الإثبات إلاّ به .

الآن ، وبعد أن بينا تفرد الفقه الإسلامي فى نظامه للإثبات ، وتميزه عن نظم الإثبات الوضعية ، بقى لنا أن نتناول سمات أدلة الإثبات فى الفقه الإسلامي ، وأقسامها ، وما تميز به كل دليل منها ، ومصدره الأصولى ، وليكن ذلك حديثنا فى مقال قادم إن شاء الله تعالى .

في البنجلاديش الحرب ضد الانفجار السكاني تبدأ بالمرأة

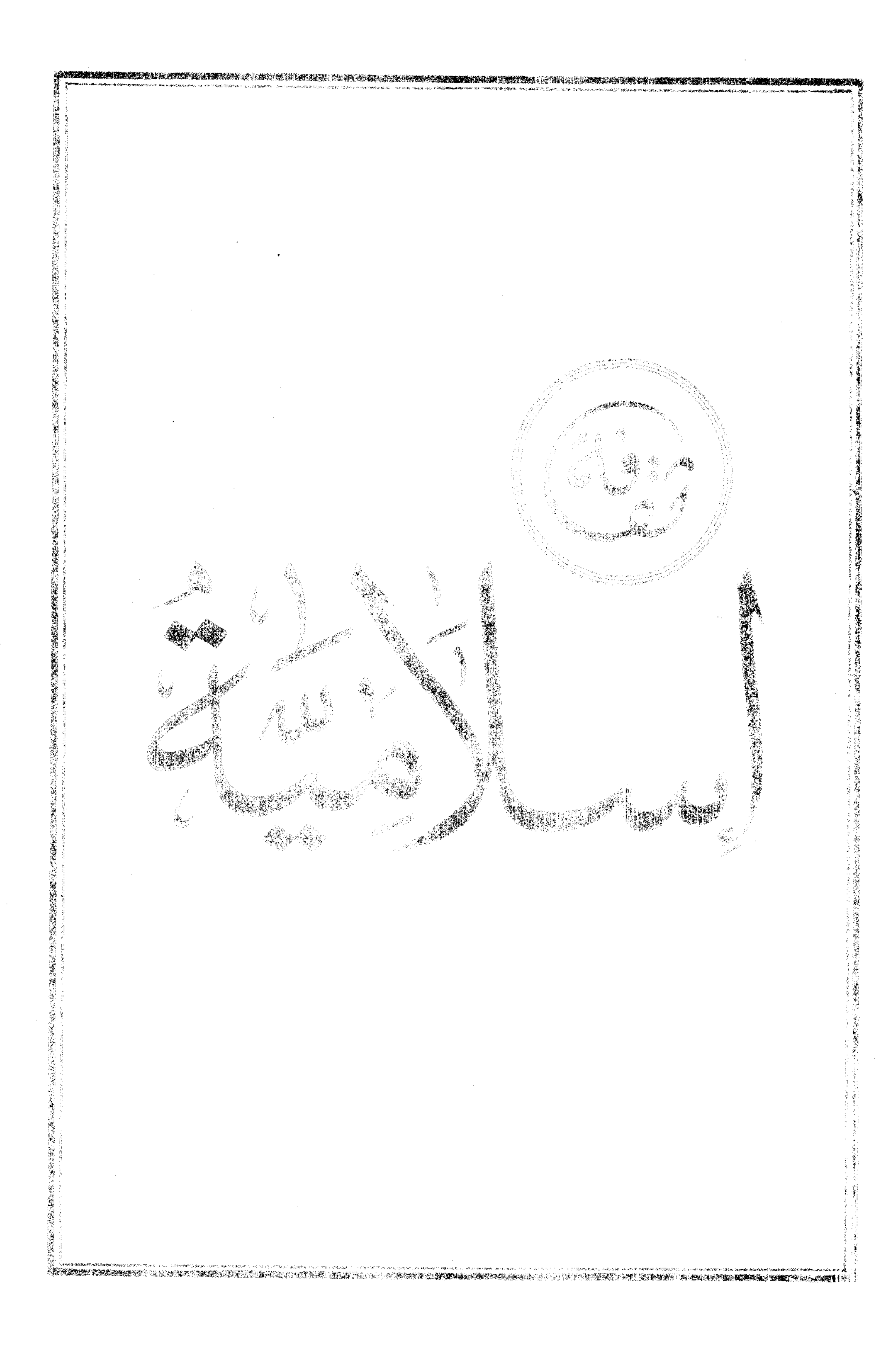
الحرب ضد الانفجار السكاني تبدأ بخفض عدد المواليد أي أنها تبدأ بالمرأة .. ، هذا هو الشعار الذي تسعى إليه (الجمعية الألمانية للتعاون الفني) إلى تطبيقه عملياً في البنجلاديش بمساعدة من صندوق التنمية الألماني الغربي

ومنذ ١٨ شهراً شهدت مدينة موسيفانج البنغالية إنشاء أول ناد للأمومة ارتفع عددها الآن إلى ثمانية موزعة على عدد من المناطق ويضم كل منها في عضويته اكثر من ٣٠٠ سيدة .

وقد رصد لهذه الحملة التي تنتهي مبدئيا في العام القادم نحو ٨ر٥ مليون مارك (٣ر٥ مليون دولار) .

وتشارك الحكومة البنغالية في الحملة مرددة شعارات مثل : (طفل واحد يكفي) و (العائلة ذات الطفلين هى أسعد عائلة) ..

المجلة : لم لا يكون ذلك التعقيم إلا في بلاد المسلمين . وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الإكثار من النسل وعلل ذلك بقوله : (فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة) ؟





ثغرات في المنهج الثانوي

لتدريس القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب العربي

تقرير رفع قبل ربع قرن إلى مسؤولي التربية والتعليم في بلد عربي

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

١ ـ القرآن الكريم :

إن دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف في هذه المرحلة يجب أن تستهدف ناحيتين هامتين :

أ ـ أثرهما في توحيد الفكر العربي والسمو به إلى الآفاق العليا من حيث النظر إلى الكون وانتهاج سبل البحث العلمي ، ثم أثر ذلك في بعث القوى النفسية والعقلية لبناء المجتمع الصالح ، وبالتالى أثره في انبثاق العلوم المختلفة بدافع من التطور الشامل ·

ب ـ أثرهما في توجيه الأدب العربي وتركيز اللغة العربية على أصول ثابتة ، ثم في بروز علوم البلاغة ، وبخاصةٍ أثر هذه في بناء النقد الأدبي ، وبذلك يتاح للطالب أن يدرك معنى (الأدب الإسلامي) الذي هو الصورة الجديدة لكل أدب عربي صحيح منذ البعثة النبوية حتى اليوم ·

قضية جمع القرآن : لابد عند الحديث عن القرآن العظيم من إعطاء القول الفصل في قضية جمعه ، ليكون الطالب على بصيرة من سلامة القرآن من كل زيادة أو نقصان ، على حين أن كل ما تستوعبه كتب الأدب المقررة لا ينطوي على الكلمة النهائية في الموضوع ، بل يفسح المجال للشك الخبيث في هذه الناحية · فالطالب لا يخرج فقط دون فهم صحيح لسبب الإقتصار على نسخة عثمان ، بل يزوده المؤلفون بأغاليط مشوشة ، وبخاصة ما يذكرونه من إحراق عثمان لمجموعة أبي بكر عقب جمع مصحفه ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغادر الدنيا إلا بعد أن كان القرآن محفوظاً كله في صدور الألوف الذين يستحيل تواطؤهم ، وفي صحف تؤلف مجموعات كاملة لدى عدد من الصحابة ، وإنما كتبت نسخة أبي

بكر خوفاً من فقدان الحُفَّاظ لكثرة ما قتل منهم في الحروب . وقد كتبت هذه في (قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب) بيد زيد بن ثابت كاتب الوحي . والحافظ الذي عرض مجموعه على رسول الله آخر حياته صلى الله عليه وسلم . فلما كان عهد عثمان تباعدت منازل القوم فاختلفوا على القرآت باختلاف لهجاتهم . وحصل عن ذلك جدال ولجاج بين الناس . كل يؤيد قراءته . الأمر الذي حفز عثمان ومعه الصحابة رضوان الله عليهم أن يحملوا الناس على مصحف أبي بكر وحده منعاً للخلاف على القرآت . وهكذا كتب مصحف عثمان في نسخ وزعت على الأمصار . بعد الاستيثاق من ضبطه على صحف الصديق ومحفوظات الصحابة تماماً . وقد أعيدت صحف الخليفة الأول إلى أم المؤمنين حفصة سالمة . وحرقت الصحف الأخرى التي كانت في حوزة بعض الصحابة تجنبا لاختلاف القرآت . وهكذا اتفقت جميع النسخ مع المحفوظ في سلامة الضبط ولم يكن فيها من اختلاف قط إلا في ترتيب السور . فقد كانت فى بعضها مرتبة حسب النزول . فاختير ترتيب زيد لأنه صاحب العرضة الأخيرة على الرسول . أما ترتيب الآيات في السور فهو توقيف عن الرسول عن جبريل ولا خلاف فيه .

وهذا الخبر هو الذي أجمع عليه الثقات . ومنه يتبين أن لو أمكن عرض هذه الحقائق على الطلاب لأدركوا بالبداهة سلامة الكتاب من كل اضطراب . وإنما دخل الوهم على مؤلفي كتب الأدب من اعتمادهم كلام ذوي الأغراض المنحرفة من المستشرقين وأتباعهم . وكان أحرى بهم أن يرجعوا إلى مصادر علماء الإسلام الذين استوعبوا تفصيل كل ذلك كالسيوطي في (الاتقان ...) والزرقاني في (مناهل العرفان ...) وشكيب أرسلان في (حاضر العالم الإسلامي ...) .

مشكلة التقطع : تحتل هذه المشكلة حيزاً هاماً ـ على صغره ـ في الكتاب المقرر للسنة الأولى . فقد أخذ المؤلف برأي المستشرقين في هذا الموضوع دون محاكمة .. والتقطع في تعريفهم هو الانتقال من غرض إلى غرض في السورة الواحدة دون مناسبة .. وإذا ذكرنا أن مثل هذا الاستطراد بنظر المؤلف نفسه يعد عيبا في الشعر الجاهلي مثلا حيث تقوم الوحدة على البيت دون القصيدة . أدركنا سوء النتيجة التي تنبع في ذهن الطالب عن بلاغة القران . والواقع إن هذا الذي يسمونه تقطعاً إنما هو ميزة قرآنية لا علاقة لها بطريقة الجاهليين ذات الوحدات المتعددة . ذلك أن السورة الواحدة تدور دائما حول محاور ذات وحدة موضوعية . هذا فضلاً عن أن لتلك الاستطرادات ـ إذا صح وجودها ـ أثراً فعالاً في ايقاظ ضمير القارىء للغايات العليا من أغراض السورة . وبخاصة إذا ذكرنا فرق ما بين القرآن بكونه نظام تربية وتوجيه إلهي . وبين المؤلفات الأخرى ذات الاختصاص الجزئي ..

المكي والمدني : لا خلاف على التمايز بين المكي والمدني في أسلوب القرآن ، ولكن طريقة المؤلفين في عرض هذا الموضوع تلقي في خلد الطالب أن ذلك تابع للأثر المكاني والإجتماعي في نفس الرسول ، كالفرق مثلاً بين أسلوب حسان الجاهلي والإسلامي . وهذا باب جديد للشك في وحي القرآن يمكن إغلاقه بإيضاح الحكمة الإلهية في هذا الاختلاف ، الذي يعود إلى مراعاة حال المخاطب لا المتكلم ، ومعلوم ما بين وسطي مكة والمدينة من فروق اجتماعية ، تتطلب لكل منهما أسلوباً بلاغيا مطابقا لمقتضى الخال . ويظهر أن المؤلفين اكتفوا هنا أيضاً بترديد آراء المستشرقين مثل (نولدكه) ومن لف لفه ، فراحوا يعرضون ترهاتهم كمسلّمات دون مناقشة .

ولو صحت نواياهم حقاً لم يفتهم أن يدركوا طوايا أولئك المرجفين ، الذين حملوا كل أحقاد الصليبية الأولى على إخوان وأحفاد صلاح الدين ، واحتضنوا كل ضغائن اليهودية التي ما تنفك في حربها للإسلام منذ قريظة والنضير وقينقاع ، فشهادتهم في كل ما يتصل بالإسلام مردودة ، لأنها تحمل بنفسها طابع تزويرها .. وإلا فكيف تجاهل هؤلاء المرددون لأقاويل أعدائهم طوابع كل من المرحلتين المكية والمدنية !! ..

ألم يكن بوسعهم أن يتذكروا مسيرة الدعوة في عهدها الأول ، حيث كان الخطاب موجهاً للفئة التي آمنت فعرّضت نفسها لضروب البلاء وأفانين الأرزاء ، فهم أحوج ما يكونون إلى التثبيت بذكر ما أعد الله للصابرين من ألوان النعيم المقيم في جنة عرضها السمرات والأرض .. ثم لأولئك الطواغيت من المشركين وأعوانهم ، الذين رفضوا تغيير واقعهم الموروث ، وأصروا على مواجهة الدعوة الربانية بكل ما يملكون من أسباب الدفع والمنع ، ولو أدى ذلك إلى القضاء على كل مخالف لهم بالقتل والتعذيب والحرمان .. فكان من تمام البلاغة المعجزة أن تعرض هذه الوقائع في قرآن يطمئن القلوب المؤمنة إلى حسن المصير من جانب ، ويهز الأسماع والأفئدة بقوارع التحذير والوعيد في الجانب الآخر .

ولو هم قد فتحوا عقولهم لهذه البينات لما فاتهم أن يدركوا كذلك ملامح العهد المدني ، الذي تميز ببروز القوى الإسلامية في ظل دولتها ، التي علت فيها كلمة الله فوق كل نزعة مباينة ، فجاءت هذه الملامح قرآنا توافرت خلاله كل عناصر الواقع الجديد ، فرقّت لهجته في خطاب المؤمنين ، وتلّونت عبارته في نقاش الكتابيين والمنافقين ، وطالت فقراته كى تتسع لأحكام التشريع الخالد ، الذي وضع الأسس الراسخة لحلول المشكلات التي تعتري حياة الإنسان . وذلك وهذا من ألوان الوقائع في كلا قسمى القرآن العظيم بارزة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

الحديث الشريف : لعلوم الحديث رواية ونقدا أثرها البعيد في توجيه الأدب وإقامة قواعد النقد ، وهي ناحية لم تعرها المؤلفات المدرسية ما تستحق من عناية . وبهذا الخصوص نلفت النظر إلى كتاب (الإلماع في طرق السماع) نشر أسد رستم . للانتفاع من مقدمته في تبين أثر الحديث عند الكلام عن الحديث الشريف . وهناك دراسات أخرى في مؤلفات أسد رستم نفسه ، تنطوي على إيضاح وافٍ لتأثير علم الحديث في طرق النقد الأدبي يمكن الانتفاع بها في هذه الناحية .

الأدب والنصوص :

إذا كان أدب الأمة صورة عقلها ونفسها ومخطط شخصيتها . فطبيعي أن تنصب مقدمات الأدب العربي على إيضاح هذه الصورة . ومن هنا كان لزاماً على المؤلف أن يقصد إلى تبين خصائص النفس العربية جاهلية وإسلامية من خلال أدبها . وهذا يقتضي أمرين :

أ ـ **دراسة الأدب العربي على ضوء هذه الخصائص** التي تعين مُثلها العليا من الفضائل النفسية المكونة للشخصية العربية والإسلامية . ثم تبين مقومات الذكاء العربي وحساسيته الدقيقة في قدرة التعبير وطواعية اللغة .

ب ـ **عرض مقارن بين الأدب العربي وغيره** مركوزاً على هذا الأساس . بحيث يظهر الفرق بينهما فرقا بين نفس ونفس ، ومُثُل ومُثُل . وبذلك وهذا يسلم المدرس والطالب من لوثة الوهم بنقص الأدب العربي بازاء الأدب الغربي . ويتاح للطالب أن يرفع رأسه اعتزازا بأدب هذا اللسان الذي لا يزال ـ على الرغم من كل عوامل التقهقر ـ يحتل المرتبة العليا بين لغات العالم جميعاً ، شاء المتنكرون له أو أبوا .

ويحسن هنا أن نذكر أن الروح المسيطرة على مقدمات الأدب في المؤلفات المدرسية لا توفر للطالب شيئاً من هذا الاعتزاز . بل إنها لتبعثه على الشك في قيمة أدب أمته والإيمان بتفوق غيره عليه . ومثل هذا التوجيه من شأنه أن يرسخ في نفسه شعور الضعة بازاء الآخرين ، ومن ثم شعور التبعية للاخرين . وهذا شر ما تمنى به أمة من ضروب الاستعمار .

٢ ـ **في الشعر الجاهلي ألوان مختلفة باختلاف مؤثراته** الطبيعية والاجتماعية ، بعضها يمثل وضعا خاصا ، وبعضها يمثل روحاً عاماً . وإذا كان للقارىء المثقف الحق في دراسة هذا وذاك . فللطالب ظروفه الخاصة التي تتطلب دراسة فكرية موجهة ترتكز على روح أمته العامة . بصرف النظر عن كل شذوذ عارض . وعلى هذا يكون من الشطط طرح هاتيك النماذج الإباحية من شعر طرفة وامرئ القيس على عواهنها بين أيدي الطلاب ، على

حين أن الواجب يقتضي الاقتصار على النواحي النبيلة من شعرهما . تلك النواحي التي هى أشد تماساً بحياة العرب وتمثيلاً لروحهم ·

وفي كتاب السنة الأولى أشياء من تلك التوافه لا ترتفع بالدنيا عن أن تكون (سيكارة وكاس) ولا جرم أن الجماعة العربية أحوج ما تكون إلى الإيمان بأن في الحياة مُثُلاً أسمى من هذه السخائف · إن هناك العزة والحرية والوفاء والايثار و ... و ... ومثل هذه المُثُل هي نقاط الانطلاق حتى في نفس طرفة وامرئ القيس . فلينصبّ التوجيه على هذا الروح الأصيل الجميل ·

٣ ـ **مثل هذا تماماً يقال في ابن أبي ربيعة** ، فمن الجريمة في حق هذه الأمة أن يُعد شعره الفاجر صورة حقة لحياة مكة ومدن الحجاز الأخرى في صدر الإسلام ، صورة تجعل من بيت الله الحرام مباءة للداعرين والماجنين ، وتجعل من فتيات المسلمين كرقيعات هوليود وباريس . وهن اللواتي يقول فيهن الشاعر :

بيض كواعب ما هممن بريبة   كظباء مكة صيدهن حرام

وإذا كان ضروريا دراسة بعض شعره لإعطاء مثل عن تطور أساليب الغزل فليكن ذلك في مختارات أقرب إلى الذوق وإلى الأدب الحق وإلى الغاية العليا . وإلا فليطرد هذا الفاجر من المنهاج الثانوي كما طرد أبو نواس من قبله . وليس ابن أبي ربيعة خيراً من أبي نواس ·

٤ ـ في كتاب السنة الأولى أيضاً **نماذج من خطب الإمام علي** بينها واحد لم يُرَدْ به إلى الخير . وأعني به الخطبة الشقشقية . فهي فضلاً عن كونها موضع نظر عند المحققين ، من حيث نسبتها إلى أمير المؤمنين ، لا تخرج عن كونها إثارة خفية لفتنة نائمة · وأمام المؤلفين متسع في كلام الإمام . يجدون عنده الفضل والفائدة . فما بالهم يعرضون عن « القاصعة » مثلاً وهي خير كلها ونموذج أعلى من البلاغة . ليأخذوا (الشقشقية) وليس لها من أثر نافع !.. لَعمري إن القوم لكأولئك الذين يجدون فى القرآن الكريم المحكم والمتشابه . فيعرضون عن المحكم ويأخذون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ...

٥ ـ **وأخيراً فإن هناك ألواناً من روائع الأدب العربي** لا يجوز للمنهاج الثانوي أن يهملها . وأعني بها **أدب الصعاليك** سواء في الجاهلية أو الإسلام .. ففي شعر عروة بن الورد . وسليك والشنفرى ، ثم مالك بن الريب واضرابهم صور من أدب البطولة . لا غنى عن روجه لهذا الجيل المائع من شباب اليوم · إن في هذا الأدب حرية العربي وسخاءه وشجاعته ،

وفيه عزة المؤمن وشرفه وكرامته . وفيه أخيراً الثورة النبيلة بالظلم والفقر والهوان ؛ فمن حق المنهاج المدرسي أن يحفل بأدب هؤلاء الفرسان الأعزة ، وأن يحسن تحليل نفسياتهم التي كانت نموذجاً للطاقة العربية التى وجدت مجالها الصحيح في قيادة الإسلام فجعل منها القوة البناءة في حياة العرب والإنسانية . ولعل من الخير كل الخير لو استبدل هؤلاء الصعاليك الأباة بأصحاب النقائض السفهاء !

السنة الثانية :

لعل منهاج هذا الفصل أقل مآخذ من سابقه . ذلك لأن منهاج الأول لا يعدو أن يكون مقدمة تأسيسية لهذا ، فعليه يقوم الكثير من عمل التوجيه الأدبي ، ولذلك سأقصر ملاحظاتي على ثلاثة من أدباء هذا الفصل كنموذج تحسن مراعاته في كل تعديل قد يطرأ على نصوص غيرهم من أدباء المنهاج ..

١ ـ **المتنبي** : لهذا الشاعر العبقري جوانب نفسية متعددة تتراءى في شعره جميعا ، فهناك الطموح الغالب ، وهناك القوة الأصيلة ، وهناك الضعف الطارئ ، وهناك التعالى المنبثق عن الشعور بالعزة ، وهناك الاتضاع المصنوع من الحاجة ، ثم هناك الأمل القوي الجارف إلى جانب التشاؤم المظلم اليائس .. ثم هناك مُثُل الإسلام العليا من جهاد للباغين وغيرة على المسلمين أن يذلوا للظالمين ، إلى جانب نزوات من عبادة الذات تجعل نفسه غاية الغايات ، وتدفعه في غير وعي إلى الاستخفاف بالنبيين أو اصطناع أساليب الباطنيين في تجسيم رب العالمين والعياذ بالله .

فالمتنبي والحالة هذه عالم رحب الآفاق تتعذر الاحاطة به إلا على ذوي الاختصاص العالي ، ففيم نقحم الطالب المسكين في غمار أمواجه المضطربة دون تخير لما يناسب طاقته العقلية والنفسية ! .. فالتشاؤم المفرط ، والفردية المغرقة ، والخروج على مقاييس الدين الصحيح ، وما إلى ذلك من أمراض نفسية تنصب على الرجل من مختلف الينابيع القاهرة لإرادته ، أمور يجب إرجاء بحثها إلى الوسط الجامعي ، وحسبنا من المتنبي في هذا القسم بقية الجوانب التي تساعدنا على إحياء المناقب المثلى ، وتظهرنا على قدرة العقلية والذكاء العربيين .

٢ ـ **المعري : وأمر المعري في هذا المنهاج أمرٌ من أمر صاحبه أبي الطيب . فالمنهاج يفرض دراسة نماذج من رثائه وحكمته ونقده ونثره ، أما المؤلفون فكأنهم ملزمون أن لا يدعوا شيئاً من كفريات الرجل وضلالاته** دون عرض وتوسيع ، وما أدري أي الفوائد يمكن لطالب عادي أن يجنيها من تناقضات أبي العلاء وهي التي تحير في أمرها أساطين الباحثين من

القدامى والمحدثين ! .. اللهم إلا إذا كان المقصود إليه من ذلك هو التمكين لهذه الحيرة في اذهان هذا النشء المسكين ، وهو في السن التي فتحتها الأقدار لهذه الأكدار ! ..

وخلاصة القول أن في المعري كسابقه جوانب أخرى فيها الكثير من الخير المحض البناء ، فمن الشطط لا الغلط أن نكب على استخراج المعاول الهادمَة من أدب هذا القلِقِ لنضعها في أيدي المراهقين من طلابنا المساكين ! .

٣ ـ **أحمد شوقي :** كثيراً ما يتيه المؤلفون في الحديث عن هذا الشاعر المعاصر ، وبخاصة عندما يتناولون شعره القومي والسياسي .. أهو شاعر عربي ؟ أهو شاعر مصري ؟ أهو شاعر إسلامي ؟ ! .. ومرد ذلك كله إلى النزعة القومية المتطرفة التي تستحوذ على ذهن المؤلف ، فهو مدفوع بهذه النزعة إلى اعتبار القومية العربية ـ منفصلة عن الإسلام ـ هى المقياس الخلقي والفكري الذي به تحدد شخصية الرجل . والأفضل من ذلك والأصح أن تدرس الفكرة القومية على أنها شذوذ عن طبيعة الروح الإسلامي ، الذي كان مسيطراً على توجيه الشعور الإجتماعي في سائر أنحاءالوطن المسلم حتى أواخر أيام شوقي ، وكما هي الحال الآن إذ انبعثت الروح الإسلامية من جديد تكافح لاستعادة سلطانها بعد اخفاق الفكرات القومية الغالية ، فعادت تطبع الأدب المعاصر في كثير من مظاهره البارزة .

ومن العبث الفصل في الدراسة بين شوقي المسلم وشوقي المصري وشوقي العربي ، فشوقي شاعر الإسلام لا شاعر القومية ، وشاعر المسلمين جميعاً لا شاعر العروبيين وحدهم ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن تفسير كل هذه التطورات التي تضفي ألوانها على شعر شوقي ، بما في ذلك اللون الشرقي الذي يكثر ذكره في تضاعيف إنتاجه ، فليس الشرق في نظر شوقي إلّا وطن الإسلام ، فإذا هو قال :

نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق

وإذا قال : كان شعري الغنـاء في فرح الشرق ، وكان العـزاء في أحزانهْ

فهو لا يريد بهذا الشرق سوى وطن الإسلام ....

وبعد فهذه ملاحظات سريعة استخلصتها من اختبارات طويلة في التربية والتعليم ، وهي في معظمها تتناول أدباء المنهاج .. على أن هناك ملاحظات أخرى لست أقل بها أيماناً ، وهي تتناول أدباء آخرين من حقهم أن يحتلوا مكانهم في المنهاج الإعدادي ، أذكر منهم : الشاعر الأبيوردي ـ من شعراء العصر الصليبي ـ وأحمد محرم وشكيب أرسلان ورشيد رضا

وإبراهيم طوقان ـ من أدباء العصر الحديث . ففي أدب كل من هؤلاء نقاط انطلاق لا تزال تعمل عملها فى مسيرة الأدب العربى ..

والغريب أن شاعراً كالأبيوردي ـ وهو يكاد يكون الوحيد بين شعراء عصره الذي صور كفاح الإسلام بوجه الصليبية ـ يظل نائماً في ديوانه حتى الآن لا يكاد يعرفه أحد . وهو العبقري الذي يحفظ لعصره أجمل ما عرفه من بلاغة العرب وشعر النضال .

أما شكيب ورشيد ومحرم فحسبهم مجداً أنهم في طليعة القادة الفكريين للجيل الإسلامي خلال القرن الرابع عشر ـ الهجري ـ ومن كابراهيم طوقان يسجل كفاح فلسطين السليبة . التي أوشكت مأساتها أن تنسى بعد أن جعلها الإستعمار والاستهتار مشكلة لاجئين ! ..

قال المتنبى :

ومرادُ النفوسِ أصغرُ مِنْ أنْ نتعادى فيه أو نتفانى
غير أنَّ الفتى يُلاقى المنايا كَالِحَاتٍ ولا يُلاقى الهَوَانَا

* * * *

قد يدركُ المتأنى بعضَ حاجته وقد يكون مع المستَعْجِلِ الزَلَلُ
وربما فاتَ قَوْماً بعض أمرهم من التأنى وكان الحزمُ لو عَجِلُوا

* * * * *

وإذا النبوَّة لم يَنَلْكَ ضِيَاؤُها فالعقلُ لا يهديكَ قَطُّ سبيلَا
نورُ النبوَّة مثلُ نورِ الشمسِ للعينِ البصيرة فاتخذه دليلَا

تحريفات اليسوعيين لكتب التراث

للشيخ محمد شريف الزيبق
المدرس في كلية الدعوة وأصول الدين

قد لا يخطر في البال أن يعمد إنسان عاقل ينتمي للدين والعلم إلى تشويه النصوص الأدبية والتاريخية ، ولكن ذلك وقع بالفعل ، ووقع كثيراً من « الآباء اليسوعيين » في بيروت ، وهم قساوسة من الطائفة الكاثوليكية ، أسسوا جامعة « القديس جوزيف » ولهم مطبعة تسمى « المطبعة الكاثوليكية » . وقد طبعوا منذ قرن من الزمان طائفة من كتب التراث الإسلامي ، وأحدثوا فيها تحريفات غريبة وعجيبة . تدل على شدة تعصبهم وحقدهم على الإسلام ، وفقدانهم نزاهة العلماء ، وأمانتهم في النقل ، وقد كشف عن بعض هذه التحريفات أفاضل الباحثين ، وقد رأيت أن أنبه لذلك ، وأذكر بعض نماذج من هذه التحريفات :

١ ـ فقه اللغة للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي :

عندما طبع الآباء اليسوعيون هذا الكتاب استبدلوا عبارة المؤلف عند ذكر النصوص القرآنية : (قال تعالى) بعبارة : (يقول القرآن) ! وهذا منتهى التعصب ، فهم لا يريدون أن تمر أبصارهم أو تنطق ألسنتهم ، وألسنة قرّاء مطبوعتهم بعبارة تتضمن حقيقة أن القرآن كلام الله ، وأين هذا من تسامح علماء المسلمين الذين أدبهم القرآن الكريم على الأمانة في النقل والرواية لكلام المخالفين بنصه ، مهما كان محتواه مخالفاً للعقيدة الإسلامية ، حتى صارت لديهم قاعدة مشهورة : « ناقل الكفر ليس بكافر » .

٢ ـ كتاب ابن عبد البر الذى جمع فيه شعر أبي العتاهية في الزهد والحكم :

يمتاز أبو اسحق اسماعيل بن القاسم المشهور بأبي العتاهية بغزارة شعره الذي أنشده في الزهد في الدنيا ، وذكر الموت وما بعده من القبر والحساب في الآخرة والجزاء بالجنة أو النار ، سوى ما نظمه في الأغراض الشعرية الأخرى . وقد اتهمه حساده بالزندقة ، وحاولوا إثبات ذلك بإيراد روايات عن تهتكه في شبابه ، وما كان بينه وبين أمثاله من شعراء العصر العباسي كأبي نواس وغيره . هذا ما حدا بالحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر بالعناية

بجمع أشعاره الحكمية والدفاع عنه ، وإثبات براءته مما وصم به ، في كتابه : الاهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال (١) .

وكان القسيس الأب لويس شيخو اليسوعي قد طبع ديوان أبي العتاهية منذ ما يقرب من قرن في المطبعة اليسوعية في بيروت ، وأعيد طبعها عدة مرات ، وفيها تحريفات كثيرة ، لفتت نظر الشيخ المحقق أحمد محمد شاكر رحمه الله ، أثناء تحقيقه لكتاب : الشعر والشعراء لابن قتيبة . فعلق على ترجمة أبي العتاهية بقوله : « وديوانه معروف مطبوع ، طبعة الآباء اليسوعيون .. وهم قوم لا يوثق بنقلهم لتلاعبهم وتعصبهم وتحريفهم ، ولكن هذا الذي وجد بأيدي الناس » .

وقد لفت نظري مقال للدكتور آدم بيلو « حول الشعر التعليمي » المنشور في العدد ٥٢ من مجلة الجامعة الإسلامية ، وفيه يقول : إن جامع ديوان أبي العتاهية لويس شيخو قد أورد من أرجوزة أبي العتاهية المعروفة بذات الأمثال ما يقرب من الخمسين بيتاً ، وتذكرت أن الدكتور شكري فيصل قد أورد منها ثلاثمائة وعشرين بيتاً ، في كتابه : « أبو العتاهية : أخباره وأشعاره » المطبوع بجامعة دمشق سنة ١٣٨٤ ، وقد أماط مؤلف هذا الكتاب اللثام عن تحريفات الأب شيخو ، وقام بجهد مشكور في توثيق شعر أبي العتاهية معتمداً على مخطوطتين إحداهما في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والأخرى في مكتبة توبنجن بألمانيا ، وهما نسختان مما جمعه ابن عبد البر ، ولما كان ابن عبد البر لم يقصد إلى جمع شعر أبي العتاهية كله ، فإن الدكتور شكري حرص على جمع أشعاره وأخباره من مختلف المصادر فجاء كتابه جامعاً موثقاً فيه الأمانة في النقل ، وإثبات الاختلاف في الرواية إن وجد .

وأما لويس شيخو فقد طمس عمل الحافظ ابن عبد البر ، فكتب عنوان الكتاب هكذا : (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية) ، وكتب تحته : « نقلاً عن رواية النمري ، وكتب مشاهير الأدباء كالأصفهاني والمبرد وابن عبد ربه والمسعودي والماوردي والغزالي » .

وحين شرع الدكتور شكري يقابل بين مخطوطة الظاهرية وبين ما في مطبوعة الأب شيخو استرعى نظره أمر خطير ، يقول : « لفتني في شيء من عنف تحريفات غريبة وقعت عليها ، فلما مضيت أستقصي ، بدت لي هذه التحريفات وكأنها عمل مقصود » (٢) .

---

(١) منه نسخة مخطوطة جيدة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، قمت بتصويرها سنة ١٣٩٠ ، وفي نيتي نشرها محققة إن شاء الله .

(٢) بل هي مقصودة ، وجريمة تزوير صريحة .

وتبيّن للدكتور أن الأمر تجاوز التحريف إلى بتر بعض الأبيات ذوات العدد من بعض القصائد ، يقول : « وذكرت حديث الشيخ شاكر رحمه الله وكنت أظن فيه بعض الحدة ، فإذا حديثه دون أن ينهض لهذا التضليل الذي انساقت إليه طبعة الأب شيخو . والتي أرادت أن تسوق إليه الناس في شيىء كثير من الاستخفاف بكل أمانة العلم وخلق العلماء » (١) .

نمـــاذج من تحـــريفات الأب لويس شـــيخو :

ذكر الدكتور شكري فيصل عدة ملاحظات على مطبوعة شيخو : « الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية » ، ومنها :

١ ـ طمسه معالم عمل ابن عبد البر حين سكت عنه وأغفل التعريف به ، ولم يشر إلى ما أفاد منه ، وتعمد ألا يذكره بشهرته ابن عبد البر واكتفى بنسبته (النمري) ، والقارىء لا يدري أي نمري هو !

٢ ـ سكوته عن وصل الروايات والمقابلات بمصادرها ، مكتفياً بهذه المقالات الصماء : روي له ، وفي رواية ، ويروى ، وفي مخطوطة من باريس .

٣ ـ طيّه شعر أبي العتاهية الغزلي حيناً ، وتحريفه لبعضه حيناً آخر ، حذف القطعة خبر منه لأنه يجعل (الحب) (وداً) ، والهوى نوى والجارية نديماً ، والوجه رأياً في مثل البيت التالي :

عـــزة الحب أرتـــــه ذلتي   فى هـــواه وله **وجـــه** حســـن

فيصيره إلى :

عـــــزة الود أرتـــــه ذلتى   فى نـــواه ولـه **رأي** حســـن

٤ ـ ولكن أعظم من ذلك إنما كان في هذه التحريفات التى تعمدها وهى تتنوع :

فتتناول الكلمة حيناً والجملة حينا ، والشطر أو البيت كله مرة والأبيات ذوات العدد في بعض الأحايين .

وهذه نمـــاذج من كل نوع :

١ ـــ في قول إبى العتاهية :

شهـــدنا لك اللهـم أن لست والداً   ولكنـك المـــولى ولســت بمولـــود

فقد حرف (**والداً**) فجعلها (**محدثا**)

---

(١) أبو العتاهية : أخباره وأشعاره ص ٧ .

٢ ـ وقولـــه :

ليت شـــعرى كيف **حالك** يا نفــ ـــس غــدا بين ســـائق وشـــهيد

فقد حرّف التعبير القرآنى **سائق وشهيد** إلى **سابق وشهيد** .

٣ ـ وقولــــه :

أســـقام ثـــم مـــوت نـــازل ثـــم قبـــر ونشـــور وجلب

فقد حرف **نشــــور** إلى **نــزول** .

٤ ـ وقولـــه :

إن العقـــول عـــن الجنـــا ن وحـــورهـــن لســــاهيـــة

وقد حرّف **حـــورهن** إلى **دورهـــن** .

٥ ـ وقولـــــه :

وإذا ذكرت مـحـمـدا ومـصـــابـه فاذكـــر مصـــابك بالنبى محمـــد

فقد حرف البيت هكذا :

وإذا ذكـــرت **العابـــدين وذلهـــم فاجعـــل مـــلاذك بالإلـــه الأوحد**

فهو لا يطيق أن يرى لفظة (**محمد**) صلى الله عليه وسلم

٦ ـ وقولـــه :

الحمـــد لله الواحـــد الصمـــد هو الـــذى لـــم يولـــد ولـــم يلد

فقد غير الشطر الثانى ليتسق مع عقيدته القائلة بأن المسيح ابن الله ـ إلى :

فهـو الذي بــه رجائى وســـندى

٧ ـ وإليك أيها القارىء الكريم **تحريفاته** في هذه القطعة :

يا بنى أدم صونوا دينكم ينبغى للدين ألاّ يطرح

واحمدوا الله، الذى أكرمكم بنبى قام فيكم فنصح غير **بنبى** إلى **بنذير**

بـنـبى فـتـح الله بـــه كل خير نلتموه وشرح غير **بنبى** إلى **بخطيب**

مرسل لو يوزن الناس بــه في التقى والخيرشالوا ورجح **غير مرسل** إلى ابن من

فرسـول الله أولى بالعـلا ورسـول الله أولى بالمدح

غير البيت هكذا :

فنذير الخير أولى بالعلا   **ونذير الخير** أولى بالمدح[1]

٨ ـ وعندما لا يستقيم للأب **لويس** شيخو تغيير البيت يعمد إلى إسقاطه وحذفه ، ومما حذفه الأبيات التالية :

وهو الذى بعث النبىّ محمدا   صلى الإله على النبىّ المصطفى
الحمد لله لا شريك له   حاشا له أن يكون مشتركا
أين أين النبىّ صلى عليه الله   من مهتد رشيد وهادى

بل هو يحذف الأبيات ذوات العدد ، كصنيعه في حذف الأبيات السبعة الأولى من هذه القصيدة التى يبلغ عدد أبياتها ٢٦ بيتاً :

ليبك رسولَ الله من كان باكيا   ولا تنس قبرا بالمدينة ثاويا
جزى الله عنا كل خير محمداً   فقد كان مهديا دليلا وهاديا
ولن تسرى الذكرى بما هو أهله   إذا كنت للبرِّ المطهّر ناسيا
أتنسى رسول الله أفضل من مشى   وآثاره بالمسجدين كما هيا
وكان أبَّر الناس بالناس كلهم   وأكرمهم بيتاً وشعباً وواديا
تكدَّر من بعد النبى محمد   عليه سلام الله ما كان صافيا
فلم من منار كان أوضحه لنا   ومن علمٍ أمسى وأصبح عافيا

وبعد هذه الأبيات التى حذفها :

ركنا إلى الدنيا الدنية ضلة   وكشّفت الأطماع منا المساويا
وإنا لنُرمى كل يومٍ بعبرة   نراها فما نزداد إلا تماديا
نُسَرُّ بدارٍ أورثتنا تضاغنا   عليها ، ودارٍ أورثتنُا تعاديا
إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى   تقلب عريانا وان كان كاسيا

---

(١) انظر ص ١٠٠ من كتاب (أبو العتاهية أخباره وأشعاره) وقابلها بصحيفة ٦٧ من الطبعة المحرفة بعنوان (شرح ديوان أبو العتاهية) طبعة دار التراث بيروت وهي طبق الأصل من الأنوار الزاهية .

أخي كـن علـى يـأس من الناس كلهم جميعـاً وكن ما شـئت لله راجيـاً
ألـم تـر أن الله يكفي عبـاده فحسـب عبـاد الله بالله كافيـا

والقصيدة رائعة يختمها بقوله :

ألا أيهـا البـاني لغير بلاغة(١) ألا لخـراب الـدهـر أصبحت بانيـا
ألا لزوال الـعـمر أصبـحـت بانـياً وأصـبـحـت مـخـتالا فـخوراً مـباهـيا
كأنـك قـد وليْتَ عن كل ما ترى وخلفت من خلفتـه عنـك سـاليا(٢)

اجل . فالإنسان المغرور الغافل . يدركه الموت ويترك ماله لوارثه الذي سرعان ما ينساه ويسلو عنه .

وأكتفي بهذه الأمثلة على تحريفات الأب لويس شيخو . وهي نموذج لما يفعله متعصبو الصليبيين بالتراث الإسلامي .

٣ ـ المنجـد في اللغـة :

للاب يوسف معلوف وهو معجم مشهور متداول بين الناشئة . طبع للمرة الأولى سنة ١٣٢٦ (١٩٠٨ م) في ٧٣٧ ص بمطبعة الآباء اليسوعيين (٣) ثم تتابعت طبعاته . وقد طبعت الطبعة السابعة عشرة سنة ١٣٧٦ (١٩٥٦ م) بعنوان : (المنجد في اللغة والأدب والعلوم) . وذكر في مقدمة هذه الطبعة ما أدخل عليه من التحسينات مثل طبع الكلمة (الأم) باللون الأحمر . وإضافة المنجد في الأدب والعلوم للاب فرديناند تونل . وفي الطبعة الثالثة والعشرين سنة ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) عنون له : (المنجد في اللغة والأعلام) . ومنذ الطبعة السابعة عشرة كان يراجعه عدد من الأساتذة منهم كرم البستاني . والأب بولس موتراد . وأنطوان نعمة وغيرهم .

وقد بلغت صفحات الطبعة الثالثة والعشرين للمنجد اللغوي ٩٦٦ ومع (فرائد الأدب) تبلغ ١٠١٤ (والمنجد في الأعلام) ٨٠٠ صفحة مع ١٣٢ لوحة بالألوان و٦٨ خريطة جغرافية و٣٩ خريطة بالالوان . و٣٢ جدولاً و١٣٢٠ رسماً .

---

(١) أي حاجة كأنه ينظر لقوله صلى الله عليه وسلم (عش في الدنيا كأنك غريب) .

(٢) انظر القصيدة كاملة في (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥ وقابل ذلك بـ (شرح ديوان أبي العتاهية) طبعة دار التراث ببروت بدون تاريخ وبلا ذكر المؤلف أو الشارح . وهي موافقة لطبعات (الأنوار الراهية في ديوان أبي العتاهية) الذي مسخه وحرفه الأب لويس شيخو . وقد راج في لبنان في هذا العصر سرقة الطبعات بالتصوير . دون استئذان أصحاب الحق في الطبع والنشر والتأليف .

(٣) المعجمات العربية تأليف وجدي رزق غالي .

وتضمن المنجد في الأعلام ٦٠٠ر١٠ مادة ، منها ٥٩٤٠ عن العالم الإسلامي ٠

هذا هو (**المنجد**) المعجم الخطير بسبب حسن إخراجه وسهولة المراجعة فيه ، وما اتصف به من المزايا التى ذكرناها ، مما جعله يروج رواجاً عظيماً بين الدارسين من أبناء الأمة الإسلامية ٠

وترجع خطورته إلى ما تضمنه من أخطاء علمية وتاريخية متعمدة في كثير من الأحيان ، وفيه تحريفات ومطاعن في تاريخنا قد تخفى على الناشئة ، وقد تنبه لهذه الأخطاء طائفة من العلماء والباحثين :

أ) فنشر العلامة عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب سلسلة من المقالات في مجلة (دعوة الحق) المغربية انتقد فيها ٦٧٢ مادة ٠

ب) وصدرت ثلاث مقالات للأستاذ منير العمادي في مجلة (مجمع اللغة العربية) و (مجلة المعرفة) بدمشق في نقده ٠

جـ) وفي سنة ١٣٨٩ صدر تقرير عن أضرار (المنجد والمنجد الأبجدي) للأستاذ سعيد الأفغاني رئيس قسم اللغة العربية بدمشق قدمه إلى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وكيل بجامعة دمشق ، بيّن فيه بعض عوراته ومثالبه بأسلوب واضح وكلام مركز مبين ٠

د) ونشر الأستاذ عبد الستار فرج السيد مقالين في مجلة (العربي) بيّن فيهما بعض نواقص المنجد وما فيه من عورات ومثالب ، وأورد أمثلة عديدة لما وقع فيه من تحريف للأسماء وتشويه للحقائق التاريخية ، وأخطاء بسبب الترجمة السيئة ، وعدم الرجوع الى المصادر العربية ، وإهمال الكثير من الشخصيات العربية والإسلامية ، ومما قاله : « والمنجد في الأعلام المطبوع عام ١٩٦٩ ما هو إلا صورة للمنجد في الأدب والعلوم ، ولكنها صورة فيها أحياناً بتر وقبح ، أو مسخ كريه ، أو صياغات أدت إلى خلل واضطراب ٠

هـ) وتتبع العلامة الشيخ إبراهيم القطان في كتابه النفيس (عثرات المنجد) تحريفاته وأغاليطه حتى بلغت صفحات هذا الكتاب نيّفاً وخمسين وستمائة صفحة ، وسار فيه على الخطة التالية :

ينقل نص (المنجد) أو يشير إليه مع ذكر رقم الصفحة ثم يذكر تعليقه عليه ، وإذا صُحح الموضوع ، أو غُيّر ، أو صُحح بعضه في الطبعة الثانية من منجد الأعلام ، فإنه ينبه إلى ذلك ، وإذا بقي على خطئه لا يشير إليه إلا نادراً ٠

وكثيراً ما يشير في تصحيح الألفاظ اللغوية إلى (المنجد) حتى يعلم القاريء أن المصنف لم يراجع الكتب العربية مطلقاً بما في ذلك (المنجد اللغوي) ٠

وهذه نماذج من أخطاء المنجد وعثراته . في الطبعة الثانية التي أشرف عليها عدد من الأساتذة :

١ ـ قالوا في صفحة ٣٩٥ « الفضل بن الربيع عهد إليه الرشيد في بعض صلاحيات الوزارة بعد وفاة امه . وزير للمأمون » .

فما هو المقصود بقولهم بعد وفاة أمه ؟ فهل كانت أمه تلي الوزارة ، وعاد هو بعدها ؟ وأغرب من هذا وأعجب قولهم إنه وزير للمأمون . والمعروف بدون شك أن الفضل كان من أشد خصوم المأمون . وقد كان وزيراً للأمين . ولما استقر الملك للمأمون بعد مقتل الأمين استتر الفضل مدة ، حتى عفا عنه المأمون وبقي مهملا إلى أن مات .

٢ ـ تسمية الكتاب في الطبعتين الأوليتين (المنجد في الأدب والعلوم) تسمية خاطئة ، لأن الكتاب معجم لبعض الأعلام والأماكن والكتب وليس فيه ذكر للأدب إلا عرضا . وبعضها ذكر مشوها ، كما عرّف علم الكلام بأنه (علم القواعد الشرعية المكتسبة عن الأدلة) وعرف علم الفقه بأنه (علم تطبيق الأحكام الشرعية المستخرجة بالاجتهاد من القرآن والحديث على الأعمال البشرية والدنيوية) ، إلى غير ذلك من التشويه والتخليط دون الرجوع الى المصادر الموثوق بها والنقل منها . لذلك عدل المشرفون على الطبعة الجديدة عن هذه التسمية وسموه (المنجد في الأعلام) .

٣ ـ وبالإضافة الى الأخطاء والتحريف وتشويه الحقائق فإن في لغة المنجد عجمة ظاهرة أحيانا ، وفيه عامية ولحن واضح في بعض المواد لا يقع فيها من كانت له أدنى معرفة باللغة العربية .

٤ ـ في الصفحة ٢٥٦ من حرف السين الطبعة الأولى « سفيان (أبو) ابن أمية القرشي ، تاجر عادى النبي وحاربه في بدر وأحد . وقاد جناحا من الجيش الكبير الذي ذهب لحصار المدينة في وقعة مؤتة ، ثم اعتزل الحرب ، وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة ، توفي نحو ٦٥٢ » .

ويعلق مؤلف عثرات المنجد على هذه العبارة القليلة الأسطر مبينا فيها الأخطاء التالية :

ا) إن أهم صفة تميز أبا سفيان أنه شيخ قريش وزعيمها في وقته لا أنه تاجر فقط .

ب) ومن المعروف بداهة أن أبا سفيان لم يشهد معركة بدر لأنه كان يقود العير التي جاءت من الشام ونجا بها إلى مكة .

جـ) عندما جاء أبو سفيان لحصار المدينة كان هو قائد الجيش العام وكان ذلك في

غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة . وهي غير غزوة مؤتة التي كانت سنة ثمان من الهجرة بين المسلمين والروم ، وشتان بين الخندق ومؤتة في الزمان والمكان .

د) لم يعتزل أبو سفيان الحرب مطلقاً ، وبقي معادياً للمسلمين إلى يوم فتح مكة حيث أسلم .

هـ) وفي صلح الحديبية لم يُذكر أبو سفيان مطلقا ، وكانت المفاوضة بين سهيل بن عمرو العامري عن المشركين وبين النبي صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ ونختم هذه النماذج للتحريفات بما جاء في أول (منجد الأعلام) الطبعة التاسعة (الثالثة والعشرين) لمنجد اللغة :

« آدم : الإنسان الأول وأبو الجنس البشري . وعصى آدم وحواء أوامر الله فطردا من جنة الفردوس ، ولكنهما وعدا بمخلص هو المسيح » . ويعلق مؤلف (عثرات المنجد) بما يلي :

يجب أن يقال : هذا حسب اعتقاد المسيحيين ، وأما عند المسلمين فالأمر يختلف ، وذلك كما جاء في القرآن الكريم : (وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة) إلى قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) (البقرة : ٣٥ ـ ٣٧) . فإن الخطيئة في اعتقاد المسلمين لا تورث ، وكل إنسان مسؤول عن عمله « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » النجم ٣٩ ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فاطر ١٨ ، « وكل نفس بما كسبت رهينة » المدثر ٣٨ . صدق الله العظيم .

هذا ولا يجوز أن يقتنى (المنجد) إلا ومعه (عثرات المنجد) حتى يتبين من يرجع إلى المنجد ما فيه من السموم والأخطاء .

وأخيراً فإني أهيب بأهل العلم ودارسي الأدب أن يقوموا بتمحيص الكتب التي وضعها أعداء الإسلام من اليسوعيين وأشباههم . مثل جورجي زيدان ، وخاصة الكتب التي تتناول بالبحث لغة القرآن ، وأدب العربية ، والتاريخ الإسلامي ، وتراجم أعلام المسلمين ، وينقدوها ويستخرجوا ما دسّه فيها مؤلفوها من سموم .

ومما يحزّ في النفس أن يُختار كتاب (تاريخ الآداب العربية) لجورجي زيدان الحاقد على الإسلام والمسلمين ، وكل آثاره شواهد على ذلك وخاصة سلسلة روايات تاريخ الإسلام ، يختار كتابه ، ويترك كتاب (تاريخ آداب العرب) في ثلاثة أجزاء للأديب المسلم النابغة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، وقد خصص الجزء الثاني لإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وكفانا انخداعاً بتملق بعض الأدباء والكتاب من النصارى ، فإن العربية أبت أن تتنصر كما قال العلامة الأديب محمد إسعاف النشاشيبي المقدسي ـ رحمه الله ـ .

من لي بأخ ؟

من لي بأخ يبادلني الأخوة ؟

إذا لقيته سلّم علي ، وإذا دعوته أجابني ؛ وإن استنصرته نصرني ، وإن استقرضته أقرضني ، وإن افتقرت واساني ، وإن مرضت عادني ، فإن مت شهد جنازتي .

من لي بأخ إذا استنصحته نصحني ، وإذا نصحته قبل مني فإذا تكرر نصحي له لم تأخذه العزة بالإثم ، ولم يعاقبني بالاعراض عني وقطع علاقاته معي .

من لي بأخ يقيل عثرتي ، ويتجاوز عن خطيئتي ، وإذا قصرت في حقه لم يتنازل عن كريم أخلاقه فيقصر في حقي .

من لي بأخ يتحسس آلامي ويتفقد أحوالي ، فيفهم مني بالتلميح فلا يضطرني إلى التصريح .

من لي بأخ إذا أحسن إلى لم يستعبدني بإحسانه ، وإن بذل لم يكدر باظهار الفضل بذله ، ولم يبطل بالمن والأذى معروفه . وأشعرني بتقصيره في حقي مواساة لى في عدم التحرج من الاستزادة من إحسانه .

من لي بأخ إذا تفوقت عليه يشجعني وقدمني ، وافتخر بي ، فلم يحسدني .

من لي بأخ إذا لقيته استقبلني بالبشر والترحاب ، وإذا فارقته ودعني بالحفاوة والإكرام .

من لي بأخ يحب لي ما يحب لنفسه ، ويكرمني فيبلغ الإكرام منه أنه يؤثرني على نفسه .

أيها الأخ في الله ، أين أجدك ؟ وكيف السبيل إليك ؟ فأنا واجد هائم ، شوقاً إلى مصاحبتك وتطلعاً إلى مؤاخاتك في دهر عز فيه الأخ المسلم الذي يعرف لأخيه حقوق الأخوة .

محمد طارق محمد صالح
كلية القرآن الكريم

الرَّسَائِلُ الحَرْبِيَّة فى عصر الدَّوْلة الأيوبيَّة

للدكتور محمد نغش
أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

- ٣ -

ثلاث رسائل إلى الملك العادل عن انتصار الأسطول المصري في البحر الأحمر :

أرسل السلطان صلاح الدين رسالة بقلم القاضي الفاضل إلى أخيه الملك العادل أبي بكر ، بشأن انتصار الأسطول المصري بقيادة أميره حسام الدين لؤلؤ على الأسطول الصليبي ، الذى جرؤ فعبر مياه البحر الأحمر ، قاصدا مهاجمة مدينتي مكة والمدينة ، وذلك في شوال سنة ٥٧٨ هـ = فبراير ١١٨٣ م .

تبتدأ هذه الرسالة هكذا : « وصل كتابك المؤرخ بخامس ذى القعدة المسفر عن المسفر من الأخبار ، المتبسم عن المتبسم من الآثار ، وهي نعمة تضمنت نعما ، ونصرة جعلت الحرم حرما ، وكفاية ما كان الله ليؤخر معجزة نبيه - صلى الله عليه وسلم - بتأخيرها ، وعجيبة من عجائب البحر التى يتحدث عن تسييرها وتسخيرها (١) » .

وقد راعى القاضي الفاضل في هذه المقدمة الالتزام بالجناس والسجع كعادته .

ثم يقول : « وما كان الحاجب لؤلؤ فيها إلا سهما أصاب وحمد مسدده ، وسيفا قطع وشكر مجرده ... ركب السبيلين : برا وبحرا ، وامتطى السابقين : مركبا وظهرا ، وخطا فأوسع الخطو ، وغزا فأنجح الغزو (٢) » وهو يبدى إعجابه بالبسالة الحربية والتضحية المالية التى بذلها المسلمون .

ثم يحدثه عما يفعله مع الأسارى في هذه المعركة ، فيقول : « وأما هؤلاء الأسارى فقد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ، ولا بد من تطهير الأرض

---

(١) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص٣٦ .
(٢) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص ٣٦ .

من أرجاسهم ، والهواء من انفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين » (١) ٠

وفي نهاية الرسالة يحذر المسلمين بعد هذا الانتصار الباهر من مكر الصليبيين وغدرهم ، وهنا يحل حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ·· ويقول : « ان اللدغة الأولى تكفى لمن له في النظر تفقه » ٠

ثم يرسل إليه كتاباً ثانياً ، والذي بين أيدينا منه قطعة فيها تهنئة بالظفر ، ثم يأمره بالاسراع بقتل الأسارى ، ليتعظ غيرهم بما نالهم ، فليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ، ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة (٢) ٠ فالله قد أباح قتلهم لغدرهم ، وأن الغرض من ذلك تهديد غيرهم ، فالجرم الذى اقترفوه كبير ، لولا لطف الله العلى القدير ٠

ويلحق هذا الكتاب بثالث ، يستعجله فيه بضرورة القضاء عليهم ونصه : « قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٣) ، ولا توردهم بعد ماء البحر إلا نارا ، فأقلهم إذا بقى جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم ، وعدت العاقبة بالأشق الأتعب » (٤) ٠

وتنفيذا لأوامر السلطان صلاح الدين ، تولى الصوفية والفقهاء قتلهم (٥) جميعا ، وهذه الرسائل الثلاث في قصرها تشبه البرقيات في عصرنا الحالي ، كما أنها تدل على حنكة عسكرية من السلطان صلاح الدين القائد المظفر ، إذ يرى ضرورة القضاء على هؤلاء الأسارى ، شارحا في إيجاز الدواعى التى من أجلها يأمر بالقضاء عليهم ، وألا يستثنى من هذا الحكم أحدا منهم ٠

وقد اهتم المؤرخون بالاحتفاظ بالرسالة الأولى كاملة تقريباً ، أما الرسالتان التاليتان ، فقد احتفظوا بقطعتين منهما ٠

وكان لهذه السرعة وهذا الإيجاز أثرهما في أسلوب هذه الرسائل ، فالمقدمة في الكتاب الأول قصيرة ، وأرجح أن مقدمة الكتابين التاليين كانت تنهج نفس السبيل ، ولم تسهب الرسالة الأولى في وصف سير المعركة ، وكذلك بالنسبة لوصف الأسارى والانتصار عليهم ، وطلب السلطان صلاح الدين القضاء عليهم ٠

---

(١) نفس المرجع السابق ٠
(٢) أبو شامة : الروضتين جـ٢ ص ٣٦ ٠
(٣) سورة نوح آية ٢٦ ٠
(٤) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص-٣٦ ، ٣٧ ٠
(٥) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٥ ٠

وفي الكتابين التاليين في القطعتين الباقيتين عبارات قصيرة ، تنصب كلها على الهدف المباشر وهو التخلص من الأسارى في كلمات قليلة واضحة . ولم يلجأ القاضي الفاضل فيها إلى استعارة أو كناية ، فالوقت لا يسمح بذلك . هذا بخلاف ما سنجده في كتبه إلى الخليفة في هذا الموضوع .

كتابان إلى الخليفة في بغداد بشأن الموقعة السابقة :

في كتاب الروضتين قطعتان من رسالتين ، أرسلهما السلطان صلاح الدين إلى الخليفة في بغداد ، بشأن انتصار الأسطول المصري في البحر الأحمر سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٣ م . والذى قد سبق أن كاتب أخاه الملك العادل عنه .

في القطعة الأولى : يذكر السلطان صلاح الدين للخليفة تفصيلات المعركة الحربية ، ويكشف عن مخططات العدو الغادر ، وما لحقه من هزيمة منكرة : « كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا ، وافتضوا من البحر بكرا ، وعمروا مراكب حربية شحنوها بالمقاتلة والأسلحة والأزواد ، وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز ، واثخنوا وأوغلوا في البلاد » (١) .

فقد قطع أرناط غابات إقليم الكرك وأكثر نخيل العريش ، وحمله إلى حصن الكرك ، وعهد إلى دير الرهبان بصنع بعض المراكب (٢) ، كما عهد إلى صليبي عسقلان بصنع البعض الآخر ، حتى توافر لديه خمس سفن حربية كبيرة ، وعدد كبير من المراكب الخفيفة ، ونقلها جميعها مفككة على جمال البدويين إلى الساحل بعد أن أغراهم بالمال (٣) ، ثم ركب المراكب ودهنها باللون الأسود وشحنها بالرجال وآلات القتال (٤) . وأوقف منها مركبين على جزيرة قلعة أيلة ، تمنع أهلها استقاء الماء ومضى الباقون في مراكبهم إلى عيذاب (٥) . وفي البر سير أرناط عسكره إلى تبوك ليحول دون وصول أى مدد عسكري يطلبه نائب القلعة من الشام أو مصر .

واتخذ أرناط سبيله في البحر سلبا ونهبا حتى وصل إلى عيذاب ، وربما وصلت حملته جنوبا إلى باب المندب حتى عدن (٦) .

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٧ .

(٢) ابن فضل الله : التعريف ص ١٩٣ . والمقريزى : السلوك جـ ٢ ص ٧٤ .

(٣) Lane- Poole : Saladin . P. 175 , Fuller : Decisive Battles . P.234 9

(٤) Lamb : The Flame of Islam . P. 59 .

(٥) Lamb : Op. cit. P. 59 .

(٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٨ .

واشتدت مخافة المسلمين على مقدساتهم الدينية . خاصة لما أحدثه الصليبيون في طريقهم من حوادث شنيعة .

فقد أحرق الصليبيون نحو ستة عشر مركبا للمسلمين ، وأخذوا عند عيذاب مركباً يأتي بالحجاج من جدة ، ومركبين آخرين كانا مقبلين بتجار وبضائع من اليمن . وأحرقوا أطعمة كثيرة على ساحل عيذاب ، كانت معدة لميرة مكة والمدينة . هذا فضلا عن حوادث القتل والأسر والتنكيل والإرهاب التى ارتكبوها في البر والبحر (١) .

وكان الأخ سيف الدين بمصر ، قد عمر مراكب ، وفرقها على الفرقتين ، وأمرها بأن تطوى وراءهم الشقتين (٢) .

فقد بعث السلطان صلاح الدين إلى أخيه ونائبه بمصر الملك العادل أبي بكر بن أيوب بتعمير الأسطول في مصر والإسكندرية . وقام العادل على تنفيذ تعليمات السلطان صلاح الدين خير قيام . فسافر إلى السويس بعد أن عهد إلى قائد الأسطول الشيخ حسام الدين لؤلؤ بحمل المراكب مفككة على الجمال إلى تلك المدينة . وهناك أشرف على تركيبها في رمضان ٥٧٨ هـ = يناير سنة ١١٨٣ م وتعميرها بالرجال ذوى التجربة في شئون البحر وبخاصة المغاربة منهم .

ثم يأتي وصف المعركة ، فقد فرق لؤلؤ الأسطول إلى فرقتين . فصارت الأولى إلى قلعة أيلة ، واستولت على مراكب العدو برمتها ، وقتلت أكثر مقاتلتها إلا من تعلق بهضبة من الهضاب ، أو دخل في شعب من الشعاب ، وأولئك اقتفى العربان آثارهم . والتزموا إحضارهم ، فلم ينج منهم إلا القليل .

أما الفرقة الثانية فذهبت إلى عيذاب ، وأطلقت المأسورين من المسلمين ، وردت عليهم ما سلب منهم ، ولم تجد الصليبيين هناك . ثم رجع لؤلؤ إلى رابغ ، وأدرك بعض الصليبيين معتصمين بساحل الحوراء (٣) ، وكان عددهم ثلاثمائة ونيف رجل . انضم إليهم عدة من العربان ، وعندما لحقهم لؤلؤ فرت العربان خوفاً من سطوته . والتجأ الصليبيون إلى رأس جبل صعب المرتقى ، وركب عشرة من المسلمين ورائهم خيل العرب (٤) ، يقتنصونهم أسرى وقتلى .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ١٣٩ . والسلوك جـ ١ ص ٧٨ .

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٧ .

(٣) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : جـ ٥ ص ٢١٩ .

(٤) ابن أيبك : درر التيجان تحت أحداث سنة ٥٧٨ هـ ، والخطط المقريزية جـ ٣ ص ١١٨ .

ومازال لؤلؤ وأتباعه يتبعونهم ليل نهار، حتى أدركهم بعد خمسة أيام على مسافة يوم من المدينة فأسلموا أنفسهم له، وعاد بهم لؤلؤ إلى مصر وفي أرجلهم القيود (١).

وتدور القطعة الثانية حول وصف سير المعركة الحربية، وتنقلها من بلد إلى بلد، وهي تتعقب الأسطول الصليبي، موقعة به الهزيمة الواحدة تلو الأخرى.

تمتاز المكاتبات إلى الخليفة بالطول بخلاف مكاتباته فى هذا الشأن لأخيه الملك العادل. فالقطعتان اللتان بين أيدينا يجنح فيهما القاضى الفاضل إلى تفصيل الأمور. ويلجأ إلى المحسنات البديعية وعلى قمتها الاستعارة والكناية.

ويحلل كذلك الناحية النفسية للمسلمين تجاه هذه الحملة الغادرة، فيقول: « واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلة لما أومض إليهم من خلل العواقب، وما ظن المسلمون إلا أنها الساعة، وقد نشر مطوى منشور بساطها. وانتظر غضب الله لفناء بيته المحرم، ومقام خليله الأكرم، وتراث أنبيائه الأقدم، وضريح نبيه الأعظم - صلى الله عليه وسلم - ورجو أن تشحذ البصائر آية كآية هذا البيت، إذ قصده أصحاب الفيل، ووكلوا إلى الله الأمر، وكان حسبهم ونعم الوكيل » (٢).

وهو كما نرى يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى الصور الدينية ليرسم لنا انتصار المسلمين بعون الله فى معاركهم الحربية، وهاهو يختم هذه الفقرة بقوله تعالى: **(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا)** (الزمر: آية ٧١). يكنى بذلك عن قهر المسلمين لأعدائهم الصليبيين قتلا وأسراً.

رسالة تهنئة بفتح مدينة عسقلان (٣):

أرسل القاضى الفاضل هذه الرسالة إلى حسام الدين بن لاچين (٤)، وهو يستهل الرسالة بآية يشكر فيها ربه، على ما أنعم به من فتح هذه المدينة، وعلى أنها خلت من مشركيها وكفارها، الذين كانوا يحتلونها. فقد نصبت أعلام الإسلام على أبراجها وأسوارها،

---

(١) الخطط المقريزية جـ ٣ ص ١٣٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ٣٧.

(٣) عسقلان مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوبا (ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ١٧٤).

(٤) حسام الدين بن لاچين: محمد بن عمر بن لاچين، توفى سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩٢ م، والدته ست الشام بنت الأمير ناصر الدين محمد، صاحب حمى (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٢٤٦).

وكبر المكبرون والمؤذنون فى أقطار أرجائها ، وزالت سمة الصلبان عن جهاتها وأنحائها ، ورحل الناقوس عن فنائها ، وعوض جامعها منها بمنبره (١) .

فقد اجتمع السلطان صلاح الدين بأخيه الملك العادل وولده العزيز عثمان على عسقلان فى ١٦ جمادى الآخرة٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ، وضرب عليها الحصار ، حتى سلمت يوم ٢٥ جمادى الآخر = ٧ سبتمبر ، وخرج أهلها بأموالهم سالمين إلى بيت المقدس ، بعد حصار دام أربعة عشر يوما (٢) .

ويشبه القاضى الفاضل فتحها على يد السلطان صلاح الدين ، بفتحها على يد عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين ، فإنه لما دنت منها جيوش الإسلام الناصرية ، فر الصليبيون فرار النمل خوفا وفزعا ، ولجأوا إلى الانحصار خلف الجدار ، فماذا حدث ؟ يقول : نصبنا عليهم حينئذ آلات القتال ، وأذقناهم من طعم الطعن شديد الوبال ، وأنزلنا عليهم غاشية (٣) من عذاب الله لا تستدرك ولا تستقال (٤) .

ثم أخذت جنود المسلمين تثقب فى عقبتها حتى هدمت وانمحت ، وخربت الأبراج ، واستباحت الحصن الذى كان حصينا ، وطالما أعجز الأيام والأنام قهره .

وهنا يلجأ الصليبيون إلى المصالحة وطلب الأمان ، ويقبل المسلمون الصلح صيانة للمدينة من تخريب الناهبين ، وحفظا لأبناء المسلمين .

وكعادة القاضى الفاضل فى رسائله عن الانتصارات الحربية يمدح الإسلام والمسلمين المنتصرين ، ويذم الكفر والصليبيين المنهزمين ، ويجنح إلى الاستعارة كقوله : « فمازالت سهامها تركع ، وأحجارها تسجد » (٥) .

كما أنه يلجأ إلى اثبات تواريخ تحرك الجيش والانتصارات التى يحرزها مثل قوله : « وجملة الأمر أن النزول عليها كان عشية الأحد السادس عشرة جمادى الآخرة .

ونصبت الآلات يوم الثلاثاء ثامن عشرة ، ووقوع نقوب الباشورة الكبرى يوم الأربعاء تاسع عشرة ، وتسلم المدينة ونصب الأعلام عليها يوم السبت التاسع والعشرين (٦) منها » . وهذا يضيف إلى الرسالة أهمية تاريخية ، ونلاحظ أنه تخلى عن السجع ليثبت هذه التواريخ .

---

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٧٠ .

(٢) الحنبلى : شفاء القلوب ص ٣٤ . King : The Knights Hospitallen P. 130 .

(٣) الغاشية : العقوبة .

(٤) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٩١ .

(٥) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٩١ .

(٦) نفس المرجع السابق .

وبعد هذا يقول: « هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربى غنى كريم » (١). وهويقتبس من القران الكريم ليضفى على رسالته قوة الإيمان وجمال الأسلوب.

الرســـائل عن فتــح القـــدس:

صدرت الرسائل عن فتح القدس، سواء قبل الفتح أو بعده، إذ أن المعركة التى خاضها المسلمون لفتح القدس، والتى تعرف بموقعة حطين المشهورة، تعد الموقعة الفاصلة، التى انتصر فيها السلطان صلاح الدين على الصليبيين.

وقد أرسل السلطان صلاح الدين إلى بعض إخوانه، وهو يجمع الجموع، ويحشد الحشود فى سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٧ م، استعدادا لهذه الموقعة، جاء فيها: « كتبت هذه المكاتبة من جسر الخشب ظاهر دمشق، وقد زود السلطان أعز الله أنصاره للغزاة إلى بلاد الكفر، فى عسكر فيه عساكر، وفى جمع البادى فيه كأنه حاضر، وفي حشد يتجاوز أن يحمله الناظر، إلى أن يحمله الخاطر، وقد نهضت به همة لا يرجى غير الله لانهاضها، وحجبت به عزمة الله المسؤول فى حسم عوارض اعتراضها، وباع الله نفسا يستمتع أهل الإسلام بصفتها، ويذهب الله الشرك بهيبتها » (٢).

هذه الرسالة لم تصلنا كاملة، وهذه القطعة التى بين أيدينا جاء فى نهايتها دعاء للقاضى الفاضل بأن تكون موقعة القدس الفاصلة فى المعارك الدائرة بين المسلمين والصليبيين، وأن تستريح النفوس بهذا النصر.

ويرسل السلطان صلاح الدين فى سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٨ م رسالة إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله يبشره بهذا الانتصار الرائع.

وهذه الرسالة تعد أهم الرسائل الديوانية فى عصر الدولة الأيوبية، لأنها تحمل البشرى إلى الخليفة العباسي بفتح القدس، الذى كان لفتحه رنة فرح فى العالم الإسلامى كله.

ولفتت هذه الرسالة نظر الباحثين في العصر الحديث، فاستشهدوا بها فى كتاباتهم عن العصر الأيوبى، وعن أساليب الكتابة فيه، فمنهم الدكتور شوقى ضيف الذى يصف هذه

---

(١) سورة النمل آية ٤٠.

(٢) أبو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ٧٥.

الرسالة بأنها أروع أثر أدبي عنى القاضى الفاضل به وبتدبيجه (١) . ومنهم الدكتور عبد اللطيف حمزة الذى تناول موضوع الرسالة بالتفصيل . وركز تحليله بأنها تشتمل على وصف الحرب وآلاته وخاصة المنجنيقات . ثم ما ترتب عن هذه الموقعة من آثار . كما أنه اهتم بإظهار الصور البلاغية فيها (٢) . وكذلك ركز الأستاذ أنيس المقدسي على شرح أسلوب القاضى الفاضل من الناحية البلاغية (٣) .

يصف القاضى الفاضل العدو فى هذه الرسالة بأنه فى خوف وفزع . وسلاحه أصبح بلا جدوى . سيفه كالعصا . وصرعت عدده وكان الأكثر عددا وحصى . وكلت حملاته . وعثرت قدمه . والقاضى الفاضل يشخص ضعف أسلحته . فالسيف قد نام جفنه . والرماح جدعت أنوفها . فتطهرت الأرض المقدسة من رجسهم . وأصبحت بيوت المشركين متهدمة . وأصبحت نيوبهم متكسرة . وقد أجمعت جيوشهم على تسليم البلاد . وأذعنوا لكل ما طمع المسلمون فيه من شروط . فلم تنجهم سيوفهم . ولا وسعتهم دورهم وأفنيتهم . وضربت عليهم الذلة والمسكنة .

ويصف لقاء السلطان صلاح الدين الاعداء ونصر الله له . فقد أمكنه من تقتيلهم وأسر بعضهم . والاستيلاء على أسلحتهم . ففى هذه المعركة أصابت سيوف المسلمين التفلق . والرماح تكسرت . وانطلقت السهام من أقواسها لتنهش فرسان المشركين وشجعانهم .

وأسر ملكهم ومعه صليب الصلبوت . الذى كانوا يقاتلون تحته أصلب قتال وأصدقه . ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد عقد وأوثقه . وكذلك أسر المسلمون ساداتهم . ولم يفلت منهم إلا القومص بحيلته ومكره . ولكن أدركته المنية بعد أيام من هربه .

ثم يلى هذا اللقاء الذى انكسرت فيه شوكة الأعداء . أن تسقط البلاد فى يد السلطان صلاح الدين بلدا بلدا . وترتفع الراية العباسية خفاقة عالية . وتبدل المذابح منائر والكنائس مساجد .

ويبقى القدس وقد اجتمع فيه كل شريد من الأعداء وطريد . واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد . وظنوا أنها من الله مانعتهم . وأن كنيستها إلى الله شافعتهم .

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٣٧١ .

(٢) الأدب المصرى ص ١٨١ . ١٨٥ .

(٣) تطور الأساليب النثرية ص ٢٩٣ . ٢٩٤

وبالرغم من استماتة الأعداء في القتال وتكاثرهم ، واتخاذهم الأسوار المنيعة والأبرجة المنيفة ، والأودية العميقة ، والأماكن الوعرة الحصينة ، فقد نفذ السلطان برجاله إليهم ، وأحاط بهم ، فأخذوا يراسلونه بقصد مراوضته حتى تصلهم النجدة ، ولكنه كشف حيلتهم ، وأنزل الهزيمة الساحقة بهم ، إذ أخذت المنجنيقات تضرب فى جوانب السور ، كما انطلقت سهامها تتخلل شرفاته كما يتخلل السواك ثنايا الفم ، وكان المنجنيق فى أثناء ذلك كله يعلو فى السماء حينا ، وينخفض إلى الأرض حينا كأنه النسر ، واستطاع المنجنيق كذلك أن يشق فتحات الأبراج التى تتخلل الأسوار جميعها من الناس ، كما خلا ميدان القتال نفسه من الجند ، أما النقابون فقد استطاعوا أن يكشفوا النقاب عن هذه الحرب الزبون ، وأن يدكوا هذه الحصون حتى عادت سيرتها الأولى من الطوب والحجارة ، ثم عاد المنجنيق إلى تلك الصخور التى أمامه بمعوله طحنا ، ومازال يضربها ضربا حتى لم يعد لها أثر .

وسمعت الصخرة الشريفة لتلك الصخور أنينها واستغاثتها وحنينها ، فرقت لها ، وعجبت لخرابها ، وعاد النقابون ففتحوا أبوابا أخرى فى السور أيأست العدو من النجاة ، وصاح الكاتب عندها : **واحسرتاه** (١) .

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الطُّهُرَ شَطْرَ الإيمان ، والحمدُ لله تملأ الميزانَ ، وسُبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ أو تملأ ما بين السماوات والأرضِ ، والصلاةُ نورٌ ، والصدقةُ برهانٌ ، والصبرُ ضياءٌ ، والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك . كلُّ الناسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نفسَه فَمُعْتِقُها أو مُوبِقُها » .

(أخرجه مسلم)

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ الأدب المصرى ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

الخبيثة أم الخبائث

للشيخ عبد الفتاح عشماوي
المدرس في كلية الحديث الشريف

مما لا شك فيه أن سعادة الإنسان مرتبطة بعقله . والعقل من الإنسان كالقطب من الرحى أو الشمس من الكون أو الروح من الجسد .

به يعرف الخير من الشر والضار من النافع والهدى من الضلال ، وبه رفع الله شأن الإنسان . ففضله وكرمه على كثير من خلقه . خاطبه وكلفه واستخلفه في الأرض وجعله مسئولاً أمامه عما يأتى : وعما يذر .

وحفظاً لهذه النعمة الكبرى حرم الله عليه أن يندفع مع شهوته الفاسدة إلى تناول ما يفسد تلك النعمة أو يضعفها . فيحرم من آثارها الطيبة وينزل عن المكانة السامية التى وضعه الله فيها .

ومن أجل ذلك حرم الله الخمر .

التدرج في تحريمها :

وقد كان الناس يشربون الخمر حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فكثر سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر لما كانوا يرون من شرورهما ومفاسدهما . فأنزل الله عز وجل :

« **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** » سورة البقرة آية ٢١٩ .

أى أن في تعاطيهما ذنباً كبيرا . لما فيهما من الأضرار والمفاسد الجسدية والدينية . وأن فيهما كذلك منافع للناس . وهذه المنافع مادية وهى الربح بالاتجار في الخمر وكسب المال دون عناء في الميسر . ومع ذلك فإن الإثم أرجح من المنافع فيهما . وفي هذا ترجيح لجانب التحريم وليس تحريماً قاطعاً ، وتسابق الكثير إلى تركها اكتفاء بترجيح المعنى للترك .

ثم نزل بعد ذلك التحريم القاطع أثناء الصلاة تدرجاً مع الناس الذين ألفوها وعدوها جزءاً من حياتهم قال الله (سبحانه وتعالى) :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ سورة النساء آية ٤٣ ·

وكان سبب نزول هذه الآية أن رجلاً صلى وهو سكران فقرأ : « **قل يا أيها الكافرون** · أعبد ما تعبدون ·· » إلى آخر السورة بدون ذكر النفى · وكان ذلك تمهيداً للبت في أمرها ، ثم نزل حكم الله بتحريمها نهائياً · قال الله تعالى :

«يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون · إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » سورة المائدة : آية ٩١ ·

فقال عمر رضى الله عنه : انتهينا يا رب ، فقد كان هو صاحب هذه الدعوة المجابة ·

وقد احتوت الآية على جملة من أساليب التحريم القوية القاطعة ·

فأولاً : نظمت الخمر مع مظاهر الشرك في توحيد الله وعبادته وهى الأنصاب · والأزلام في سلك واحد ·

« **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام** » ·

ثانياً : وصفت الجميع بأنه (رجس) واستخدمت كلمة (إنما) الدالة على أنه لا صفة لها سوى الرجسية · وبتتبع كلمة (رجس) في القرآن الكريم لم نجدها إلا عنوانا على ما اشتد قبحه وعظم عند الله جُرمه ·

قال تعالى : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** » ·

« **فزادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون** » ·

« **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** » ·

« **فأعرض عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** » ·

« **أوْ لحم خنزير فإنه رجس** » ·

وهكذا اندرج شرب الخمر مع الكفر والكافرين وعبادة الأوثان تحت كلمة (رجس) ·

ثالثاً : وصفت الآية الخمر بأنها من عمل الشيطان وهو كناية في اللسان العربى وفي الأسلوب القرآنى على غاية الفحش ونهاية الشر ·

رابعاً : أمرت الآية باجتنابه ومعناه أن تكون الخمر في جانب والمؤمن في جانب ناء منها بحيث لا يقربها فضلاً عن أن يتصل بها فضلاً عن أن يتناولها ·

خامساً : علقت الآية على اجتنابه رجاء الفلاح · والفلاح يتضمن السلامة من الخسران والحصول على خيري الدنيا والآخرة وأرشد ذلك إلى أن الاقتراب من الخمر يوقع في الخسران العام المطلق ·

سادساً : أرشدت الآية إلى أثره السيء في علاقة الناس بعضهم مع بعض ، بقطع الصلات · ويعد لسفك الدماء · وانتهاك الحرمات التى عظمها الله ·

« **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر** » ·

سابعاً : سجلت الآية أن من آثار الخمر بعد هذا الضرر الاجتماعى ضرراً آخر روحياً يقطع صلة الإنسان بربه · وينزع من نفسه تذكر عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلاة الخاشعة · وتذكر جماله وجلاله ، وذلك بما يترك في القلب من قسوة وفي النفس من دنس ·

« **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** » ·

وأخيراً تختم الآية هذه الجهات كلها بهذا الاستفهام التقريعى الدال على غاية التهديد ·

« **فهل أنتم منتهون** » ، أى انتهوا وإلا ، وإلا فعقاب ماحِق لمن لم ينته ،

تلك أساليب التحريم التى تضمنتها آية الخمر وانه لفى الواحد منها ما يملأ قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه إذا ما حدثته نفسه أن يقترب من الخمر بما يلوث من نتنه ؛

وهذه الآية آخر ما نزل في حكم الخمر وهى قاضية بتحريمها تحريماً مُرْهِباً ·

وأخرج عبد الله بن حميد عن عطاء قال :

أول ما نزل من تحريم الخمر : « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** » ·

فقال بعض الناس : نشربها لمنافعها ، وقال الآخرون : لا خير في شيء فيه إثم ·

ثم نزلت : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » ·

فقال بعض الناس : نشربها ونجلس في بيوتنا · وقال آخرون : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين · فنزلت : « **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون · إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » فنهاهم فأنتهوا · وكان هذا التحريم بعد غزوة الأحزاب ·

وعن قتادة : أن الله حرم الخمر في سورة المائدة بعد غزوة الأحزاب وكانت غزوة الأحزاب سنة أربع أو خمس هجرية ·

وذكر ابن إسحاق أن التحريم كان في غزوة بنى النضير وكانت سنة أربع هجرية على الراجح ·

تشديد الإسلام في تحريم الخمر :

وتحريم الخمر يتفق مع تعاليم الإسلام التي تستهدف إيجاد شخصية قوية في جسمها ونفسها وعقلها · وما من شك في أن الخمر تضعف الشخصية وتذهب بمقوماتها ولا سيما العقل ·

وإذا ذهب العقل تحول المرء إلى حيوان شرير وصدر عنه من الشر والفساد ما لا حد له · فالقتل والعدوان والفحش وإفشاء الأسرار وخيانة الأوطان من آثاره ·

وهذا الشر يصل إلى نفس الإنسان وإلى أصدقائه وجيرانه وإلى كل من يسوقه حظه التعس إلى الاقتراب منه ·

فعن على كرم الله وجهه : أنه كان مع عمه حمزة وكان له شارفان (ناقتان مسنتان) أراد أن يجمع عليهما الإذخر · وهو نبات طيب الرائحة ـ مع صائغ يهودى ويبيعه للصواغين ليستعين بثمنه على وليمة فاطمة رضى الله عنها ـ عند إرادة البناء بها ـ ·

وكان عمه حمزة يشرب الخمر مع بعض الأنصار ومعه قينة تغنيه فأنشدت شعراً حثته به على نحر الناقتين · وأخذ أطايبهما ليأكل منها · فثار حمزة وقطع أسنمتها وأخذ من كبديهما فلما رأى على ذلك تألم ولم يملك عينيه وشكا حمزة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فدخل النبى صلى الله عليه وسلم · على حمزة ومعه على وزيد بن حارثة · فتغيظ عليه

وطفق يلومه ـ وكان حمزة ثملا احمرت عيناه · فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ولمن معه : وهل أنتم إلا عبيد لأبى ·

فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم أنه ثمل · نكص على عقبيه القهقرى وخرج هو ومن معه ·

هذه هي آثار الخمر حينما تلعب برأس شاربها وتفقده وعيه ولهذا أطلق عليها الشرع أم الخبائث ·

ومما يروى من آثار الخمر · أن قيس بن عاصم المنقرى كان شراباً لها في الجاهلية ثم حرمها على نفسه · وكان سبب ذلك أنه غمز عُكنة ابنته وهو سكران · وسب أبويه ورأى القمر فتكلم بشيء وأعطى الخمار كثيراً من ماله فلما أفاق أخبر بذلك وحرمها على نفسه وفيها يقول :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا ... ولا أشفى بها أبداً سقيماً
ولا أعطى بها ثمنا حياتى ... ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجنبهم بها الأمر العظيما

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل :

« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر · ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته » ·

– رواه الطبرانى في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو · وكذا من حديث ابن عباس بلفظ – « من شربها وقع على أمه » – ·

وكما جعلها أم الخبائث أكد حرمتها ولعن بتعاطيها وكل من له صلة واعتبره خارجاً عن الإيمان ·

فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

« لعن في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشترى له » رواه ابن ماجه والترمذى · وقال حديث غريب ·

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ·

رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى ·

وجعل جزاء من يتناولها في الدنيا أن يحرم منها في الآخرة لأنه استعجل سيئا فجوزي بالحرمان منه ·

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب لم يشربها في الآخرة وإن دخل الجنة » ·

السنة والإجماع في تحريم الخمر :

جاء في السنة النبوية تأكيد تحريم الخمر عينا بأحاديث عديدة ثابتة ·

مثل قوله صلى الله عليه وسلم « حرّمت الخمر بعينها والسُّكرُ من كل شراب » ويروى « لعينها » ويروى (بعينها قليلها وكثيرها » (1) ·

وقوله عليه الصلاة والسلام « من شرب الخمر فاجلدوه) ·

ولقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ·

وأجمعت الأمة من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على تحريمها · وبذلك استقرت الحرمة حكماً للخمر في الإسلام وصارت حرمتها من المعلوم من الدين بالضرورة · ومن لوازم ذلك أن من استحلها وأنكر حرمتها يكون خارجاً من الإسلام · وإن من يتناولها طائعاً مختاراً مقراً بحرمتها يكون فاسقا عن أمر الله · خارجاً على حدوده عاصياً لأحكامه ·

ولا خلاف في هذا لأحد من ذوى الفهم في النصوص والأحكام سواء أخذت شرباً أو بطريق آخر ·

وبعد هذا كله ما زلنا نجد بعض الناس يقولون بأنه لم يرد نص صريح في تحريم الخمر فلم يأت : حرمت عليكم الخمر · كما جاء في القرآن : « **حرمت عليكم الميتة** » ·

---

(١) اللفظ الأول رواه العقيلى عن على وأعله بمحمد بن الفرات · ورواه النسائى والبزار والطبرانى والدارقطنى وأبو نعيم عن ابن عباس موقوفاً : (مجمع الزوائد ٥ / ٥٣) ·

ونقول لهؤلاء : إن تحريم الخمر في القرآن تحريم قاطع لا شك فيه ولا يصح الجدال حوله بل إن قول الله سبحانه « فاجتنبوه » أقوى وأبلغ وأشد تحريماً مما لو قال سبحانه وتعالى : حرمت عليكم الخمر ، بل إنه حرم حملها والجلوس على مائدة يتناول فيها الخمر . والجلوس مع من يتناولها . والاقتراب منها بأى شكل كان .

يلاحظ مثلاً ومنذ بدء الخليقة أن الحق سبحانه حين قال لآدم كل من كل شيء في الجنة ولا تأكل من هذه الشجرة .

قال لآدم وحواء وهو يأمرهما بالامتناع عن الأكل من الشجرة المحرمة « **لا تقربا هذه الشجرة** » لم يقل لهما : لا تأكلان من هذه الشجرة وإنما قال لا تقربا هذه الشجرة .

ما الفرق بين أن يقول سبحانه وتعالى لا تأكل من هذه الشجرة . وأن يقول لا تقربا هذه الشجرة . ؟

فكأن محارم الله يجب أن يبتعد عنها وعن نطاقها . لا تقترب أبداً لأن القرب منها قد يغرى الإنسان بها قد تفتح باب الشيطان في نفس الإنسان فيقع في المعصية .

إذن لا تقربا هذه الشجرة) أبلغ وأشد في الإحتياط من ، لا تأكلا منها ، لأنه ، إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال : لا تأكلا ، لكان من الممكن أن يذهب الإنسان إلى الشجرة ويجلس بجوارها ويتغزل في محاسنها وينظر إلى ثمارها بحسرة ولكنه لا يأكل منها وحينئذ لا يكون مخالفاً لأمر الله . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجنب البشر ذلك الذي يقربهم من المعصية وتفتح في نفوسهم باب الشيطان ..

ومن هنا حين قال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة كان يعني لا تقربا منها أبداً - لأن القرب منها بداية المعصية وفتح الباب أمام هوى النفس وإغراء الشيطان ، **ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .**

ولذلك يلاحظ في القرآن أن كل شيء محرم يقول الله سبحانه وتعالى « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » لكن في المحللات يقول : « **فلا تعتدوها** » تتجاوزوها .

ونقول لمن يردد أن الخمر لم يرد فيها نص تحريمى كما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير نقول لهم : إنكم لم تفهموا مدلولات اللغة ولا مدلولات القرآن الكريم .

فالاجتناب أقوى من التحريم بدليل أن الاجتناب جاء في قمة العقيدة قال الله تعالى « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** » فكلمة اجتناب هنا في ماذا ؟ .

في قمة الإيمان وفي قمة العقيدة · فهل معنى ذلك أن عبادة الشيطان غير محرمة بل مكروهة ؟ ·

وأن عبادة الأصنام غير محرمة بل مكروهة ؟ ·

إن الاجتناب أقوى من التحريم · وإلا لم يكن الله سبحانه وتعالى ليستخدم هذا اللفظ في قمة العبادات وفي قمة الإيمان ·

فقول الله تعالى : « فاجتنبوه » معناه أنه ممنوع على المسلم أن يوجد مع الخمر في أى مكان أو مع أناس يشربونه أو يحمله لمن يشربه · أو يتاجر فيه ويتخذه وسيلة للرزق ·

فالذين يقولون إن الخمر لم تحرم في كتاب الله · قوم يجهلون أساليب التحريم في كتاب الله وفي سنة رسوله · بل هناك من يحاول طمس الحقائق عن طريق الخداع وإلباس الحق بالباطل كيداً للمسلمين · وانتزاعاً لهم من دينهم وطمساً لشعائرهم وتحريضاً لهم على اقتحام حرمات الله باسم الفهم والرأى · وما مقصدهم في الحقيقة إلا الكيد للإسلام وإلا الخديعة للمسلمين ·

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه » رواه أحمد وابن ماجه وقال تشرب مكان (تستحل) ·

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها » رواه ابن ماجه : نيل الأوطار جـ ٨ ص ٢٠٣ ·

فهؤلاء الذين تكلم عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم يستحلون أو يشربون الخمر باسم غير اسم الخمر فكأنهم يتحايلون على تحريم الخمر بتسميتها باسم آخر ·

ما هى الخمر : سأتعرض لتعريف الخمر في اللغة وتعريفها في الكيمياء وتعريفها في الفقه الإسلامي ·

تعريفها اللغوى : الخمر في اللغة تذكر وتؤنث فيقال : هى الخمر وهو الخمر وأنكر بعضهم التذكير · وقال إن الخمر مؤنثة فقط ·

والخمر هو ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل والتخمير التغطية · يقال : خمر وجهه · وخمر إناءه أى غطاهما ·

والمخامرة أيضاً المخالطة · وقال ابن الأعرابي : وسميت الخمر خمراً لأنها تركت فاخمرت · واختمارها تغير ريحها ·

وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل · ويقال : خمرة وخمر وخمور · مثل : تمرة وتمر وتمور ·

تعريف الخمر في الكيمياء (١) : الخمر هى الأشربة التي بها كمية من الكحول - والكحول أو الغَوْل في أصل اللغة العربية هو ما ينشأ عنه بعد شرب الخمر صداع وسكر لأنه يغتال العقل ·

وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن خمر الجنة هذه الصفة فقال تعالى : « **لا فيها غَوْل ولا هم عنها ينزفون** » والغول (الكحول) هو اسم عام يطلق على جملة من المركبات الكيماوية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات (الهيدروجين) و (الكربون) (الفحم) وآخرها مجموعة (هيدروكسيلية) أي ذرتى (أوكسيچين) و (هايدروجين) وهذه المركبات تدعى : « الغولات - أو (الأغوال) جمع غَوْل · ومنها الكحول المثيلى ·

ولما كان الكحول الأثيلى أكثرها شيوعاً واستعمالاً اصطلح العلماء على تخصيصه باسم الكحول · وهو روح الخمر · والأسبرتو الذى يستخدم للوقود يحتوى في العادة على الكحول المثيلى السام ، إذ تضيفه الحكومات عمداً حتى لا يشرب ، ولذا كان شرب السبرتو مميتاً في أغلب الحالات على الفور · بينما شرب الخمر مميت على المدى الطويل ·

وتتكون الكحول في الخمر بواسطة (أنزيمات) خمائر - تقوم بتحويل المواد السكرية الموجودة في الفواكه مثل العنب والرطب والتين ·

والمواد النشوية الموجودة في الشعير والذرة والحنطة إلى كحول أثيلى وذلك بعمليات بطيئة متتابعة ·

وقد كانت هذه الطريقة تستعمل منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا للحصول على الخمور · وبهذه الطريقة يمكن الحصول على جميع أنواع المشروبات المخمرة بمفهومها القديم مثل (الجعّة) وغيرها ·

أو بمفهومها الحديث مثل الشيلي والشامبانيا وغيرهما · وفي العصر الحاضر تزرع هذه الخميرة في المختبرات وتضاف إلى الفواكه بكميات ومقادير محسوبة وتوضع في درجة حرارة ملائمة حتى تسرع عملية التخمر الذاتى ·

---

(١) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ١٦ ·

وهكذا يتحول السكر إلى كحول أثيلى وثاني أكسيد كربون وماء ·

تعريف الخمر في الفقه الإسلامي :

(هو كل ما أسكر سواء كان عصيراً أو نقيعاً من العنب أو ومن غيره مطبوخاً أو غير مطبوخ) ·

والمعلوم أن كل ما من شأنه أن يسكر يعتبر خمراً ، ولا عبرة بالمادة التى أخذت منه فما كان مسكراً من أى نوع من الأنواع فهو خمر شرعاً · ويأخذ حكمه · يستوى في ذلك ما كان من العنب أو التمر أو العسل أو الحنطة أو الشعير أو ما كان من غير هذه الأشياء إذ أن ذلك كله خمر محرم لضرره الخاص والعام · ولصده عن ذكر الله وعن الصلاة ولا يقاعه العداوة والبغضاء بين الناس ·

والشارع لا يفرق بين شرابين كلاهما مسكر ولو اختلف أصلهما ، فيبيح القليل من صنف ويحرم القليل من صنف آخر ، بل يسوى بينهما - وإذا كان قد حرم القليل من أحدهما فإنه كذلك قد حرم القليل من الآخر ، وقد جاءت النصوص صريحة لا تحتمل التأويل ·

فقد روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر · وكل خمر حرام » ·

وروى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أما بعد · أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء :

العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير · والخمر ما خامر العقل » ·

هذا الذى قاله أمير المؤمنين · وهو القول الفصل لأنه أعرف باللغة وأعلم بالشرع · ولم ينقل أن أحداً من الصحابة خالفه فيما ذهب إليه ·

وروى مسلم عن جابر : أن رجلاً من اليمن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له (المزر) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكر هو ؟ » قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم :

« كل مسكر حرام ··· إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال · قالوا يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟

قال : « عرق أهل النار » أو قال : « عصارة أهل النار » .

وروى أحمد والبخارى ومسلم عن أبي موسى الأشعرى قال :

قلت يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن (البِتع) وهو من العسل حين يشتد - (والمزر) وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم بخواتيمه . قال : « كل مسكر حرام » .

هذا هو رأى جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين .

وهذه أنواع الخمور التي كانت توجد أساساً فهل يقتصر التحريم على هذه الأنواع الخمسة فقط أم أن هناك أنواعاً مستحدثة وأسماء جديدة ؟!! .

أهم الأنواع التي استحدثت من الخمر : هناك مثلاً (البراندي) (والوسكى) (والروم) (والليكير) ، وغيرها . وتبلغ نسبة الكحول فيها من ٤٠ ٪ إلى ٦٠ ٪ وتبلغ النسبة في (الجن) و (الهولاندي) و (الجنيفا) من ٣٣ ٪ إلى ٤٠ ٪ وهناك أيضاً أصنافاً أخرى مثل (البورت) و (الشرى) و (المادیرا) وتحتوي على ١٥ ٪ إلى ٢٥ ٪ .

وتحتوى الخمور الخفيفة مثل (الكلارت) و (الهوك) و (الشامبانيا) و (البرجاندى) على ١٠ ٪ إلى ١٥ ٪ .

وأنواع البيرة الخفيفة على ٢ ٪ إلى ٩ ٪ مثل (الأيل) و (البورتر) و (الاستوت) و (الميونيخ) وغيرها .

كما أن هناك أصنافاً أخرى تحتوى على نفس النسب الأخيرة مثل (البوظة) والقصب المتخمر وغيرهما (١) .

سر تحريم الخمر : عندما قرر الإسلام حرمة الخمر وعقوبة شاربها لم ينظر إلى أنها سائل يشرب . وإنما نظر إلى الأثر الذي تحدثه في شاربها من زوال العقل الذي يفسد عليه إنسانيته ويسلبه مكانة التكريم التي منحه الله إياها . ويفسد عليه أيضاً ما يجب أن يكون بينه وبين الناس من صلات المحبة والصفاء ويطوع له مع هذا انتهاك الأعراض وقتل النفس ويعكر عليه صفو المعرفة بالله الناشئة عن مراقبته وتذكر عظمته .

وذلك عنوان أضرارها الروحية والاجتماعية التى حرمت لأجلها كما تضمنها وأشار إليها بأساليب التحريم المتعددة القوية قوله تعالى من سورة المائدة :

---

(١) نقل هذا من تقرير طبى عالمى .

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وقد كشف الوحى الإنساني في ضوء هذا الوحى الإلهى الكريم أن للخمر مع هذه الأضرار أضراراً أخرى أجمع عليها الأطباء المتخصصون في أمراض الكبد والمعدة والقلب وسائر الأجهزة .

وقد ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية من باريس في شهر مايو ١٩٥٦ م أن معهد الإحصاء الفرنسى أذاع في ٢٥ من مايو سنة ١٩٥٨ م أن الخمور بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل .

وقال المعهد إن ١٧,٤٠٠ فرنسي ماتوا في العام الماضي من الخمر بينما لم يمت سوى ١٢,٠٠٠ بالسل .

هذا التقرير رسمي عماده معهد الإحصاء القومي في فرنسا لضحايا كل من الخمر والسل .

وحسْب الذين يميلون إلى الخمر أو يحاولون خديعة الناس عن حكمها في الإسلام أن يعرفوا ذلك ليتبين لهم كيف يرحمهم الله الحكيم بتحريم الخمر وكيف يصورها لهم بأنها « **رجس من عمل الشيطان** » وأى رجس بعد هذا ؟!! .

وهذا كله فوق ما يحدثه شربها من الأضرار الاقتصادية التى تذهب بأموال شاربها سفهاً بغير علم إلى خزائن الذين اصطنعوها وصدروها وتفننوا في سبيل الإعلان عنها والاغراء بها . وفوق ما تحدثه من الأضرار الأدبية في الذهاب بالحشمة والوقار واحترام الأهل والأبناء والأصدقاء . وفوق التوارث لرجسيتها بين الآباء والأبناء والأحفاد . ولهذا كله حرم الإسلام الخمر .

وقد نشرت مجلة التمدن الإسلامي ملخصاً لأضرار الخمر بقلم الدكتور عبد الوهاب خليل . يتحدث فيه عن أضرار الخمر النفسية والبدنية والخلقية وما يترتب عليها من آثار سيئة .

فقالت ... (وإذا سألنا جميع العلماء سواء علماء الدين أو الطب أو الأخلاق أو الاجتماع أو الاقتصاد وأخذنا رأيهم في تعاطى المسكرات لكان جواب الكل واحداً :

وهو منع تعاطيها منعاً باتاً لأنها مضرة ضرراً فادحاً) .

فعلماء الدين يقولون : إنها محرمة وما حرمت إلا لأنها أم الخبائث .

وعلماء الطب يقولون : إنها من أعظم الأخطار التي تهدد نوع البشر لا بما تورثه مباشرة من الأضرار السامة فحسب بل بعواقبها الوخيمة أيضاً .

إذ أنها تمهد السبيل لخطر لا يقل ضرراً عنها . ألا وهو السل .

والخمر توهن الجسم وتجعله أضعف مقاومة وجلداً في كثير من الأمراض مطلقاً . لأنها تؤثر في جميع أجهزة البدن وخاصة في الكبد .

وهى شديدة الفتك بالمجموعة العصبية لذلك لا يستغرب أن تكون من أهم الأسباب الموجبة لكثير من الأمراض العصبية ومن أعظم دواعي الجنون والشقاوة والإجرام لا لمستعملها فقط بل وفي أعقابه من بعده .

فهى إذن علة الشقاء والبؤس . وهى جرثومة الإفلاس والمسكنة والمذلة . وما نزلت بقوم إلا أودت بهم مادة ومعنى بدناً وروحاً جسماً وعقلاً .

وعلماء الأخلاق يقولون : لكى يكون الإنسان محافظاً على الرزانة والعفة والشرف والنخوة والمروءة . يلزم عدم تناول شيء يضيع به هذه الصفات الحميدة .

وعلماء الاجتماع يقولون : لكى يكون المجتمع الإنساني على غاية من النظام والترتيب يلزم عدم تعكيره بأعمال تخل بهذا النظام وعندها تصبح الفوضى سائدة . والفوضى تخلق التفرقة . والتفرقة تفيد الأعداء المتربصين .

وعلماء الاقتصاد يقولون : إن كل درهم نصرفه لمنفعتنا فهو قوة لنا وللوطن وكل درهم نصرفه لمضرتنا فهو خسارة علينا وعلى وطننا . فكيف بهذه الملايين من الأموال التي تذهب سدى على شرب المسكرات على اختلاف أنواعها وتؤخرنا مالياً وتذهب بمروءتنا وتدمر مجتمعنا .

فعلى هذا الأساس نرى أن العقل يأمرنا بعدم تعاطى الخمر . لأن العقل يجب أن يعي الخير الذي يأمر الله به . وإذا أرادت الحكومة أى حكومة أخذ رأى العلماء الخبيرين في هذا المضمار فقد كفيناها مؤونة التعب في هذه السبيل وأتيناها بالجواب بدون أن تتكبد مشقة أو تصرف قرشاً واحداً . إذ جميع العقلاء متفقون على ضررها . والحكومات من الشعوب والشعوب تريد من حكوماتها رفع الضرر عنها والأذى فهى مسئولة عن رعيتها .

وبمنع المسكرات يغدوا أفراد الأمة أقوياء البنية صحيحي الجسم أقوياء العزيمة ذوي عقل ناضج . وهذه من أهم الوسائل المؤدية إلى رفع المستوى الصحى في المجتمع كله . وكذلك هى الدعامة الأولى لصلابة البناء الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي ، فتنعدم أو تقل الجرائم وكل ما يثير الاضطرابات ٠

وبعدها تصبح السجون خالية تتحول إلى دور يستفاد منها بشتى الإصلاحات الاجتماعية ٠

هذه هي الحضارة والمدنية ٠ وهذا هو الرقى والوعي وهذا هو المعيار والميزان لرقى الأمم ٠ أن تشترك وتتعاون على رفع الضرر والأذى ، وفتح باب العمل الجدى المنتج الواسع ٠

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .. انتهى ٠

هذه الأضرار الآنفة ثبتت ثبوتاً لا مجال فيه لشك أو ارتياب مما حمل كثيراً من الدول الواعية على محاربة تعاطي الخمر وغيرها من المسكرات وكان في مقدمة من حاول ذلك من الدول أمريكا وروسيا أكبر دولتين ماديتين في العالم ٠

فقد نشر في كتاب : (**تنقيحات**) للسيد أبو الأعلى المودودى ما يلي :

(منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة ٠ كالمجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها وكذا روسيا ودولاً أخرى كثيرة ليست مسلمة ٠

ويقدرون ما أنفقت أمريكا في الدعاية ضد الخمر بما يزيد عن ٦٠ مليون دولار وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون دولار ٠

وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس وسجن ٥٣٢,٣٣٥ نفس وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيهاً وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيهاً ٠

ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ م إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر في بلادها إباحة مطلقة) انتهى ٠

إن أمريكا قد عجزت عجزاً تاماً عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الضخمة التي بذلتها ٠

ولكن الإسلام الذي ربى الأمة على أساس من الدين وغرس في نفوس أفرادها غراس الإيمان الحق وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة . لم يصنع شيئاً من ذلك ولم يتكلف مثل هذا الجهد ولكنها كلمة قيلت من الله سبحانه وتعالى استجابت لها النفوس استجابة مطلقة .

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

« ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ . اني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : في بيتنا إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا : لا فقال : إن الخمر قد حرمت فقال : يا أنس أرق هذه القلال .

قال : فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل » . وهكذا يصنع الإيمان بأهله .

تأثير الخمر على جسم الإنسان : إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التى وجه الإسلام إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالته . ولن يكون الشخص راجحاً في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا حافظ على جسمه وعقله وصانه عن كل ما يفسده .

ويقظة العقل مرتبطة بسلامة الجسد ، وقد قيل : العقل السليم في الجسم السليم . ولذلك نهانا الله سبحانه وتعالى عن الابتعاد عن كل ما فيه إفساد للجسم أو للعقل ، قال تعالى : « **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** » وقال سبحانه وتعالى : « **ولا تقتلوا أنفسكم** » ومما لا شك فيه أن الخمر تؤدى بشاربها إلى الهلاك المؤكد الذي أثبتته وقائع الأيام .

فمن المعلوم أن جميع السوائل المسكرة تحتوي على نسبة معينة من الكحول كما أسلفنا ترتفع وتنخفض بالنسبة لنوع السائل . فمثلاً كأس البيرة الواحد نسبة الكحول فيه من ٣ – ٨ ٪ وكاس الويسكى يحتوى على نسبة ٥٠ ٪ من الكحول . وكأس الشمبانيا يحتوى على نسبة ٢٠ ٪ من الكحول . وكأس الشيرى أو البورت يحتوى على نسبة ٢٠٪ من الكحول (١) .

ومن المعلوم كذلك أن نسبة الكحول كلما ارتفعت نسبتها في الشراب كلما كان تأثيره السيء على الأجهزة التي يحتويها الجسم أكثر ضرراً وأشد فتكا .

ومن المعلوم كذلك أن الذي يؤثر في أجهزة جسم الإنسان هو الكحول لذا يسمى بروح الخمر ، ولهذا كما سبق يسمى في اللغة العربية بالغول لأنه يغتال العقول بل ويفتك بها .

---

(١) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٣٤

لذا فإن الله عز وجل لما ذكر عباده المخلصين الذين استثناهم من تذوق العذاب الأليم وصور لهم النعيم الذي سيتقلبون في إعطائه في الدار الآخرة كان من ضمن ما يتنعمون أن يطاف عليهم بخمر لذة للشاربين لأنها منقاة من الغول المجلب للصداع المنغص المكدر حقيقة للنفوس ٠ قال تعالى :

« أولئك لهم رزق معلوم فواكهُ وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ٠ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » ٠ (١)

ومن الدراسات الكيمائية اتضح أنه يفتك كذلك بكثير من أجهزة الجسم ولكن تأثيره المباشر والفوري يظهر أول ما يظهر على العقول ٠

ولما كان الكحول هو روح الخمر كما ذكر وقد أجريت دراسات علمية معملية على مدى تأثير الكحول على أجهزة جسم الإنسان ٠ وثبت يقيناً أن للكحول وبالتالى للخمور آثار فتاكة بكل أجزاء جسم الإنسان ، وإن كان نسبة الضرر التي تصيب كل جزء تتفاوت عن غيرها ٠

من أجل هذا سأتحدث إجمالاً عن بعض الأضرار التي تلحق الإنسان من جراء تناوله هذه السموم ٠

تأثير الكحول على الجهاز العصبي للإنسان :

« أهم تأثير للكحول تخديره لخلايا المخ جميعاً ٠ ولكن أهم الخلايا التي تصاب هي خلايا القشرة وهي الخلايا المتحكمة في الإرادة أو ما نعبر عنه بكلمة العقل » ٠

والعقل هو القوة التي خلقها الله للإنسان يستطيع بواسطتها أن يميز بين الأشياء لذا فإن الطفل تتكون عنده بالتدريج مجموعة من الموانع الأخلاقية بالتربية فالطفل يتبول ، ويتغوط دون أي مانع ٠ فإذا بلغ سن التمييز ثم التكليف فإنه لا يمارس الأفعال التي كان يمارسها وهو صغير ٠

---

(١) الصافات ٤١ ـ ٤٧

ووظيفة الكحول هي التأثير على هذه القوة فيصبح مرة أخرى لا يتحرج من فعل ما كان يفعله صغيراً أو ما يماثله · ويفقد الإنسان قوة التحكم فيما يأتي من أفعال · وحتى فيما ينطق به من كلمات · إذا سكر هذى وإذا هذى افترى ·

ويفقد القدرة على الأعمال التي تحتاج إلى دقة كالطباعة أو قيادة السيارات بل وتختل الموازين الزمنية والمكانية · فلا يستطيع السائق المخمور أن يتحكم في السرعة وتفادى الحوادث · لذا فإن جميع الدول تحرم قيادة السيارات تحت تأثير الخمر وتشدد العقوبة حينئذ على المخمور ·

وقد أثبتت الفحوص الكثيرة أن الكفاءة والمقدرة لدى الشخص المتعاطي تنخفض بمجرد شرب الكحول حتى ولو كان متعوداً عليها ولو كانت الكمية ضئيلة ·

ويؤثر الكحول على دقة النظر والقدرة على السمع الجيد وعلى الشم والطعم وعلى توازن العضلات · وكذلك فإن الشخص المتعاطي لا يستطيع أن يتخذ القرار فضلاً عن القرار السريع والمناسب · ومهما كانت الكمية المتعاطاه ضئيلة (١) ·

يقول الدكتور سيدني كاى · في كتابه (علم السموم) (٢) :

« إن الخمر هى السبب المباشر وغير المباشر في خمسين في المئة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة » ·

« وقد أقيمت في مدينة مانشستر بانجلترا تجربة على أمر سائقى الاتوبيسات هناك وأعطى كل واحد منهم كمية قليلة من الخمر ثم سمح لهم بقيادة الاتوبيسات تحت الاختبار · ورغم الثقة الزائدة التي كانت تبدو على السائقين · إلا أن أخطاءهم كانت مروعة ومرعبة وستؤدى إلى كوارث خطيرة » ولا يوجد شك في أن الخمر هى السبب الأول في حوادث السيارات والطائرات ·

وما لا يقل عن خمسين في المائة من جميع حوادث السيارات · وللأسف فإن تقارير البوليس أقل من هذه النسبة وذلك لأن إثبات حالة السكر البين ليست يسيرة وبخاصة إذا كانت الكمية المتعاطاة قليلة فلا تظهر آثارها كاملة ولا ترتفع نسبة الدم إلى الحد الذي يمنعه القانون ·

---

(١) كتاب الخمر بين الطب والفقه · ص ٣٩ ـ ٤١

(٢) نقلاً عن كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٤٢

فالقوانين في أوربا وأمريكا تعاقب على شرب الخمر وقيادة السيارات إذا كانت النسبة مئة مليجراماً في كل مئة سنتي من الدم (١) ٠

الخمــر والجــلد :

يعتقد الناس المدمنين أن الخمر عامل من عوامل التدفئة وأنها كذلك تزيد من قوة الإنسان ونشاطه لذا فإن شارب الخمر تتورد خدوده ويكاد الدم المتدفق في وجهه أن يتدفق من وجنتيه ظل الناس على هذا الاعتقاد حتى الآن وكثير من الأطباء كذلك ٠ أما القليل الذي يتابع الحركة العلمية للطب فقد زال عنه هذا الاعتقاد بناء على الاكتشافات الحديثة التي تقوم على التحاليل العلمية المعملية ٠

وقد ثبت أن الاحساس بالدفء إحساس كاذب حقيقة وذلك لأن تناول الكحول « يسبب توسعاً في الأوعية الدموية للجلد نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل ٠

وتزداد كمية الماء في الدم مما يترتب عليه احتقان وجه الشارب وتحمر وجناته وتحتقن الملتحمة في عينيه ، فيحس الشخص بالدفء بعد تناول الكحول ٠

وفي حقيقة الأمر قد فقد جسمه حرارته لذا فإن الشارب قد يموت فعلًا من البرد وهو شاعر بالدفء ٠

« ورغم أن الكحول تؤدى إلى تمدد الأوعية الدموية التي في الجلد وفي الجسم عامة إلا أنها لا توسع الأوعية التاجية التي تغذي القلب » ٠

وهذه حقيقة مجهولــة كذلك حتى عنــد كثــير من الأطباء إلى عهد قريب ٠ ولكن منجزات الطب الحديثة قد كشفت عن زيف هذا الاعتقاد واتضح الآن أن الأطباء الذين يصفون الخمر لمرضى ضيق الشرايين التاجية على أمل أن يحسن ذلك من الدورة التاجية ٠ مخطئون بل إن الطب الحديث أثبت عكس ذلك فقد أثبت أن الخمر تتسبب في تصلب الشرايين التاجية للقلب ويؤدي هذا إلى الذبحات الصدرية وكذلك إلى جلطة القلب » (٢) فالخمر حقيقة داء وليست بدواء ٠

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم : « **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى** » ٠

---

(١) نفس المصدر ٠

(٢) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٤٦

لذا فإن أهل اليمن حينما جاء وفد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم · واستفتوه في شرب الخمر في الشتاء لشدة البرودة آنذاك فلم يفتهم بذلك ·

وكذلك فقد روى أحمد عن ديلم الحميري رضى الله عنه قال :

(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنا بأرض نعالج بها عملًا شديداً وإنا نتخذ شراباً من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا فقال عليه الصلاة والسلام : هل يسكر ؟ قلت نعم ، قال : فاجتنبوه · قلت : الناس غير تاركيه · فقال : فإن لم يتركوه فاقتلوهم » (١) ·

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يوافق على شرب الخمر مع دعوى أن شربها يستعان به على العمل وعلى البرد · وإن الطب الحديث يثبت للناس كافة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· بعد مضي ألف عام وأربع مئة عام · وهو صلى الله عليه وسلم الصادق حقاً المصدق من أتباعه منذ بداية رسالته وحتى قيام الساعة ·

ولسنا نحن المسلمين · في حاجة إلى أن يكون الطب الحديث أو القديم موافقاً أو مخالفاً · ولكن نقول ذلك لمن ران على قلوبهم ، أو علت أعينهم غشاوة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم متى صح عنه فهو الحق فإذا خالفه قول أو بحث في زمن من الأزمنة فهو الجهل ، وإذا وافقه علم أو بحث صُدِّق البحث بقول الرسول ولم يُصَدَّق قول الرسول بالبحث · وهذه قاعدة يسير عليها أهل العلم والإيمان ·

الخمر والجنس :

يظن الكثير أن الخمر تزيد من القدرة الجنسية ، وهذا ظن خاطئ ، ولكن الخمر تخدر المناطق المخية العليا · ولهذا فإن الحياء والأخلاق الكريمة تذهب مع ذهاب انضباط عقل السكران ، وهى حقيقة تزيد الرغبة في الجنس وفي بداية الشرب تجعل الشارب يرتكب جرائم جنسية شاذة ، فالوازع الأخلاقى غير موجود والتفكير في العواقب يصبح مشلولاً شللاً تاماً · بعد تناول الخمر ·

« والاستمرار في شرب الخمر يؤدي إلى ضعف بل فقدان القدرة على الوظيفة الجنسية تماماً · بل إن الإكثار من شرب الخمر غالباً ما يؤدي إلى العمى الكامل ، ويؤدي في كثير من الحالات التي لم يتمكن من إنقاذها إلى الموت الحقيقي . وتوجد كذلك في الخمور التي من نوع (الإبسنت) مادة تسبب الصرع والتشنجات وهذه المادة تسمى (الثوجون) وما أكثر ما تسبب هذه الخمور من أمراض عواقبها وخيمة » ·

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ٦٤ ; الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ص ١١٧

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « هى داء وليست بدواء » ٠

الخمر والجنين :

أكد بحث الدكتور چيمس فرياس ـ من جامعة فلوريدا أذيع فى اليوم التاسع من شهر مارس ١٩٧٧ م أن إفراط السيدات فى تناول الخمور أثناء الحمل يؤدى فى ٥٠ ٪ من الحالات إلى ولادة طفل متخلف عقليا ٠ بينما يؤدى فى ٣٠ ٪ من الحالات إلى ولادة طفل مشوه ٠

وأكد الطبيب الأمريكى أن التجارب أثبتت أن هذه التشوهات تنجم عن عامل موجود فى المشروبات الكحولية نفسها ٠

ومن ناحية أخرى أثبتت آخر الاحصائيات أن عدد النساء الأمريكيات اللاتى يدمن الخمر بلغ نصف عدد المدمنين عموماً فى الولايات المتجدة الذى يبلغ ١٠ ملايين شخص (١) ٠

وقد نشرت مجلة لواء الإسلام الصادرة فى القاهرة فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ ١٢ من مارس ١٩٤٨ م العدد التاسع ٠

نشرت مقالا علمياً لأحد الأطباء المسلمين المخلصين يتحدث فيه عن أضرار الخمر وآثارها وإتماماً للفائدة أنقل هذا المقال العلمى الرائع :

يقول الدكتور / محمد فخر الدين السبكي ٠ صاحب البحث :

سأبدأ الآن بالتحدث عن أضرار الخمر الصحية وأقسمها إلى قسمين :

أولاً : تأثير جرعة واحدة ٠

وثانياً : تأثير الإدمان ٠

فأولاً : ماذا يحصل لمن يشرب جرعة واحدة من الخمر ؟

إن تأثير هذه الجرعة يختلف تبعاً لعوامل كثيرة ، منها سن الشخص ونوع الخمر . ودرجة نقاوتها من المواد الغريبة والكمية المشروبة ، وكون المعدة خالية أو مملوءة بالطعام ، وحالة الشخص الصحية ، ودرجة حرارة الجو ، وغير ذلك ٠ كما أن التأثير أيضاً يختلف تبعاً لكون الشخص مدمناً أو غير مدمن ٠

---

(١) جريدة الأخبار المصرية الخميس ١٠ مارس ١٩٧٧ العدد ٧٧١٦ السنة الخامسة والعشرون ٠

فالتأثير يزداد كلما كان الشارب صغير السن ، وتبعاً لدرجة تركيز الكحول في الخمر فجرعة من الويسكي الذي يحوى ٣٥ ٪ من الكحول يكون لها تأثير أقوى بالطبع من نفس الجرعة من النبيذ الذي يحوى نحو ١٥ ٪ من الكحول ٠

ويختلف التأثير أيضاً تبعاً لما تحتويه الخمر من مواد غريبة ، وأخصها الكحول المثيلي الذي قد تسبب جرعة واحدة منه فقد البصر بالكلية ٠

كما يزداد تأثير الخمر سرعة وحدّة إذا كانت المعدة خالية من الطعام ، كما أن تأثيرها يكون أسوأ إذا كان الشخص مصاباً بأمراض خاصة ٠

وكذا إذا كانت درجة حرارة الجو منخفضة أو كان الشخص غير متعود على الشرب ٠

وأود أن أذكر هنا أن تأثير الخمر لا يتوقف على السُكْر ، إذ أن هذا التأثير يبدأ بمجرد وصول عشرة جرامات من الكحول إلى الدم للشخص البالغ ، وهذا القدر يوجد في كأس واحدة (من الويسكي أو الكنياك) ٠

وقد لا يصل بالشخص إلى درجة السكر ٠ ولكن على كل حال له أثر ملموس في حالة الشخص الجسمية والعقلية ٠

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الشخص إذا فحص في هذه الحالة نجد أن درجة إدراكه وتقديره قد تغيرت فعلاً ، فهو مثلاً إذا كتب على الآلة الكاتبة زادت أخطاؤه عن المعتاد ، وإذا قاد سيارة لم يتبع بالضبط قوانين المرور ، ومع ذلك فهو نفسه لا يدرك أن حالته قد تغيرت ، وهذا ليس غريباً بالنسبة له ، فقلما نجد سكراناً يعترف أن عقله قد اختل ، حتى وإن سار في الطريق عرياناً أمام الناس كما حدث كثيراً ، بل إن السكيرين المدمنين قلما يعترفون أن عقلهم غاب مرة واحدة ، حتى وإن كان غائباً فعلاً وهم يقولون ذلك ٠

وعند وصول الخمر إلى المعدة تحدث عند غير المتعود عليها احتقاناً فيها قد يسبب غثياناً أو قيئاً وإذا كانت الجرعة كبيرة سببت إلتهاباً في المعدة وعسر هضم يمتد إلى بضعة أيام ٠

وبمجرد سريان الخمر في الجسم تسبب شعوراً بالامتلاء في المخ مع شيء من الدوار أو الصداع ٠ كما يسبب الكحول إتساعاً في الأوعية الدموية التي بالجلد فيجري فيه دم أكثر من المعتاد مما يسبب شعوراً بالدفء ولو أن درجة حرارة الشخص تكون في الواقع أقل من المعتاد ٠

والجرعة الواحدة من الخمر تحدث شيئاً من الارتفاع في ضغط الدم وهذا الارتفاع وحده قد لا يكون له ضرر كبير ٠ ولكن الضرر يتضاعف إذا كان الشخص مرتفع الضغط من

نفسه ثم إذا كانت كمية الخمر كافية لأن تحدث هيجاناً يزيد في الضغط لدرجة ينفجر معها شريان في المخ يسبب شللاً قد ينجو منه الشخص جزئياً أو لا ينجو كلية - إذ من المعلوم أن الشخص الذي ضغطه الدموي مرتفع يجب أن يلتزم الهدوء في حياته لأن أي هيجان يزيد في ارتفاع الضغط يعرضه لانفجار شرياني · والسكران لا يمكنه أن يضبط عواطفه وبالتالي لا يمكنه لنفسه هذا الهدوء ·

ثانياً: تأثير الإدمان على الخمر :

من المعروف عن الخمر أن الذي يشرب كأساً واحدة منها يكون عنده ميل لشرب ثانية وثالثة حتى إذا تعود عليها بعض الشيء أصبح لا يمكنه أن يفارقها طويلاً فيحصل له تسمم من الكحول مزمن تنتج عنه حالة مرضية في جميع أعضاء الجسم المهمة ·

وإن من يبحث كتب الطب يتولاه العجب عندما يقرأ باب مسببات الأمراض المختلفة · إذ يجد للخمر نصيب الأسد في ذلك · ولا عجب إذا كان لها الأثر الأكبر في ارتكاب الجرائم · وانتهاك الحرمات · وخراب البيوت وإفساد الأخلاق · فلماذا لا يكون لها الأثر أيضاً في إفساد أعضاء الجسم المختلفة وإصابتها بأمراض أو تعريضها للإصابة بأخرى ·

يكفي أن نقول إن الإدمان على الخمر من أكبر أسباب تصلب الشرايين ونحن نعلم أن الشرايين هى التي يجري فيها الدم إلى خلايا الجسم المختلفة يحمل إليها عوامل الحياة ·

فتصلب الشرايين ، أولاً يضيقها فيقل ما يجري فيها من الدم ويقل تبعاً لذلك ما يصل لأنسجة الجسم من غذاء · وتصبح الشرايين غير مطاطة كما يجب · فعند انقباض القلب أو عند زيادة الضغط الدموي لأى سبب كانفعال نفساني · أو إجهاد جسماني لا تلين الشرايين المتصلبة أمام الضغط المتزايد بل تقاوم · وكثيراً ما تؤدى هذه المقاومة الى انفجار أحد الشرايين وكثيراً ما يكون الشريان في المخ فيحدث شللاً · إما أن يترك الشخص عليلاً بعد ذلك · وإما أن ينقله إلى الدار الآخرة فورا ·

ليشكو ظلم الإنسان لنفسه وكفرانه بأثمن نعم الله وهما الدين والصحة ·

وإذا كان تصلب الشرايين يؤثر في تغذية أعضاء الجسم المختلفة فإن أهم هذه الأعضاء هو القلب · وفساد أوعيته يعرضه للذبحة الصدريةالتي كثيراً ما تكون سبباً في تنغيص عيش صاحبها ·

كما أن ضيق شرايين المخ يسبب ضعف الذاكرة ويقلل من مقدرة الشخص على الانتاج الذهنى · ولا يقل كثيراً في الخطر عن تصلب الشرايين · تعرض خلايا الجسم المختلفة

للتشحم · والتشحم هنا معناه تحول المادة الزلالية الحيوية للخلايا إلى نقط دهنية وفي هذا فقدان لفائدتها الأصلية · وأهم الأعضاء التي تتأثر بذلك هو القلب أيضاً ·

ونحن نعلم أن القلب عبارة عن عضلة تشتغل كطلمبة كابسة ماصة ينقبض فيخرج منه الدم · ثم يرتخى فيدخل فيه الدم · وهذا يستلزم قوة عضلاته ومتانتها ·

فإذا تحولت الخلايا العضلية إلى دهن ضعف القلب وأصبح غير قابل لتحمل المجهود العادي وعرضة للهبوط مع ما يتبع ذلك من رشح عام في الجسم وجملة عوارض أخرى تنتهي بالشخص إلى الوفاة ·

هناك عضو آخر ذو أهمية كبيرة وسريع التأثر بالكحول ، وهو **الكبد** : والكبد يقوم في الجسم بوظائف كثيرة ·

فهو أولاً مخزن كبير تمر فيه الأوعية الدموية الآتية من الأمعاء وتحمل الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فيأخذ منها الزائد عن استهلاك الجسم الوقتي من المواد النشوية ويخزنه ليخرج بعد ذلك تدريجياً وقت الحاجة ·

كذلك يقوم الكبد بصنع الصفراء وإفرازها في الأمعاء لتساعد على الهضم ·

وفي السكيرين يحصل عادة تليف في الكبد ، أي تكاثر الأنسجة الليفية العديمة القيمة تكاثراً كبيراً على حساب خلايا الكبد المفيدة وتكون نتيجة ذلك **أولاً** : فقدان جزء كبير من منافع الكبد ·

ثانياً : ضغط الأنسجة الليفية على الأوردة القادمة من المعدة والأمعاء وهذا يعوق سريان الدم فيها بسهولة إلى القلب وينتج عن هذا بالتالي رشح مصل الدم في البطن وامتلاؤها بهذا السائل فتكبر ويصبح الشخص كالمرأة الحامل · إلا أن هذه تحمل في بطنها جنيناً من صنع الله ، وذاك فى بطنه أدراناً وأمراضاً من صنع الشيطان ·

كما يحدث من معاكسة جريان الدم في الكبد أن أوردة المعدة والأمعاء تتمدد وقد تنفجر وينتج من ذلك نزيف له أثره وخطره · ولعلكم تعلمون أن تمدد الأوردة في الجزء الأخير من الأمعاء هو ما يسمى (بالبواسير) والبواسير هذه التي هي إحدى هدايا الإدمان في الخمر · لها من الأثقال والآلام ما يجعلها غنية عن التعريف ويكفي أن تسأل عنها مريضاً بهذا ليحدثنا عنها حديث المجرب الخبير ·

ويحدث تليف الكبد أعراضاً أخرى كثيرة كتضخم الطحال وتجمع مائي في الصدر · وإلتهاب في الكليتين وغير ذلك مما لا يتسع المجال للتحدث عنه بالتفصيل ·

والآن فلننتقل إلى عضو آخر ذي أهمية كبرى وهو :

الكليتان : وقبل أن أتحدث عن تأثير الخمر على الكلية أود أن أذكر شيئاً عن وظيفة هذا العضو الثمين في الجسم :

ذلك أن الدم عندما يمر فيهما تعمل خلاياهما على فرزه بما أوتيت من دقة في الحساسية فتأخذ منه المواد الضارة التي تخرج في البول وتبقى فيه المواد المفيدة التى يحتاج الجسم إليها ·

والإدمان على الخمر يسبب في الكليتين إلتهاباً حاداً أو مزمناً وتكون نتيجته اختلال وظيفة الكلية فينزل في البول زلال الدم · وهو مادة غذائية ثمينة يجهد الجسم نفسه في هضمها بالأمعاء · ثم امتصاصها في الدم ، وبدلاً من أن ينتفع الجسم منها في بناء خلايا جديدة تنزل في البول فتضيع سدى ، وفي الوقت نفسه تبقى في الدم بعض المواد الضارة وأخصها (البولينا)

وهذه إذا كثرت تسبب تسمماً بولياً وخيم العاقبة · هذا فضلاً عما يسببه إلتهاب الكليتين أيضاً من حدوث ورم عام بالجسم وضعف في البصر وارتفاع في ضغط الدم مع ما ينتج عن هذه الأعراض نفسها من أخطار ··· إنتهى ·

هذه صورة جلية واضحة لبعض أضرار الخمر التي بينها لنا أحد رجال الطب العباقرة ، الذي لمسها عن تجربة من الواقع العلمي والتحليلي لصرعى أم الخبائث ·

ويصر بعض الناس مع علمهم بحرمتها وأضرارها على تناولها يقتلون أنفسهم بأيديهم ويلقون بها في التهلكة دنيا وأخرى ، دون خوف أو حياء من الذي يعلم السر وأخفى ·

ويتضح لنا مما تقدم حكمة تحريم الخمر وأن الله تبارك وتعالى لم يحرم شيئاً إلا لما يحتوى عليه من أضرار بالغة تودى بحياة الإنسان وكرامته ·

حكم التداوي بالخمر :

أخرج مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلين :

« أيكما أطَبّ ؟ قالا : يا رسول الله وفي الطب خير ؟

قال : أنْزَلَنا الداء الذي أنزل الدواء » (١) ·

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ١٣٤ نيل الأوطار جـ ٨ ص ٢٢٥ زاد المعاد لابن القيم ص ٢

وفي صحيح البخاري قال حدثنا عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء »

ولمسلم عن جابر رفعه « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » .

ولأبي داود من حديث أبي الدرداء رفعه « أن الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » .

من جملة هذه الأحاديث يعلم أن التداوي مطلوب شرعاً وأن الداء والدواء من قدر الله عز وجل وعلى حد سواء .

وإذا كان التداوي مطلوباً فهل هو مطلوب بكل ما يظن أنه دواء وسواء أكان هذا الدواء حلالاً أم حراماً ؟

أما كون التداوي مطلوباً بدواء هو حلال فهذا أمر لا مرية فيه بمقتضي هذه الأحاديث التي تقدمت .

أما التداوي بمحرم فهذا ما يحتاج الأمر فيه إلى تفصيل .

فعن وائل بن حجر « أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال : إنما أصنعها للدواء .

قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » رواه أبو داود .

وقال ابن مسعود في المسكر « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » ذكره البخاري .

وعن أبي هريرة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم « عن الدواء الخبيث يعني السم » رواه أحمد ومسلم وابن ماجة والترمذي . وهل الخمر إلاّ سماً كما أوضح الطب الحديث في التفصيل الذي أوردناه آنفاً ؟

والناظر في هذه الأحاديث يجد التصريح بأن الخمر ليست بدواء بل إن الأمر لا يقف عند هذا الحد ولكن جاوزه إلى التصريح كذلك بأنها داء .

إذن يحرم التداوي بها كما يحرم شربها . وكذلك سائر الأمور النجسة أو المحرمة . وإلى هذا ذهب الجمهور الراسخ من أهل العلم .

ويقول الشيخ أبو زهرة في كتابه (العقوبة) ص ١٨٥ ٠

إن الخمر محرم لغيبته فلا يباح ولو للتداوى لأن الخمر لا تتعين طريقاً للعلاج حيث غيرها من الدواء الطاهر يفي بالغرض وما قال طبيب منذ نشأ الطب إلى اليوم أن في الخمر فائدة طبية لا توجد في غيرها ٠

وحقيقة فإن من يقرأ رأى الطب الحديث الذي يقوم على البحث والاختبارات المعملية والاكتشافات العلمية يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال فيها كلمة الحق ٠ كيف لا وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ٠

يقول الدكتور أوبرلوس ٠ رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعة لندن في أكبر وأشهر مرجع طبي بريطاني ـ مرجع برايس الطبي ٠

« إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله ويجده تحت يده كل من يتصور أنه يهرب من مشاكله ٠

ولذا يتناوله بكثرة كل مضطربي الشخصية ٠ ويؤدي هو إلى اضطراب الشخصية ومرضها ٠ إن جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم وتؤدى إما إلى الهيجان أو الخمود ٠ وقد تؤدي إلى الغيبوبة ٠

أما شاربوا الخمر المدمنون فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون » (١) ٠

وقد كان يعتقد قديماً وإلى عهد قريب أن الخمر لها منافع طبية ؛ ولكن الاكتشافات العلمية بينت أن هذا الاعتقاد وهم لا نصيب له من الصحة وصدقت هذه الاكتشافات أنها حقاً داء وليست بدواء (٢) ، وبما شهدت به الأعداء كما يقولون ٠

ومنافع الخمر كلها موهومة ، لأن هذه المنافع إما مادية بالنسبة لمن يبيعها ويتجر فيها فرداً كان أو شركة أو دولة ، فإن ما يعود على المجتمع أفدح وأعظم بكثير من هذا الكسب المادي ، فالخسارة المؤكدة هى الخراب السلوكي والصحي مما لا يمكن أن يعوضه مال مهما بلغ ٠

أو منافع طبية وصناعية وكلها أمر موهوم ، فالواقعون في أسرها يعتقدون أنها تفتح الشهية ، وعلى هذا الاعتقاد الكاذب استعملت قديماً وحديثاً في أغلب بلاد العالم تحت تأثير هذا المعتقد ، فهى تفتح الشهية أول الأمر لأنها تزيد من إفراز حامض المعدة (كلور الماء) ٠

---

(١) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٢١

(٢) نفس المرجع ٠

ولكنها بعد فترة تسبب إلتهاب المعدة الذي يترتب عليه بالتجربة المؤكدة فقدان الشهية ، وكثيراً ما يعقبه القيء المتكرر ، وآخرها سرطان المرىء (١) .

وبعد ، فإن من يتتبع موضوع التداوي بالمحرم ، يجد أن المتفيهقين الذين أباحوه بحجة الاضطرار ، لم يفهموا مطلقاً معنى الاضطرار الدافع للاستعمال المحرم ، فالاضطرار هو التيقن من هلاك النفس بانعدام ما يؤكل أو يشرب ، فيصبح إنقاذاً وقتياً من الفناء أن يأكل الميتة ويشرب الخمر ، ولا يأثم بذلك ولا حد يقام عليه عندئذ ، وكذا إذا فعله جهلاً أو بالشبهة التي تدرأ الحدود ، إذاً فلا يجوز مطلقاً التداوى بها ، لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها) ، ولقوله في الخمر كما أسلفنا (إنه ليس بدواء ولكنه داء) ، فهل بعد قول الرسول وما ثبت به قوله الشريف من تجارب الواقع مجال لتقول بإباحة التداوى بالخمر ؟

ننتقل بعد هذا العرض إلى بيان بعض الأحكام التي تتعلق بالخمر ، والتي بينها الفقهاء ، حتى لا يكون للناس حجة بعد هذا .

أولا : حكم من أنكر تحريم الخمر :

معلوم أنه لا خلاف بين العلماء في أن المتخذ من عصير العنب النيء إذا غلا واشتد يكون خمراً ، أما المتخذ من غير ذلك من المسكرات فهو محل خلاف بينهم ، وهذا الاختلاف له أثره في الحكم بتكفير مستحل الخمر المتخذ من عصير العنب النيء إذا غلى . واشتد وقذف بالزبد ، لإجماعهم على تحريمه وتسميته خمراً حقيقة وشرعاً ، وثبوت خمريتها بالدليل القطعى .

أما غيرها فيما اختلف العلماء في تسميتها خمراً وإن اتفق على حرمته ، فإنه لا يحكم بكفر مستحلها وإنما يحكم بفسقه ، وإن كان يستحق العقاب بالشرب عندهم .

انظر إلى قول الشافعى في المنهاج (٢) (وحقيقة الخمر المسكر من عصير العنب وإن لم يقذف بالزبد وتحريم غيرها بنصوص دلت على ذلك ، ولكن لا يكفر مستحل قدر لا يسكر من غيره للخلاف فيه ، أى من حيث الجنس لحل قليله على قول جماعة ، أما المسكر بالفعل فهو حرام إجماعاً كما حكاه الحنفية فضلاً عن غيرهم ، بخلاف مستحله من عصير العنب الصرف الذي لم يطبخ ولو قطره ، لأنه مجمع عليه) إنتهى .

---

(١) كتاب (الخمر بين الطب والفقه) ص ٢٢

(٢) المنهاج إلى شرح المحتاج جـ ٨ ص ١١ ، نيل الأوطار جـ ٨ ص ١٩٣ ، فتح البارى جـ ١٠ ص ٥١

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها) رواه ابن ماجة (١) ·

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه) رواه أحمد وابن ماجة ، وقال : (تشرب) مكان (تستحل) ·

ومن هذا يتضح أن من استحل الخمر بعد تحريمها الذي تعددت نصوصه من الكتاب والسنة والإجماع ، مهما تنوعت طرقه وقويت أساليبه وانتشر أمره انتشاراً فاحشاً بما في ذلك بلاد الإسلام ، فهو مرتد عن دينه لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة ، ·

ثانياً : تحريم بيع الخمر :

من سنة الإسلام في الأحكام ، أنه إذا حرم شيئاً ، حرم ما يكون ذريعة إليه ، ومن هنا حرم الإسلام بيع الخمر والانتفاع بثمنها ، كما يحرم تمليكها وتملكها بسائر أسباب الملك ، ولو لم يكن هؤلاء جميعاً من شاربيها ·

وقد ذكر ذلك صريحاً وواضحاً في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي · وهو السنة الصحيحة التي بلغت بمجموعها حد التواتر ، وانعقد عليه المصدر الثالث ، وهو الإجماع ، وبذلك كان بيع الخمر باطلاً عند جميع الأئمة ، ولا يترتب عليه ملكها للمشتري ، ولا ملك ثمنها للبائع ، وكان أكل ثمنها أكلاً للأموال بالباطل ، أي بوسيلة محرمة غير مشروعة في ديننا إطلاقاً ·

وقد روى ذلك مسلم في صحيحه ، بقوله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس ، إن الله يبغض الخمر ، ولعل الله سينزل فيها أمراً ، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به) ، وما لبثوا إلا يسيراً حتى قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية : يريد (**إنما الخمر .....**) وعنده منها شيء ، فلا يشرب ولا يبع) ، فاستقبل الناس بما كان عندهم منها بطرق المدينة فسكبوها ·

وكذلك ما رواه أحمد والنسائي : (لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يوم الفتح (برواية ابن حجر) فقال له : (أما علمت أن الله حرمها ؟) فأقبل الرجل على غلامه

---

(١) نيل الأوطار جـ ١٠ ص ٥١

وقال له : إذهب فبعها . وكأنّ الرجل فهم أن التحريم قاصر على شربها . فقال له الرسول صلوات الله عليه : (إن الذي حرم شربها حرم بيعها) فأفرغت في البطحاء .

ثالثاً : تحريم إهدائها والانتفاع بذاتها :

وكما حرم الله بيعها على المسلم . حرم عليه أيضاً إهداءها إلى غير المسلم . وقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم من أحدهم بعد أن بين حرمة بيعها : أفلا أكارم لها اليهود ؟ فقال : (إن الذي حرمها حرم أن يكارم بها اليهود) . ومن هذا الحكم وهو حرمة بيعها والانتفاع بثمنها . تقررت حرمة الانتفاع بذاتها على أى نحو من أنحاء الانتفاع . من طريق الخلط بغيرها . أو عن طريق الاستغلال . فيحرم أن تدخل في الطعام بأي قدر كان . أو تصفيف الشعر بها كما تفعله بعض السيدات . ويحرم تقديمها على موائد المسلمين مجاملة لغير المسلم . أو بيعها في الفنادق للسياح . كما تفعل وزارات السياحة في معظم البلاد العربية والإسلامية . باسم ترويج السياحة وزيادة الدخل القومي مما حرم الله . وهو في الحقيقة نقص وخراب وليس زيادة . كما يحرم أيضاً أخذ (الجمارك عليها) .

فكل مال يأتي عن طريق الخمر حرام لا مرية في حرمته . ولا يحل الانتفاع به في أى وجه من الوجوه . كالإعلان عنها على الجدران وفي الصحف كما في كثير من بلاد المسلمين أيضاً مع بالغ الأسف . والأشد أسفاً أن بعض الدول التي يدين أهلها بالإسلام وينتمون للعروبة . ويتكلمون العربية لغة القرآن الذي حرمت آياته الخمر . تتخذ من الخمر مصدرا من مصادر إنتاجها بمصانع الخمور عندها . وتقوم بتصديره لشتى الدول . ومن عملائها دول مسلمة أيضاً . وأصبح تبعاً لذلك شرب الخمر مباحاً للجميع . والقانون يحمى السكارى إذا تعرض لهم أحد غيور على دينه .

رابعاً : إهدار قيمتها :

ومن حرمة بيعها وحرمة الانتفاع بها أيضاً سقوط تقومها في حق المسلم . بمعنى أنها لا تضمن بالإتلاف .

ومما يجب معرفته هنا . أن حق إتلافها إنما أعطاه الإسلام للحاكم خاصة . ولم يعط شيئاً منه للأفراد . حسماً للخصومات ودفعاً للفتن . وبذلك كان للحاكم حق تعزير الأفراد الذين يبيعونها مهما بلغ التعزير . حتى إن عمر رضى الله عنه كان يحرق على الخمارين بيوتهم . قطعاً لمادة الإفساد . ومحافظة على الشخصية الإسلامية التي أعز بها المجتمع المؤمن في عصره الزاهر العظيم .

عقوبة شارب الخمر :

وكما قرر الإسلام حق إتلاف الخمر وما يتصل به ، قرر أيضاً عقوبة شاربها ، وقصرها على الحاكم كذلك ، وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على مشروعية العقاب لشارب الخمر ، وعلى أنه حق واجب على الحاكم المسلم وقد ثبت ذلك بالمصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة كما أسلفنا ٠

ومن ذلك ما روى مسلم وأبو داود وأحمد والترمذى ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي برجل قد شرب الخمر ، فجلد بجريدتين نحو الأربعين ، وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس بعد انتشار شربها بانتشار الفتح الإسلامي واختلاط المسلمين بغيرهم ، فقيل له : أخف الحدود ثمانون في كتاب الله ، إشارة إلى حد القذف ، فجعل عمر الحد ثمانين ، وكان صاحب هذا الرأى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، ووافقت عليه الجماعة وأصبح تشريعاً منذ اليوم ٠

ومن ذلك ما روى أحمد والبخاري عن السائب بن زيد قال : كنا نؤتي بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي إمْرة أبي بكر ، وصدْرٌ من إمارة عمر ، فنتقدم إليه فنضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى إذا عَقُّوا فيها وفسدوا جلد عمر ثمانين ، بهذا أجمعت الأمة على تقرر عقوبة شارب الخمر ، ولا نعلم خلافاً في تقرر المبدأ ، وإنما الخلاف في قدرها ، وكيفيتها ، وآلتها ، وبذلك كانت نوعاً من التعزير الذي يلزم به الحاكم ٠

وقد انتقل به عمر إلى الزيادة والمضاعفة نظراً لاختلاف أحوال الناس ، وعملاً على أن تؤتى العقوبة الغرض منها ، وهى الردع والزجر ؛ وتطهير المجتمع الإسلامي من مادة الدمار هذه ٠

وقد بلغ الإعتداد بعقوبة شرب الخمر ، أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، لم يقف بها عند خصوص الشارب ، بل أقام حدها على من شهد مجلس الشراب وإن لم يشرب ٠

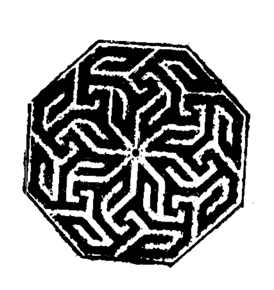
وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية : رفع إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قوم يشربون الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً ، وقد كان صائماً لله ولم يشرب معهم ، فقال : به ابدؤوا ، أما سمعتم الله يقول : **(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم)** ٠ الآية ١٤٠ من سورة النساء ٠

وعلى هذا القياس يصبح كل حاكم ومحكوم في الرقعة العربية والإسلامية شريكاً مع السكارى ولو لم يسكر معهم ، ما داموا قد أباحوا ذلك أو ارتضوه أو سكتوا عنه . وإقامة الحد عليهم أولى وَأبْدَأ ، بنص الآية التي نفذها الحاكم الحازم عمر بن عبد العزيز . فلم يأخذوا أنفسهم ولم يأخذوا على يد الظالم .

ولئن كانت الحدود الإسلامية الآن عندهم معطلة . لمّا أوقفوا حكم الله الذي أحكم لعباده ، وراحوا ينفذون حكم أعدائه ، فلينتظروا قارعة تحيق بهم لا محالة ، طال يومهم معها أم قصر ، تكون نهاية لما هم فيه من شتات الأمر وشقاء الحكم .

وآخرتهم أدهى وأسوأ (**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وكنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه**) وقد فعلوا الثلاثة . نسيان الله ، والإسراف في معصيته ، وعدم تنفيذ آياته . فاستحقوا ما في هذه الآية من حكم الله عليهم وعندئذ يعلمون أن الحرب التي أعلنوها على الله ورسوله في بلادهم المنسوبة كذباً إلى الإسلام . والخمر التي أباحوها صناعة وتجارة وشراباً هى من أعتى جوانب هذه الحرب ، قد طحنتهم يوماً برحاها وفي الآخرة يصطلون بلظاها .

ويبقي دين الله سامقاً شامخاً ، يذل كل طاغوت ، ويخزي كل جبار عنيد ، إن لم يفيقوا من سكرهم الذي طال مداه .




سيرة
و
تاريخ



السلطان الغازي أبو الفتح محمد الثاني

للدكتور محمد حرب
أستاذ زائر بكلية الدعوة وأصول الدين

هو السلطان محمد الفاتح نسبة الى فتحه مدينة القسطنطينية وهي استانبول الحالية . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بشرّ بهذا الفتح وأثنى على أميره أوثانك في الحديث الشريف : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » ، كما أن السلطان محمد الثاني قد نال من ثناء المؤرخين العرب ومن شعرائهم الكثير ، فمن المؤرخين العرب نجد السخاوي ـ وهو مثال من أمثلة كثيرة ـ يقول في مؤلفه المشهور « الضوء اللامع » أن السلطان محمد الفاتح كان ملكاً عظيماً اقتفى أثر أبيه في المثابرة على دفع الفرنج بحيث فاقه مع وصفه بمزاحمة العلماء ورغبته في لقائهم وتعظيم من يرد عليه منهم . ومن أمثلة الشعراء العرب الذين امتدحوا الفاتح نجد الشاعر أحمد خيري الذي يقول عن الفاتح :

أعظم بسلطان يوطد حكمه ... حق يزين عهده ويرصع
لا يستعز بعزوة تركية ... لكن بحبل الله إذ لا يقطع

أما في الجانب التركي فنجد المؤرخ الورع علي همت بركي يصف الفاتح بقوله « كم كان عظيماً وكم كان عادلاً رحيماً ، فيه رقة وشفقه » . أما المؤرخ التركي المشهور أحمد رفيق فيقول عن السلطان الفاتح وعن العثمانيين : « كانت الغاية المنشودة لسلاطيننا ـ ويعني سلاطين آل عثمان الأول خاصة ـ أن يخدموا الإسلام بسيوفهم ، وقد كانت الأحاديث النبوية الواردة في فضل الجهاد ، والمثوبة الموعود بها المجاهدون ، حفّزتهم إلى الجهاد ، وكانوا في غزواتهم وحروبهم يرعون دين عدوهم ويصونون أزواجهم وأموالهم وأعراضهم ، وللسلطان محمد الفاتح قصب السبق في هذا المضمار » .

صحيح أن بعض المؤرخين المحدثين مثل المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان لم تتح له الفرصة للاطلاع على المصادر الأصلية التركية للفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ولم يعتمد في تأريخه للفتح إلا على المصادر المعادية للعثمانيين وهي مصادر أوربية على رأسها رواية فرانتشز ، وهذا عدو شخصي للفاتح لأنه ـ أى فرانتشز ـ كان من رجال القصر البيزنطي وحارب في الجيش البيزنطي ضد جيوش المسلمين وعلى رأسها الفاتح ، ثم استطاع فرانتشز هذا أن يهرب ويكتب تاريخاً للفتح به حقد كبير على العثمانيين ، لذلك السبب نصّب المؤرخ عنان نفسه مدافعاً عن الحضارة الرومانية البيزنطية ، مستنكراً الفتح العثماني للقسطنطينية ، إلّا أن تعصب بعض مؤرخينا ضد الفتح العثماني للقسطنطينية سيزول عندما تترجم المصادر العثمانية إلى اللغة العربية .

كانت حياة السلطان محمد الفاتح زاخرة بالعلم وبالحرب . فمن الناحية العلمية كان الفاتح يجيد عدة لغات بجانب لغته التركية فقد كان يجيد العربية والفارسية واليونانية واللاتينية بجانب اللغة العبرية .

قام الفاتح بتوسيع فكرة المدرسة العثمانية فأنشأ المدارس الكبيرة وأدخل فيها العلوم العملية بجانب العلوم الدينية . وبفضل الفاتح أصبحت الدولة العثمانية في عهده الدولة الأولى في العالم في بناء السفن والمواد الحربية .

وعرف عن الفاتح حب العلماء واستقدامهم من البلاد الأخرى . ومن أبرز علماء عصره الشيخ آق شمس الدين والمولى الكوراني والمولى خسرو وعلي قوشجي وخواجه زاده ومصلح الدين أفندى .

وفي عهد الفاتح بدأ ضرب النقود الذهبية ومن دلالات هذا ، غنى الدولة العثمانية وتسامح هذا السلطان تجاه رجال الدين الأجانب مثال بالغ الدلالة على المفهوم الإسلامي الحقيقي في النظر إلى الأقليات الدينية التى تعيش في كنف المسلمين . وكان هذا التسامح في وقت اشتد فيه الصراع المذهبي في أوربا مما كان يدفع الأوربي للإضرار بمن يؤمن بدينه ويختلف عنه في المذهب .

والمؤرخين المهتمون بعهد الفاتح يعرفون أن كل حروب الفاتح وهي كثيرة لم تكن تحمل إلّا مفهوم الجهاد الإسلامي . ولقد كان فتح القسطنطينية (استانبول) فتحاً عظيماً إلّا أنه لم يكن هو الوحيد بل كان للفاتح سلسلة من الفتوح ، ولقد لقبته المصادر الإسلامية بلقب أبي الفتح من كثرتها التي بلغت في عددها أن الأراضي التى فتحها كانت تابعة لسبعة عشر دولة .

بدأ أبو الفتح السلطان محمد الثاني فتوحاته فور توليه عرش السلطنة العثمانية وكان عمره وقتئذ تسعة عشر عاماً ٠ كان أمير القرمان قد اعتدى على البلاد العثمانية فحاربه السلطان محمد الثاني وانتصر عليه وكانت حرب القرمان أول حروب السلطان الشاب ٠ بعد ذلك تفرغ لدراسة فتح القسطنطينية ٠ وفي سبيل هذا الهدف ابتنى قلعة روملى حصار على الضفة الأوربية من هذه المدينة البيزنطية ، بحيث يكون موقعها مواجها للقلعة العثمانية المسماه أناضولو حصار على الضفة الأخرى من البسفور ٠ اشترك السلطان محمد الثاني بنفسه في عملية البناء وكان يحمل الأحجار بنفسه ٠ كما أمر بصب أكبر مدافع عرفها التاريخ حتى عهده ٠ وليس صحيحا ما قرأناه في كتب التاريخ في اللغات الأوربية بأن صاحب مشروع المدفع الذى أسهم في دك أسوار القسطنطينية ، رجلٌ مجري يدعي أوربان ، وإنما كان السلطان محمد الثاني بنفسه هو الذى وضع خطة صب هذا المدفع ثم أصدر أمر تنفيذه إلى مهندسين أتراك مسلمين على رأسهم مصلح الدين ، وصاروجه سكبان وأوربان المجري هذا ٠ وبهذا المدفع كانت القذائف الحجرية التى تصل زنة الواحدة منها ١٢ قنطارا ينطلق الى مسافة ميل واحد ٠ وأثناء حصار العثمانيين للقسطنطينية تم اكتشاف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي كان استشهد حين حصار القسطنطينية عام ٥٢ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ٠

أما الموقف في داخل القسطنطينية أثناء الحصار العثماني لها فقد كان صعباً فيه اضطراب كثير ٠ طلب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين ، من البابا نيكولا الخامس أن يرسل له من يفاوضه في اتحاد الكنيستين : كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية لمواجهة المسلمين الأتراك الذين يطوقون أبواب القسطنطينية ٠ فوصل إليه الكاردينال إيزيدور موفدا من قبل بابا روما إلى بيزنطة (وهي القسطنطينية) فأقام هذا ، المراسم الدينية على الأصول الكاثوليكية ، فاشتعل غضب الشعب البيزنطي في القسطنطينية لأنهم كانوا على المذهب الأرثوذكسي ، ثم قام بعض رجال الدين البيزنطيين بمعارضة فكرة الإمبراطور في الاتحاد بين الكنيستين ومن هؤلاء رئيس وزراء القسطنطينية آنذاك وهو لوقاس نوتاراس وأيدّه في ذلك كينناديوس الذى نصبه الفاتح بعد ذلك بطريركا لنصاري القسطنطينية في أول عهدها الإسلامي بعد الفتح : ونوتاراس هذا هو الذى قال القولة المشهورة في التاريخ وهي : « أن أرى عمامة التركي (في القسطنطينية) أفضل عندي من رؤية غطاء الرأس اللاتيني » ٠ ذلك لأن الأروام لم ينسوا الظلم والفظائع التى قام بها اللاتين في استانبول عندما استولوا على هذه المدينة عام ١٢٠٤ م ٠

لم يفد مجيء إيزيدور شيئاً ٠ ومع ذلك فقد توالى مجيء وفود المتطوعين من أوربا إلى القسطنطينية لمساعدة المدينة في مواجهة الفتح الإسلامي العثماني لها ٠

حاصر السلطان محمد القسطنطينية بجيش مكون من ٢٠٠٫٠٠٠ فرد ، كما توجه الأسطول العثماني حيث وقف أمام مدخل الخليج · أمر السلطان في ثاني أيام الحصار بإنزال الجيش العثماني إلى الخليج عن طريق البر على أرض منطقة غالاطة بعد أن وضعت الأخشاب على الأرض ودهنت بالزيوت لسهولة تحريك السفن عليها · وكان البيزنطيون قد أغلقوا الخليج بسلسلة حديدية ضخمة لذلك لم يكن الأسطول الإسلامي بمستطيع دخول الخليج وبالتالى لم يكن يستطيع محاصرة المدينة ؛ لذلك كان قرار الفاتح بأن تنقل المراكب والسفن على البر ، كان من أجل تفادى هذه السلسلة الحديدية · وبهذه الوسيلة تمكن العثمانيون من نقل السبعين سفينة في ليلة واحدة حتى إذا أصبح الصباح إذا بالمحصورين وقد أيقنوا بانتصار العثمانيين عليهم ·

في ١٥ من جمادى الأولى من عام ٨٥٧ هـ الموافق ٢٤ مايو ١٤٥٣ م ، أرسل السلطان محمد الفاتح إلى الإمبراطور المحاصر قسطنطين يخبره أنه لو سلم المدينة دون إراقة دماء يتعهد له السلطان بعدم المساس بحرية الأهالى وأملاكهم وأن يعطيه جزيرة الموره ، فلم يقبل قسطنطين ذلك ، فأمر الفاتح بالهجوم · فتح العثمانيون القسطنطينية وأسموها إسلام بول وتعنى مدينة الإسلام ، وإن لم يكن تاريخ أول اطلاق لهذه الكلمة بعد الفتح معلوما بعد · ولقد حوصرت القسطنطينية إسلامياً من قبل الفتح العثماني إحدى عشرة مرة · ومن ضمن هذه المرات حصار معاوية بن أبي سفيان لها عام ٣٤ هـ الموافق ٦٥٤ م في خلافة علي بن أبي طالب وحاصرها يزيد بن معاوية عام ٤٧ هـ الموافق ٦٦٧ م في خلافة علي أيضاً ، كما حاصرها سفيان بن أوس عام ٥٢ هـ الموافق ٦٧٢ م في خلافة معاوية ، وحوصرت القسطنطينية في عهد كل من عمر بن عبد العزيز وهشام وهارون الرشيد ·

ودخل الفاتح المدينة ، فأمر باستتباب الأمن ثم زار كنيسة أياصوفيا وأمر بأن يؤذن فيها للصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين ، ثم أعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر المسيحيين بل إنه ضمن لهم حريتهم الدينية وحفظ عليهم أموالهم وأملاكهم ، فرجع بعض من هاجر من النصارى في الحصار ، وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقا لهم ، فاختاروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان الفاتح هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة الأروام وأعطاه حرساً من الانكشارية ومنحه حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها المختصة بالأروام وعين معه في ذلك مجلسا مشكلا من أكبر موظفي الكنيسة ، وأعطى هذا الحق في الولايات العثمانية للمطارنة والقسس ·

وبفتح مدينة القسطنطينية ، أسدل الستار على العصور الوسطى ، ويؤرخ المؤرخون الأوربيون بدء العصر الحديث في التاريخ بيوم ٢٥ مايو ١٤٥٣ بمعنى اليوم الذى يسّر الله الفتح للفاتح ·

لم يكد السلطان محمد يفتح القسطنطينية وينظم أمورها حتى شرع بجيوشه لفتح بلاد الموره ، وكان الأميران دمتريوس وتوماس يحكمان هذه البلاد · وما أن شرع الفاتح في زحفه حتى أسرع هذان بإخباره قبولهما دفع جزية سنوية للدولة العثمانية فوافق الفاتح ، ولم يرجع بل وجه جيشه إلى بلاد الصرب بيوغوسلافيا الحالية حيث اضطر أميرها إلى عرض الصلح على الدولة العثمانية وإن لم يصدق أمير الصرب في عهده هذا ·

وبعد سنتين من الفتح ، اضطر الفاتح إلى إعادة الكرة على بلاد الصرب ووصل هذه المرة إلى مدينة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا الآن وحاصر الفاتح هذه المدينة برّا وبحّرا وإن لم يكن استطاع فتحها لكنه كسب أكثر من هذا · كان في القلعة القائد المجرى المعروف جون هونياد ، وكان هذا القائد المجري عقبة كؤود في سبيل تقدم العثمانيين · وقد جُرح هذا القائد هونياد أثناء الحصار العثماني لبلغراد ، جراحا تسببت في موته · ثم أرسل الفاتح صدره الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب ففتحها في سنتين وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائيا ·

وفي عام ١٤٦٠ م اضطر الفاتح لإصدار الأمر بفتح إقليم الموره نتيجة لثورة أميره ومحاربته للأتراك العثمانيين · ثم فتحت الدولة العثمانية جزائر تاسوس وانبروس وغيرها في بحر إيجه · وحدث أن اعتدى أمير الأفلاق (والأفلاق تقع في رومانيا حاليا) وكان اسمه فلاد ، اعتدى على التجار العثمانيين النازلين هناك فسار الفاتح إليه · خاف فلاد وأرسل إلى الفاتح وفدا يعرض عليه دفع جزية سنوية · وعاد الفاتح ، إلّا أنها كانت إحدى الحيل الأوربية ضد الدولة العثمانية · لم يكن الأمير فلاد يرغب إلّا في أخذ فسحة من الوقت ليتمكن من الاتحاد مع ملك المجر ومحاربة العثمانيين ، ولما علم الفاتح بهذا ، أراد التيقن والتبيّن ، فأرسل مندوبين إلى أمير الأفلاق ليسألاه عن الحقيقة ، فاذا بالأمير يقبض على الرسولين ويقتلهما ويمثل بهما إذ وضعهما على عمود مدبب من الخشب وهو ما يسمى بالخازوق ، ثم أغار هذا الأمير فلاد على بلغاريا وكانت تابعة للدولة العثمانية · أرسل إليه الفاتح يدعوه إلى الطاعة فجاء رسول الفاتح أمام الأمير فإذا به يأمر بخلع عمامة هذا الرسول وأن يخلع من معه عمائمهم أيضا إظهارا لاحترام الأمير فلما خالفوه أمر فلاد هذا بأن تسمر عمائم رسل الفاتح على رؤوسهم بمسامير من حديد ·

تحرك الفاتح بمجرد سماعه هذا الخبر لمحاربة الأمير فلاد وضم بلاده أى بلاد الأفلاق إلى الدولة العثمانية ·

وعندما أراد متياس كرفن ملك المجر استخلاص البوسنه (وهي في يوغوسلافيا حاليا) من العثمانيين كانت النتيجة أن هزمه العثمانيون وقتلوا معظم جيشه وكانت عاقبة هذا ضم بلاد البوسنه لتصبح ولاية كاملة التبعية للدولة العثمانية · ودخل في جيش الانكشارية العثماني ٣٠٫٠٠٠ من شبان البوسنه وأسلم أغلب أشرافها ·

وكان أن أرادت أوربا أن توقف زحف هذا الفاتح العثماني ، فقام البابا بيوس الثاني ينادي بمحاربة المسلمين حرباً دينية ، وفي عام ١٤٧٠ م قامت الحرب بين العثمانيين والبنادقة فاستولى العثمانيون على جزيرة اجريبوس مركز مستعمرات البندقية ·

وبعد أن ساد الأمن العثماني أنحاء أوربا وجه الفاتح اهتمامه نحو استتباب الأمن داخل الأناضول ، فضم إمارة القرمان وكانت مصدر إزعاج للعثمانيين ·

وأرسل ليحارب اوزون حسن في طرابزون ويذكر في المصادر العربية باسم حسن الطويل وهو أحد خلفاء تيمور لنك ، وتمت هزيمة حسن الطويل عام ١٤٧١ م ، ثم سار السلطان بنفسه ليجهز على بقية قوة حسن الطويل وتم له ذلك ·

استعانت البندقية بالبابا في روما وبأمير نابولى لمساعدتها في استرجاع ما أخذه منها العثمانيون ، لكن هذا الأمر انتهى بانتصار العثمانيين ولم يستطع البنادقة استرجاع شيء ، واضطرت البندقية لإبرام الصلح مع السلطان تنازل البنادقة بموجبه عن كثير من الأماكن الهامة التابعة لهم منها مدينة اشقودره (في ألبانيا حاليا) وهذا أمر هام في التاريخ الأوربي ذلك لأن جمهورية البندقية حينذاك كانت تعتبر هي وجمهورية جنوه أهم دولتين في أوربا ·

وفي عام ١٤٨٠ م تم فتح جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا ، بعد ذلك سار القبطان العثماني كدك أحمد باشا بأسطوله وفتح مدينة اوترانتو بإيطاليا ·

لكن جزيرة رودوس استعصت على الأسطول العثماني في حصار دام ثلاثة أشهر وكانت رودوس مركز رهبنة القديس يوحنا الأورشليمي ، وكانت الحرب بين فرسانها برياسة بييردوبوسون وبين الدولة المملوكية في مصر قائمة كما كان هناك نزاع بين هؤلاء الفرسان وبين باى تونس ، فهادن الفرسان كلًا من مصر وتونس حتى يتفرغوا لصد هجمات العثمانيين ، والمعروف أن جزيرة رودوس كانت محصنة تحصينا منيعا ·

بدأ العثمانيون في حصار رودوس في ٣ من ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ الموافق ٢٣ مايو عام ١٤٨٠ م ، إلا أن أهم قلاع الجزيرة وهي قلعة القديس نيقولا استعصت على العثمانيين ، إلا أن هؤلاء اضطروا لفك الحصار والعودة بعد ثلاثة أشهر من بدء هذا الحصار ، ولم يستطع

العثمانيون فتح جزيرة رودوس إلا في عهد السلطان سليمان القانوني وهو ابن سليم الأول فاتح بلاد الشام ومصر ·

وفي الرابع من ربيع الأول عام ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو عام ١٤٨١ م توفي أبو الفتح محمد الثاني عن ثلاث وخمسين عاما حكم فيها ثلاثين عاما وحوالى الشهرين ونصف الشهر، وترك دولة تبلغ مساحتها ٢٫٢١٤٫٠٠٠ كيلو مترا منها في الأناضول ٥١١٫٠٠٠ كيلو مترا والباقي يقع في أوربا · وكانت حدود دولته الشمالية تبدأ من جنوب موسكو وكان البحر الأسود في عهده عبارة عن بحيرة عثمانية · وكان ينوى كما يقول بعض المؤرخين أن يفتح روما وكانت استعداداته البحرية توحى بذلك ·

مات الفاتح ودفن في المسجد الذى كان قد أمر ببنائه ويقول بعض المؤرخين أنه بناه فوق مقبرة أباطرة الدولة الرومانية وكانت مقبرة لها مكانتها في العالم المسيحي في ذلك الوقت ·

* * * *

أهم المراجع التركيـــة :

على رشاد . تاريخ عثماني . استانبول ·

شهاب الدين تكين داغ . دورس في الدولة العثمانية . جامعة استانبول ١٩٧٩ ·

يلماز أوزطونه . عثمانلى أمبراطور لغى . أنقره ١٩٧٧ ·

على همت بركى . أبو الفتح وحياته العدلية . ترجمه إلى العربية محمد إحسان . القاهرة ·

أهم المراجع العربية :

محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية . القاهرة ١٩١٣ ·

محمد حرب . محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية . محاضرات بكلية الآداب جامعة عين شمس سنة ١٩٨١ ·

محمد حرب . دفاع عن السلطان محمد الفاتح . مجلة العربي . ١٩٧٩ ·

البيئة وأثرها فى :

حياة السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها

للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل
المدرس بالمعهد الثانوى التابع للجامعة الإسلامية

مكة المكرمة بيئة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، وهى - حرسها الله ورعاها - قديمة ، تاريخها غامض · يذكر أن أول ما عرف عنها أنها كانت تقع فى القديم فى طريق القوافل العربية وغير العربية التى تعبر الطريق ، وهى قاصدة فلسطين وما جاورها من البلاد ، أو آتية منها إلى اليمن ، أو متجهة إلى الشرق ·

وقد كانت القوافل تلجأ إليها للراحة بسبب ما كان فيها من العيون · ولم يكن العمران قد انتظم فيها ، فكان رجال القوافل يجعلون فيها مضارب لخيامهم للراحة ، ولتبادل السلع ، وبهذا كانت محلة للتجارة ·

ومن المرجح أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من اتخذها مقاما وسكنا ، بعد أن كانت محلة للتجارة يقع فيها التبادل بين القوافل الآتية من الجنوب ، والمنحدرة من الشمال ·

على أنه يمكن أن نقول بأنها اتُخذت مقاما للعبادة قبل أن يجىء إليها إسماعيل عليه السلام ، ويقيم بها ، بزمن طويل ، ويلمح هذا من الآية الكريمة ، التى جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام فى قوله سبحانه وتعالى :

« **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » (ابراهيم : ٣٧) إذ يفهم من هذه الآية أن البيت كان موجودا قبل أن يفد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة ·

ومكة بلدة مكرمة ومقدسة منذ بدء الخليقة ، وإلى أن تقوم الساعة ، وذهب الناس فى تعليل هذا الشرف والفضل إلى كثير من الأسباب حتى قيل :

إنّ الله شرفها ؛ لأنها نقطة منتصف الأرض . وإلى هذا أشار أحد العلماء المصريين فى استخدامه للكمبيوتر للدراسات القرآنية فى أمريكا ومن دراسته لمقاييس الكرة الأرضية فقال : (إن مكة قلب الأرض . فلو تصورنا أن الأرض إنسان لوجدنا أن مكان مكة فى موضع القلب بالنسبة له) .

وورد قديما للعلامة القاضي أبي زيد الدبوسي المتوفي عام ٤١٣ من الهجرة فى مخطوطته النادرة المسماة « الأمد الأقصى » قوله فى مكة المكرمة مقرراً نفس المعنى بصورة أخرى ، قال : (فهى أم القرى ، وبمنزلة الرأس من الجسد لسائر الدنيا . فأول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا ، وأول جزء ظهر من الأرض تلك البقعة ، كما يظهر أول شيء من الإنسان رأسه عند الوقفة ... وبهذا - والله أعلم - سميت مكة (أم القرى) كما يسمى موضع الدماغ أم الرأس ، ولأن مرجع الولد إلى أمه أو منها كان المبدأ ، ومرجع البدن الرأس ، ومرجع القرى إلى مكة ، ومنها الابتداء) .

كان الحرم آمنا ، يأمن من التجأ إليه ، إلا إذا تعدى فيه بما أوجب حداً .

وقالوا فى تسميتها مكة ، وهو المشهور من أسمائها (١) ؛ لأنها تمُكُّ الجبارين أى : تُذهِبُ شدتهم . « **وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا** » (الفتح : ٢٤) .

وقيل : لأنها تَمُكُّ الفاجر : أى تخرجه منها (٢) .

وقيل أيضا : إنما سميت مكة ؛ لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة ، فَنَمُكُّ فيه : أى نصفر صفير المكاء حول الكعبة ، وكانوا يصفرون ، ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها .

وقيل : سميت بهذا الاسم ؛ لأنها تَمُكُّ الذنوب أى : تذهب بها كما يَمُكُّ الفصيل ضرع أمه ، فلا يبقى فيه شيء .

وأيضا من أسمائها « بكة » قال الله سبحانه وتعالى : « **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين** » (آل عمران : ٩٦) .

---

(١) أورد ابن ظهير القرشي ثلاثين اسما لمكة المكرمة فى كتابه « الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف » ص ١٥٦ .

(٢) مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع لابن عبد الحق البغدادى تحقيق البجاوى ج ٣ ص ١٣٠٣ .

وقال بعض الإخباريين : إنه بطن مكة ٠
وتشدد بعضهم فقالوا : بكة موضع البيت ، ومكة ما وراءه ٠
وقال آخرون : لا ، والصحيح البيت مكة ، وما ولاه بكة ٠

ومن أسمائها « الباسة » لأنها تبس : أى تحطم الملحدين ٠ وقيل : تخرجهم ٠ وأيضا تسمى « أم القرى » إذ يقول المولى جل وعلا : « **لتنذر أم القرى ومن حولها** » (الشورى : ٧) ٠

وتسمية مكة بأم القرى ، وملاحظة معنى الأمومة فى رجوع أبنائها إليها ، يتفق تماما مع الجيان القرآني فى قوله : « **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً** » (البقرة : ١٢٥) ٠

فإليه يثوب الناس جميعا كما يثوب الأبناء إلى أمهم ، ويأمنون بجوارها ٠ ومكة أم العالم وقلبه ورأسه ، وهى كل ما تعطيه الأمومة والأولية من معان هى العالمية التى اصطبغ بها دين الإسلام (١) ٠

وتسمى البلد الأمين ؛ قال تعالى : « **والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين** » (التين : ١ ، ٢) ٠ والبلد الأمين هو مكة المكرمة ٠

ويأمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه : « **إنما أمرتُ أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذى حرمها** » (النمل : ٩١) ٠

فأى تشريف أعظم من هذا ، فلقد خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر ، وأضافها إليه ؛ فهى أحب البلاد إليه سبحانه وتعالى ، وأكرمها عليه ، وإشارته جل وعلا إليها إشارة تعظيم ، فهى موطن بيته ، ومهبط وحيه ، ويكفى مكة فخرا على غيرها أن أقسم المولى سبحانه وتعالى بها ، فقال جل من قائل : « **لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد** » (البلد : ١ ، ٢) ٠

ولقد أحب النبي صلى الله عليه وسلم مكة حبا شديدا ، وقد آلمه تركها ، وحز فى نفسه أن يخرجه قومه منها ، فلما خرج من مكة ، وقف على الحزورة وقال : « إني أعلم أنكِ أحبُ البلاد إلّى ، وإنك أحبُ أرضِ الله إلى الله ، ولولا أن قومكَ أخرجوني منك ما خرجت » ٠

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على جمرة العقبة ، وقال : « والّله إنك لخير أرض الله ، وإنك لأحب أرض الله إلّى ، ولو لم أُخْرَج ما خرجت ٠ إنها لم تحل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد كان بعدي ، ما حلت لى إلا ساعة من نهار ثم هي حرام » ٠

(١) لماذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ؟ ص ١٤ ٠

وتكريم الله لهذه البقعة ، واختياره لها ، وجعلها مكانا لحرمه ، ليس له علة ظاهرة إلا ما ذكرنا ٠

فماذا في مكة من جمال الأنهار ، وكثرة المياه ، وحسن الزرع والخضرة ، وطيب الهواء ، واعتدال الجو ، وكثرة الخير ؟ لم يكن فيها شيء من ذلك !

أنها بلد يقع في واد غير ذى زرع ، لا تنساب فيه مياه ، ولا تكتنفه الحدائق ، ولا تقوم فيه صناعات ، تحيط به الجبال ، شديد الحرارة ، تصل أحيانا لدرجة اللهيب ٠

ويشتد العجب بالإنسان ، ويملؤه الأسى والحزن إذا عرف أن كفار مكة كانوا يعذبون من أسلم من عبيدهم من أمثال بلال بن رباح بوضعهم في وقت الظهيرة على رمضاء مكة ، فكأنها نار السعير ، إذ كان أمية بن خلف يطرح بلالاً على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ٠

وقال القزويني فى مكة :

« وهى مدينة فى واد ، والجبال مشرفة عليها من جوانبها ، وبناؤها حجارة سوداء ملس ، وبيض أيضاً ، وهى طبقات مبيّضة نظيفة ، حارة فى الصيف جدا ، إلا أن ليلها طيب ، وعرضها سعة الوادى ، وماؤها من السماء ، ليس بها نهر ، وليس بجميع مكة شجر مثمر ، فإذا جزت الحرم ، فهناك عيون وآبار ومزارع ونخيل ، وميراتها تحمل إليها من غيرها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام » (١) ٠

وتصعد عمارة مكة إلى عهد الخليل ابراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وكان بنوه يعيشون فى الخيام والمضارب حتى عاد قصى بن كلاب من الشام فى القرن الثاني الميلادي ، وبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ، ومن ثم أخذت تزيد ، وكانت فى زمنها البعيد خالية من الحضارة ، بيوتها ساذجة مبنية بالحجارة والطوب اللبن ، مسقوفة بجذوع النخل خالية من الزخارف ٠

وفى القرن السادس الميلادي بدأ السادة من قريش يهتمون ببناء بيوتهم فكانت أحيانا تتألف من دورين ، ويتخذ لها أجود الأخشاب ، وتكثر فيها الشرفات ، ويغلب فيها بيوت صغيرة ، تلحق بالبيوت للضيوف الذين يردون من داخل البلاد وخارجها ٠ وكان من أحسن البيوت وأعظمها بيت السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ٠

كل هذا فى القديم ، أما اليوم فقد أخذت المدينة زخرفها وازينت ، فتغيرت وتبدلت فى وصف يطول بنا لو تعرضنا لها ـ حفظها الله ورعاها ـ ٠

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ١١٣ ٠

ولقد كسا الله سبحانه وتعالى مكة حلة روحية ، تجعل القلوب تهوى إليها ، والنفوس الصافية تعشقها ، يأتيها الناس من كل فج منفذين أمر الله الذى أمرهم بالحج إليها ، جماعات ووحدانا ، راجلين وراكبين ، رجالا ونساء ، يزيدون كلما زاد الخلق وكثروا عاما بعد عام ، استجابة من الله لخليله إبراهيم عليه السلام حينما دعا الله فأجاب دعاءه .

« **ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » (إبراهيم : ٣٧) .

ومكانة مكة فى قلوب العرب تجعل أهلها دائما محل نظر واهتمام وعرضة للنقد ، وبخاصة المرأة القرشية ، فلابد أن تظهر بالمظهر اللائق ؛ لأن كل عربية تأتي لتحج ، ولتعيش فى رحاب البيت العتيق تتخذ لها مثلا أعلى من نساء أهل مكة .

ولا شك فى أن الذين أتوا إلى مكة أُعجبوا بما تتحلى به نساء مكة من احترام الرجل القرشي لهنّ ، ومشاركتهنّ للرجال فى كثير من الأمور ، فلقد قدّرها الرجل فى تلك البقعة ، وترك لها الحرية المقيدة بعادات وتقاليد الأحرار البعيدة عن كل ما يشين ، وعرفت المرأة ذلك ، فكانت عالية الهمة ، شامخة الرأس ، يحيطها الخلق الحسن والمعرفة لما يجب عليها تجاه مجتمعها .

وقد كان وأد البنات شائعاً في العرب كما أخبر القرآن الكريم .

ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة المنورة قيس بن عاصم ، واعترف أمامه بأنه ما ولدت له بنت إلا وأدها ، سأله أحد المهاجرين قائلا :

ما الذى حملك على وأد بناتك ، وأنت أكثر العرب مالا ؟

فقال وهو مسرع فى إجابته :

مخافة أن يتزوجهن مثلك !

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد أهل الوبر .

وكانت المجتمعات العربية التى لم تُبتل فى الجاهلية بعادة وأد البنات ، تفضل الولد على البنت لما يقوم به الولد من عون لأهله فى جميع مناحى الحياة ، ومساعدة للأب وللمجتمع ، وما نشك فى أن المجتمع المكي كان كذلك ، ولكن عندما كانت تولد لهم بنت ، فإنهم يحسنون تربيتها ، ويؤهلونها لكى تشترك بصفة ما فى إقامة مجتمعهم .

فلا عجب إن رأينا السيدة خديجة رضى الله عنها مثلا أعلى لهذا المجتمع فى كل ما عملت . وكل ما أقدمت عليه . وكانت سيرتها الحسنة مثلا يضرب . ولا ننكر أنه كانت لهذه البيئة أثرها الكبير فى تكوينها . وفوق هذا كانت رعاية الله تكلؤها وتحفظها . فهى ستكون أما للمؤمنين . ولأمهات المؤمنين مكانة خاصة عند الله منذ الصغر . فهن فى الحفظ والصون . حتى يأتى دور كل واحدة منهن فتؤديه خدمة لهذا الدين .

وقد أجمع المؤرخون على القول بأن السيدة خديجة رضى الله عنها ورثت عن أبويها جمال الخَلْق والخُلق . وقد ساعدت البيئة على إبراز شخصيتها التى تجبر كل من رآها على الاحترام والإكبار والتقدير .

وهذا ما فعله سادات قريش حينما توفى زوجها الثاني . فقد أسرعوا إليها يطلبون يدها . لكنها رفضت بإباء وشمم . فاحترموا رغبتها . ولم ينبسوا ببنت شفة . وحسبوا أن الأمر كأن لم يكن . وكأنهم لم يتقدموا إليها .

وكان للسيدة خديجة رضى الله عنها العذر . لأنها قابلت صدمات الحياة فى أول خطواتها على درجات الحياة . إذ قد مات زوجها الأول ولم تتعد السابعة عشرة . ثم فقدت زوجها الثاني حين جاوزت العشرين . وقدْ تركا لها أربعة أولاد . فتقبلت ذلك كله بقلب كبير . وصبر أكيد . وجلد لا يعرف اليأس وهذا ما هو معروف عن أهل البيئة الصحراوية .

لقد انصرفت لتربية أولادها . والإشراف على تأديبهم وتعليمهم . ورأت أنها استفادت من تجاربها . فتوسعت مداركها وقوى فهمها . وزادت معرفتها . ورأت أن فى إمكانها تنمية الأموال الطائلة التى فى يدها . فأدلت بدلوها فى التجارة حرفة قومها وأهلها . وليس الاشتغال بها عيبا . فالحنظلية زوج أبي لهب كانت تتاجر فى العطور وكذلك هند زوج أبي سفيان وغيرهما . واتجهت إلى التجارة وساعدها الأقارب وفى مقدمتهم ابن أخيها حكيم بن حزام ومع استقلالها الكامل فى تجارتها كانت تستشيره . وتأخذ برأيه . وكثيرا ما كان يراقب رجالها فى الأسواق ويقدم لهم خدماته .

ولكن سرعان ما وعت جيداً ما يحتاج إليه الناس فى الخارج والداخل . فصادراتها كانت التمر والزبيب والعطور والمعادن . والواردات هى الحرير والتوابل والأدوية والحجارة الكريمة والعاج والمنسوجات القطنية والحبوب والزيوت وغيرها .

وكانت ترسل عبيدها وخدمها وفى مقدمتهم عبدها المخلص ميسرة مع أناس تستأجرهم على أجر معلوم . وأحيانا كانت تعطى رجالا عرفوا بالخبرة والأمانة الأموال مضاربة .

قال ابن هشام :

« وكانت السيدة خديجة بنت خويلد تاجرة ذات شرف ومال . تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم » (١) .

وقال ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى :

« وكانت ـ السيدة ـ خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فيكون عيرها كعامة عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال ، وتدفع المال مضاربة » (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تجارتها كانت عظيمة . وأن أموالها كانت كثيرة والربح كان موفوراً ، لكنها لم تشترك مع التجار فى أمر ما ، ولم يعرف عنها أنها خرجت إلى الأسواق ، أو غادرت بيتها لعرض أو طلب .

وقد كان للبيئة أثرها البعيد فى حياتها ، فالبيت العتيق مقدس عندها ، وله رب واحد تتجه إليه بالدعاء والشكر ؛ لأنه مصدر الخير ، وهو الذى يعطى ويمنع ، وما كانت تفعله فمن أجله سبحانه وتعالى ، فطالما أطعمت الفقراء ، وساعدت المحتاجين ، وآوت البائسات ، وكان بيتها متجه كل ذى طلب ، فهى توقن أنه سبحانه هو المجازى على العمل ، وهو الذى يكافىء المنفق ويعاقب الممسك .

ولذلك حينما جاءها النبي صلى الله عليه وسلم ينتفض جسمه بعد أن جاءه جبريل عليه السلام أول مرة وهو يقول « دثروني ، دثروني » قالت له :

« كلا ، لا يخزيك الله أبدا ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتحمل الكَلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

فهى قد أدركت الثواب والعقاب الذى شرعه خالق الكون ، فمن يفعل الخير لا يجازيه الله إلا خيرا ، ومن يفعل الشر لا ينال إلا شرا ، وكأنها تقول : إن ما يحدث لك لا يكون إلا خيرا ؛ لأنك لا تعمل إلا للخير ، ولا تتصف إلا بصفات الخير ، فمثلك لا يخزيه الله أبدا .

وكان ابن أخيها حكيم بن حزام ، كريما فى الجاهلية ، عطوفا على الفقراء ، لكنه كان يسجد للأصنام ، فكانت تطلب منه أن يتجه بعمله إلى خالق الأرض والسموات ، رب البيت العتيق الذى لا ينبغى السجود إلا له وحده .

---

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ١٨٧ ، ١٨٨ لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٧٥ هـ بمصر .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٦ دار الصادر ببيروت .

ولم يكن للمال عندها تأثير فى حياتها الروحية ، إذ لم تحبه حبا كثيرا ، فلم يستول على كل تفكيرها حتى تفضله على أعمالها ، بدليل أنها حينما تزوجت الرسول صلى الله عليه وسلم ، تركت التجارة ، وما كانت تدره عليها من ربح كبير ، ولم تشر عليه صلى الله عليه وسلم بأن يذهب إلى سوق كذا أو سوق كذا واكتفت بما كان يقوم به من عمل مربح من ذهابه إلى سوق مكة ، ثم رجوعه ليتفرغ لتفكيره وعبادته ، واتجهت هى إلى القيام بما يجب عليها تجاه زوجها الكريم ، وتهيئة الجو الساكن ليتفرغ لعبادته .

ولقد قام ابن عمها الشيخ الكبير ورقة بن نوفل بدور كبير فى حياتها الروحية ، فطالما استمعت إليه وهو يتحدث عما فى الكتب المنزلة التى أنزلت على موسى وعيسى ، والأنبياء السابقين ، ويذكر دعوتهم إلى الخير ، وعبادة الله ، وكان يؤثرها الحديث حينما تستمع إليه يخبرها أنه قرأ فى الكتب القديمة المنزلة أن الله سيبعث إلى الناس رسولاً ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن هذا الرسول من ولد « إسماعيل » وأنه سيولد بجوار بيت الله الحرام ، وأن أوان نزوله قد آن (١) ، كما أخبرها أنه يرجو أن يعيش حتى يبعثه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا ، فيؤمن به ويتبعه ، ويشد أزره .

كانت تستمع إلى كل هذا بأذن صاغية ، وقلب مملوء بالسعادة ، وتتمنى أن تعرفه ، وأن تراه ، وأن تساعده على تحقيق رسالته فتؤمن هي أيضا به .

لقد كانت تعيش رضى الله عنها عيشة روحية صافية ، وكانت مهيأة لأن تحقق حلما يقربها من رب البيت العتيق الذى طالما طافت حوله من أجله ، لتكمل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

وقد أطالت الدعاء وسألت الله أن يحقق لها ما تمنت ، وصفت نفسها له ، فحقق الله لها ما أرادته بالتقائها بسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩١ .

راتب عمر بن الخطـــاب

وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أساساً لرواتب الخلفاء . فقد كان أول من اعتبر نفقة الخليفة واجبة على بيت المال . فبعد تولى أبي بكر رضي الله عنه أراد أبو بكر الذهاب إلى السوق ليتجر ، فلقيه عمر ، فسأله أين يريد . فذكر أنه يسعى برزق عياله فرده عمر وقال إن نفقته واجبة على بيت المال .

وطبيعي أن هذا المبدأ أصبح ينطبق على عمر عند توليه الخلافة ولكن ، كم كان يحق لعمر أن يأخذ من بيت المال ؟ .

قال الأحنف بن قيس : « كنا جلوساً بباب عمر ، فمرت جارية ، فقالوا : سرية أمير المؤمنين . فقال : ما هى لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له . أنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ فقال : إنه لا يحل لعمر من مال الله الا حلتان : حلة للشتاء ، وحلة للصيف ، وما أحج به واعتمر . وقوتي وقوت أهلى ، كرجل من قريش ، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم .. ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين » .


لغة و أدب

ظاهرة التقارض في النحو العربي

(١)

للدكتور أحمد محمد عبد الله
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

ظاهرة التقارض في اللغة العربية مظهر من مظاهر اتساعها، ولون من ألوان شمولها لأن التوسع شائع في كلام العرب (١)، فاذا كان الترادف والاشتقاق والتضاد والاشتراك والتضمين والمشاكلة ... الخ تمثل أنواع الإحاطة والتنوع في الأسلوب العربي، فان التقارض يعد واحداً من هؤلاء، إذ به يستطيع المتكلم أن يقلّب الكلام على وجوه عدة، وعلى كل حال هو مصيب فيما يذهب إليه، بشرط أن يكون معه سند من السماع، ووجه من وجوه التوجيه الصحيحة، وهذا يؤكد أن لغتنا العربية مرنة وطيعة وليست جامدة تقف عند لون معين من ألوان التعبير.

فالتقارض يمثل نوعاً من أنواع الطرافة والمُلحة في التعبير، وقد تحدث ابن هشام عنه بايجاز شديد، وألمح عنه بإشارة عجلى في الصفحات الأخيرة من كتابه الذى طبّقت شهرته الآفاق «مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب» (٢).

فما التقارض عند علماء اللغة؟

تفيد مادة «قـرض» عندهم معاني كثيرة، أشهرها: الإعطاء والأخذ.

قال الفيروز أبادى: «والقَرْض» ويكسر ما سلَّفت من إساءة وإحسان وما تعطيه لتقضاه، وأقرضه: أعطاه قرضا، واقترض منه: أخذ القرض، وهما يتقارضان الخير والشر (٣) (أى (يتبادلان).

---

(١) رسائل ابن كمال باشا: ط أولى. الرياض.

(٢) راجع مغنى اللبيب. ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧ ط بيروت.

(٣) القاموس المحيط: «قرضه» ط دار الفكر. بيروت.

وقال الزمخشري : واستقرضته فأقرضني ، وأقرضت منه كما تقول : استلفت منه ، وعليه قرض وقروض ، وقارضته مقارضة وقراضا : أعطيته المال مضاربة ، وفلان يقارض الناس مقارضة : يلاحبهم ويواقعهم ... وهم يتقارضون الثناء والزيارة (١) .

وقال الجوهري : « القَرْض ما تعطيه من المال لتقضاه ، واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضني ، واقترضت منه أى أخذت منه القرض ، وهما يتقارضان الخير والشر (٢) .

وقال الفيومي : « والقرض » ما تعطيه غيرك من المال لتقضاه ، والجمع قروض مثل فَلْس وفلوس ، وهو اسم من أقرضته المال إقراضا ... وتقارضا الثناء أثنى كل واحد على صاحبه ، وقارضه من المال قراضاً من باب قاتل وهو المضاربة (٣) .

وقال ابن منظور : وقد أقرضه وقارضه مقارضة وقراضا ، واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضني ، وأقرضت منه ، أى أخذت القرض والعرب تقول لكل من فعل إليه خيراً : قد أحسنت قرضي ، وقد أقرضتني قرضا حسناً ، ويقال للرجلين : هما يتقارضان الثناء في الخير والشر أى يتجازيان قال الشاعر :

يتقارضون إذا التقوا في موطن ... نظراً يزيل مواطىء الأقدام

ونقل ابن منظور عن أبي زيد الأنصاري أنه قال :

« وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل منهما صاحبه ، ومثله يتقارضان ، بالضاد وهما يتقارضات الخير والشر قال الشاعر :

إن الغنى أخو الغنى وإنما ... يتقارضان ولا أخا المقتر (٤)

هذا هو التقارض بمعناه العام كما ذكرته كتب اللغة .

أما التقارض الاصطلاحي الذى نعنيه في مجال الدراسات النحوية فهو :

أن تُعْطِى كلمة حكماً يختص بها إلى كلمة أخرى لتعامل معاملتها ، كما تُعْطِى الكلمة الأخرى حكما يختص بها إلى الكلمة الأولى لتعامل معاملتها أيضا ، وبعبارة أخرى : **الاقتراض النحوي هو تبادل الأحكام بين كلمتين بحيث تعطى كل كلمة الحكم**

---

(١) أساس البلاغة ، (قرض) ط دار المعرفة ، بيروت .

(٢) الصحاح ، « قرض » ط دار الحضارة العربية ، بيروت .

(٣) المصباح المنير ، « قرضت » ط دار المعارف ، القاهرة .

(٤) لسان العرب ، « قرض » ط الهيئة العامة للكتاب ـ مصر

الذى يختص بها إلى الكلمة الأخرى ، سواء كانت هذه الكلمة اسماً أم فعلاً أم حرفاً .

وقد فسّر ابن يعيش المتوفي سنة (٦٤٣ هـ) التقارض بقوله :

معنى التقارض : أن كل واحد منهما (أى الكلمتين) يستعير من الآخر حكماً هو أخص به ... فأصل « غير » أن يكون وصفاً ، والاستثناء فيه عارض معار من إلاّ ... الخ (١) .

وقبل ابن يعيش قال الزمخشري المتوفي سنة (٥٣٨ هـ) عند الكلام على إلا وغير :

« واعلم أن إلا وغيراً يتقارضان ما لكل واحد منهما » (٢) .

وعلى هذا التحديد الاصطلاحي سوف نعرض الأمثلة المتنوعة للتقارض بين الألفاظ المختلفة ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع كما يلي :

الأول : التقارض بين اللفظين في الأحكام الإعرابية .
والثاني : التقارض بين اللفظين في الشكل والهيئة .
والثالث : التقارض بين اللفظين في المعاني .

فالنوع الأول يتضح بما يلى :

غـــير ـ إلاّ

أ ـ « غير » اسم شديد الابهام ليس بمتمكن (٣) ، ملازم للاضافة ولا يتعرف بها لشدة إبهامه ، فإن أضيفت « غير » الى اللفظ فإن استعمالها يكون على وجهين :

الأول : وهو الأصل في استعمالها أن تكون صفة للنكرة نحو قوله تعالى : **(نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل)** (فاطر : ٣٧) **فغير** صفة لـ « صالحا » .

الثاني : أن تقترض من « إلاّ » **حكمها** فتفيد « غير » الاستثناء كما تفيده إلاّ وبناءً على ذلك تعرب « غير » إعراب الاسم التالى إلاّ في ذلك الكلام فتقول : جاء القوم غيرَ زيد » ، بنصب غير ، « وما جاءني أحدٌ غيرُ زيد » بالنصب والرفع لغير ، والمثالان المتقدمان يوضحان أن « غيراً عوملت معاملة » « إلاّ » في الاستثناء ، وأعربت إعراب الاسم التالى لإلاّ ، يؤيد ذلك بعض القراءات المشهورة :

---

(١) شرح المفصل : ٢ : ٨٨ .
(٢) المفصل : ٨٨ ط ثانية - بيروت والأشباه والنظائر للسيوطى : ١ : ١٣٨ ط أولى ـ القاهرة .
(٣) الكتاب لسيبويه : ٣ : ٤٧٩ هارون .

قال الله تعالى : **(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر)** (النساء : ٩٥) .

فقد قرىء برفع « غير » إما على أنه صفة للقاعدون ، لأنهم جنس ، وإما على أنه استثناء وأبدل على حد قوله تعالى : **(ما فعلوه إلا قليل منهم)** (النساء : ٦٦) ويؤيده قراءة النصب أيضاً ... وانتصاب « غير » في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد « إلا » عندهم واختاره ابن عصفور (١) .

ب ـ وأما « إلاّ » فهى تأتى في الأساليب على أربعة أوجه :

أحدها : وهو الأصل في استعمالها ـ ان تكون للاستثناء نحو قوله تعالى : **(فشربوا منه إلا قليلا منهم)** (البقرة : ٢٤٩) ونحو قوله تعالى : **(ما فعلوه إلا قليلٌ منهم)** (النساء : ٦٦) فقد انتصب ما بعد إلا في الآية الأولى ، لأن الاستثناء تام موجب ، وارتفع ما بعد « إلا » في الآية الثانية ، لأن الاستثناء تام منفي .

الثاني : أن تكون « إلا » عاطفة بمنزلة الواو ذهب إلى هذا الأخفش والفراء وأبو عبيدة وجعلوا من ذلك الآية الكريمة **(لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم)** (البقرة : ١٥٠) التقدير على رأيهم : ولا الذين ظلموا منهم وليس قولهم هذا بمسلم .

الثالث : أن تكون « إلا » زائدة قال بذلك الأصمعى وابن جنى وابن مالك ، وجعلوا من ذلك قول ذى الرمّه :

حراجيج ما تنفك إلا مناخة ... على الخسف أو نرمى بها بلداً قفرا (٢)

فإلا زائدة في البيت على رأيهم .

الرابع : أن تكون « إلا » بمعنى « غير » ـ وهذا الوجه محل الشاهد ـ أى يوصف بها كما يوصف بغير ، فقد وصف بإلاّ جمع منكر كما في قوله تعالى : **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)** (الأنبياء : ٢٢) .

فلا يجوز في « إلا » هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير يكون حينئذ : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا ، وليس ذلك المراد ولا من جهة اللفظ ؛ لأن آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه ، فلو قلت : « قام رجال إلا زيداً » لم يصح اتفاقا ، ومثال وقوع إلا وصفاً قول ذى الرمّة :

---

(١) راجع مغنى اللبيب : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الديوان ١٧٣ .

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا بغامها (١)

« فإلا بغامها » صفة للأصوات ·

وقول لبيد : (٢)

لو كان غيرى سليمي الدهر غَيَّره وقع الحوادث إلا الصارم الذَّكر

فإلا الصارم صفة لغيرى ·

وقد شرط ابن الحاجب في وقوع « إلا » صفة تعذر الاستثناء بها ، لذا جعل من الشاذ قول الشاعر :

وكــل أخ يــفارقــه أخوه لــعــمر أبــيــك إلا الــفرقدان

أى لجواز صحة الاستثناء بإلا ·

قال أبو البقاء العكبرى مشيراً إلى تقارض « إلا » « وغير » :

الأصل في « إلا » الاستثناء ، وقد استعملت وصفاً ، والأصل في « غير » أن تكون صفة وقد استعملت في الاستثناء (٣) ·

وما قاله أبو البقاء يفيد صحة التقارض بينهما في الأحكام لحمل أحداهما على الأخرى « فغير » حين ضمنت معنى « إلا » حملت عليها في الاستثناء كما إن « إلا » قد تحمل على « غير » فيوصف بها لما بينهما من مشابهه ولذا فهم يقولون :

« إن الأصل في « غير » أن تكون صفة مفيدة ، لمغايرة مجرورها لموصوفها ذاتاً أو صفة والأصل في « إلا » مغايرة ما بعدها لما قبلها نفيا أو إثباتاً فلما اجتمع ما بعد إلا وما بعد « غير » في معنى المغايرة ، حملت « إلا » على غير في الصفة فصار ما بعد إلا مغايراً لما قبلها نفيا أو إثباتاً ، وحملت « غير » على « إلا » في الاستثناء فصار ما بعدها مغايرا لما قبلها ··· إلا أن حمل « غير » على « إلا » أكثر من حمل « إلا » على « غير » (٤) ومن هنا نفهم سرَّ التقارض بين « غير » و« إلا » في بعض الأحكام المنوطة بكل منهما ·

---

(١) نفسه : ٦٣٨ ·

(٢) الديوان : ٦٢

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى : ١ ، ٧٥ ، ١٧٩ وراجع كتاب سيبويه ٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ هارون ·

(٤) راجع حاشية الصبان على الأشمونى : ٢ : ١٥٥ ط الحلبى ـ القاهرة ·

أنْ ـ مـــا

أ ـ « أنْ » تأتى في الأساليب على عدة أوجه ، أشهرها ، أن تكون حرفا مصدرياً ناصباً للفعل المضارع نحو قوله تعالى ، **(وأنْ تصوموا خيرٌ لكم)** (البقرة ، ١٨٤) وقوله تعالى ، **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم)** (الحديد ، ١٦) وليس دخولها قاصراً على الفعل المضارع فقط ، بل تدخل على الفعل الماضي أيضاً نحو قوله تعالى ، **(ولولا أن ثبتناك)** (القصص ، ٨٢) وقوله تعالى ، **(ولولا أن مَنَّ الله علينا)** (الاسراء ، ٧٤) وتدخل أيضا على فعل الأمر كحكاية سيبويه ، كتبت إليه بأن قمْ .

وإذا كان المشهور في « أن » نصبها للفعل المضارع ، فقد ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة واللحياني أن بعضهم يجزم بها وأنشدوا على ذلك قول امرىء القيس ،

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب (١)

وقول جميل بثينه ،

أحاذر أن تعلم بها فتردها فتتركها ثقلا عَلَيَّ كما هيا (٢)

فيأتنا في البيت الأول مجزوم بأن ، وكذلك تعلم في البيت الثاني .

وقد تهمل « أن » في الكلام ، فلا تنصب ولا تجزم ، ويكون الفعل بعدها مرفوعاً ، فهى بهذا تقترض هذا الحكم من « مـا » ، ومثال « أن » المهملة قراءة ابن محيصن ، **(لمن أراد أن يتمُّ الرضَاعة)** (البقرة ، ٢٣٣) برفع الفعل المضارع « يتم » وقد اعترض على الاستدلال بالآية ، بأن أصله يتمون فهو منصوب بحذف النون وحذفت الواو للساكنين ، واستصحب ذلك خطا ، والجمع باعتبار معنى من تكلف .

ومثال « أن » المهملة أيضا قول الشاعر ،

أن تقرآن على أسماء ويحكما منّى السلام وأن لا تشعرا أحدا

فتقرآن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون على الرغم من تقدم « أن » عليه لأنها هنا مهملة .

وقد اعترض الكوفيون على الاستدلال بهذا البيت ، فزعموا أنَّ « أنْ » في البيت مخفَّفة من الثقيلة شَذَّ اتصالها بالفعل .

---

(١) الديوان ، ١٥٣ .

(٢) الديوان ، ٢٣٤ .

غير أن الصواب أنها « أن » الناصبة ، أهملت ، حَمْلًا لها على « مـا » أختها في المصدرية لأن « أن » المخففة من الثقيلة غالباً ما تقع بعد علم أو ظن ، وهى في البيت لم تقع بعدهما فلا محلَّ لاعتراضهم (١) ٠

ب ـ أما « مـا » فتأتي في الأساليب مهملة ، أى لا تجزم ولا تنصب ، هذا هو المشهور فيها حين تدخل على الفعل المضارع ، غير أنها في بعض الأحيان قد تقترض من « أن » حكم النصب للفعل المضارع ، فقد رأى بعضهم أن « ما » يجوز أن تنصب الفعل المضارع حملا لها على « أن » الناصبة كما روى من قوله عليه الصلاة والسلام : « كما تكونوا يولى عليكم » (٢) على أحد الروايات ، ذكر ذلك ابن الحاجب : « فتكونوا » فعل مضارع منصوب بحذف النون « بما » المتقدمة عليه ، والمعروف في الرواية المشهورة : « كما تكونون » وعلى هذا فلا شاهد فيه ، وقد قال بِعضُهم معترضاً على رواية النصب : ولا حاجة إلى جعل « ما » هنا ناصبة فان في ذلك إثبات حكم لم يثبت في غير هذا المحل ، بل الفعل مرفُوع ونون الرفع محذوفة ٠

وعلى كل حال فان تقارضهما ثابت لأن كلا منهما ، يجوز أن تحمل على الأخرى لذا قال ابن مالك :

وبعضهم أهمل « أن » حملاً على … مـا أختها حيث استحقت عملا

أى يصح في « أن » الناصبة أن تهمل حَمْلا لها على « ما » كما يجوز في « ما » أن تعمل النصب حملا لها على « أن » لما بينهما من مشابهة من حيث أن كلا منهما حرف مصدرى وكلا منْهما حرف ثنائي ٠٠

إنْ ـ لــو

أ ـ « إنْ » بكسر الهمزة وتسكين النون المخففة ، تأتي في الأساليب على وجوه عدة منها :

الأول : أن تكون نافية وتدخل حينئذ على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى : **(إن الكافرون إلاَّ في غرور)** (الملك : ٢٠) وقوله تعالى : **(إنْ إمهاتهم إلا اللاَّئى ولدنهم)** (المجادلة : ٢) ٠

(١) راجع مغنى اللبيب : ٤١ والانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ، ٢ : ٥٦٣ ط رابعة ـ القاهرة ٠ شرح الأشمونى : ٣ ، ٢٨٧ ٠

(٢) قالوا إنه حديث ضعيف ، وهو فى مغنى اللبيب : ٩١٥ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الآحاديث على ألسنة الناس للعجلونى ٢ ، ١٢٦ وراجع المقاصد الحسنة للسخاوى ٣٢٦ ٠

الثاني : أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية نحو قوله تعالى : **(وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا)** (الزخرف : ٣٥) وقوله تعالى : **(وإن كل لما جميع لدينا محضرون)** (يس : ٣٢) وقوله تعالى : **(وإن كانت لكبيرة)** (البقرة : ١٤٣) .

الثالث : أن تكون شرطية فتجزم فعلين : الأول يسمى فعل الشرط ، والثانى جواب الشرط نحو قوله تعالى **(وإنْ ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف)** (الأنفال : ٣٩) وقوله تعالى : **(وإن تعودوا نعدْ)** (الأنفال : ١٩) .

ويعد هذا الوجه أشهر استعمالاتها غير أنها قد تأتى في الأسلوب مفيدة معنى الشرط وهى غير جازمة مقترضة هذا الحكم من « لو » التى تفيد معنى الشرط وهي غير جازمة . ومثال « إن » غير الجازمة ما روى في الحديث : « **فإلا** تراه فانه يراك » (١) .

ب ـ أما « لَوْ » فهى تأتى في الأسلوب : حرف شرط في المستقبل إلا أنها لا تجزم . هذا هو المشهور في استعمالها نحو قوله تعالى : **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرّية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله)** (النساء : ٩) .

ونحو قول الشاعر :

لا يلفك الراجيك إلا مظهراً   خُلُق الكرام ولو تكون عديما

وقالوا في تعليل عدم جزمها للفعل الذى تدخل عليه :

إن ذلك بسبب غلبة دخولها على الفعل الماضي ولو أريد بها معنى إن الشرطية . غير أن بعض العلماء ذكر أنّ « لو » قد تقترض من إنْ الشرطية حكم الجزم فتجزم الفعل المضارع . وقد أجاز ذلك جماعة في الشعر دون غيره منهم ابن الشجرى نحو قول الشاعر :

لو يشأْ طار به ذو ميعة   لاحق الآطال نهد ذو خُصَل (٢)

وقول الشاعر :

تامت فؤادَك لو يَحْزُنْك ما صنعت   إحدى النساء بنى ذهل بن شيبانا (٣)

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان .

(٢) قيل انه لامرأة حارثية وهو فى خزانة الأدب ٤ : ٥٢١ .

(٣) قاله لقيط بن زراره . المغنى ٣٥٧ . وخرج بعضهم البيت على أن ضمة الاعراب سكنت تخفيفاً . الأشمونى ٤ : ٤٣ .

فيشأ في البيت الأول ، ويحزنك في البيت الثانى مجزومان بلو على سبيل اقتراض حكم الجزم من إن الشرطية لما بينهما من أوجه المشابهة ·

وربما خَرَّج بعضُهم البيت الأول على أنه جاء على لغة من يقول : شا ـ يشا بالألف ثم أبدلت الألف همزة على حد قول بعضهم : العألم والخأتم ـ بالهمزة ، ويؤيد هذا التخريج أنه لا يجوز مجىء إن الشرطية في هذا الموضع ، لأنه إخبار عما مضى ، فالمعنى : لو شاء ، وهذا التخريج يقدح أيضاً في الاستدلال بالحديث السابق ذكره ·

وعلى الرغم من ذلك فإنه يصح تقارضُهما أى إنْ ولو لأن « إنْ » قد تحمل على لوْ فتهمل ولا تجزم كقراءة ابن طلحة « فاما تَرَيْن » (مريم : ٢٦) · بياء المخاطبة الساكنة ونون الرفع المفتوحة ، وحملت كلاهما على الأخرى لأنهما يفيدان الشرط ، ويتفقان في ثنائية اللفظ لذا قال ابن مالك :

وجوز الجزم بها في الشعر ذو حُجَّة ضَعَّفها من يدرى (١)

وقال ابن مالك : يحمل معنى التردد لذا وقع له كلامان في هذه المسألة :

أحدهما : يقتضى المنع مُطلقا في النثر والشعر ، والثاني ظاهره موافقة ابن الشجرى فيما ذهب إليه (٢) ·

إذا ــ مــتى

أ ــ من وجوه استعمال « إذا » في الأساليب ما يلى :

أولا : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ، ولا تقع في الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال نحو قوله تعالى : **(فألقاها فإذا هى حية تسعى)** (طه : ٢٠) وقوله تعالى : **(إذا لهم مكر في آياتنا)** (يونس : ٢١) ·

ثانيا : أن تكون لغير المفاجأة ، أى تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية ، وقد اجتمعت « إذا » الفجائية و « إذا » الشرطية في قوله تعالى : **(ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون)** (الروم : ٢٥) فإذا الأولى ظرفية وإذا الثانية فجائية ·

ويكون الفعل بعد إذا الظرفية ماضيا كثيرا ومضارعاً دون ذلك وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

(١ ، ٢) راجع المغنى ٩١٥ ، ٩١٦ والأشمونى وحاشية الصبان ٤ : ١٣ ، ١٤ ، ٤٣ ·

والوجه الثاني أشهر وأكثر وروداً في الأساليب ، غير أنها في بعض الأحيان قد تجزم الفعل الذى يأتى بعدها ، وذلك حملاً لها على « متى » الجازمة أى تقترض منها حكم الجزم كقول عبد القيس :

استغن ما أغناك ربك بالغنى   وإذا تصبْك خصاصة فتحمل

فإذا في البيت جازمة للفعل « تصبك » .

وقد خص بعضهم الجزم بها في الشعر دون النثر ، قال ابن مالك في الكافية :

وشاع جزم بإذا حملا على   متى وذا في النثر لم يستعملا

وقال في شرحها : وشاع في الشعر الجزم بإذا حملا على متى وأنشد :

ترفع لى خندف والله يرفع لى   ناراً إذا خمدت نيرانهم لم تقد

لكنه جوز في التسهيل الجزم بها في النثر على قلة ، وجعل منه قوله عليه الصلاة والسلام لعلي وفاطمة رضى الله عنهما « إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين ، الحديث » .

ومن هنا نتبين أنه يجوز أن تأتى إذا جازمة في الشعر والنثر ، وكلاهما قليل .

ب ـ أما « متى » فهى اسم شرط يجزم فعلين : الأول فعل الشرط ، والثانى جوابه هذا هو المشهور في استعمالها كقول سحيم بن وثيل :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

فالفعل : أضع وتعرفونى مجزومان بمتى .

وقد تجىء « متى » في الأسلوب ، اسم شرط وهى مهملة أى غير جازمة مقترضة هذا الحكم من « إذا » التى تتضمن معنى الشرط ولا تجزم ، فهى في هذه الحالة يحكم لها بحكم إذا كقول عائشة رضى الله عنها « وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس » (١) فالفعل يقوم غير مجزوم بمتى وكذلك لا يسمع .

وهكذا صح تقارضهما لأن كلا منهما قد تحمل على الأخرى ، ولا التفات لما ذهب إليه أبو حيان الذى منع أن تهمل « متى » حملا لها على « إذا » (٢) .

لـــم ـ لـــن

أ ـ « لم » حرف يجزم الفعل المضارع وينفيه ويقلب زمنه إلى المضى ، هذا هو الأصل في استعماله نحو قوله تعالى : **﴿ لم يلد ولم يولد ﴾** (الاخلاص : ٣) .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة .

(٢) راجع مغنى اللبيب ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢١٢ ، ٩١٦ وشرح الأشمونى ٤ : ١٣ .

غير أن هذا الحرف قد يترك عمل الجزم للفعل المضارع إلى عمل النصب فيه مقترناً هذا الحكم من « لن » لتشابههما في النفى ، فقد حكى اللحياني عن بعض العرب أنه ينصب بلم ، وقد وجدنا ابن مالك يقول في شرح الكافية : زعم بعض الناس أن النصب بلم لغة اغتراراً بقراءة بعض السلف « ألم نشرح لك صدرك » (الشرح : ١) بفتح الحاء أى نصب الفعل المضارع « نشرح » « بلم » ، وكقول الحارث بن منذر :

في أيَّ يومى من الموت أفرَّ   أيوم لم يقدر أم يوم قدر

بنصب الفعل « يقدر » بعد لم ، فقد عملت « لم » النصب في الفعل بعدها ·

ولم يوافق على هذا بعض العلماء فقد ذهبوا إلى أن النصب في الآية والبيت على أن الأصل : نَشْرَحَن ، ويقدرَنْ ، ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلًا عليها ، وقد اعترض على هذا التوجيه بأن فيه شذوذين : توكيد المنفى بلم ، وحذف النون لغير وقف ولا ساكنين ·

وخرج بعضهم الفتح في الآية والبيت على أنها اتباع للفتحة قبلها أو بعدها (١) ·

ب ـ « لن » حرف ينصب الفعل المضارع وينفيه ويمحضه للاستقبال نحو قوله تعالى : **(فلن أكلم اليوم إنسيا)** (مريم : ٢٦) ، ولا تفيد توكيد النفى ولا تأبيده خلافاً لمن زعم ذلك ، وقد رُدَّ هذا الادعاء بأنها لو كانت للتأبيد للزم التناقض بذكر اليوم في « فلن أكلم اليوم إنسيا » والتكرار بذكر أبداً في قوله تعالى : **(ولن يتمنوه أبداً)** (البقرة : ٩٥) وأما التأبيد في **(لن يخلقوا ذباباً)** (الحج : ٧٣) فلأمر خارجى لا من مقتضيات لن ·

وتأتى « لن » للدعاء كما أتت « لا » وفاقا لجماعة منهم ابن عصفور بدليل قول الأعشى :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلـ   ـت لكم خالدا خلود الجبال (٢)

وما تقدم هو الأصل في استعمالها ، وقد تخرج « لن » عن نصب المضارع إلى جزمه مقترضة هذا الحكم من « لم » كقول كثير عزة :

أيادى سبايا عزَّ ما كنت بعدكم   فلن يحلَ للعينين بعدك منظر (٣)

وقول أعرابي يمدح الحسين بن علي :

لن يخِب الآن من رجائك من   حرَّك من دون بابك الحلقة

فقد جزمت « لن » الفعل « يحل » في البيت الأول ، وجزمت الفعل « يخب » في البيت الثاني ·

---

(١) راجع مغنى اللبيب : ٣٦٥ وحاشية الصبان ٤ : ٨·

(٢) الديوان : ١١٣ ·

(٣) الديوان : ١ : ٦٠ ·

وعلى الرغم من أن بعضهم وجّه الفعل في كل بيت على أنه محتمل للاجتزاء بالفتحة عن الألف للضرورة ، فالتقارض بينهما مؤيد بالسماع لوجود مشابهة بينهما وهو النفى في كل منهما واختصاصهما بالفعل المضارع دون غيره .

مــا ــ ليس

أ ــ من أوجه استعمال « ما » في الأساليب ، أن تكون حرفاً نافياً داخلا على الجملة الاسمية وهى في هذه الحالة تعمل عمل « ليس » على رأى الحجازيين والتهاميين والنجديين وأهملها بنو تميم وهو القياس لعدم اختصاصها بالأسماء ، ولاعمالها عند الحجازيين شروط فصلتها كتب النحو ، فمثال « ما » العاملة عمل ليس نحو قوله تعالى : **(ما هذا بشرا)** (يوسف : ٣١) وقوله تعالى : **(ما هن أمهاتهم)** (المجادلة : ٢) وقد عملت « ما » عمل ليس لحملها عليها لمشابهتها إياها في المعنى وهو النفى ، وقد ذكروا أن المثبت لأعمالها عمل ليس هو الاستقراء أما إذا دخلت « ما » النافية على الجملة الفعلية فإنها لا تعمل نحو قوله تعالى : **(وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله)** (البقرة : ٢٧٢) فما تقترض حكم ليس حين تدخل على الجملة الاسمية .

ب ــ أما « ليس » فهى فعل جامد لا يتصرف ناسخ من أخوات كان ، ينفى الحال ويرفع المبتدأ وينصب الخبر نحو : ليس بكر عالماً ، هذا هو الأصل في عملها .

وقد تخرج « ليس » عن هذا الأصل فلا تعمل أى تهمل حملا لها على « ما » وذلك حين ينتقض خبرها بإلاّ بجامع المشابهة التى بينهما ، فكذلك إذا انتقض خبر ليس بالا فانها لا تعمل ، فقد اقترضت من « ما » هذا الحكم نحو قولهم : ليس الطيبُ إلا المسكُ » برفع المسك قال ابن هشام في المثال المتقدم :

فان بنى تميم يرفعونه حملا لها على « ما » في الإهمال عند انتقاض النفى كما حمل أهل الحجاز « ما » على ليس في الأعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء (١) .

عســى ــ لعــلَّ

ا ــ « عسى » فعل ماض يفيد معنى الترجى في المحبوب ، والاشفاق في المكروه ، وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى : **(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌ لكم)** (البقرة : ٢١٦) .

---

(١) راجع مغنى اللبيب : ٣٨٧ ـ ٣٨٨ وحاشية الصبان ١ : ٣٧٤ .

والاسم الذى بعدها يكون مرفوعاً على أنه اسم لها ، ويأتى بعد ذلك الخبر المنصوب نحو قول هدبة بن خشرم :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقول رؤبة :

أكثرت في اللوم ملحاً دائماً لا تكثرن إنى عسيت صائماً

وقولهم في المثل : عسى الغوير أبؤساً (١) .

وقد تخرج « عسى » عن عمل الرفع والنصب على الترتيب إلى عمل النصب والرفع فيقال : عسایَ وعساكَ وعساهُ ، وقد قيل في تخريج ذلك : (٢)

إن عسى اقترضت عمل النصب والرفع على الترتيب من لَعَلّ .

ب ـ « لَعَلَّ » حرف يفيد معنى الترجى والطمع وقد يرد إشفاقا (٣) نحو قوله تعالى : (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم**) (الكهف : ٦) ومعلوم أنه ينصب الاسم ويرفع الخبر كإنَّ . هذا هو الأصل في عمل هذا الحرف ، وقد ينصبهما على قلة ، حكى عن بعض العرب : لعل أباك منطلقا وخبر هذا الحرف الأصل فيه أن يجىء اسماً صريحاً كما تقدم في الآية الكريمة . وقد يخْرج خبره عن كونه اسماً صريحًا فيجىء فعلا مضارعاً مقترناً بأن ، مقترضة هذا الحكم من « عسى » (٤) نحو قول متمم بن نويرة :

لعلك يوما أن تلم ملمة عليك من اللائى يدعنك أجدعا

ومنه الحديث « فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » (٥) .

وهكذا رأينا في الأمثلة المتقدمة أن « عسى » أجريت مجرى لَعَلَّ . في نصب الاسم ورفع الخبر ، كما أجريت « لعل » مجرى « عسى » في اقتران خبرها بأن ، قال صدر الأفاضل : أجرى لَعَلَّ بحيث أدخل على خبرها « أن » المصدرية مجرى عسى ، كما تجرى عسى مجرى لعل ، وهذا على طريق المقارضة (٦) .

---

(١) مجمع الأمثال : ١ : ٤٧٧ .

(٢) راجع مغنى اللبيب : ٢٠٢ .

(٣) شرح ابن الناظم : ٦٢ .

(٤) مغنى اللبيب : ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ـ ٩١٧ ـ ٦٢٣ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الأحكام .

(٦) راجع شروح سقط الزند : ٤ / ١٨٥٣ .

عســى ـ كــاد

أ ـ لقد عرفنا فيما تقدم ان الغالب في خبر « عسى » أن يقترن بأنْ المصدرية ، لأنها من أفعال الترجى ، وقد أوجب جمهور البصريين اقتران خبرها بأن . وقالوا : إن خبرها لا يجرد منها إلا للضرورة وحينئذ يخرج خبرها من مجيئه مقترنا بإن الى مجيئه مجرداً من أن ، مقترضاً هذا الحكم من « كاد » التى يغلب على خبرها أن يكون مجرداً من « أن » قال هدبة ابن خشرم العذرى :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فالفعل « يكون » هو الخبر لعسى وقد تجرد من أن .

ب ـ أما « كاد » فخبرها يأتى مجرداً من أنْ ، لأن المنقول عن فصحاء العرب : إيقاع أن بعد عسى وإلغاؤها بعد كاد . والعلة فيه : أن كاد وضعت مقاربة الفعل ولهذا قالوا : كاد النعام يطير ، لوجود جزء من الطيران فيه ، و « أن » وضعت لتدل على تراخي الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل ، فاذا وقعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب الفعل ، وحصل في الكلام ضرب من التناقض .

وليس كذلك « عسى » لأنها وضعت للتوقيع الذى يدل على وضع « أن » على مثله ، فوقوع « أن » بعدها يفيد تأكيد المعنى ويزيده فضل تحقيق وقوة . وقد نطقت العرب بعدة أمثال جاء فيها خبر « كاد » مجرداً من « أن » على الأصل فقالوا : كاد العروس يكون ملكا ، وكاد المنتقل يكون راكبا ، وكاد الحريص يكون عبداً ، وكاد البيان يكون سحراً ، وكاد النعام يكون طيراً ، وكاد البخيل يكون كلبا (١) ، ومن القرآن الكريم قوله تعالى : (**يكاد زيتها يضىء**) (النور : ٣٥) .

وقد يخرج خبر « كاد » عن الأصل فيأتى مقترناً بأنْ مقترضاً هذا الحكم من « عسى » ومن أمثلة هذا النوع :

قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفراً » (٢) وقول عمر رضى الله عنه : « وما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب » (٣) وقول أنس رضى الله عنه « فما كدنا أن نصل إلى منازلنا » (٤) وقول جبير بن مطعم رضى الله عنه : « ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه » (٥) .

---

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء : ٥٣٣ ، ١٠٩ .

(٣) صحيح البخاري ٥ : ١٤١ وصحيح مسلم ١ : ٤٣٨ والترمذي ٢ : ٣٣٧ .

(٤) صحيح البخاري : ٢ : ٣٦ .

(٥) سنن أبي داود ١ : ٣١٠ .

ومن النظم قول الشاعر :

أبيتم قبول السِّلم منا فكدتم ‏ ‏ ‏ ‏ لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السَّلِّ

وليس ذلك بضرورة لتمكنه من أن يقول لدى الحرب مغنون السيوف عن السَّل وهكذا فإن خبر « كاد » قد يقترن بأن ، كما أن خبر « عسى » قد يأتي مجرداً من أن ، وذلك على سبيل المقارضة بينهما (١) .

أ ــ الفاعل ــ المفعــول :

الأصل في الفاعل أن يأتي مرفوعاً نحو قوله تعالى : **(وأضلَّ فرعونُ قومه وما هدى)** (طه الآية ٧٩) ، وقد يخرج عن هذا الأصل الى النصب ، مقترضاً هذا الحكم من المفعول به نحو قولهم :

خرق الثوبُ المسمارَ ، وكسَرَ الزجاجُ الحجرَ ، فالمسمار هو الفاعل وحقه أن يكون مرفوعاً لكنه اقترض النَّصب من المفعول به فنصب وكذلك الحجرَ (٢) .

ب ــ والأصل في المفعول به أن يكون منصوباً ، وقد يخرج عن هذا الأصل فيصير مرفوعاً مقترضاً هذا الحكم من الفاعل نحو الأمثلة المتقدمة ، فالثوب والزجاج مفعولان حقهما النصب ولكنهما رفعا على سبيل المقارضة ، ومن أمثلة الاقتراض بينهما قول الأخطل يهجو جريرا :

مثل القنافذ هداجون قد بلغت ‏ ‏ ‏ ‏ نجرانُ أو بلغت سوءاتِهم هجرُ

فنجران وهجر مفعولان حقهما النصب لكنهما رفعا على سبيل التقارض ، وسوءاتهم في الأصل هى فاعل حقها الرفع لكنها نصبت على طريق التقارض أيضاً وسمع نصبهما أى الفاعل والمفعول نحو قول الشاعر :

قد سالم الحياتِ منه القدما ‏ ‏ ‏ ‏ الافعوانَ الشجاع الشجعما

في رواية من نصب الحيات .

وسمع أيضاً رفعهما أى الفاعل والمفعول (٣) نحو قول الشاعر :

إنَّ من صاد عقعقا لَمَشُوْم ‏ ‏ ‏ ‏ كيف من صاد عقعقان وبومُ

---

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا : ٢٥ . وشرح ابن الناظم : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ . والأشموني : ١ : ٢٥٨ وما بعدها .

(٢) جرأهم على ذلك أمن اللبس ووضوح المعنى .

(٣) راجع مغنى اللبيب : ٩١٧ ، ٩١٨ .

الصفة المشبهة ـ اسم الفاعل :

أ ـ الأفضل في معمول الصفة المشبهة أن يكون مجروراً نحو : محمد ضامر البطنِ ومنطلق اللسانِ وحسن الخلقِ ، لأن الصفة المشبهة تدل على الثبوت واللزوم ، ولهذا أصبحت مع معمولها كالكلمة الواحدة ، فالأحسن أن تضاف إلى معمولها لكنها قد تخرج عن هذا الحكم فتنصب معمولها مقترضة هذا الحكم من اسم الفاعل الذى يعد أقوى منها في العمل فيجوز أن تقول : زيد الحسن الوجهَ ، بنصب الوجه على سبيل الاقتراض منه .

ب ـ والأفضل في اسم الفاعل أن ينصب المفعول به وذلك حين يستوفي شروط عمله إذا كان مجرداً لأنه يدل على التجدد والحدوث ويناسبه أن يكون مفعوله منصوبا ولأنه محمول على الفعل المضارع إلا أن اسم الفاعل قد يجر مفعوله مقترضاً هذا الحكم من الصفة المشبهة التى تدل على الثبوت واللزوم .

ولذا قال ابن هشام (١) : يجوز « إعطاء الحسن الوجهَ ، حكم الضارب الرجل في النصب وإعطاء الضارب الرجلِ حكم الحسن الوجهِ في الجر » وذلك على سبيل التقارض .

اسم التفضيل ـ أفعل فى التعجب :

أ ـ الأصل في اسم التفضيل أن يرفع الاسم الظاهر لأنه مشتق والمشتقات ترفع الظاهر والمضمر ، غير أن اسم التفضيل لا يرفع الظاهر لشبهه بأفعل التعجب وزناً وأصْلا وافادة للمبالغة ، فقد اقترض « اسم التفضيل » من أفعل التعجب هذا الحكم وهو عدم رفع الاسم الظاهر .

ب ـ والأصل في أفعل التعجب أن لا يصغر ، لأن « أفعل التعجب » « فعل » والتصغير مختص بالأسماء ، ومبنى والتصغير لا يدخل الأسماء المبنية إلا شذوذاً غير أن أفعل التعجب قد يصغر مقترضا هذا الحكم من اسم التفضيل لأنهما متشابهان وزنا وأصْلا وإفادة للمبالغة . قال الشاعر :

ياما أميلح غزلانا شَدَنَّ لنا ... من هؤليائكن الضال والسمر

قال الجوهرى : ولم يسمع ذلك إلا في أحسن وأملح ، قال ابن هشام (٢) : ولكن النحويين مع هذا قاسوه ، ولم يحك ابن مالك اقتياسه إلا عن ابن كيسان وليس كذلك ، قال أبو بكر بن الأنبارى : ولا يقال إلا لمن صغر سنه .

---

(١) مغنى اللبيب : ٩١٨ .

(٢) راجع مغنى اللبيب : ٨٩٤ ـ ٩١٨ .

النوع الثاني : التقارض بين اللفظين فى الشكل والهيئة

الحال ـ التمييز :

أ ـ يذهب جمهور النحاة إلى أن الأصل في الحال أن ترد في الأسلوب مشتقة من المصدر لتدل على متصف نحو : جاء بكر ضاحكاً ، وضربت اللص مكتوفاً ، وقد تجيء جامدة مقترضة هذا الجمود من التمييز لما بينهما من أوجه الشبه ، ويكثر مجيئها جامدةً في مواضع :

إن دلت على سعر نحو : بعه مدًّا بدرهم ، فمدا حال جامدة ، أى بعه مُسَعَّرا كل مد بدرهم وإن دلت على تفاعل نحو : بعته يدا بيد أى مناجزة ، أو دلَّت على تشبيه نحو : كرَّ زيدٌ أسداً أى مشبها للأسد ، فيداً وأسداً جامدان وصَحَّ وقوعهما حالاً لظهور تأولهما بمشتق كما تقدم ، وتجيء الحال جامدة إن دَلَّت على ترتيب كقولك : ادخلوا الدار رجلا رجلا ، وقولك سار الجند رجلين رجلين ، تريد : « مرتين »

وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولا ثم يفصل هذا المجموع بذكر بعضه مكرراً وتجيء الحال جامدة إن وصفت نحو قوله تعالى : (**قرآناً عربيا**) (يوسف الآية ٣) وقوله تعالى : (**فتمثل لها بشرا سويا**) (مريم الآية : ١٧) وكذلك إن دلت على عدد نحو قوله تعالى : (**فتم ميقات ربه أربعين ليلة**) (الاعراف الآية ١٤٢) وكذلك إذا كانت الحال نوعا من صاحبها كقولك : هذا مالك ذهباً ، أو تكون الحال فرعا لصاحبها نحو : هذا حديدك خاتماً ، وكقوله تعالى : (**وتنحتون من الجبال بيوتا**) (الشعراء الآية ١٤٩) ٠

ب ـ والأصل في التمييز أن يكون جامداً نحو : حَسُن محمد علماً ، وزرعت الأرض شجرا ، وعندى قفيزٌ بُرًّا ، وقد يترك التمييز هذا الأصل فيجيء مشتقاً مقترضاً هذا من الحال لما بينهما من مشابهة نحو : لله دره فارساً ، وحسبك به كافلاً ، وكفى به عالما (١) ٠

قال الأشمونى : إن حق الحال الاشتقاق ، وحق التمييز الجمود ، وقد يتعاكسان ، فتأتي الحال جامدة كهذا مالك ذهباً ، ويأتي التمييز مشتقا نحو : لله دره فارساً (٢) ، أى يتعاكسان على سبيل الاقتراض فكل منهما يقترض هيئة الآخر لأوجه شبه بينهما ٠

---

(١) راجع ابن عقيل : ١ :٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ٠

(٢) راجع الأشموني : ٢ : ١٧٠ ـ ١٧١ ٠

الجمع ـ المثنى :

أ ـ حق نون الجمع المذكر السالم وما ألحق به ، في إعرابه أن تكون مفتوحة نحو قوله تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنونَ** ﴾ (المؤمنون الآية الأولى) ونحو ﴿ **وبَشِّر الصابرينَ** ﴾ (البقرة الآية ١٥٣) ، وقد فتحت نون الجمع طلباً للخفة من ثقل الجمع ، وفرقاً بينه وبين نون المثنى لكن نون جمع المذكر السالم قد تكسر مقترضة هذا من نون المثنى كقول جرير بن عطية :

عرفنا جعفراً وبني أبيه ... وأنكرنا زعانف آخرينِ

وقول سحيم بن وثيل الرياحي :

وماذا يبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزتُ حَدَّ الأربعينِ

بكسر نون « آخرين » في البيت الأول وكذلك كسر نون « الأربعين » في البيت الثاني .

ب ـ وحق نون المثنى وما ألحق به في الاعراب أن تكون مكسوره على الأصل في التقاء الساكنين لكن نُون المثنى قد تجيء مفتوحة مقترضة هذا من نون الجمع كقول حميد بن ثور الهلالي :

على أحوذيينَ استقلت عَشِيَّة ... فما هي إلَّا لمحةٌ وتغيب

وكقول رجل من ضَبَة :

أعرف منها الجيد والعيناناً ... ومنخرين أشبها ظبيانا

قال ابن مالك فيما تقدم :

ونونَ مجموع وما به التحق ... فافتح وقَلَّ من بكسره نَطَق (١)

ونون ما ثنى والملحق به ... بعكس ذلك استعملوه فانتبه

(١) راجع شرح الأشمونى ١ : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، وابن عقيل ١ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .



أختي العزيزة « هل » :

هذه هي الرسالة التاسعة من رسائلي إليك ، ضمنتها الصيغة الثامنة عشرة من هذه الصيغ التي أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع ، وصيغاً أخرى سوف تقرئينها من بعد .

أما الصيغة الثامنة عشرة فهي : (أو لم يكف) ، وقد وردت في آيتين اثنتين من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى في قوله تعالى : **(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) (٥٠) (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) (٥١) .**

الآيتان : (٥٠ – ٥١)(من سورة العنكبوت) .

ومعنى همزة الإستفهام في هذه الصيغة : (أو لم يكفهم) الإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين من قريش القائلين لولا أنزل على محمد آيات من ربه تكون حجة علينا كما جعلت الناقة لصالح والمائدة لعيسى ، ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المشركين ويوبخهم أن لم يكفهم آية أنه جل وعلا قد أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الخالد الصالح على مر الزمان وفي كل مكان ، فلا يلحقه بلى ولا يدركه فناء ، ولا يصيبه تبديل ولا تحريف ، ثم هو يتلى عليهم في كل حين ، فلو كانوا ينشدون الإيمان حقاً ، ويتلمسون أسبابه مخلصين ، لوجدوا فيه – كما يجد المؤمنون به – رحمة ونعمة وموعظة وذكرى .

وإعراب (**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**) واضح سهل ، فالفعل المضارع في (يكفهم) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ، و (هم) في محل نصب مفعول به ٠

(أنا أنزلنا عليك الكتاب) أن (بفتح الهمزة) من أخوات إن (بكسر الهمزة) وهى حرف توكيد تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها ، وهي أيضاً حرف مصدري تؤول هي وما بعدها بمصدر ، و (نا) ضمير مبني على السكون في محل نصب اسمها ، وجملة (أنزلنا عليك الكتاب) في محل رفع خبرها ، والمصدر المؤول من أن المصدرية وخبرها مضافاً إلى اسمها في محل رفع فاعل الفعل المضارع في (يكفهم) ، والتقدير : أو لم يكفهم إنزالنا عليك الكتاب ٠

(يتلى عليهم) (يتلى) فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره على الألف منع من ظهورها التعذر ، وفي يتلي ضمير مستتر تقديره هو يعود على الكتاب وهو نائب الفاعل ، و (عليهم) جار ومجرور يتعلقان بالفعل المضارع (يتلى) ، وجملة ، يتلى عليهم) في محل نصب حال من الكتاب ، وهي حال مقدرة أي تقع بعد إنزال الكتاب وليست مصاحبة له ٠

وجملة (**أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب ٠

الآية الثانية التي وردت فيها صيغة (أو لم يكف) هى قوله تعالى : (**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) ٠ الآية (٥٣) من سورة فصلت ٠

هذا الاستفهام (**أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) **للإنكار والتوبيخ :**

ينكر الله سبحانه وتعالى على المكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم ويوبخهم على عدم اكتفائهم بشهادته جل وعلا على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه ، فهو جل وعلا شهيد على كل شيء من أفعال عباده ، وقد شهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عن ربه تبارك وتعالى ، فكان ينبغي لهؤلاء المكذبين أن تكون هذه الشهادة كافية للدلالة على صدقه لو كانوا يعقلون ٠

وإعراب (**أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) سهل واضح . فالفعل المضارع (يكف) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره . و (بربك) الباء حرف جر زائد للتوكيد . و (رب) مجرور بالباء لفظاً مرفوع تقديراً على أنه فاعل (يكف) . و (أنه على كل شيء شهيد) (أنّ) من أخوات إنّ حرف توكيد تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها . وهي أيضاً حرف مصدرى تؤول هي وخبرها بمصدر . والهاء من (أنه) ضمير يعود على (ربك) مبنى على الضم في محل نصب اسم أن . (على كل شيء) الجار والمجرور يتعلقان ب (شهيد) وشيء مضاف إليه و (شهيد) خبر أن مرفوع . والمصدر المؤول من أن وخبرها مضافاً إلى اسمها وتقديره : شهادته على كل شيء . هذا المصدر المؤول تابع للفظ ربك على أنه بدل منه فيكون له محلان . فهو في محل جر بالنظر إلى لفظ (رب) المجرور . وهو في محل رفع بالنظر إلى الرفع المقدر للفظ (رب) . ونوع هذا البدل : بدل اشتمال . وقيل بدل كل من كل .

أختي : « هـل »

أريد الآن أن أحدثك عن صيغ الاستفهام التي دخلت فيها على لم النافية الجازمة لفعل مضارع لم يأت في القرآن الكريم مجزوماً بلم التالية لهمزة الاستفهام أكثر من مرة واحدة .

ها أنا ذى أقدمها إليك مرتبة بحسب ورودها في القرآن الكريم :

الاستفهام الأول : (أو لم تؤمن) في قوله تعالى : **(وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)** . الآية (٢٦٠) من سورة البقرة

الاستفهام في قوله تعالى : (**أو لم تؤمن**) استفهام تقرير . وقد تقدم في الرسالة الأولى من هذه الرسائل أن استفهام التقرير يأتى على معنيين : على معنى الإخبار كما في قوله تعالى : (**ألم نشرح لك صدرك**) . أو على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال نفياً أو إثباتاً كما في قوله تعالى لعيسى بن مريم : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) .

وأرى أن الاستفهام هنا في قوله تعالى : (أو لم تؤمن) للتقرير بمعنى طلب الاعتراف . وجواب إبراهيم عليه السلام بقوله (بلى) أى قد آمنت اعتراف بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والإيجاب .

قد تسألين وتقولين : الله سبحانه وتعالى يعلم أن إبراهيم عليه السلام أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً ، ويعلم أيضاً جواب إبراهيم من قبل أن يجيب إبراهيم ، فما الفائدة إذن من هذا السؤال ؟ . الفائدة من هذا السؤال حمل إبراهيم على أن يجيب بما أجاب به فيكون ذلك إقراراً بأن سؤاله : **(رب أرني كيف تحيي الموتى)** ليس ناشئاً من نقص في إيمانه أو شك في قدرته تعالى على إحياء الموتى ، وإنما ليعلم السامعون أن غرضه من السؤال أن يترقى من علم اليقين ، الى عين اليقين وأن يطمئن قلبه عياناً كما اطمأن قلبه برهاناً ، أو بعبارة أخرى ليضم إلى علمه الناشىء من البرهان والاستدلال علماً آخر ناشئاً من الحس والمشاهدة .

قد تقولين : فهمت من الآية أن إبراهيم قد آمن بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، ولكنه سأل ربه كيفية الإحياء ليطمئن قلبه ويسكن ، ترى ماذا كان في قلب إبراهيم قبل أن يطمئن ويسكن ؟

لم يكن في قلبه شك ولا تردد كما يبدر إلى أذهان بعض الناس ، ولكن كان في قلبه قلق واضطراب من جراء تطلعه الملحّ وتشوقه الشديد إلى مشاهدة كيفية الإحياء ، فحين رآها اطمأن قلبه وسكن .

وهذا شيء قد فطرت عليه النفس البشرية ، فإنها إذا تطلعت إلى شيء تطلعاً ملحًا ورغبت فيه رغبة شديدة ظلت في قلق واضطراب حتى تنال ما تصبو إليه ، فإذا نالته اطمأنت وسكنت .

أختي « هل » :

أحب أن أخبرك أن أبا حيان الأندلسي قد رأى في تفسيره البحر المحيط (جـ ٢ ص ٢٩٨) : أن الاستفهام في قوله تعالى : **(أو لم تؤمن) للتقرير بمعنى الإخبار على حد (ألم نشرح لك صدرك)** وعلى هذا يكون معنى **(أو لم تؤمن)** قد آمنت .

ورأى أيضاً أن (بلى) التى تقع جواباً للنفي لا جواباً للإثبات قد وقعت هنا جواباً لهذا الاستفهام بالنظر إلى لفظه الدال على النفي لا بالنظر إلى معناه الدال على الإثبات .

وقال أيضاً إن هذا جائز قد تقرر في النحو ، ويؤيده أن في كلام العرب ما يلحظ فيه اللفظ دون المعنى .

ورأيي أن إجابة إبراهيم عليه السلام بقوله (بلى) قرينة على أن هذا الاستفهام لطلب الاعتراف وليس للإخبار .

وقول أبى حيان إن (بلى) كانت جواباً للاستفهام باعتبار لفظه لا باعتبار معناه خلاف المتبادر وتكلف لا داعي إليه ٠

الاستفهام الثاني : (ألم نستحوذ عليكم) في قوله تعالى : **(الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)** الآية (١٤١) من سورة النساء ٠

في هذه الآية الكريمة يقول المنافقون الذين كانوا يتربصون بالمؤمنين الخير أو الشر ، وينتظرون بهم ما يتجدد من ظفر لهم أو ظفر بهم ، يقولون للمؤمنين ـ إن كان للمؤمنين فتح من الله أى نصر على الكافرين وتأييد وظفر وغنيمة ـ ألم نكن معكم ـ يتوددون إليهم بهذا القول ٠

فهذا الاستفهام : **(ألم نكن معكم)** يفيد التقرير والتودد على معنى كنا معكم مساندين مظاهرين ، فنصركم الله على أعدائكم ، وأفاء الله عليكم فيئاً من المغانم ، لقد أسدينا إليكم معروفاً فأسهموا لنا في الغنيمة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ !

وإن كان للكافرين نصيب من الغلبة على المؤمنين والإصابة منهم قال أولئك المنافقون أنفسهم لهؤلاء الكافرين متظاهرين لهم بالمحبة والود **(ألم نستحوذ عليكم)** ، وهذا استفهام تقرير وتودد أيضاً أي غلبنا عليكم وكان في مكنتنا أن نقتل منكم ونأسر ، ولكننا أبقينا عليكم ومنعناكم من المؤمنين بتخذيلنا إياهم وتثبيطنا لهم ، فانصرفوا دون أن يقدروا على إيذائكم ، فأسهموا لنا فيما غنمتم مقابل ما أسدينا إليكم من معروف وإحسان ، فنحن نواليكم فلا نؤذيكم ولا نترك أحداً يؤذيكم ٠

الإستفهام الثالث : (ألم أنهكما) في قوله تعالى : **(ويا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** (١٩) **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين** (٢٠) **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** (٢١) **فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين** (٢٢) ٠

الآيات : (١٩ – ٢٢) من سورة الأعراف ٠

هذا الاستفهام : (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) **معناه** عتاب آدم وزوجه على ما صدر منهما والتنبيه على موضع ما غفلا عنه . فقد قال سبحانه وتعالى لهما : **(ولا تقربا هذه الشجرة)** فخالفا النهي واقتربا منها وذاقاها . وقال سبحانه وتعالى يحذرهما من الشيطان **(إن هذا عدو لك ولزوجك)** فاغترا بقول الشيطان وقبلا ما عرض عليهما حين قاسمهما إني لكما لمن الناصحين .

والفعل المضارع في **(ألم أنهكما)** مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الألف من آخره . وأصله قبل الحذف (أنهى) . و (كما) ضمير المخاطب المثنى مبني على السكون في محل نصب مفعول به . ولك أن تقول الكاف وحدها ضمير المخاطب والميم حرف عماد اي اعتمدت عليها الألف في دلالتها على التثنية والألف حرف دال على التثنية . والحق أن هذه الأحرف الثلاثة بمجموعها تدل على المثنى المخاطب وأن أي حرف منها لا يدل بمفرده عليه . ولذلك كان اعتبار الأحرف الثلاثة مجتمعة كلمة واحدة تدل على ضمير المثنى المخاطب أحق وأولى . **(عن تلكما الشجرة)** عن حرف جر . و (تِ) اسم إشارة للمفردة المؤنثة . وأصله (تى) ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين وهما الياء من (تى) واللام الدالة على البعد . وتعرب (تِ) اسم اشارة مبني على السكون على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل جر . واللام الواقعة بعد اسم الإشارة حرف يدل على بعد المشار إليه مبني على السكون لا محل له من الإعراب . و (كما) حرف خطاب للمثنى مبني على السكون لا محل له من الإعراب . و (الشجرة) نعت لاسم الإشارة مجرور . ويجوز أن تعرب عطف بيان .

الاستفهام الرابع : (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) في قوله تعالى : **(وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** (١٦٨) **فخلف من بعدهم خلْف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)** ١٦٩ . (الآيتان (١٦٨ - ١٦٩) من سورة الأعراف) .

الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين تبين أن الله سبحانه وتعالى قد قطّع بنى اسرائيل وفرقهم في بقاع الأرض . منهم الصالحون ومنهم الفاسقون الكافرون . وقد ابتلى هؤلاء الكافرين بالحسنات من صحة ورخاء . وبالسيئات من مرض وفقر وجدب . لعلهم يرجعون إلى الطاعة ويتوبون عن المعصية .

والآية الثانية التي اشتملت على الإستفهام **(ألم يؤخذ)** تبين أنه جاء بعد أولئك اليهود المتقدم ذكرهم في الآية الأولى جيل سوء من نسلهم ورثوا التوراة من أسلافهم فبقيت في أيديهم يقرءونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحريم والتحليل ولا يعملون بها ، يأخذون الرشا والمكاسب الخبيثة ويقولون سيغفر لنا الله ولن يؤاخذنا بذلك ، وكان ينبغي إذ ورثوا الكتاب أن يعملوا بما جاء فيه وألا يجزموا بالمغفرة وهم مصرون على ارتكاب المعصية ، وقد جاء إصرارهم هذا من أنهم كانوا إذا أمكنتهم الرشا والمكاسب الخبيثة أخذوها غير مكترثين بالوعيد والعقاب الشديد على ارتكاب المعاصي ·

ويجيء الاستفهام في قوله تعالى : **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه)** يجيء مفيداً التقرير والتوبيخ : التقرير على معنى الإخبار أي قد أخذ عليهم في الكتاب أي في التوراة ميثاق أن لا يقولوا على الله إلا الحق والصدق ، وقد كذبوا مع ذلك عليه سبحانه وتعالى ، ومن تلك الأكاذيب دعواهم أن الله سيغفر لهم معاصيهم مع إصرارهم عليها ، ومنها أنهم كانوا إذا جاءهم المبطل أخذوا منه الرشوة وأخرجوا كتابهم الذي كتبوه بأيديهم وحكموا له به مدعين أنه كتاب الله ·

وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ أيضاً : يوبخهم الله سبحانه وتعالى على افتراءاتهم وأكاذيبهم تلك التي كانوا يزعمون أنها في كتاب الله على حين يعلمون أنها ليست فيه ، فقد قرءوه كرة بعد كرة ، ووقفوا على ما فيه مرة بعد مرة ·

وأكتفى من إعراب هذه الصيغة : **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق)** بما يلي :

(ميثاق) نائب فاعل ، و **(الكتاب)** مضاف إليه ، و **(أن)** حرف مصدري ينصب الفعل المضارع و **(لا)** نافية ، و **(يقولوا)** مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون ، والواو ضمير الجماعة فاعل مبني على السكون في محل رفع ، و **(على الله)** جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما ، و **(إلا)** أداة حصر حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و **(الحق)** مفعول به ليقولوا ، والمصدر المؤول من **(أن)** المصدرية والفعل الذي دخلت عليه في محل رفع عطف بيان لميثاق ، وقيل بدل منه ، وقيل المصدر المؤول في محل نصب مفعول من أجله على معنى لئلا يقولوا إلا الحق ، وجملة **(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق)** جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب ·

الاستفهام الخامس : (**أفلم ييأس الذين آمنوا**) في قوله تعالى : ((**ولو أن قرءانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد**) الآية (٣١) من الرعد .

هذا الاستفهام : (**أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**) يفيد الإنكار : ينكر الله سبحانه وتعالى على الذين آمنوا بالله ورسوله وبأن الله جل وعلا لو يشاء لهدى الناس جميعا ينكر عليهم أن لم يقنطوا من إيمان كفار قريش المعاندين لله ورسوله ، ذلك أنه لما سأل هؤلاء الكفار المعاندون نزول آيات غير القرآن (**ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية**) اشتاق المؤمنون إلى هذه الآيات ، وأحبوا نزولها ، طمعا في إيمان هؤلاء الذين علم الله أنهم لا يؤمنون ولو نزلت هذه الآيات ، فقال تعالى : (**أفلم ييأس الذين آمنوا**) ... الآية .

أختي « هل » :

ذهب كثير من المفسرين إلى أن (ييأس) في هذا الاستفهام بمعنى يعلم ، وليس هناك - فيما يبدو لي - ما يدعو إلى إخراج هذه الكلمة عن بابها وهو القنوط ، ولا إلى حملها على لغة بعض قبائل العرب وجعلها بمعنى يعلم ، فاستعمالها بمعنى العلم قليل جدا ، بل إن الكسائي والفراء قد أنكراه .

أما إعراب هذه الصيغة : (**أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**) فأكتفى منه بإعراب ما يلي :

(**أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**) (**أنْ**) مخففة من الثقيلة ، وهى مصدرية تفيد التوكيد ، تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها ، وهى حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، واسمها ضمير الشان محذوف والتقدير أنه . و (لو) حرف يدل على انتفاء الجواب لانتفاء الشرط ، والمعنى أنه تعالى لم يهد الناس جميعا لأنه لم يشأ ذلك و (يشاء) فعل مضارع مرفوع ولفظ الجلالة (الله) فاعله ، و (لهدى) اللام واقعة في جواب لو ، و (هدى) فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر لا محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة (الله) . و (الناس) مفعول به منصوب ، و (جميعا) حال من الناس منصوب . وجملة (**لهدى الناس جميعا**)

جواب لو لا محل لها من الإعراب ، والجملة المؤلفة من لو وشرطها وجوابها في محل رفع خبر أنْ المخففة من الثقيلة · والمصدر المؤول من أن المخففة وجواب لو في محل جر بالباء المقدرة ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل (آمنوا) ، والتقدير : أفلم ييأس الذين آمنوا بهداية الله للناس جميعا لو يشاء · ويجوز أن يكون هذا المصدر المؤول في محل نصب على نزع الخافض _ ومتعلق ييأس الذي هو مفعول به في المعنى محذوف لدلالة السياق عليه والتقدير أفلم ييأس الذين آمنوا بهداية الله للناس جميعا لو يشاء أفلم ييأسوا من إيمان هؤلاء الكافرين ·

الاستفهام السادس : (أو لم ننهك عن العالمين) في قوله تعالى : **(وجاء أهل المدينة يستبشرون** (٦٧) **قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون** (٦٨) **واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أو لم ننهك عن العالمين (٧٠)** · الآيات (٦٧ - ٧٠ من سورة الحجر ·

هٰذا الاستفهام : **(أو لم ننهك عن العالمين)** يفيد التقرير والإنكار :

التقرير على معنى الإخبار أي قد نهيناك من قبل عن تضييف أحد من الناس · ويفيد الإنكار على معنى ما كان ينبغى لك بعد هذا أن تضيّف هؤلاء وتقول لنا لا تفضحونى ولا تخزونى وأنت الذى تعرض نفسك للفضيحة والخزي من جراء مخالفتك ما قد نهيناك عنه · وإعراب الصيغة واضح ·

الاستفهام السابع : (ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) في قوله تعالى : **(وما أعجلك عن قومك ياموسى (٨٣) قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى (٨٤) قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلهم السامريّ (٨٥) فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى (٨٦) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خُوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فَنَسىَ (٨٨) أفلا يرون ألا يرجعُ إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعاً (٨٩)** · الآيات (٨٣ - ٨٩) من سورة طه ·

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن حيث كان موعد أن يكلم الله جل وعلا موسى ، رأى موسى أن يسارع وحده مبادراً إلى الطور ، واستخلف أخاه هارون على بنى اسرائيل ، وطلب منهم أن يسيروا على أثره إلى جانب الطور ،

ولما انتهى موسى عليه السلام من مناجاة ربه جل وعلا سأله سبحانه وتعالى عن سبب العجلة ومجيئه وحده دون أن يكون معه قومه ، فأجاب موسى هم أولاء على أثرى ، **وعجلت** إليك رب لترضى ، فأخبره الله تبارك وتعالى بما كان من الفتنة من بعده في بنى اسرائيل وعبادتهم العجل الذى عمله لهم ذلك السامري ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً على ما صنعه قومه من بعده (**قال ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**) .

وهذا الاستفهام : (ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يفيد التقرير والتوبيخ :

التقرير على معنى الإخبار أي قد وعدكم الله تبارك وتعالى وعداً حسناً ، أما التوبيخ فتوبيخ موسى لقومه على مخالفتهم مايستوجبه هذا الوعد الحسن ، وكانت هذه المخالفة بعبادتهم العجل وتصديق ماقاله السامري من أن هذا العجل هو إلههم وإله موسى على حين كان واجباً عليهم أن يقيموا على ماتركهم عليه موسى من الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده لاشريك له .

وإعراب (**ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**) .

(يعدكم) (يعد) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون على آخره ، وهذا الفعل يأخذ مفعولين والضمير (كم) هو المفعول الأول مبني على السكون في محل نصب ، أما المفعول الثانى فمحذوف ، وقد اختلف العلماء في تقديره ، فمنهم من قدره (أن يعطيكم التوراة) ، ومنهم من قدره (الوصول إلى جانب الطور الأيمن) ومنهم من قدره (أن يسمعكم كلامه) ، ومنهم من قدره (المغفرة عمن تاب وعمل صالحاً) .

(ربكم) (رب) فاعل مرفوع ، و (كم) ضمير في محل جر بالإضافة ، (وعداً حسناً) (وعداً) مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق ، و (حسناً) صفة لهذا المصدر . ويجوّز بعضهم أن يطلق الوعد ويراد به الموعود فيكون هو المفعول الثاني . وجملة (**ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**) في محل نصب مفعول به لقال (**قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً**) .

الاستفهام الثامن : (أفلم يدبروا) في قوله تعالى : (**أفلم يدّبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين**) الآية (٦٨) من سورة المؤمنون .

وهذا الاستفهام (**أفلم يدَّبروا القول**) للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ويوبخهم أن لم يتفهموا القرآن العظيم ، ولم يتفكروا فيما جاء به من العبر ، فيعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه ، ويعلموا أنه المعجز الذى لا يمكن معارضته ، فيصدقوا به وبمن جاء به .

وإعراب هذه الصيغة (أفلم يدبروا القول) واضح ، وأصل يدَّبّروا (يتدبروا) أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال في الدال . وهذا الإبدال جائز ، وقد جاءت التاء غير مبدلة في قوله تعالى : (**أفلا يتدبرون القرآن**) (٨٢ النساء) (٢٤ محمد) .

الاستفهام التاسع : (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) في قوله تعالى : **(فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني اسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين (٢٠) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلني من المرسلين ((٢١) وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبَّدتَّ بنى اسرائيل (٢٢) .** الآيات (١٦ – ٢٢) من الشعراء .

حين أتى موسى وهارون عليهما السلام فرعون وقالا له إنا رسول رب العالمين عرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته و **(قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين)** . وهذا الاستفهام يفيد التقرير والامتنان والتحقير والتوبيخ والتعجب على معنى : قد ربيناك فينا وفي بيتنا على فراشنا مذ كنت رضيعاً حتى بلغت مبلغ الرجال ، أنعمنا عليك هذه السنين الطويلة ، ولكنك قابلت إحساننا إليك بتلك الفعلة التى فعلتها ، فقتلت منا رجلًا وكفرت بنعمتنا عليك ، لقد حدث هذا كله ، ثم ها أنت ذا تدعى أنك رسول رب العالمين ، فياعجبا أنى لك هذه الرسالة ؟!! ومتى كان ذلك ؟!! .

ولقد أجاب موسى عليه السلام عما تضمنه سؤال فرعون فقال :

لقد قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين بأن تلك الوكزة ستقضى عليه ، لقد كان قتلى إياه خطأ وليس بالعمد .

وأما هذا العجب من أن أكون رسولًا فإن الله ربى هو الذي وهب لى حكماً وجعلني من المرسلين بعد أن خفتكم وفررت منكم أنشد النجاة والأمن .

وأما تلك النعمة التى تمنها علىّ فما كانت بالنعمة ، ولن تكون ذات يوم ، وكيف تراني أعدها نعمة واعتدها إحساناً وأنا الذي كنت أرى وأنا أعيش في بيتك ، أرى قومى بنى اسرائيل يلاقون على يديك ضروب التعبيد والإذلال ، لقد أهنت قومى ، ومن أهين قومه فقد ذل .

وأما تربية موسى في بيت فرعون من حيث إنها حادثة واقعة لا من حيث إنها **نعمة** يمن بها فقد سكت موسى عن ذكرها ، وسكوته إقرار بها واعتراف .

وإعراب هذه الصيغة : **(قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين) :**

(نربك) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ، والكاف ضمير المخاطب مبني على الفتح في محل نصب مفعول به . (وليداً) حال من ضمير المخاطب قبله وهو الكاف ، وجملة (ألم نربك فينا وليداً) في محل نصب مفعول به لقال :

(ولبثت فينا من عمرك سنين) (من عمرك) الجار والمجرور يتعلقان بمحذوف حال مقدم من سنين أو هما في محل نصب على الحال . و (سنين) ظرف زمان متعلق بالفعل الماضي (لبث) وهو منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم .

وجملة (لبثت فينا من عمرك سنين) معطوفة على (نربك فينا وليداً) فتكون داخلة في حيز الاستفهام والنفي المتقدمين ، على معنى : ألم نربك فينا وليداً ، أو مالبثت فينا من عمرك سنين ، ويجوّز بعضهم أن تكون معطوفة على (ألم نربك فينا وليداً) باعتبار معناها الخبرى أي قد ربيناك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .

(وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) (فعلتك) (فعلة) مفعول مطلق منصوب ، والكاف في محل جر بالإضافة ، (التي) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لـ (فعلة) و (فعلت) فعل فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب الرابط الذي يربط الصلة بالموصول ضمير محذوف والتقدير : فعلتها ، (وأنت من الكافرين) الواو حالية . (أنت) ضمير مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ - (من الكافرين) جار ومجرور في محل رفع خبر ، أو متعلقان بمحذوف هو الخبر .

وجملة (أنت من الكافرين) في محل نصب حال وصاحب الحال ضمير المخاطب (تَ) في فعلت الثانية ورابط جملة الحال بصاحبها الواو والضمير (أنت) معاً .

وجملة (فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) معطوفة على ما عطفت عليه الجملة التي قبلها ، وهي مثلها في محل نصب مفعول به لقال .

الاستفهام العاشر : (أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) في قوله تعالى : **(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحْران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون)** الآية (٤٨) من سورة القصص ·

هذا الاستفهام : **(أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل)** يفيد التوبيخ والتقرير :

أما التقرير فعلى معنى الإخبار أي لقد كفر هؤلاء اليهود الذين أمروا قريشاً أن يسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يُؤتى مثل ما أوتى موسى ، لقد كفر هؤلاء اليهود بما أوتى موسى من قبل ·

أما التوبيخ والتقريع فعلى معنى أن الله سبحانه وتعالى يوبخ هؤلاء اليهود ويقرعهم على أن يُعلِّموا قريشاً حجة هي أن يطلبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤتى مثل ما أوتى موسى ، مع أنهم لم يؤمنوا بهذه الحجة وكفروا بها من قبل ، وقالوا عن التوراة والقرآن سحران تعاوناً بتصديق كل واحد منهما الآخر وإنا بكل واحد منهما كافرون ·

وإعراب هذه الصيغة : (أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) سهل واضح ·

الاستفهام الحادي عشر : (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً) في قوله تعالى : **(وقالوا إن نتبع الهدى معك نَتَخَطَّفْ من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبَى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون)** · الآية (٥٧) من سورة القصص ·

(أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا) هذا استفهام معناه التقرير والتكذيب :

التقرير على معنى الإخبار أي « قد وطأنا لهم بلداً حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء ، وأمنا على أهله أن يصيبهم به غارة أو قتل أو سباء ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى إليهم » ·

والتكذيب على معنى أن قولهم للرسول هو قول كاذب ، وأن اعتذارهم عن اتباع الهدى هو اعتذار زائف غير قويم ، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : إننا نخشى إن اتبعنا الهدى معك أن يقصدنا العرب المشركون من حولنا بالأذى والحرب ، وأن يتخطفونا من أرضنا ·

وهذا قول مردود وادعاء باطل ، فالله سبحانه وتعالى قد جعل لكم الحرم آمناً وأنتم على الكفر والشرك ، فكيف يجعله غير آمن إذا اتبعتم الهدى والإسلام ؟!! .

ومن هذه الصيغة : **(أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا)** .

أكتفى بإعراب ما يلي : (رزقاً) حال من ثمرات منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره . (من لدنا) من حرف جر (لدن) ظرف مكان مبني على السكون في محل جر ، والجار والمجرور يتعلقان بمحذوف صفة لـ (رزقاً) ولدن مضاف و (نا) مضاف إليه ضمير مبنى على السكون في محل جر .

وجملة (**يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا**) في محل نصب نعت ثان لـ (حرما) .

وجملة (**أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا**) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

الاستفهام الثاني عشر : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) في قوله تعالى : **(والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور (٣٦) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٣٧)** الآيتان (٣٦ - ٣٧) من فاطر .

هذا الاستفهام : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) معناه التقرير والتوبيخ :

التقرير على معنى الإخبار أي قد عمرناكم أيها الكافرون أعماراً تتمكنون فيها من التدبر واتباع الحق فالعمل الصالح لو أردتم ذلك وكنتم ممن تنفعه الذكرى ، وما تركناكم لأنفسكم ، بل جاء الأنبياء ينذرونكم لقاء يومكم هذا .

والتوبيخ لهم على أن لم ينتفعوا في حياتهم الدنيا بما ينجيهم من هذه النار التي يصطرخون فيها من هول العذاب ، وعلى أن ضيعوا هذه الفرصة المواتية للإيمان بالرسل وللعمل الصالح ، وجاءوا الآن بعد أن ذاقوا العذاب في الآخرة يطلبون الرجعى إلى دار الدنيا كي يؤمنوا بالله وحده لا شريك له ، ويعملوا ما أمرهم به الأنبياء ، ذلك رجع بعيد .

أما إعراب هذه الصيغة : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) فيكفيك منه ما يلي :

(ما يتذكر فيه من تذكر) : (ما) نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب ظرف زمان متعلق بالفعل المضارع قبله وهو (نعمر) ، والتقدير : أو لم نعمركم وقتاً يتذكر فيه من تذكر ، و (مَنْ) اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل المضارع الذي قبله وهو يتذكر ، و (تذكر) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على مَنْ ، وهذا الضمير هو الرابط الذي يربط جملة الصلة بالموصول ، وجملة (يتذكر فيه من تذكر) في محل نصب نعت ل (ما) . وجملة (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

الاستفهام الثالث عشر : (ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) فى قوله تعالى : **(فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون** (٥٤) **إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥) هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥٦) لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون** (٥٧) **سلام قولا من رب رحيم** (٥٨) **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** (٥٩) **ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين** (٦٠) **وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم** (٦١) الآيات (٥٤ – ٦١) من سورة ياسين .

بعد أن وصفت هذه الآيات الكريمة الجزاء في يوم القيامة وما يجازى به المؤمنون من جنة ونعيم ، وصفت حال الكافرين بأنهم يخاطبون ب (امتازوا اليوم أيها المجرمون) أى تميزوا من المؤمنين وانفردوا أيها الكافرون بالله ، فإنكم واردون غير موردهم وداخلون غير مدخلهم ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى لهم **(ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)** . وهذا استفهام معناه التقرير والتوبيخ والتقريع .

التقرير على معنى الإخبار أي قد أوصيتكم وأمرتكم في الدنيا ألا تطيعوا الشيطان فإنه لكم عدو مبين ، وقد عهدت إليكم أيضاً وأوصيتكم أن تعبدونى وحدى لا تشركون بى شيئاً ، تفعلون ما آمركم به وتنتهون عما أنهاكم عنه ، وهذا هو الدين الصحيح والصراط المستقيم .

ويفيد هذا الاستفهام التوبيخ والتقريع أيضاً ، توبيخ هؤلاء الكافرين وتقريعهم على مخالفتهم لما عهده الله جل وعلا إليهم ، فقد أطاعوا الشيطان فأضلهم ، وأشركوا به سبحانه وتعالى وعصوه فكانوا مجرمين .

ولن أطيل عليك في إعراب هذه الصيغة (**(ألم أعهد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ٠ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم)** ٠ سوف أكتفي بإعراب ما يلي :

(أن لا تعبدوا الشيطان) **(أنْ)** حرف مصدري ناصب للفعل المضارع الذى بعده ٠ **(لا)** حرف نفى ٠ (تعبدوا) فعل مضارع منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه حذف النون ، وواو الجماعة فاعل ضمير مبني على السكون في محل رفع ٠ (الشيطان) مفعول به منصوب ٠

(وأن اعبدونى) الواو حرف عطف ، **(أنْ)** حرف مصدرى ، **(اعبدونى)** مؤلفة من فعل أمر مبني على حذف النون لا محل له من الإعراب ، وواو الجماعة ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل . والنون نون الوقاية حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب ٠ والياء ياء المتكلم ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به ٠

و **(أنْ)** المصدرية وما دخلت عليه في كل من الموضعين المتقدمين في تأويل مصدر ، وهذا المصدر في محل نصب على نزع الخافض ، وتقدير هذين المصدرين : عدمَ عبادتِكم للشيطان (بنصب عدم) ، وعبادتكم إياى (بنصب عبادتكم) ٠

وجملة **(ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ٠ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب ٠**

الاستفهام الرابع عشر : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) الآية (١٦) من سورة الحديد ٠

هذا الاستفهام معناه الاستبطاء والعتاب والتحذير :

استبطأ الله سبحانه وتعالى من المؤمنين أن تخشع قلوبهم وتخضع وترق وتلين لذكر الله ، وأن تسمع وتطيع وتنقاد لما ينزل من آيات كتاب الله ، استبطأ ذلك منهم وعاتبهم عليه ، وحذرهم من أن يكونوا مثل اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبل أن يرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين ، فطال عليهم الزمن بعد أنبيائهم ، فقست قلوبهم وسكنت إلى المعاصى ، وكان كثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب خارجين عن دينهم ، رافضين لما جاء في كتابهم ٠

وإعراب صيغة هذا الاستفهام : **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) :**

(يأن) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ، وأصله قبل الجزم (يأنى) . **(للذين آمنوا)** اللام حرف جر . و **(الذين)** اسم موصول مبني على الفتح في محل جر ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل المضارع (يأن) . **(آمنوا)** فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة لا محل له من الإعراب ، وواو الجماعة ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل ، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والرابط الذي ربط جملة الصلة بالموصول هو واو الجماعة . **(أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)** **(أنْ)** حرف مصدري ناصب للفعل المضارع الذي بعده **(تخشع)** فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة ظاهرة على آخره ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر وهذا المصدر في محل رفع فاعل للفعل المضارع (يأن) والتقدير : ألم يأن للذين آمنوا خشوعُ قلوبِهم . **(قلوبُهم)** قلوب فاعل ، وهم ضمير مبني على السكون في محل جر **(لذكر الله)** جار ومجرور ومضاف إليه ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل (تخشع) . **(وما نزل من الحق)** الواو عاطفة و **(ما)** اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ذكر ، و **(نزل)** فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على اسم الموصول (ما) **(من الحق)** من حرف جر وهي بيانية والحق مجرور بمن والجار والمجرور في محل نصب حال من (ما) وجملة (نزل من الحق) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والرابط الضمير المستتر في نزل .

(ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) الواو عاطفة ، و (لا) نافية ، (يكونوا) فعل مضارع معطوف على الفعل المضارع (تخشع) المنصوب بأن والمعطوف على المنصوب منصوب وعلامة نصبه حذف النون ، والواو ضمير الجماعة اسم يكون مبني على السكون في محل رفع ، **(كالذين)** الكاف يجوز على رأى بعض النحاة أن تكون اسماً بمعنى مثل فهي مبنية على الفتح في محل نصب خبر يكون والكاف مضاف والذين اسم موصول مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر ، وأما على رأي جمهور النحاة فالكاف على أصلها حرف جر والذين اسم موصول مجرور بالكاف مبني على الفتح في محل جر ، والجار والمجرور في محل نصب خبر يكون . **(أوتوا الكتاب)** أوتوا أصلها أوتيُوا (بياء مضمومة قبل واو الجماعة) ثم استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة للثقل فسكنت الياء فالتقى ساكنان : الياء وواو الجماعة ، فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، ثم ضمت التاء المكسورة لمناسبة

واو الجماعة فصارت الكلمة أوتُوا ، فهي فعل ماض مبني على الضم المقدر على الياء **المحذوفة** لالتقاء الساكنين لا محل له من الإعراب ، والواو ضمير الجماعة مبني على السكون في **محل** رفع نائب فاعل ، ونائب الفاعل هذا كان في الأصل هو المفعول الأول فلما بنى الفعل الماضي للمجهول صار نائباً عن الفاعل ٠ و (الكتاب) مفعول به ثان منصوب ، **(من قبل) من** حرف جر وقبل ظرف زمان مبني على الضم في محل جر ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل (أوتوا) ، ويكون تقدير الكلام مع تأويل المصادر : ألم يأن للذين آمنوا خشوعُ قلوبهم لذكر الله ولما نزل من الحق عدمُ كونهم كالذين أوتوا الكتاب من قبل ٠

الاستفهام الخامس عشر : (ألم نهلك الأولين) في قوله تعالى : **(ألم نهلك الأولين** (١٦) **ثم نتبعهم الآخرين** (١٧) **كذلك نفعل بالمجرمين** (١٨) **ويل يومئذ للمكذبين** (١٩) الآيات : (١٦ – ١٩) من سورة المرسلات ٠

هذا الاستفهام (ألم نهلك الأولين) معناه التقرير والتخويف والوعيد :

التقرير على معنى الإخبار أي قد أهلكنا الأولين الذين كانوا يكذبون بالرسل قبلكم إهلاك عذاب ونكال ٠

والتخويف والوعيد لكفار قريش بأن الله جل وعلا سوف يهلككم بتكذيبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أهلك المكذبين بالرسل قبلكم ، سنة الله ، ولن تجد لسنة **الله** تبديلًا ، والويل لمن يكذب بهذا الإهلاك ، ويجحد قدرة الله على ما يشاء ٠

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح ٠

الاستفهام السادس عشر : (ألم نخلقكم من ماء مهين (٢٠) **فجعلناه في قرار مكين** (٢١) **إلى قدرٍ معلوم** (٢٢) **فقدرنا فنعم القادرون** (٢٣) ٠ الآيات (٢٠ – ٢٣) من سورة المرسلات ٠

هذا الاستفهام يفيد التقرير والتحقير والتخويف :

التقرير على معنى الإخبار ، أي قد خلقناكم من ماء مهين ٠

والتحقير على معنى علام هذا التكبر والعناد والإعراض وقد خلقناكم من ماء ضعيف حقير ؟! ٠

والتخويف على معنى خلقناكم أول مرة ونحن قادرون على أن نعيد خلقكم مرة أخرى يوم القيامة ، وويل يومئذ للمكذبين بهذه القدرة وللمنكرين هذه الإعادة ٠

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح ٠

الاستفهام السابع عشر : (ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى) في قوله تعالى : **(والضحى** (١) **والليل إذا سجى** (٢) **ما ودعك ربك وما قلى** (٣) **وللآخرة خير لك من الأولى** (٤) **ولسوف يعطيك ربك فترضى** (٥) **ألم يجدك يتيماً فآوى** (٦) **ووجدك ضالاً فهدى** (٧) **ووجدك عائلاً فأغنى** (٨) . الآيات : (١ ـ ٨) من سورة الضحى .

بعد أن وعد الله جل وعلا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم هذا الوعد الشامل الجليل **(ولسوف يعطيك ربك فترضى)** قال تعالى : **(ألم يجدك يتيماً فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى)** . وهذا استفهام يفيد التقرير والتذكير والامتنان :

يفيد التقرير على معنى الإخبار ، أى قد وجدك يتيماً قد مات أبوك وأنت حَمْل ، ثم ماتت أمك وأنت طفل صغير فجعل لك مأوى تأوى إليه عند جدك عبد المطلب ، ثم عند عمك أبى طالب . ووجدك ضالاً (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان) فهداك الله تعالى إلى ما أنت عليه ، ووجدك فقيراً ذا عيال فأغناك الله تعالى عمن سواه .

ويفيد التذكير تذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث التى أنعمها الله جل وعلا عليه في حال نشأته ، وكانت النعمة الأولى **(ألم يجدك يتيماً فآوى)** وكانت الثانية **(ووجدك ضالاً فهدى)** ، وكانت الثالثة **(ووجدك عائلاً فأغنى)** .

ويفيد الامتنان ، الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث المتقدمة ، ولكنه امتنان التكريم والتعظيم وليس امتنان التحقير والإزراء كامتنان فرعون على موسى عليه السلام : **(ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين)** .

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح ، و (يجد) و (وجد) في هذه الصيغة بمعنى يعلم وعلم ، فالفعل متعد إلى مفعولين : الكاف الضمير هو المفعول الأول ، والاسم الظاهر بعده هو المفعول الثاني .

الاستفهام الثامن عشر : قوله تعالى : **(ألم نشرح لك صدرك** (١) **ووضعنا عنك وزرك** (٢) **الذى أنقض ظهرك** (٣) **ورفعنا لك ذكرك** (٤) الآيات : (١ ـ ٤) من سورة الشرح .

هذا الاستفهام كالاستفهام الذي تقدم في سورة الضحى يفيد التقرير والتذكير والامتنان :

التقرير على معنى الإخبار أي قد شرحنا لك صدرك للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق وليّنا لك قلبك وجعلناه وعاء للحكمة ، وغفرنا لك ما تقدم من ذنبك الذى أثقل ظهرك وجهدك ، ورفعنا لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معى ، وذلك قول (لا إله إلا الله **محمد** رسول الله) .

أما التذكير فتذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعم ثلاث أنعمها الله تبارك وتعالى عليه : الأولى (**ألم نشرح لك صدرك**) . والثانية (**ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك**) . والثالثة (**ورفعنا لك ذكرك**) .

أما الامتنان فامتنان الله جل وعلا على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث ، وهو امتنان تكريم وتعظيم ، وليس امتنان تحقير وتذميم .

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح .

أختي العزيزة : « هل » :

مع انتهاء هذه الرسالة تنتهى الكتابة عن همزة الاستفهام الداخلة على (لم النافية) الجازمة للفعل المضارع .

سوف أكتب إليك في الرسالة القادمة – إن شاء الله تعالى – عن همزة الاستفهام الداخلة على (لا) النافية لهذا الفعل .

أسأل الله – جل وعلا – أن يهب لي القدرة على أن أكتب ، وأن يهب لى السداد فيما أقول .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أختك

همزة الاستفهام

مراجع هذه الرسالة

١ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسي ـ الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ـ الرياض :

١ ـ (جـ٧ ص٤٣) ٢ ـ (جـ٧ ص٥٠٥) ٣ ـ (جـ٢ ص٢٩٨) ٤ ـ (جـ٤ ص ٢٨٠) ٥ ـ (جـ٤ ص٤١٦) ٦ ـ (جـ٥ ص٣٩١) ٧ ـ (جـ٥ ص٤٩٢) ٨ ـ (جـ٦ ص ٢٦٨) ٩ ـ (جـ٦ ص٤١٣) ١٠ ـ (جـ٧ ص٩) ١١ ـ (جـ٧ ص١٢٣) ١٢ ـ (جـ٧ ص ١٢٦) ١٣ ـ (جـ٧ ص٣١٦) ١٤ ـ (جـ٧ ص٣٤٣) ١٥ ـ (جـ٨ ص٢٢٢) ١٦ (جـ٨ ص ٤٠٥) ١٧ ـ (جـ٨ ص٤٨٦) ١٨ ـ (جـ٨ ص٤٨٧) ٠ اهـ

٢ ـ تفسير أبى السعود ـ الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ـ القاهرة :

١ ـ (جـ٧ ص٤٣) ٢ ـ (جـ٨ ص١٩) ٣ ـ (جـ١ ص٢٥٦) ٤ ـ (جـ٣ ص ٢٢١) ٥ ـ (جـ٣ ص٢٨٨) ٦ ـ (جـ٥ ص٢٢) ٧ ـ (جـ٥ ص٨٥) ٨ ـ (جـ٦ ص٣٥) ٩ ـ (جـ٦ ص١٤٣) ١٠ ـ (جـ٦ ص٢٣٨) ١١ ـ (جـ٧ ص١٧) ١٢ ـ (جـ٧ ص١٩) ١٣ ـ (جـ٧ ص١٥٤) ١٤ ـ (جـ٧ ص١٧٥) ١٥ ـ (جـ٨ ص٢٠٨) ١٦ ـ (جـ٩ ص١٧٠) ١٧ (جـ٩ ص١٧٢) ٠ اهـ ٠

٣ ـ الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين ٠ الناشر : الحلبى بمصر :

١ ـ (جـ٣ ص٣٨٠) ٢ ـ (جـ٤ ص٥٠) ٣ ـ (جـ١ ص٢٥٨) ٤ ـ (جـ٢ ص ٢٠٦) ٥ ـ (جـ٢ ص٥٠٦) ٦ ـ (جـ٢ ص٥٥١) ٧ ـ (جـ٣ ص١٩٧) ٨ ـ (جـ٣ ص ٢٧٤) ٩ ـ (جـ٣ ص٣٥٤) ١٠ ـ (جـ٣ ص٤٩٧) ١١ ـ (جـ٣ ص٥٢١) ١٢ ـ (جـ٤ ص ٢٩١) ١٣ ـ (جـ٤ ص٤٦٦) ١٤ ـ (جـ٤ ص٥٥١) ١٥ ـ (جـ٤ ص٥٥٤) ٠ اهـ ٠

٤ ـ تفسير الطبرى ٠ الناشر : الحلبى بمصر ـ الطبعة الثالثة :

(جـ٢١ ص٦) ٢ ـ (جـ٢٥ ص٥) ٣ ـ (جـ٣ ص٥٠) ٤ ـ (جـ٩ ص١٠٧) ٥ ـ (جـ١٣ ص١٥١) ٦ ـ (جـ١٤ ص٤٣) ٧ ـ (جـ١٦ ص١٩٦) ٨ ـ (جـ١٨ ص٤١) ٩ ـ (جـ١٩ ص٦٥) ١٠ ـ (جـ٢٠ ص٨٣) ١١ ـ (جـ٢٠ ص٩٣) ١٢ ـ (جـ٢٢ ص١٤٠) ١٣ ـ (جـ٢٣ ص١٧) ١٤ ـ (جـ٢٧ ص٢٨٨) ١٥ ـ (جـ٣٠ ص٢٣٢) ٠ اهـ ٠

٥ - تفسير ابن كثير : الناشر : الحلبى بمصر :

١ - (جـ٤ ص١٠٥) ٢ - (جـ١ ص٣١٥) ٣ - (جـ٢ ص٢٦٠) ٤ - (جـ٢ ص٥٥٥) ٥ - (جـ٣ ص١٦٢) ٦ - (جـ٣ ص٣٤٩) ٧ - (جـ٣ ص٣٣٢) ٨ - (جـ٣ ص٣٩٥) ٩ - (جـ٣ ص٥٥٨) ١٠ - (جـ٣ ص٥٧٦) ١١ - (جـ٤ ص٣١٠) ١٢ - (جـ٤ ص٤٦٠) ١٣ - (جـ٤ ص٥٢٣) ١٤ - (جـ٤ ص٥٣٤) ٠ اهـ ٠

٦ - الكشاف للزمخشرى - الناشر الحلبى بمصر :

١ - (جـ٣ ص٢٠٩) ٢ - (جـ٢ ص٧٣) ٣ - (جـ٢ ص١٢٨) ٤ - (جـ٢ ص٣٦٠) ٥ - (جـ٢ ص٣٩٥) ٦ - (جـ٣ ص١٠٨) ٧ - (جـ٤ ص٦٤) ٨ - (جـ٤ ص٢٠٣) ٩ - (جـ٤ ص٢٦٤) ١٠ - (جـ٤ ص٢٦٦) ٠ اهـ ٠

٧ - تفسير القرطبى : الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة :

١ - (جـ١٥ ص٣٧٥) ٢ - (جـ٣ ص٣٠٠) ٣ - (جـ٩ ص٣١٩) ٤ - (جـ١٣ ص٩٣) ٥ - (جـ١٩ ص١٥٩) ٦ - (جـ٢٠ ص٩٦) ٧ - (جـ٢٠ ص١٠٤) ٠ اهـ ٠

٨ - تفسير الفخر الرازى : الناشر : دار الكتب العلمية بطهران - الطبعة الثانية :

١ - (جـ٧ ص٤٠) ٢ - (جـ١٩ ص٥٣) (جـ٢٤ ص١٢٤) ٤ - (جـ٢٩ ص٢٢٦) ٥ - (جـ٣٠ ص٢٧٢) ٦ (جـ٣١ ص٢١٣) ٠ اهـ ٠



النقد الأدبي ومقاييسه

خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلافة الراشدة

للدكتور محمد عارف محمود حسين
المدرس في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

لا يستطيع أحد أن ينكر ما أحدثه الإسلام من ثورة شاملة في جميع نواحي الحياة وجوانبها : الدينية ، والسياسية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ...

وكانت الناحية العقلية - أو الفكرية - من الجوانب التي أثّر فيها الإسلام تأثيراً بالغاً ، وهذا يعني أن اللغة العربية التي عبر بها الإسلام عن مبادئه ومعتقداته قد تأثرت تأثراً شديداً بهذا الدين الجديد ، تأثرت به أسلوباً وموضوعاً ، أو لفظاً ومعنى ، وينسحب هذا التأثر على جميع الفنون والعلوم العربية ، سواء أكانت شعراً ، أم نثراً ، أم لغة ، أم نقداً ...

ويعنينا في هذا المقام أن نعرف الآثار التي أحدثها الإسلام في النقد الأدبي ، وإلى أى مدى كان تأثر النقد به ؟ وما الأسس والمقاييس التي سار عليها النقد في عصر صدر الإسلام ؟ .

الرسول صلى الله عليه وسلم والنقد الأدبي :

الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو صاحب هذا الدين الجديد ، وحامل لواء الدعوة إليه ، ولذا فمن المهم جداً أن نتعرف على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر ، وعلى موقفه من النقد الأدبي ، ودوره فيه ، وأن نستعرض جوانب من نقداته صلى الله عليه وسلم ، لنتعرف من خلالها على الأسس والأصول التي كان بمقتضاها ينقد الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر ويحكم عليه .

على الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل الشعر ولم يعلمه الله إياه ، إلا أنه لم يكن يتحرج منه ويتألم بالقدر الذي يظنه كثير من الناس ، بل كان يعجب به ويطرب له إعجاب وطرب العربي صاحب الذوق السليم ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم عربى ، وقد وهبه الله من صفاء الذهن ، وسلامة الذوق ، والقدرة على تمييز الحسن من القبيح

من الكلام – ما فاق العرب جميعاً ، وهم ذوو بَصَرٍ بصناعة الكلام . فيعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بشعر النابغة الجعدى ، ويقول له : « لا يَفْضُضِ الله فَاكَ » وبلغ من استحسانه لقصيدة « بانت سعاد » أن صفح عن كعب وأعطاه بردته ، واستمع إلى الخنساء واستزادها مما تقول ، وتأثر تأثراً رقيقاً لشعر قُتَيْلة بنت النضر (١) ..

بل إن الأمر ليتعدى حد الإعجاب إلى الدعوة إليه ، إذ دعا الرسول صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام ، وإلى هجاء المشركين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية ، فالشعر ما زال سلاحاً ماضياً من الأسلحة العربية التي لا يستغنى عنها صاحب دعوة .

إننا نعلم من التاريخ الإسلامي أن معركة كلامية دارت بين المسلمين والمشركين بجانب المعركة الحربية وأن شعراء المسلمين كانوا يقفون في صف واحد أمام شعراء المشركين ، كى يردوا عليهم افتراءاتهم وأباطيلهم التي كانوا يرمون بها الإسلام والمسلمين ، لا سيما وأن الدعوة الإسلامية كانت بحاجة إلى من يدافع عنها ويرد عنها أعداءها ، لذلك ، لا نعجب إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت (٢) ، وكعب بن مالك (٣) ، وعبد الله بن رواحة (٤) – إلى الدفاع عن الإسلام ، وإلى الدعوة إليه ، والاشادة بذكره ، وبمبادئه ، وهجاء الكفر والكفار ، ولا عجب – لكل هذا – إذ رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستحسن الشعر ، ويستنشده أصحابه ويمدح به ، ويثيب عليه . بل ينقده ويصلح منه .

أما دعوته صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام ، وهجاء المشركين ، فيدل عليها ما روى أنه : لما كان عام الأحزاب ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يحمي أعراض المسلمين ؟ فقال كعب بن مالك : أنا يا رسول الله ! وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله ! وقال حسان : أنا يا رسول الله ! فقال عليه الصلاة والسلام : نعم اهجهم أنت (يعني حسّاناً) فإنه سيعينك روح القدس . وروى – أيضاً – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت عبد الله بن رواحة ،

---

(١) راجع : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٨ للدكتور طه أحمد إبراهيم ـط دار الحكمة بيروت .

(٢) هو : حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى ، شاعر جاهلي إسلامي ، اختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع عنه . توفى عام ٥٤ هـ .

(٣) هو : كعب بن مالك الأنصاري ، من الشعراء الذين كانوا ينافحون عن الإسلام والمسلمين ، ويقفون أمام شعراء المشركين ويهجونهم .

(٤) هو : عبد الله بن رواحة ، صحابي جليل ، وشاعر مخضرم ، كان – مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك – أحد المنافحين عن الإسلام والرسول والمسلمين ، استشهد في غزوة مؤتة العام الثامن للهجرة .

فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى (١) .

وأما نقد الرسول الكريم للشعر ، وإصلاحه منه ، فسوف نورد من الأمثلة والشواهد ما يدل عليه ، ولكن قبل أن نورد هذه الأمثلة وتلك الشواهد ، ينبغي أن نقرر الأساس الذي قام عليه نقد الرسول للشعر ، ليسهل بعد ذلك تطبيق هذا الأساس على ما سنورده من الأمثلة .

المقاييس النقدية عند الرسول صلى الله عليه وسلم :

ينبغي أن نلاحظ ، أن الرسول الكريم قد جاء بدين قويم يدعو إلى الفضائل ، وينهي عن الرذائل ، ويدعو – قبل ذلك وبعده – إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، وإذا لاحظنا ذلك علمنا أن المقاييس والأسس النقدية التي كان على أساسها يحكم الرسول على الشعر ، ويبني نقده وتوجيهه له – هى المقاييس والأسس الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم ، من التسامح والتواضع ،والعدل ، والإحسان ، والخلق الحسن ، وهى الأسس والمقاييس العربية التي أقرها الإسلام كالكرم والشجاعة والنجدة وحفظ الجوار . وهذه الأسس هى أسس تتصل بالمعاني التى يجب أن يدور حولها الشعر ، وإذا كان الرسول الكريم قد اتخذ من المعاني الإسلامية والتوجيهات الخلقية لهذا الدين الاسلامى مقياساً وأساساً ينقد الشعر على أساسه ، ويصلح منه – فإنه صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من القرآن الكريم – أيضاً – : أسلوباً ولفظاً ونظماً أساساً له ومنهاجاً ؛ لما امتاز به من سماحة في القول ، وسلامة في التعبير ، وطبعية في الأسلوب ، وبعد عن التكلف والغلو .

ولا نعجب إذ رأينا شعراء المسلمين ، يتمثلون القرآن الكريم في شعرهم – على اختلاف فنونه وأغراضه – يتمثلونه معنى وموضوعاً ، وأسلوباً ونظماً ، فيبنون فخرهم ومدحهم وهجاءهم .. على أسس من المبادئ الإسلامية ، والقيم الأخلاقية الرفيعة التي استحدثها الدين الإسلامي ، في هذا المجتمع الجديد ، وعلى دعامة من الفضائل العربية التي أقرها الإسلام . كما كانوا يتخذون من بلاغة القرآن وسحر بيانه أساساً لنظمهم ودعامة لبيانهم ..

ولعلنا نلاحظ – من خلال ما تقدم – أن هناك أساسين أو مقياسين كان على أساسهما يحكم الرسول على الشعر وينقده ، هذان الأساسان ، أو المقياسان هما : المقياس الديني الإسلامي ، والمقياس البياني .

---

(١) حسان بن ثابت : ٤٧ للدكتور : سيد حنفي حسنين – (من سلسلة أعلام العرب) .

- المقياس الديني الإسلامي :

حينما نستعرض نقدات الرسول الكريم التي وجهها إلى الشعر والشعراء ، نلاحظ أن الجوانب الدينية والمعاني الإسلامية كانت المحور والأساس ، لنقد الرسول الكريم . ولعلنا نستطيع أن نرى هذا المقياس بوضوح في النقدات الآتية :

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَها شَاعِرٌ قَوْلُ لَبِيدٍ (١) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

ونلاحظ من هذا الحكم الذي حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم على قولة لبيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى فيها ما يتسق مع الروح الإسلامية ، ويترجم عن وحى الإسلام .

وحينما ينشده النابغة الجَعْدى(٢) قصيدته التي مطلعها :

خَلِيلَيَّ عُوجَا سَاعَةً وتَهَجَّرا ... ولُومَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا (٣)

يُعجب الرسولَ هذا الشعرَ ، وحينما يبلغ قوله :

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدودُنَا ... وإنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

يظهر الغضب في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول للنابغة : إلَى أَيْنَ أَبَا لَيْلَى ؟ فقال : إلى الجنة ، فيقول الرسول - وقد اطمأن إلى أنه حين عبّر بمجد جدوده المتطاول ، قد انتهى إلى التطلع في ظل الإسلام إلى ما هو أعظم - : نعم إن شاء الله .

ويمضى النابغة قائلاً :

ولا خَيْرَ فى حِلْمٍ إذا لم تكن له ... بوادرُ تحمى صَفْوَهُ أن يُكَدَّرَا
ولَا خَيْرَ فى جَهْلٍ إذا لم يكن له ... حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمر أَصْدَرَا

---

(١) هو : لبيد بن ربيعة العامري من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، أدرك الإسلام وأسلم مع وفد بلاده إلى الرسول ، توفى في أول خلافة معاوية .

(٢) هو : عبد الله بن قيس ، من جعدة بن كعب بن ربيعة ، وكان يكنى أبا ليلى ، وعمّر كثيراً ، ومات وهو ابن مئتين وعشرين سنة .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٢٧٥ ط بيروت .

فيزداد ارتياح الرسول الكريم إلى ما يسمع من وحي الروح الدينية ، ومن التوجيه الخلقي الرشيد ، ويقول له :

« لا يَفْضُضِ اللّه فَاكَ (٣) » ٠

ويطرب الرسول لشعر كعب بن زهير حين يمدحه بقصيدته التي مطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فقَلْبِى اليومَ مَتْبُولُ   مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُفد مَكْبُولُ

وحين يبلغ كعب قوله :

إنَّ الرسولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَسْلُولْ

يصلح له الرسول قوله هذا ويجعله :

. . . .   مهند من سيوف الله مسلول

ونلمح من خلال هذا النقد النبوى ما انطوى عليه من تعديل وجه كعباً إليه ، حيث الرأى الصائب والقول السديد ، وهو أن سيوف الله هى التي لا تفل ، ولا تنبو ظباتها ، ولا تحيد عن مواطن الحق ٠ أما غيرها من السيوف فهى تفل وتنبو وتتلثم ٠ وهذا معنى إسلامي جميل ٠

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على كعب بن مالك ، وهو ينشد ، فلما رآه كعب بدا كأنه انقبض ، فقال الرسول : ما كنتم فيه ؟ قال : كنت أنشد ، فقال له : أنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مَجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا (٢) كُلُّ فَخْمَةٍ

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أيصح أن تقول :

مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ ؟ ٠

قال نعم ، فقال له : فهو أحسن ٠ وواضح من هذا التوجيه الذي أسداه الرسول صلى الله عليه وسلم الى كعب أن الجلاد والقتال إنما ينبغي أن يكون عن الدين ، لا عن الأصل والنسب ٠

---

(١) الشعر والشعراء : ١ / ٢٩٥ تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ٠
(٢) الجذم : الأصل ٠

٢ ـ المقياس البياني :

ونعنى به قياس النتاج الأدبي ، وتقويمه على أساس ما ينبغي أن يكون عليه النظم أو الكلام من جمال الأسلوب وروعة الأداء ، وحسن النظم ، وهو ما نسميه بالبيان والبلاغة ، ويتصل بهذا المقياس ، سلامة القول وسلاسة التعبير ، والتزام الصدق ، والبعد عن التكلف .

وحينما نتصفح نقدات الرسول الآتية ، نجدها قائمة على هذا الأساس واضحة خير ما يكون الوضوح .

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سأل عَمْرو بن الأهْتَم عن الزِّبْرقَان بن بَدْرٍ ، فقال عمرو : « مَانعٌ لِحَوْزتِهِ ، مُطَاعٌ في عَشيرَتِه » فقال الزبرقان : « أمَا إنَّهُ قَدْ عَلِمَ أكْثَرَ ممَّا قَالَ ، لِكنّه حَسَدَنِي شرفِي » فقال عَمْرو :

« أمَا لَئِنْ قَالَ مَا قَالَ فَوَاللهِ ما عَلِمْتُهُ إلَّا ضَيِّق العَطَن ، زَمِنَ المرُوءَةِ ، لَئِيمَ الخَالِ ، حَدِيثَ الْغِنى » فلما رأى الإنكار في عينى الرسول بعد أن خالف قولُه الآخر قولَه الأول ، قال : « يا رسول الله ، رَضِيتُ فقلتُ أحْسَنَ ما عَلِمْتُ ، وغَضِبْتُ فقلتُ أقْبَحَ مَا عَلِمتُ ، ومَا كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً ، وإنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً » .

وقد انطلق حكم الرسول الكريم هذا على قول عمرو بن الأهتم لما يحويه هذا القول من أسلوب جميل وأداء رائع ، يأسر النفس ويفعل بها فعل السحر ، ولما فيه من حكمة ومعنى حسن .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول طرفة بن العبد ، ويتمثل به ، وهو قوله :

سَتُبْدِي لَكَ الأيامُ ما كنتَ جَاهِلًا ... ويَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ (١)

وما كان استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم لقول طرفة إلا لما حواه من معنى شريف ونسج جميل .

---

(١) يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينطق الشطر الأخير من البيت هكذا : ويأتيك من لم تزود بالأخبار

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر في دية الجنين بغُرَّة (١) ، فقال أحدهم : يا رسولَ الله أأَدِى (٢) مَنْ لاَ شَرِبَ ولا أَكَلَ ، ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَّ ، ومِثْلُ ذَلِكَ يُطِلُ (٣) ، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم السؤال جانباً ، واتجه إلى المتكلم ، فأنكر عليه أسلوبه ومنطقه ، وقال له : « أَسَجْعاً كَسَجْع الكُهَّان » !

وما أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا القول إلا لأن صاحبه آثر السجع المتكلف وابتعد عن سهولة الأسلوب وسلاسته وانطلاقاً من مبدأ السلامة في التعبير والسلاسة في القول ، والبعد عن التكلف والغلو والتشدق ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ أبغضَكم إلَّي وأَبْعدَكم مِنِّى مجَالِسَ يَوْمَ القيامة الثَّرْثَارُونَ (٤) ، المُتَشَدِّقُونَ (٥) ، المُتَفَيْهِقُونَ (٦) » ويقول : « إِيَّاكُمْ والتَّشَادُقَ » ويقول : « إن الله تَعَالى يَبْغَضُ البليغَ من الرِّجال ، الذي يَتَخَلَّلُ بلسانِهِ تَخَلُّلَ البَاقرَة بِلِسَانِهَا » ٠

ولم يقف نقد الرسول للشعر والنثر عند حدّ النقد العملي الذي أوردنا منه آنفاً بعض الأمثلة ، بل كان الرسول كثيراً ما يتعدى ذلك إلى لون آخر من النقد ، وهو النقد التوجيهي ، الذي يتمثل في إرشاد الأدباء والشعراء وتوجيههم إلى ما يحسن به أدبهم ، ويرتفع باتباعه شعرهم ، من تلك الأقوال والنصائح ، حتى يُعينهم اتباعها على تحسين أعمالهم ، وبلوغها حدّ الكمال والجمال الأدبى ، من ذلك ما أوردنا آنفاً من نصائح ، يضاف إليها قوله صلى الله عليه وسلم « نضَّر اللهُ وَجْهَ رَجُلٍ أَوْجَز في كَلامِهِ ، واقْتَصر عَلى حَاجَتِهِ » ٠

وقوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله البَجْلي (٧) : « يا جَريرُ إذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ ، وإذا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلاَ تَتَكَلَّفْ » ٠

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تَكَلَّمُوا بالحِكْمَةِ عِنْدَ الجُهَّالِ فتَظْلِمُوها ، ولا تَمَنعُوهُمْ أَصْلَها فَتَظْلِمُوهُمْ » ٠

---

(١) الغرة : العبد أو الأمة ٠

(٢) أى أدفع الدية ٠

(٣) يطل : يهدر ويبطل ٠

(٤) الثرثارون : هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق ٠

(٥) المتشدقون : هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط ولا احتراز ، وقيل : إنهم المستهزئون بالناس يلوون أشداقهم بهم وعليهم ٠

(٦) المتفيهقون : وهم المتوسعون في الكلام والمتنطعون ٠

(٧) هو : جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى رمضان ، وبايعه وأسلم ٠ توفى سنة ٥٤ هـ ٠

وفي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة ـ بما تحمل من توجيهات وإرشادات ـ نقدات أدبية غاية في الأهمية، فهى تدعو إلى الصدق في القول، وعدم التكلف والغلو فيه، كما تدعو إلى ترك التظاهر بالبلاغة، والتشادق بالفصاحة، وترك السجع المتكلف، لأن هذه الأمور الأخيرة المنهى عنها، قد تبهم المعنى، وتضيع الحقيقة، وقد تُلْبِسُ الباطلَ ثَوْبَ الحق.

* * * * *

هذه النقدات الأدبية بشقيها: الفعلي والتوجيهي، التى وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعراء والأدباء، والتى وقفنا على طرف منها فيما أوردنا من أمثلة ـ هذه النقدات تمثل تطوراً لتلك المحاولات النقدية التي بدأت منذ العصر الجاهلي، وهى محاولات تعتمد على الذوق والفطرة والطبع وصحة الفهم وسعة الرواية، والخبرة المستفادة من المعارف العامة، مستظلة بروح الدين وتعاليمه وآدابه، متجهة إلى اللفظ والمعنى والأسلوب والغرض.

كما يلاحظ ـ أيضاً ـ من نقد الرسول الكريم استعمال المصطلحات النقدية؛ فلأول مرة تستعمل في محيط النقد الأدبي ألفاظ تتصل بهذا الفن، لتدل على سير هذا الفن خطوات إلى الأمام، فاستعمل لأول مرة لفظ «البيان» في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا» ولفظ البلاغة مشتقاً منه لفظ «البليغ» في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها (١)» والرسول يعنى بالبليغ، الذي يتقن الصنعة بقصد تزوير القول.

ونظرة إلى الأحكام النقدية التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والشعراء نرى أنها أحكام اتسمت بالعموم والإيجاز، كإعجابه بقول لبيد، وطربه لشعر النابغة الجعدى، واستحسانه لبيان عمرو بن الاهتم وتعديله للمعاني التي أتى بها كل من كعب بن زهير، وكعب بن مالك، من تلك النقدات التي عرضناها من قبل.

كما يلاحظ القارئ أنها أحكام اتسمت بالجزئية، فنقده صلى الله عليه وسلم كان متجها إلى اللفظ أو المعنى دون غيرهما من الجوانب النقدية الأخرى، فإعجابه بقول لبيد كان متجها للمعنى، فالمعنى عند لبيد جميل وشريف لانسجامه مع الروح الإسلامية. وكذلك طربه لمعنى النابغة يجري مع غاية ما يطمح إليه المؤمن، حينما جعل نهاية مطمحه الجنة.

---

(١) الباقرة: البقرة. والمعنى: أن الله يبغض البليغ الذي يفخم لسانه بالكلام ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً.

واستحسان الرسول لبيان عمرو بن الأهتم في قوله عن الزبرقان بن بدر راجع إلى ما يحويه من رائع اللفظ ، وحسن البيان · وتعديله لشعر كعب بن زهير وشعر كعب بن مالك منصرف إلى المعنى ، حيث وجههما الرسول إلى ما ينبغي أن يكون عليه المعنى من تلاق مع الروح الإسلامية ، فسيوف الله أكثر اتساقاً مع روح الإسلام من سيوف الهند ، والمجالدة عن الدين أحسن وأفضل من المجالدة عن الأصل والنسب ·

كما أن استهجان الرسول لقول بعضهم وقد غلب عليه السجع المتكلف راجع إلى اللفظ ، حيث وجهه الرسول إلى ما ينبغي أن يكون عليه النظم من سلاسة في التعبير ، وسلامة في المنطق ، بعيداً عن السجع المتكلف ، والتشادق المقصود · وهكذا ·

الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه والنقد الأدبي :

إذا ما خطونا بالنقد الأدبي ـ أو بالمحاولات النقدية في عصر صدر الإسلام ـ إلى الأمام قليلاً في عصر الخلفاء الراشدين نجد أن النقد قد سار على النهج الذي ارتضاه الرسول الكريم ، وسنّه في نظرته إلى الشعر ، وإلى ما ينبغي أن يتضمنه من معانٍ وقيم إسلامية ، وما يجب أن يكون عليه الأسلوب من سلاسة وسلامة في التعبير ، وصدق في القول ، وبعد عن التكلف والإغراق ·

يضاف إلى هذه الأسس ما تميز به كل ناقد من موهبة شخصية ، ونزعة ذاتية ، وذوق فني ·

ولقد لمع في مجال النقد الأدبي من الخلفاء الراشدين ، الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ ولذا سنقصر الحديث عليه ـ ، فله في هذا المجال لمحات نقدية ونظرات أدبية ذوقية ، تدل على حاسته الفنية الدقيقة ، وعلى مدى فهمه للبيان العربي ، على أحسن ما يكون الفهم ، ولعلّ ما يدل على ذلك خير دلالة رأيه الذي أعلنه في الشعر والشعراء ، يقول عمر :

« خَيْرُ صِنَاعَاتِ العَرَبِ أَبْيَاتٌ يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَىْ حَاجَتِهِ ، يَسْتَمِيلُ بِهَا الكَرِيمَ ، وَيَسْتَعْطِفُ بِهَا اللَّئِيمَ (١) ·

ويقول ـ رضى الله عنه ـ لأبي موسى الأشعري : « مُرْ مَنْ قِبَلَك بِتَعَلُّمِ الشِّعْرِ ، فإنّه يَدُلُّ عَلى مَعَالِي الأخلاقِ ، وصَوَابِ الرَّأيِ ، ومَعْرِفَةِ الأنْسَابِ (٢) » ·

---

(١) البيان والتبيين : ٩٩/٢ · تحقيق السندوبي ·

(٢) العمدة : ١٠/١ · تحقيق محيي الدين · ط · بيروت ·

وكتب الأدب والنقد تزخر بصور وأمثلة لنقداته رضى الله عنه ، تلك النقدات التي تدل على نظرة صائبة صادقة وفهم دقيق واعٍ للأدب العربى ، ذلك لما أضافه رضى الله عنه إلى الأحكام النقدية من أسباب موضوعية مفصلة وعلل وأصول واضحة ·

ومن نقدات الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ الأدبية ، ما روى أنه قال ليلةً لابن عبَّاس : أَنْشِدْنِي لشَاعِرْ الشُّعْراء ، قال : وَمَنْ هُوَ يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ابنُ أَبِى سُلْمَى · قالَ : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يَتَّبِعُ حُوشِيَّ (١) الكَلَام ، ولا يُعَاظِلُ (٢) في المَنْطِق ، ولا يقولُ إلا ما يَعْرِفْ ، ولا يمدحُ الرجلَ إلاّ بما يكونُ فيه · أليس هو الذي يقول :

إذا ابْتَدَرْت قَيْسُ بن عَيْلانَ غَايةً ... من المَجْـد مَنْ يَسْبِقْ اليهـا يُسَـوَّدِ
سَبْقَت اليهـــا كـلَّ طَلْقٍ مُبَرَّزٍ ... سَـبُوقٍ إلىَ الغــايـاتِ غِيْر مُزَنَّـدِ
ولو كـانَ حَمْـــدٌ يُخْلِـدُ الناسَ لَمْ تَمُتْ ... ولكنَّ حمـدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ(٣)

والناظر في هذا النقد الفني الذى حكم به عمر رضى الله عنه على زهير بن أبى سلمى من خلال تذوقه لشعره يجد أن أساس حكمه قائم على الأساس نفسه الذى توخاه الرسول الكريم في نقده للشعر ، حينما دعا إلى ترك التشادق ، والبعد عن التكلف ، وإلى السلاسة في التعبير وإلى التزام الصدق في القول ، وتلك هى الأمور التى انتهجها زهير في شعره ، وعلى أساسها مدحه عمر ، إلا أننا نلمح في نقد عمر شيئاً جديداً لم يعهد من قبل عمر ، وهو اتباع الحكم النقدى بدواعيه وأسبابه ، فعمر لم يحكم على زهير بأنه أشعر الشعراء فقط ، بل اتبع هذا الحكم ـ كما قلت ـ بأسبابه وعلله وهى علل وأسباب ، تصبح أساساً للأحكام النقدية ، وقاعدة ومعياراً ، يقوَّم الشعر والأدب به ·

وهذا الحكم النقدي وما تبعه من أسباب وعلل ، أقيم على جوانب ثلاثة : جانب الألفاظ ، وجانب المعاني ، وجانب المنهج الذي التزم به الشاعر ، فمن ناحية الألفاظ ، وصف عمر رضى الله عنه ألفاظ زهير بالسماحة والألفة وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسة ، والخلو من التعقيد والتركيب والتوعر ·

---

(١) حوشي الكلام : غريبه ·

(٢) المعاظلة في الكلام : تصعيب الكلام وتعقيده ، بأن يركب بعضه بعضاً ، ويتداخل حتى يثقل نطقه وسماعه ·

(٣) طلق : سبّاق · المزند : البخيل ·

ومن ناحية المعاني ، فقد وصف عمر معانيه بالصحة والصدق ، ومن ناحية منهج الشاعر ، فقد وصف عمر زهيراً بالتزام الحق والصدق ، والاعتدال والقصد ، والتباعد من الإفراط والغلو ·

ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما روى أن عمر رضى الله عنه كان يكثر من ترديد بيت زهير :

فإنَّ الحقَ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ (١)

متعجباً من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، واستيفائه أقسامها ، وكان يقول : « لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته (٢) » « وأية معرفَة في دائرة الحق واقتضاء الحقوق أدق من التقاء فكر زهير في جاهليته مع ما ارتضاه الإسلام قاعدة بعد ذلك ، وما قرره من مبدأ : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (٣) » ·

واستحسان عمر لبيت زهير قائم على أساس ديني ، لأنه ـ أي بيت زهير ـ يلتقي مع أصل من أصول التشريع الإسلامي ·

وشبيه بهذا الاستحسان ـ في قيامه على أساس ديني ـ نقده لشعر سحيم عبد بني الحَسْحَاس حين أنشد عمر قصيدته التي مطلعها :

عُمَيْرَةَ ودِّعْ إنْ تَجَهَّزتَ غَازِياً كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرء ناهياً

ـ وذلك بقوله : « لو كنتَ قَدَّمْتَ الإسلامَ عَلَى الشَّيْب لأَجَزْتُكَ » ·

وهنا يضع عمر في حكمه ما تقتضيه متطلبات الدين الجديد التي تفرض على الإنسان أن يقدم الدين على كل ما عداه ·

---

(١) يعني : يميناً ، أو نفاراً إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء ، وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى ·

(٢) خزانة الأدب : ١٨٢/٢ ·

(٣) في النقد الأدبي عند العرب : ٨٤ للدكتور محمد طاهر درويش ـ ط دار المعارف · مصر ·

ومثله ـ أيضاً ـ نقده للحطيئة حين يقول :

مَتى تَأْتِهِ تَعْشُو إلَى ضَوْءِ نَارِهِ   تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ (١)

وذلك بقوله : « كَذَبَ ، بل تلك نار موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم (٢) » .

فالشاعر هنا جانب الصدق ، وزعم أن نار ممدوحه خير نار ، وأنه خير موقد ، وفي هذا مخالفة للحقيقة . والتزام الشاعر بالصدق في شعره مقياس نقدى سبق أن انتهجه زهير ، وعلى أساسه فضله عمر على سائر الشعراء .

ومن نقدات عمر التي تدل على ذوقه وفهمه الدقيق لأساليب الشعر العربي ، ما روى أن النَّجَاشِي (٣) الشاعر قد هجا تَمِيم (٤) بنْ أُبَيّ بن مُقْبِل وقومه بني العَجْلان ، فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ، فاستنشدهم ما قال فيهم ، فقالوا : إنه يقول :

إذَا اللهُ عَادَى أهْلَ لُؤْمٍ ورِقَّةٍ   فعَادِى بني العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

فقال عمر : إنه دعا ، فإن كان مظلوماً استجيب له ، وإن كان ظالماً لم يستجب له ، قالوا : إنه يقول :

قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُون بِذِمَّةٍ   ولاَ يَظْلِمُونَ النَاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! قالوا : وقد قال :

ولاَ يَرِدُونَ المَاءَ إلاّ عَشِيَّةً   إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ

قال عمر : ذلك أقل للّكَاك (٥) ! ، قالوا : وقد قال أيضاً :

تَعَافُ الكلابُ الضَّارِيَاتُ لحُومَهُمْ   وتأكلُ مِنْ كَعْبٍ وعَوْفٍ ونَهْشَلِ

---

(١) تعشو : تقصد في الظلام .

(٢) الأغاني : ٢٠٠/٢ ـ ط (دار الكتب المصرية) .

(٣) هو : قيس بن عمرو بن مالك ، من بنى الحرث بن كعب ، كان شاعراً هجّاء ، كما كان فاسقاً رقيق الإسلام .

(٤) هو : تميم بن أبىّ بن مقبل ، من بني العجلان ، كان جاهلياً إسلامياً ، أدرك الإسلام فأسلم ، وبلغ مئة وعشرين سنة .

(٥) اللكاك : الزحام .

فقال عمر : أجَنَّ القوم موتاهم ، فلم يُضَيِّعوهم ! قالوا : وقد قال :

خُذِ القَعْبَ واحْلُبْ أيُّهَا العَبْدُ واعْجَلِ (١) وَمَا سُمِّىَ العَجْلَانَ إلَّا لقِيلِهِمْ

فقال عمر : خير القوم خادمهم ، وكلنا عبيد الله ! (٢) ٠

ولعلّ في هذا الحوار الذي دار بين رهط بني العجلان وعمر ، ما يدل على مدى قدرة عمر على فهم الشعر وتذوقه وإدراك معانيه وعلمه بمراميه ٠

وعلى الرغم من فقه عمر وفهمه للشعر العربي وتذوقه له على النحو الذي ذكرنا ، إلا أنه بعث إلى حسان بن ثابت والحطيئة ـ وكان محبوساً عنده ـ فسألهما عن شعر النجاشي في تميم بن مقبل ورهطه بني العجلان ، فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة الذي هجا به الزبرقان بن بدر ، فهدد عمر النجاشي ، وقال له : إن عدت قطعت لسانك (٣) ٠

وفي ندب عمر الخبراء من الشعراء ما يدل على مدى إيمانه بالتخصص ؛ إذ لم يكن ذلك الندب لعجزه عن البت فيما عرض عليه بل كان سناً لقاعدة رشيدة ، وهى الرجوع إلى أهل الذكر في كل فن من رجاله المنقطعين له قبل القضاء فيه ؛ ليكون ذلك أصح للرأى ، وآكد في صواب الحكم ٠

وعلى الرغم من أن أحكام عمر النقدية قد اتسمت بالجزئية فاتجهت إلى الصياغة ، أو المعاني ، ولم تتطرق إلى جوانب أخرى في النص الأدبي .. شأن الأحكام النقدية التي سبقته إلا أننا نجد في نقد عمر شيئاً جديداً لم يألفه القارئ من قبل عمر ، وهو أن نقده كان موسوماً بالتعليل ، ومشفوعاً بذكر الدواعي والأسباب في غالبيته ٠

« فعمر هو أول ناقد تعرض نصاً للصياغة والمعاني ، وحدد خصائص لهذه وتلك ، وهو أول من أقام حكماً في النقد على أصول متميزة ... فأسند رأيه في زهير إلى أمور محسّة ، وأسباب قائمة (٤) » ٠

---

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافي ٠

(٢) الشعر والشعراء: ٣٣٧/١ ، ٣٣٨ ٠

(٣) الشعر والشعراء : ٣٣٨/١ ٠

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٣١ ٠

خلاصـــة :

ونخلص من هذا إلى القول بأن النقد في عصر صدر الإسلام ـ عصر الرسول وعصر الخلافة الراشدة ـ قد خطا خطوات رشيدة وترسم مناهج وطرقاً أكثر تحديداً ، وأوضح أحكاماً من سابقتها في العصر الجاهلي · ونخلص ـ أيضاً ـ إلى أن المقاييس والمعالم النقدية التي اتسم بها النقد الأدبي في هذا العصر ، كانت تبدو في المقاييس والمعالم الآتية :

أولا : مقياس الدين :

ونعني به ـ في إيجاز ـ قياس النتاج الأدبي ، وميزانه وتقويمه على أساس من روح الدين وتعاليمه التي جاء بها ، وهذا يعني أن الناقد الأدبي ، كان يستحسن من النتاج الأدبي ما جاء متفقاً مع الدين وروحه في بناء المجتمع الجديد ، كما كان ـ بالطبع ـ يستهجن ما جاء مخالفاً لهذا الدين ولروحه وآدابه ·

وقد بدا هذا المقياس واضحاً في نقد الرسول صلى الله عليه وسلم لشعر لبيد واستحسانه إياه ، وفي إعجابه واستحسانه لشعر النابغة الجعدي ، وفي تعديله لشعر كعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، مما أوردناه آنفاً ·

كما اتضح أيضاً في نقد عمر رضى الله عنه لشعر الحطيئة ، وسحيم وتوضيحه لما ينبغي أن يكون عليه الشعر من معنى صحيح أو شريف يلتقى مع الروح الإسلامية · ويبدو ـ أيضاً ـ في استحسانه لشعر زهير ولبيته الذي بين فيه الحقوق وذلك لالتقائه مع أصل من أصول التشريع الإسلامي ·· إلى غير ذلك ·

ثانياً ـ المقياس البياني :

ونعني به ـ أيضاً ـ قياس النتاج الأدبي ، وتقويمه على أساس ما ينبغي أن يكون عليه الأسلوب من سهولة في التعبير وسلاسة في الألفاظ ، ووضوح في التركيب ، وبعد عن التكلف والتصنع ، على أساس أن التعبير المنطلق السلس أقرب إلى البلاغة والبيان من العمل المحكك المنمق ·

وقد بدا هذا المقياس واضحاً في استحسان الرسول لشعر طرفة ، وإعجابه الشديد بقول عمرو بن الأهتم : كما بدا ـ أيضاً ـ في استهجانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للسجع المتكلف الذي أنكره على قائله !

وظهر ـ كذلك ـ في توجيهاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي تمثلت في ذم التكلف والغلو والتشادق والتفيهق ، كما اتضح هذا المقياس على نحو محدد في نقد عمر حينما أبدى رأيه في زهير وفي شعره ٠

ثالثاً ـ تحديد الأسباب وذكر العلل :

اتسم النقد الأدبي في هذا العصر ، باتجاهه نحو الدقة في إصدار الأحكام ، والوضوح في ذكر الأسباب والتفصيل في تبيان العلل ، التى بمقتضاها يتم الحكم على العمل الأدبي وتقويمه ، وقد رأينا هذا واضحاً جلياً في نقدات عمر رضى الله عنه ٠

رابعاً : استعمال المصطلحات النقدية :

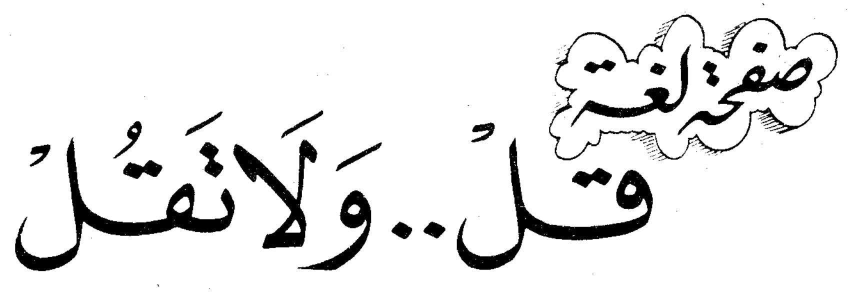
لأول مرة تستعمل في محيط النقد الأدبى ألفاظ تتصل بهذا الفن ، لتدل على سير هذا الفن خطوات إلى الأمام فاستعمل لأول مرة لفظ « البيان » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » ولفظ « البلاغة » مشتقاً منه لفظ « البليغ » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ... » ٠

خامساً : التوجيهات النقدية :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثيراً ما يوجه الأدباء والشعراء إلى ما يحسن به أدبهم ويرتفع باتباعه شعرهم ، من تلك التوجيهات النقدية ، حتى يعينهم اتباعها على تحسين أعمالهم ، وبلوغها حد الكمال الأدبي من تلك التوجيهات التي أوردنا طرفاً منها آنفاً ٠

سادساً : مقياس التخصص :

ويتضح هذا المقياس مما سبق أن ذكرناه من استعانة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بحسان بن ثابت في الحكم على شعر النجاشي حين هجا تميم بن مقبل وقومه من بني العجلان ، وذلك على الرغم من فهم عمر للشعر وتذوقه له ، إيماناً منه بمبدأ الرجوع إلى المتخصصين في هذا الفن ، فعمر يأبى أن يصدر في حكومة حول الشعر برأيه ، ويستدعى من يعدهم نقاداً متخصصين ويأخذ برأيهم ٠



للشيخ ضياء الدين الصابوني
الموجه التربوي للغة العربية بالجامعة الإسلامية

١ ـ سَقَط   سِقْط المتاع

السقَط : بفتحتين ردىء المتاع ·

والسَقَّط أيضاً الخطأ في الكتابة والحساب ·

قال الشاعر قطري بن الفجاءة :

وما في الموت خير في حياةٍ   اذا ما عُدَّ من سَقَط المتاع

والسَقط : بالتحريك : ما أسقط من الشيء ، وما لا خير فيه ج أسقاط ـ اهـ القاموس ٢ ص ٥٨٠ ·

٢ ـ فُوَّهة :   فَوْهة

فُوَّهة الوادي ـ فُوَّهة البركان ·
وأفواه الأزقّة والأنهار واحدتها فُوَّهة : بتشديد الواو ·
يقال : اقعدْ على فُوّهة الطريق ·

٣ ـ في الوقت نفسه   في نفس الوقت

كلمة نفس من التوكيد المعنوي تأتي بعد المؤكد ، فمن الخطأ الشائع أن نقول : جاء في نفس الوقت ، وإنما نقول : في الوقت نفسه ·

٤ ـ جاء الناسُ كافةً   جاء الكافة ، أو كافة الناس

كافةً لا تستعمل الاّ مجردة من أل والاضافة منصوبة على الحال ·
قال تعالى : وقاتلوا المشركين كافة ·

ولا يقال : جاء الكافة لأنه لا يدخلها أل ، ولا تضاف اهـ قاموس ٣ / ١٩٧ ٠
وجاء الناس كافة منصوب على الحال اهـ مصباح ٥٣٦ ٠

٥ ـ عَنان : بالفتح **عِنان السماء ٠**

بلغ عَنان السماء : أي ما ظهر منها اذا ما نظرت اليها ٠
والعنان كالسحاب : وزناً ومعنى ، الواحدة (عَنانة) بالهاء ، وبالكسر : اللِجام الذي تمسك به الدابة : جمع أعنّة ٠
يقال : جاءنا نبأ من عِنانه : اذا قضى وطره ٠
« وهمت الفتنة أن تنطلق بغير عِنان في طريق لا تُعرف عقباه » عبقرية الصديق ص ٢٩ ٠

٦ ـ الأَكْفَاء ٠ **الأكِفّاء ٠**

الأكفَاء : جمع كفء ، وهو المثيل والنظير ٠
نقول : فلان من الأكفاء النابهين ، ومثله الأكفياء ٠
والمصدر الكفاءة : بالفتح والمدّ ٠
أمّا قولهم : الأكفّاء بالتشديد فجمع كفيف : وهو الفاقد البصر ، وهذا خطأ شائع ، تسمعه في الاذاعة ، والتلفاز (الرائي) كثيرا ٠
ومعهد النور يخرّج الأكفّاء الأكفياء ٠

٧ ـ شَعاعا : بالفتح **نفسه شُعاعا ٠**

شَعاع : بالفتح : تفرّق الدم وغيره ، يقال : دم شَعاع ٠
طارت نفسه شَعاعا : ذهبت متفرقة في كل وجهة :
قال قطري بن الفجاءة :

أقولُ لها وقد طارت شَعاعا من الأبطال ويحك لن تُراعي

وذهبت نفسه أو قلبهُ شَعاعا : تفرقت هممها وآراؤها فلا تتجه لأمر جزم ٠
وذهبوا شَعاعا : متفرقين ٠

٨ ـ أفاض فى الحديث . أفاض الحديث

هذا الفعل لا يستعمل متعديا ، وانما يقال : أفاض الناس من عرفات ، وأفاضوا في الحديث : اندفعوا فيه ، وفي القرآن الكريم (اذ تفيضون فيه) . وفاض الخير يفيض و (استفاض) أي شاع ، وهو حديث (مستفيض) أي منتشر بين الناس . ولا تقلْ (مستفاض) .

٩ ـ المَصِيف المَصْيَفِ .

المصيف : مكان الاقامة في الصيف ج مصايف .
والمصطاف : المصيف . مكان الاصطياف ، المكان الذي تصيف فيه .
قال الصمة القشيري : بنفس تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربّعا !
وقال الأمير عبد الله الفيصل :
أينَ المَصيف وأيامُ به سلَفتْ وأينَ ياطيرُ أحبابي وخلّاني ؟
والطائف : مَصِيف المملكة . و (أبها) مصيف جميل .
لله أيامٌ بأبــها حــلوة مرّت بــنا كــنــسائــم الأســـحار

١٠ ـ طَـــوال طيلـــــة .

قلْ : طَوال الدهر : مدى الدهر وطوله ، وفي القاموس : الطَّوال : كسحاب : مدى الدهر .
الطيلة : بالكسر العمر . نقول : أطال الله طيلتك : أي عمرك .
قال الشاعر الأندلسي ابن خفاجة يصف جبلاً :
وقور على ظهر الفلاة كأنه طَوالُ الليالي مفْكِر في العواقب

١١ ـ سِداد : بالكسر سَـداد ثغـــر .

سِداد القارورة والثَغْر : موضع المخافة بالكسر ليس غير .
كل موضع قريب من أرض العدو يسمي (ثغرا) كأنه مأخوذ من الثُغْرة وهي الفُرجة في الحائط (معجم البلدان) .

قال الشاعر العرجى :

أضاعونـــي وأي فـــتى أضاعوا لـــيوم كريـــهة وسِداد ثـــغْر

والسَداد : بالفتح : الصواب وزناً ومعنى ٠

وأمّا سِداد القارورة والثغر فالبكسر فقط ، وسِداد من عَوز وعيش : لما يُسدُّ به الخَلّة ٠

القاموس جـ ٢ ص ٥٣٨ ٠

* * * * * *

قصــة النضر مع المأمون :

حدّث النضر بن شُمَيل قال :

كنتُ أدخل على المأمون في سمره ، فدخلت عليه في ليلة ، فدار الحديث على ذكر النساء ، فقال المأمون : حدّث هشام عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَداد من عوز » (فأورده بفتح السين) ، قلت : صدق يا أمير المؤمنين هشام :

حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علّى كرّم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سِداد من عوز » وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال :

يانضُر كيف قلت : سِداد ؟ ٠

فقلت : نعم ، لأن السَّداد هنا لحن ٠

قال : أو تلحنني ؟

قلت : إنما لحن هشام ، وكان لحانا ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ،

قال : فما الفرق بينهما ؟

قلت : السَّداد بالفتح : القصد في الدين والسبيل ٠

وبالكسر : البُلغة وكلّ ما سددت به شيئاً فهو سِداد ٠

قال : أو تعرف العرب ذلك ؟

قلت : نعم ، هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأىّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

قال المأمون : قبح الله من لا أدب له .
وأطرق ملياً ثم قال : ما حالك يانضر ؟ .
قلتُ : أريضة لى بمرو واتصابّها وأتمززها (أشرب صُبابتها) .
قال : أفلا أفيدك مالاً معها ؟
قلت : اني إلى ذلك لمحتاج .
قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ، ثم قال :
كيف تقول في الأمر من أن يُتَرب الكتاب ؟ قلت : أتربْه .
قال : فمن الطين ؟ قلت : طنْه . قال : فما هو ؟ قلت : مَطين (١). قال : هذه أحسن من الأولى . ثم قال : ياغلام تبلّغ به إلى الفضل به سهل .
قال : فلما قرأ الفضل الكتاب ، قال : يانضر إنّ أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم ، فما كان السبب ؟ فأخبرته ولم أكذبه .
قال : لحّنتَ أميرَ المؤمنين . قلت : كلّا انما لحن هشام .
ثم أمر لى الفضل من خاصة ماله بثلاثين ألف درهم ، فأخذت ثمانين ألفاً بحرف استفيد منى » .
فتأمل يا أخى عنايتهم باللغة وحرصهم عليها ، لأنها لغة القرآن ، وتصّور أدب النضر الذى قال : إنما لحن هشام ، ولم ينسب اللحن للخليفة ، وهذا غاية في الذوق والأدب .

---

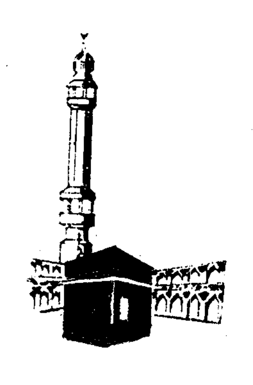
(١) طان كتابه : ختمه بالطين فهو (مطين) اسم مفعول .

من تراثنا الشعري:

قال حسان بن ثابت يرثي النبي صلى الله عليه وسلم:

ما بَالُ عينى لا تنامُ كأنَّما ... كُحلَتْ مآقيها بكُحْل الأَرْمَد
جَزعاً على المهديِّ أصبح ثاوياً ... يا خيرَ من وطئ الحصى لاتبْعُد
جَنْبى يقيكَ التُرب لهفى ليتني ... غُيِّبتُ قبلكَ في بَقيع الغَرقَد
أأقيمُ بعدكَ بالمدينة بينهمْ ... يالهفَ نفسى ليتنى لم أولد
بأبي وأمى من شهدتُ وفاتَه ... في يوم الاثنين النبيُّ المُهتدى
فَظَلِلْتُ بعد وفاته مُتَلَدِّداً ... يا ليتنى صُبِّحتُ سمّ الأسود
أو حلّ أمرُ الله فينا عاجلاً ... منْ يوْمنَا في رَوْحة أو في غد
فتقومُ ساعتنا فنلقى طيِّباً ... محضاً ضرائبُهُ كريمَ المَحْتَد
يا بكْرَ آمنةَ المبارك ذكرُهُ ... ولدتْكَ مُحْصنَةً بسعْد الأَسْعُد
نوراً أضاءَ على البريَّة كُلِّها ... مَنْ يُهْدَ للنور المبارك يَهْتَد
ياربِّ فاجمعنا معاً ونبيَّنا ... فى جنَّة تُنْبى عيونَ الحُسَّد
فى جنَّة الفرْدوس واكتُبْها لَنا ... ياذا الجلال وذا العُلا والسُّؤْدد

*****

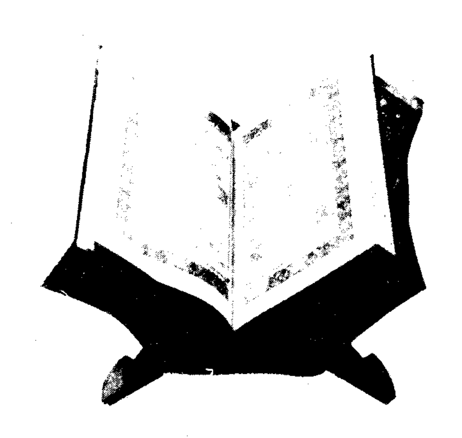


شاطِئُ الأحزانِ

الشاعر المهاجر

رَتَّلَ البحرُ للشواطي لُحونَهْ — فَسَرى الوجْدُ هَيْنَماتٍ حَنونَهْ
والمويجاتُ تحضنُ الرملَ نشوى — ليسَ فيها مَجانةٌ أو رُعونَه
يَسمعُ الليلُ خاشعاً وَشْوشاتٍ — لَمْ تُكدِّرْ سُباتَه أَوْ سُكونَه
والنُّجَيْماتُ خفقُها كفُؤادي — وهيَ للأرضِ والسمواتِ زينَه
والقُمَيْرُ الخَجولُ يُغضِي حياءً — قُدرةُ اللهِ أبدَعَتْ عُرْجُونَه
إيهِ يا بحرُ أين أهْلوكَ · راحوا — لا شراع ملوح لا سَفِينَه
غير سربٍ من القَطا يتهادى — منْ خَدينٍ مُهاجرٍ أو خَدِينه
تَتَنادى وهدأةُ الليلِ فيها — يَمرحُ الشوقُ والأمانى الدَّفينه
أيُّها الطائرُ المُغَنّي سلاماً — وادْنُ مِنّى وخُذْ حياتى رَهينه
أبلغ الشَّوقَ للمُحِبِّين عَنّى — لِلروابي وللدوالي الحَزينه
أبلغ الأهلَ شِقوتى واغترابى — عَن عذابى وعن دُموعى السَّخينه
شَرَّدَتْنَا إلى البلايا خئون — ذاتُ غَدْرٍ وأُمَّةٌ مَلْعُونه
أمةٌ قَدْ طَغَتْ وعاثَتْ فَساداً — أمْعَنت خِسَّةً وفاحَتْ عُفُونه
أمةُ الغدْرِ هَمُّها قَتْلُ شَيْخٍ — ذَبْحُ أمٍ بِطِفْلِها مَقْرُونه
والكُعوبُ الغِلاظُ داستْ عليهِ — والنِصالُ الحِدادُ حَزَّتْ وَتينَه
مُنذُ موسى ومُنذُ هارون كانت — يَشْهدُ اللهُ والبرايا خئُونه
أفْرَغَتْ حِقْدها بظلمٍ علينا — طائراتٌ غدارةٌ مجنونه
تَنْشُرُ الرُعب فى قلوبِ الضَّحايا — تَزرعُ السُّهد في العيون الأمينه
رُبَّ طِفْلٍ تَناوَشَتْهُ الشَّظايا — أوْ كَعابٍ مَهيضَةٍ مَكْنُونه
عِرْضُها صارَ للطواغيت نَهْباً — بعد أن كانت الحَصانَ المُصونَه
أمتى لم تَزَل على القُدسِ تبكي — مِثْلَ أنثى ضَعيفةٍ مسكينه
أمتى لم تَزَل على الشوكِ تَحْبو — وهى باللَّهوِ دائماً مَفْتُونه
تطلُبُ العدلَ من قُلوبٍ شِحاحٍ — مِلْؤها الحِقدُ والأذى والضَّغينه

(ريجنّ) (بيجنّ) ككل حَقودِ ... أيّ سِلْمٍ لَدَيْهِمْ يُعْطونه ؟
يُؤخذُ القُدسُ عَنْوةً واقتداراً ... مثلما الليثُ راحَ يَحْمي عَرينه
لَيسَ تُجديهِ سابغاتُ القَوافي ... أو شعارٌ مُجوَّفٌ يُلقونه
أو مقالٌ يُعربدُ الحرفُ فيه ... مِنْ يراعٍ شَبَاتُه مَسْنونه
خَدَّروه بِحفْنَةٍ من وُعودِ ... ثُمَّ راحوا عَشيَّةً يَبْكونه
والعَدُوُّ اللئيمُ يُبْدِي رِضاهُ ... (والحبيب) البغيضُ يُبْدى شُجُونه
ثُمَّ حاروا بَدَفْنِهِ فى فَلاةٍ ... قَد كَفَيْناكَ يا حبيبَ المُئُونه
تَذْرعُ الشَّرْقَ تَنْشُرُ العَدْلَ فيه ... خُطواتٌ كريمةٌ مَيْمونَه
تأمُرُ الشَّاةَ والسكاكينُ كُثْرٌ ... بالتَّأنّي وبالتزامِ المُرونه
أنْتَ صُغْتَ النَّشيدَ عَذْباً شَجيّاً ... ثُمَّ أبْدَعْتَ فى الدُّجى تَلْحِينَه
والرجالُ العِظامُ هَامُوا حَيارى ... والنُّفوسُ الكِبارُ صارتْ سَجِينَه
والعزيزُ العزيزُ منّا مُطيعٌ ... فَلْتُبادِرْ ولا تَخَفْ ما دونَه
والطريقُ الطويلُ أمسى قَصيراً ... والتَّواقيعُ أصْبَحَتْ مَضْمُونه
لَيسَ يُجْدِى وَقَد سهرنا اللّيالى ... مَسْجِدَ القُدسِ أنْ نَعُدَّ أنِينه
لَيْسَ بالدمْعِ يُدْفَعُ الظلم عَنْهُ ... أوْ يُعيدُ اللَغو الغبيُّ سِنِينَه
بَلْ بِحَرْبٍ نُوَحِدُ اللهَ فيها ... يَنْصُرُ اللهُ في المُلِمَّاتِ دِينَه



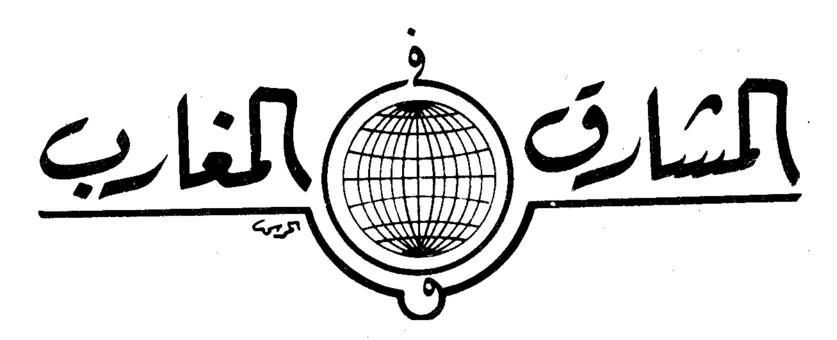
خَلِّصْ عِبَادَكَ رَبَّنَا...

للدكتور ابراهيم حسن عبدالرحمن

رَبَّــــاهُ قَــدْ عَلَتِ المــدافعُ فــوقَ أصـواتِ الضَّمــائِــرْ
رَبَّــاهُ مــا ذنبُ الصغــير، أو الكبـــير، أو الخَفَــائِــرْ (١)
رَبَّــاهُ تُبْصِرُ مــا نــراهُ وَمَــا يَــدِقُّ عَنِ النَّــوَاظِــرْ
أيْــدِى سَبَــا ذَهَبَتْ قلــوبُ المسلمــينَ وأنتَ قــادِرْ
نُكِسَتْ عُقُــولُهُمُــو وَضَلَّ الفِكْــرُ مِنْهُمْ والبَصَــائِــرْ
عَــادُوا لِعَمْيَــاءِ الجَهَــالَــةِ بَــيَنَ مَــوْتُــورٍ وَوَاتِــرْ
رَبَّــاهُ إن شماتَــةَ الأعــداءِ أنْكَى مِنْ خَنَــاجِــرْ
هم يسخــرونَ ويضحكــون، وهُزْؤُهُمْ طَــاغٍ وَسَــافِــرْ
بِعُيُــونِهِمْ حِقْــدٌ تُسَعِّرُ جَمْــرَهُ ســودُ السَّــرَائِــرْ
قــد أشعلــوهــا بيننــا حربــاً تَــذِلُّ لَهَــا المَنَــاخِــرْ
حربَ الخيــانةِ قــادَهَــا قَــابيــلُ مِنْ أزْمَــانٍ غَــابِــرْ
حربَ الجهــالــةِ حــينَ مِسْخٌ يَعْتَلِى عرشَ الأكَــاسِــرْ
حربَ التجــارةِ بالشعــوبِ.. فويلَنــا مِنْ كــلِّ تــاجِــرْ
حربَ الفُجــورِ سِــلاحُهَــا طَبْــلٌ هنــا.. وهنــاك زَامِــرْ
حربــاً يــدومُ أُوَارُهــا مــا دام بــين القــوم ثــائِــرْ
حربـــاً ضَرُوســـاً لا تُبَقِّى مِنْ أصــاغرَ أو أكــابِــرْ
رَبَّــاه قَــدْ بَلَغَتْ قلــوبُ المؤمنــين ذُرَا الحَنَــاجِــرْ
رَبَّــاه هَــذِى فتنــةٌ مــا إن لهــا بسواك حَــاسِــرْ
خَلِّصْ عبــادَكَ ـ ربَّنــا ـ من كــلِّ طــاغوتٍ وجــائِــرْ
من كــلِّ بــاغٍ بالعــداوة للكتــابِ ولا يحـــاذر
من كــل جــاحــدِ سُنــةٍ غَرَّاءَ تَهْــدِى كُــلَّ حَــائِــرْ
من كــل مَصَّــاص الــدمــاء، ومَنْ تَنكَّــرَ لِلْعَشَــائِــرْ
من كلِّ من نشــر الفســادَ وشعبــه حــرٌ يُصــابِرْ
من كـــلِّ زنــديقٍ يُنَــاصِرُ مُلْحِــداً وَبِــهِ يُفــاخِــرْ
واجْمَعْ قلــوبَ المسلمــين على الهُــدَاةِ فأنتَ قــادرْ


مع جولات عالمية





الشيخ عبد الله بن أحمد قادري

يالله للمســـــلمين :

وفي طريقنا في المدينة كان الأخ الأستاذ سلامة يلفت نظرنا الى مؤسسات النصارى ونشاطهم ، فكلما مررنا بمبنى واسع جميل قال : هذا مركز ثقافي ، هذه كنيسة هذا مستشفى ، هذا ملجأ ، وأغلب هذه المرافق على الشوارع العامة ، فأزعجنى ذلك إذ يوجد فى شعب هو أكثر الشعوب الإسلامية عدداً ٠

فسألته : هل يوجد أثر لهذا النشاط في شباب المسلمين ، قال : نعم لأنهم يتعلمون في مدارسهم وجامعاتهم ويدخلون مستشفياتهم للعلاج ، ويربون في ملاجئهم وهم صغار وأيتام ومعوقون ويساعدونهم إذا كانوا فقراء ويعلمونهم ما تميل إليه نفوسهم من الفنون كالموسيقى والرقص وما أشبه ذلك ٠

قلت : وهل يدخل أحد من شباب المسلمين في النصرانية ويترك دينه ؟

قال : نعم ، قلت بنسبة كم مثلًا ممن يدرسون في مدارسهم ٠ قال : قد يصل إلى عشرة في كل مائة ، قلت : ماذا يكون موقف أسرة المسلم الذى يتنصر ؟ قال : يطردونه ويعادونه ولكنه لا يبالى لأنه يجد رعاية كاملة من النصارى ٠

وأخذ الأخ سلامة يشرح هذا الخطر في هذه المنطقة بالذات فرسم لى مثلثاً على ورقة في كل زاوية فيه تقع مدينة قرر النصارى أن يسيطروا على المثلث على الرغم من قلتهم وكثرة المسلمين خلال مدة قصيرة ٠ قال : ومن أهم خططهم لهذه السيطرة أنهم يقيمون على الشوارع

العامة التى تربط بين هذه المدن الثلاث مؤنسسات ومرافق تبشيرية تشمل المدارس والجامعات والكنائس والنوادي ودور السينما وقاعات المحاضرات والملاجىء وغيرها من الشئون الاجتماعية التى يغزون بها الأسر الفقيرة والشباب الضائع أو المحتاج . ويقصدون الأسر في منازلهم ويقدمون لها العون والمساعدات وهذا هو رسم المثلث وأسماء المدن ·

الجمعيـــة المحمديـــة :

وفي الساعة العاشرة كنا في مستشفى الجمعية المحمدية حيث كان في استقبالنا : رئيس الجمعية الحاج عبد الرزاق محمد فخر الدين ، والأمين العام للجمعية جرتاوى وبعض الأعضاء ·

اجتمعنا في قاعة المستشفى وشرح لنا أمين عام الجمعية نشاطات الجمعية ومؤسساتها التى أقامتها وفروعها ·

فذكر أن عدد مستشفياتهم في أنحاء أندونيسيا عشرة مستشفيات وأن مدارسهم - ابتدائية وثانوية - اثنا عشر ألف مدرسة وأن الملاجىء التى تم انشاؤها للأيتام والمعوقين وغيرهم بلغت سبعين ملجأ وذكرُ فروعها كثيرة للجمعية ·

ثم أطلعونا على أقسام المستشفى الذى أسس عام (١٩٢٣ م) وهو ثلاث درجات حسب أحوال المرضى · الدرجة الأولى للموسرين من المسلمين ، والثانية للمتوسطين والثالثة للفقراء ، وفي كل الأحوال فيه تيسير واعانة ·

وأبدوا رغبتهم في معادلة شهاداتهم في الجامعة الإسلامية ، وتخصيص منح دراسية لطلبتهم ، ومساعدتهم بمدرسين للغة العربية ومراجع علمية لمجلس الترجيح الذى يبحث في بعض المسائل العلمية في الشريعة الإسلامية ·

معهـــد بنـــدارانج :

ثم ذهبنا لزيارة المعهد الإسلامي لتحفيظ القرآن الكريم ويسمى بندارانج ، ويدرس فيه بنين وبنات ويتبع نهضة العلماء ، ويشرف عليه الأستاذ مفيد مسعود ، وعدد الطلبة والطالبات فيه ثلثمائة ، وقد تخرج فيه في السنوات الماضية عدد من الطلاب بمعدل خمسة عشر طالبا كل سنة حافظين القرآن الكريم حفظاً كاملا مجوداً وطلب المسئولون منا ابلاغ الحكومة السعودية رغبتهم في مد يد العون لهم لبناء ما بقى من أرضه فصولاً دراسية ومساكن للطلبة وشكوا من احاطة مؤسسات التبشير بالمعهد من كل جهة بامكاناتها الضخمة ودعاياتها الشديدة وقد رأينا الأرض الفضاء التابعة للمعهد والتى يريدون بناءها ·

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون :

وكنا قبل أن نصل إلى هذا المعهد المذكور زرنا المسجد المسمى بمسجد الجهاد وهو على الشارع العام وبجانبه مركز تبشير على مساحات واسعة من الأرض أمام المسجد وخلفه وعن يمينه وعن يساره . وقد كان هذا المسجد متهدماً والمسيحيون يحاولون من الأهالى شراء أرضه ليلحقوها بمركزهم ويرتاحوا من رفع كلمة الله بجانبهم ومركزهم يحيط من كل جانب وكان المسلمون يصلون فيه مفترشين التراب (وليس في هذا منقصة فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسجد في مسجده بجبهته الشريفة على الماء والطين ولكن وجود مركز تبشيرى بمباني براقة ومرافق ودعايات لجلب شباب المسلمين إلى ذلك المركز بجانب مسجد هذه صفاته ليس لائقاً) .

وعندما زار المسجد فضيلة الشيخ عبد الله النورى من الكويت ورآه بهذه الهيئة بجانب هذا المركز التبشيري وسمع أن النصارى يساومون على شراء أرضه بأغلى ثمن تبرع - جزاه الله خيراً - ببنائه بناء ممتازاً وقد كان قريب التمام عندما زرناه . جزى الله النورى خيرا « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وبعد الفراغ من المعهد المذكور رجعنا إلى الفندق لأخذ الراحة ...

« وكلـــوا واشـــربوا » :

بقينا في الفندق إلى الساعة الخامسة ، جاءنا بعدها الأخوة قائد السيارة وسلامة ومحمد حافظ لنذهب إلى الأخ الأستاذ محمد صالح هارون الذى كنا على موعد معه لتناول طعام الافطار والعشاء عنده ، وهو عبارة عن الرز الأبيض الصافي الذى لم يختلط بغير الماء ، والدجاج المقلى والسلطة والشاى والقهوة ونحن قد ألفنا أن يكون أول ما نتناول للافطار هو التمر أو الماء حسب السنة ، فطلبنا الماء البارد فلم نجد ، وعندما علم مضيفنا بأنا نطلب الماء جاء الينا قائلاً : الله تعالى يقول : « كلوا واشربوا » فبدأ بالأكل قلت مختصراً النقاش : السنة أن يبدأ بالتمر أو الماء للافطار ، فذهب ، وبعد أن انتصف السير في الأكل رزقنا الله بقليل من الماء فشربنا وحمدنا الله .

الشيء العجيب في أندونيسيا أن الشاى يقدم بارداً مثل شراب الليمون والمنقا والبيبسى عندنا ، في قوارير . أما الماء فيتعذر وجوده بارداً في غير الفنادق بل إذا قدم يقدم حاراً ، وتكرر هذا كثيراً وكنا في أول الأمر نلح في طلب الماء البارد فلما تأكد لنا الحال صبرنا محمّرين - أى مطبقين المثل اليمنى القديم « من دخل بلادنا حمر » . وبعد الفراغ من تناول الطعام صلينا المغرب ..

في معهد مفتاح الصالحين :

هذا المعهد يقع في قرية تسمى : (وونوتسارى) وراء جبل مشهور عندهم يسمى : كيدول ، ويقع هذا الجبل جنوب شرق يوك جاكرتا ، وهو ذو طريق متعرج شبيه بطريق الهدى عندنا إلا أنه أشد خطراً لأمرين :

الأول : أن الطريق في هذا الجبل ضيق جداً تكاد السيارات يلتقى بعضها مع بعض بسبب ضيقه ٠

الثانى : أن الصعود فيه يغلب عليه أنه في خط مستقيم ، بخلاف الهدى ٠ وهو - كغيره - مكسو بالغابات التى كنا طول الوقت نسير في وسطها وتكتنفنا أشجار الجاتى ، وهو شجر ذو أخشاب قوية جداً ، وأشجار التمر الهندى التى زينت أصولها بطلاء أبيض تتبين بها حدود الشارع ، بدلاً من المعالم المصطنعة ، وهذا الطلاء في أصول هذه الأشجار شبيه بازار الفتاة الأندونيسية في قصره ، إلا أنه في غاية الجمال بالنسبة للأشجار وفي غاية القبح الشرعى بالنسبة للفتاة العاملة المسلمة المكلفة ٠

وقد نصحت الفتيات من هذه الحال في عدة مناسبات وظهرت في يوك جاكرتا بالذات بعض النتائج التى تدل أن الاستجابة قد تحصل بنسبة طيبة لو طرق هذا الباب بكثرة وربط بحب الله ورسوله وخوف الله والطمع في ثوابه وهكذا كل حكم من أحكام الإسلام التى أهملها كثير من الناس بل أكثرهم وكان المقرر أن ندرك صلاة العشاء في مسجد اومعهد وأن يؤم المصلين الشيخ عبد القوى في صلاة التراويح ، ولكنا تأخرنا فوصلنا وهم في آخر صلاة التراويح ، وبعد أن أتم الإمام الصلاة أخذ يرفع الذكر بلا إله إلا الله بصوت مرتفع والناس يتابعونه كلهم وصدى أصواتهم يتردد في تلك الجبال والكون ينصت لما ينطق به حاله في كل وقت من الأوقات ٠

والذكر الجماعي بصوت مرتفع كرهه بعض العلماء لعدم وروده بهذه الهيئة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ورأى آخرون أنه يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال : مجالس الذكر ٠ والذى يظهر أن كون المساجد مجلس ذكر لا يدل على الذكر الجماعي بهذه الصفة ، وإنما يشمل الذكر في الجملة وحلقات العلم وما أشبه ذلك بدون التزام هيئة معينة ٠

ولكنى أرى أنه لا ينبغى اثارة هذه الأمور بين قوم يجهلون أصول دينهم في العقيدة والعبادة والشريعة وأنه يجب أن يهتم الداعية أولاً بغرس الإيمان في نفوس الناس وأركان

الإسلام وصفات العبادات لأن الدخول في هذه الجزئيات التى لو صح أن بعضها بدعة لكانت بدعة إضافية يمكن أن يهتم بها بعد تهيئة النفوس بالتسليم لله ورسوله ، والاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

وهؤلاء الناس عندما نناقشهم في هذه الأمور قبل ربطهم ربطاً كاملاً بالمعنى السابق ينفرون وقد ينقسمون على أنفسهم فيكون في ذلك ما فيه من الفرقة والخلاف اللذين لا يرضاهما الله ورسوله ٠

نعم عندما يكون الأمر يتعلق بالعقيدة كالشرك أو تحريم حلال أو تحليل حرام لا بد من الاهتمام به ولكن يبدأ أيضاً بالأهم فالمهم وهكذا ٠٠

قعدنا في قاعة الاجتماعات وبعد أن فرغ المصلون من الصلاة والذكر جاءوا إلينا مستبشرين فرحبوا بنا ٠ وبدأت فقرات الحفل فطلبوا من الشيخ عبد القوى أن يقرأ ، وكاد يعتذر لأنه كان متعبا (وكنت أخشى أن يكون أصيب بفقر الدم لعدم تناول الغذاء الكافي لأن الطعام ما كان مناسبا حسب العادة ولكنى شجعته فقرأ قراءة قصيرة على غير عادته) في الانطلاق والانسجام مع آى القرآن الكريم حتى يكاد ينسى أنه يقرأ ٠

ثم تقدم رئيس المعهد ويدعى محمد صالح أيضا فشرح ما يقوم به المعهد وانه في هذه الليلة يبدأ فيه معهد رمضان لتدريس الطلبة الذين يدرسون في المدارس الحكومية أمور دينهم وسيبدأون بالطالبات وكن حاضرات صلين معهم العشاء والتراويح ، ثم قام الأخ محمد صالح هارون فرحب بنا وافتتح معهد رمضان وطلب منى أن ألقى كلمة وتساءل عن امكان اعطائهم منهجاً لتدريس اللغة العربية لغير العرب وقال إننا في شوق أن نسمع منك يابن العرب التحدث باللغة العربية ٠

وكانت الكلمة متضمنة واجبنا في التعليم والتعلم والدعوة وفهم العقيدة الإسلامية على وجهها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبنية على القاعدة الأولى : قاعدة الألوهية المطلقة لله ، والقاعدة الثانية وهى قاعدة الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم وهما مضمون الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله ٠

وأشرت لهم أن تعلم اللغة العربية يحتاج إلى إرادة قوية من المعلمين والمتعلمين مع معرفة أن تعلمها ليس كتعلم غيرها لأنها لغة ديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ٠ وذكرت لهم أن منهج معهد كونتور يناسب الاستعانة به في المعاهد الأخرى ، كما أن المعهد العربي السعودي لتعليم اللغة العربية في جاكرتا يمكن أن يستفاد منه ووعدناهم أن

نبعث لهم منهج شعبة اللغة العربية بالجامعة وبعض كتبها وحملت طلبة الجامعة الإسلامية من الأندونيسيين مسئولية قيامهم بتعليم إخوانهم في بلادهم ·

صـــــرخة هـــل تســـمع ؟

والحقيقة أن من أفضل الوسائل لنشر اللغة العربية هو تدريس أبناء العالم الإسلامي كما هو الحال في الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلا أن تدريسهم ينبغى أن تطور وسائله وأن تؤلف كتب خاصة بتعليم اللغة العربية لغير العرب وأن تنشر هذه الكتب بطرق مختلفة : عن طريق النشر والتوزيع لهذه الكتب وعن طريق تسجيلها في أشرطة ، وعن طريق الاذاعة والتلفزيون وحبذا لو أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سعت في ايجاد برامج لذلك في الاذاعة توجه الى جميع أنحاء العالم وفي التلفزيون بالنسبة للمملكة ويمكن تسجيلها في أشرطة فيديو وتوزيعها في العالم ، ترى هل يأتى اليوم الذى تكون الجامعة قد خطت هذه الخطوة ونحن أحياء ؟ إلا إنها إن فعلت ذلك في الوقت القريب أو البعيد فإنها قد سطرت في صحف التاريخ مأثرة من مآثر الخير لها وللمملكة العربية السعودية رائدة التضامن الإسلامي الذى من أهم وسائله انتشار اللغة العربية التى يتوقف عليها فهم الإسلام فهماً سليماً في أنحاء العالم الإسلامي ·

وينبغى أن تسعى الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سعياً حثيثاً في توزيع المنح الدراسية على مؤسسات المسلمين في البلدان بحيث لا تكون بعض المؤسسات متخمة بالمنح وبعض المؤسسات لا يوجد لها في الجامعة طالب واحد · صحيح أن المؤسسات التى تهتم وتلح لها الحق في ذلك ولكن الدعوة الإسلامية يجب أن تعم وينبغى أن تحصر الجامعات الإسلامية المؤسسات الإسلامية كلها وكثير منها مجهول ·

وفي الزوايا خبايا وتبادر هذه الجامعات لدراسة مناهج تلك المؤسسات ومعادلتها ورصد منح دراسية لها كما أنه ينبغى أن تمنح المؤسسات التى لا يوجد بها أحد من متخرجى الجامعة الإسلامية وأمثالها بعض المدرسين حتى يساعدوا على الربط بينها وبين هذه الجامعات وقد تكون بعض المؤسسات أو الجامعات عندها تقصير في مناهجها أو عندها بعض الخرافات وهذا لا ينبغى أن يمنع من منحها مقاعد لبعض طلابها أو منحها بعض المدرسين لأن الهدف هو تعليم الجاهل وتصحيح الأفكار وهذا لا يحصل إلا بالاتصال بتلك المؤسسات ·

أنا ما فهمت لماذا تسبح ؟

رجعنا من معهد مفتاح الصالحين إلى يوك جاكرتا وعندما وصلنا إلى الفندق توضأنا لنصلى ، وكنت نسيت أنا صلينا المغرب فصلى بنا الشيخ عبد القوى ـ ناوياً العشاء ـ وصليت

معه أنا ناوياً المغرب وعندما سلم من الركعتين قلت : سبحان الله وكررتها وأخذ هو يفكر ملياً في هذا التسبيح وسببه ثم قال : أنا ما فهمت لماذا التسبيح فسلمت وقلت له : المغرب ثلاث ركعات وأنت صليت ركعتين فأخذ يضحك ففهمت أنى أخطأت - بل نسيت فقمت وصليت العشاء لأنى لم أنوه بتلك الصلاة وإنما الأعمال بالنيات ·

وهذه إحدى النكات التى كانت كثيرة مع الشيخ عبد القوى ·

٨ / ٩ / ١٤٠٠ هـ في معهد بابيلان الإسلامي :

في الساعة التاسعة صباحاً ذهبنا إلى معهد با بيلان الإسلامي وهو يقع شمال غرب يوك جاكرتا على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً ، وهو فرع لمعهد كنتور ليس رسميا وإنما أسلوبه نفس الأسلوب ، ومؤسس هذا المعهد شاب نشيط متحمس لنشر الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية يساعده مدرسون من زملائه وتلامذته متحمسون مثله يشعرون جميعا بخطر التبشير المسيحي الجاد في اخراج شباب المسلمين من دينهم في أندونيسيا بأكملها · أسس المعهد في ١٩٦٥ ومساحته خمسة هكتارات عدد طلبته ٩٧١٠ منهم ٤٠٢ من الطالبات والباقون طلاب ، عدد مدرسيه من الرجال ٤٨ مدرسا ومن النساء ١٢ مدرسة وهو يشتمل على فصول دراسية ومساكن للطلبة ومسجد ومرافق عامة كثيرة وهى كلها موقوفة على المعهد قال مديره فهو ليس لنا وإنما هو للمسلمين ·

ولهم برنامج يومي مستمر وهو كما يلى :

١ ـ في الساعة الرابعة صباحاً القيام من النوم والاستعداد لصلاة الفجر ·
٢ ـ بعد صلاة الفجر الرياضة البدنية ·
٣ ـ قراءة القرآن الكريم في حلقات على أيدى المدرسين ·
٤ ـ تناول طعام الافطار ·
٥ ـ بدء الدراسة من الساعة السابعة ، وانتهاؤها في الثانية بعد الظهر ·
٦ ـ دروس إضافية في اللغة العربية واللغة الانجليزية ·
٧ ـ رياضة بدنية من الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة مساء ·
٨ ـ صلاة المغرب ·
٩ ـ قراءة القرآن في المساكن ·
١٠ ـ صلاة العشاء ·
١١ ـ مطالعة الدروس من الساعة الثامنة الى الساعة التاسعة والنصف ، ثم النوم إلى الساعة الرابعة صباحاً ·

وتقام محاضرات وندوات ثقافية في كل ليلة اثنين وليلة جمعة ·

وفي كل يوم خميس تنظيف عام يقوم به الجميع من الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى الساعة الواحدة بعد الظهر ومن الساعة الثانية بعد الظهر تدريب كشفى الى الساعة الرابعة ·

مررنا قبل الوصول إلى هذا المعهد بقرية مونتيلان وكانت أول مركز للتبشير في أندونيسيا ودفن بها أول بابا أختير للتبشير وهو أندونيسى وهذه القرية مزدحمة بمؤسسات المبشرين من كنائس ومدارس وملاجىء وغيرها ويقع المعهد شمال غرب هذه القرية على بعد مسافة ثلاثة كيلومترات ·

ومدير المعهد اسمه همام ، قال لنا إن بناء هذا المعهد كان في القرن السادس عشر الميلادي والذى بناه أحد أجدادي وقد أغلق واندثر خلال الحروب مع الهولنديين ونحن الآن جددناه وسيستمر بإذن الله شوكة في حلوق الأعداء ·

وكان على يميننا ونحن نسير إلى المعهد قبل القرية « مونيتيلان » جبل عال يرى من بعد يقال إن ارتفاعه يبلغ كيلومترين وهو بركان ميرامى الذى وصلت قذائفه من الصخور إلى جنوب مونتيلان والمسافة طويلة جداً ·

وأقيم احتفال كالعادة تبودلت فيه الكلمات · وبعد انتهاء الحفل مررنا بمرافق المعهد ، ثم اصطحبونا إلى معبد بوذا الذى يقع شمال غرب المعهد على هضبة مرتفعة وهو أكبر معابد البوذيين في العالم ، يؤمه السائحون من كل مكان ويحج اليه البوذيون في كل سنة مرة في شهر مايو واسم هذا المعبد (بوروبودور) وأسس في القرن السابع الميلادي وعندما سقطت بعض حجارته تبرعت هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة وأهل الغرب بمليارات الروبيات الأندونيسية لتجديده · وكنت أظن أن فيه كهنة مقيمين يمكن أن ندعوهم إلى التوحيد والدخول في الإسلام ولكن تبين عند وصولنا في السوق المجاور له أنه لا يوجد به إلا السائحون فقلت للأخوة لا يليق بنا أن ننزل ونصعد إلى هذا المعبد فيرانا الناس نزوره ونحن مسلمون فيظنون أننا نعترف بهذه الأوثان ·

ووجدنا في السوق المجاور له بعض المصنوعات الجلدية وغيرها من الصناعات المحلية ، تجولنا قليلاً في هذا السوق الذى أصبح السائحون فيه يتمتعون بهيئتنا العربية التى قد لا يكون كثير منهم رآها إلا في التليفزيون أو في غيره مما يماثله ·

وفي طريقنا إلى مدينة يوك جاكرتا ، قبل الوصول إلى قرية مونتيلان مررنا بمعبدين بوذيين آخرين أحدهما يسمى مندود والآخر يسمى باون ، والأول أكبر من الثانى · ورافقنا الأخ همام مدير المعهد وبعض الأساتذة إلى قرية مونتيلان وعرفونا بمؤسسات المسيحيين من

الكنائس والمدارس والجامعات وهم يتحرقون من الامكانات الضخمة الموجودة مع هؤلاء النصارى والتى تمكنوا بها من اغراء الشباب المسلم بترك دينه وأشاروا الى مبانى قريبة من مؤسسات النصارى كانت للنصارى أنفسهم ولكن رئيس البلدة اضطرهم عندما عزم على الحج أن يبيعوها للمسلمين واشتراها هو من ماله وأوقفها وهى تستعمل مسجداً الآن وقد بذلوا محاولات شديدة لاسترداد هذه الأرض وهذه المباني فلم يقدروا على ذلك ·

وفي وسط هذه المؤسسات النصرانية الكثير توجد مدرسة صغيرة للجمعية المحمدية تؤدى واجبها على قلة إمكاناتها وترفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ليؤمها الشباب المسلم على رغم أنف أعداء الإسلام ·

ولقد رأينا روحاً عالية عند الأخ همام وعند زملائه وأملًا كبيراً في انتصارهم على أعداء الإسلام وقد عرض علينا خريطة الجزر الأندونيسية محددة بها المناطق التى وفد الطلبة منها إلى هذا المعهد المبارك فاذا أغلب المناطق يوجد منها من يدرس في المعهد ·

وقال الأخ همام : إن بعض أبناء النصارى كتبوا إلينا عارضين رغبتهم في الدخول في الإسلام والالتحاق بالمعهد وانهم سيصلون قريبا ·

والجدير بالذكر أن مباني المعهد كلها من صنع الطلبة وكذلك خزانات المياه والمرافق الأخرى والمزارع التابعة للمعهد ·

ولأساتذة المعهد مزارع قريبة منه ينفقون على أنفسهم منها · أما ما يحصل للمعهد من أموال من أوقافه أو من تبرعات أهل الخير أو من الطلبة فانه يدخل في ميزانية المعهد ولا يأخذ الأساتذة ولا المدير شيئا منها ·

وهذا يدل على نفوس كبيرة وهمم عالية وعلى تضحية واخلاص - ان شاء الله - في هؤلاء الأساتذة جزاهم الله خيرا ·

ومن الأعضاء البارزين ذوى الحماس الدافق والفكر الجيد الأستاذ محمد حبيب أحد مدرسي المعهد ·

وفي هذا اليوم أخبرنا أن المؤتمر المسيحي البروتستانتي الدولى بدأ في بلدة منادو بجزيرة سولاويس في الشمال الشرقي وأن رئيس الجمهورية وزوجته افتتحا هذا المؤتمر رسميا وان الرئيس قال في كلمته :

إن مسابقة القرآن الكريم انعقدت هنا ، وهذا المؤتمر ينعقد هنا وهذا دليل على التسامح الديني بين المسلمين وبين المسيحيين في أندونيسيا وأن أهل الأديان أحرار في الدعوة

إلى أديانهم كل صاحب دين له الحق في الدعوة الى دينه ، وعلق بعض الغيورين على هذا الكلام فقال :

لقد أعطى المسيحيون بهذا التصريح قانونا صادرا من أعلى مستوى في الدولة بأن يدعو المسلمين الى الدين المسيحي وهذا يخالف ما أصدره وزير الشئون الدينية سابقاً من أنه لا تسمح لأى صاحب دين أن يدعو الآخرين للدخول في دينه وإن كان فيه اجحاف بالإسلام الذى لا دين سواه فإلى الله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ودعنا الأخوة مدير المعهد والمدرسين ورجعنا إلى يوك جاكرتا .

في مسجد العمود الواحد :

وفي الساعة السابعة مساء زرنا مسجداً تابعاً للجمعية المحمدية ، وهو مركز لمؤسسة تربية الأطفال في هذه المدينة ويعنى بتربية الأطفال .

ولهذه المؤسسة ثلثمائة وخمسون فرعاً في نواحي يوك جاكرتا ويشرف على هذه المؤسسة الدكتور محمد ناصر ، ويسمى هذا المسجد مسجد العمود الواحد ، لأنه لا يوجد به الا عمود واحد في وسطه ، والمسجد ليس كبيراً .

وصلنا إلى المسجد وقد صلى الناس العشاء ، فصلينا نحن العشاء ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح بعد أن ألقيت كلمة في تربية الأطفال ، ثم اجتمعنا بأعضاء هذا المركز وتذاكرنا بعض شئون الدعوة الإسلامية ورجعنا إلى الفندق .

٩ - ٩ في العائشية :

في الساعة التاسعة صباحاً زرنا ملجأ الأيتام التابع للجمعية المحمدية وهو خاص بالبنات اليتيمات ويسمى « العائشية » نسبة إلى عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو أيضاً تابع للجمعية المحمدية ، وتشرف عليه امرأة كبيرة السن وتساعدها أخرى مثلها شرحت لنا المشرفة ما يقوم به هذا الملجأ فذكرت أنه أسس سنة ١٩٣٠ م ونقل إلى المبنى الذى هو فيه الآن سنة ١٩٥٦ م وأن الموجودات فيه الآن خمسون فتاة وانهن يتلقين تدريبات مهنية مختلفة حسب هواياتهن ويدرسن في المدارس ويقمن بعد ذلك بالتدريس أو التمريض أو الخياطة أو غيرها . وإن المصروفات التى يحتاج إليها المركز شهريا ثلثمائة وخمسون ألف روبية (٣٥٠٠٠٠) وهو يعادل أربعة آلاف ريال (٤٠٠٠) سعودي .

وإن هذا الملجأ وأمثاله وإن كان لا يقوم بالتربية الإسلامية كما يجب أن تكون فانه يعتبر من الحصون المنيعة التى تحول بين أعداء الله وبين أبناء المسلمين ويجب على أغنياء المسلمين في الشعوب الإسلامية أن يمدوا هذه المؤسسات بما يمكنها من القيام بواجبها نحو أبناء هذه الشعوب ·

وهذا المبلغ أربعة آلاف ريال سعودي يستطيع أن يقوم به بعض التجار الصغار في بعض البلدان العربية ·

بـــين الشـــكر والغــــرور :

في الساعة السابعة مساء زرنا مسجد جامعة التربية والتعليم ، وهى تقع في حارة كارانح مالانح ، وكان المسجد غاصا بالشباب ، فصلينا العشاء وراء إمام المسجد ثم صلى الشيخ عبد القوى التراويح ، ألقيت بعد ذلك محاضرة موضوعها ·· غرور الأوربيين بالعلم والحادهم ·· وأن سبب ذلك ما جرته الكنيسة على أهل أوروبا من محن ووقوفها ضد العلوم التجريبية والعقلية · وان العلوم الأوربية الحضارية الحالية مبنية على أصول الحضارة الإسلامية · وأن المسلمين عندما يتقدمون في هذه العلوم يعتبرونها منحة من الله تعالى ، لأنه لا يوجد في دينهم ما يصادم هذه العلوم الصحيحة بل إن الإسلام يحثهم عليها وأنه يجب على المسلمين أن يستعيدوا مجدهم بالتمسك بالدين وبالتقدم في العلوم الذى يعتبر جزء من الدين وعبادة يثابون عليها · وكان تأثر الشباب بهذه المحاضرة عالياً جداً دل عليه كثرة تكبيرهم الذى كان يرتج به المسجد ·

مع زعماء الجمعيات الإسلامية في يوك جاكرتا :

بعد الفراغ من مسجد جامعة التربية والتعليم ذهبنا إلى مؤسسة تونس ملاتى وهى تعنى بالمعوقين والمكفوفين وكان مقرها مجالا لكثير من اللقاءات منها هذا اللقاء الذى تم فيه الاجتماع مع المدرسين وزعماء الجمعيات الإسلامية في هذه المدينة · وقد تضمن البرنامج أمرين :

الأمر الأول : القاء محاضرة اشتملت على موضوعين : **الموضوع الأول :** الحث على اجتماع الكلمة والبعد عن التفرق وما يترتب على الأول من مصالح وما يترتب على التفرق من مفاسد مع ذكر عوامل الائتلاف وأسباب التفرق ·

الموضوع الثاني : وجوب الخروج على أى تقليد أو عادة تخالف الإسلام لأن العادات المخالفة للإسلام إذا استمر عليها جيل من الناس ورثها الأجيال مستقبلا وأصبحت كأنها من

الدين ويتحمل إثمها من سنها - وكان هذا الموضوع الأخير ناتجا عن رؤيا منامية في نفس هذا اليوم طلب منى بعض مشايخى الصالحين ان أتحدث عنه - وكان في مكانه ، لأن كثيراً من العادات التى شاهدناها تخالف الإسلام ولكن كثيراً من المسلمين لا يعلمون ذلك .

الأمر الثاني : فتح باب الأسئلة والمناقشة ، وكان من أهم الأسئلة : استغراب المسلمين في أندونيسيا كون المسلمين العرب الذين يدعون الإسلام والتمسك بالكتاب والسنة لا يدعمون المؤسسات الإسلامية المحتاجة الدعم الكافي مع أن النصارى لهم مؤسسات مدعومة من المسيحيين في كل أنحاء العالم ولذلك يوجد من أبناء المسلمين من يدخل في الدين المسيحي أو يترك دينه - وان لم يدخل في الدين النصراني - لعدم ثقته في المسلمين حيث يرى منهم عدم اهتمامهم باخوانهم .

وذكرنا لهم أن هناك في المملكة العربية السعودية اهتماماً من الدولة ومن الشعب والمؤسسات الإسلامية ولكنه يحتاج إلى المزيد وأنه لو اهتمت كل دولة إسلامية عندها امكانات لحصل الخير الكثير .

وطلب منا الأخوة ابلاغ الحكومة السعودية والمؤسسات الإسلامية كالجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، عليها أن تتحمل مسئولياتها وتقوم بواجبها نحو أبناء المسلمين في أندونيسيا .

وألحوا في طلب انشاء مركز للطلبة المسلمين في هذه المدينة التى تعتبر مدينة طلابية وهذا المركز يشمل قاعة محاضرات ومسجدا ومكتبة ومرافق أخرى مفيدة .

وأرى أن انشاء قاعة محاضرات عامة واسعة تتسع لكثير من الأعداد الطلابية الهائلة من المسلمين في هذه المدينة ومسجد جامع كبير ومكتبة مركزية تزود بالمراجع الإسلامية وغيرها من المرافق التى تعين المسلمين المهتمين بالدعوة الإسلامية وتربية الشباب وتحصينه من الوقوع في أحضان الكفرة أرى أن ذلك أمر واجب على المؤسسات الإسلامية القادرة لأنه من الجهاد في سبيل الله وأخص بالذكر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . والأمانة العامة للدعوة الإسلامية التى يقف على قمتها سمو الأمير سلطان ابن عبد العزيز الذى عرف بالمبادرة في أفعال الخير ولاسيما ما يتعلق بالدعوة الإسلامية . والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد التى حظيت بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الذى عرف القاصي والداني داعياً إلى الله بالقول والعمل واعانة كل من تصدر للدعوة الى الله سبحانه ، والجمعية الخيرية التى دفع بها سمو الأمير سلمان إلى الأمام في

فترة قصيرة من الزمن ورابطة العالم الإسلامي التى يلهج المسلمون بها آملين منها المساعدة في كل مكان ثم أهيب بتجار المسلمين في كل مكان لاقامة مثل هذا المشروع الضروري ولا أنسى أن أنبه وزارة الأوقاف الكويتية التى لها جهود لمسناها في كثير من الأماكن التى زرناها ومؤسسة الملك فيصل الإسلامية أما كيف يتم ذلك ومن يتولاه فجواب هذا عند الجامعة الإسلامية التى كانت السبب في معرفتنا هذه الحقائق وعندها طلب خاص يتعلق بهذا الموضوع وأنا أدعو الجميع أن يطبقوا قول الله سبحانه وتعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى) وهذا من أعظم البر والتقوى ·

١٠ / ٩ في معهد المنور الإسلامي :

كان المقرر لنا في هذا اليوم مغادرة يوك جاكرتا دون زيارة لأى مؤسسة أخرى ولكن بعض طلبة الجامعة الإسلامية ألحوا علينا طالبين زيارة معهدهم الذى تخرجوا فيه والتحقوا بعد تخرجهم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فلم نجد وقتا نحقق فيه رغبتهم إلا بعد صلاة الفجر من هذا اليوم واتفقنا على أن نضع أثاثنا في صندوق السيارة التى استأجرناها من نفس الفندق الذى كنا نازلين فيه ونحاسب مدير الفندق ونزور هذا المعهد ثم ننطلق منه الى معهد كنتور في طريقنا الى سور بايا وكان ذلك.·

وعندما وصلنا إلى مقر المعهد وجدنا حشدا كبيرا من الطلبة والأساتذة في استقبالنا يتقدمهم فضيلة مدير المعهد وكان ذلك في الساعة السادسة والنصف صباحا ·

ومدير المعهد حاليا هو الحاج على معصوم ، ومؤسسه الأول هو الحاج منور في سنة ١٩١١ م وهو يشتمل على المتوسطة والعالية ، وعدد طلابه ألف تقريبا وفيه قسم لتحفيظ القرآن الكريم وتدرس فيه مع العلوم الشرعية العلوم الكونية ·

تقدم مدير المعهد بكلمة الترحيب وبين أسباب انشاء هذا المعهد التى منها كثرة أبناء المسلمين الذين يلتحقون بالمدارس الكاثوليكية والأحمدية (القاديانية) وغيرها من مدارس أعداء الإسلام ، ثم شيوع المذاهب الباطنية والخرافات ، ثم مناهج التربية والتعليم الحكومية البعيدة عن الصبغة الإسلامية · طلب منى فضيلته القاء كلمة قبلت الطلب وكانت تتضمن بيان أهداف التربية والتعليم ·

الى لقاء آخر يا مدينة الطلاب :

كان معهد منور الإسلامي هو آخر المؤسسات التى التقينا فيها بأبناء مدينة الطلاب : « يوك جاكرتا » وبوداعه ووداع مديره وأساتذته وطلابه الذين احتشدوا في صفوف طويلة لوداعنا ، وصغارهم ينشدون أناشيد الوداع الحزينة ، بهذا الوداع ودعنا مدينة يوك جاكرتا

ونحن نشعر بأنها كانت أكثر فائدة من غيرها ولذلك نقول لأبنائها الى اللقاء يا أبناء يوك جاكرتا وعسى أن يكون لقاءنا في وقت حقق الله لكم فيه مطالبكم العالية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

الى معهـــد كنتـــــور :

غادرنا يوك جاكرتا - عن طريق البر - في الساعة الثامنة والنصف وكان وصولنا إلى معهد كنتور الساعة الثانية عشرة وكان في استقبالنا بعض الأساتذة ، ونزلنا في مقر المعهد في مبنى ضيافتهم ، والمسافة بين مدينة يوك جاكرتا وهذا المعهد مائتا كيلومتر ٠

استرحنا الى قبيل المغرب حيث دعانا فضيلة مدير المعهد الحاج إمام زركشى لتناول طعام الافطار والعشاء فى منزله ، وهو فى مقر المعهد أيضاً ، وبعد أن صلينا المغرب وتناولنا طعام العشاء عدنا للراحة وذهبنا إلى المسجد فصلى بنا إمام المسجد صلاة العشاء وصلى بنا الشيخ عبد القوى صلاة التراويح ٠

ثم دعينا الى قاعة المحاضرات وكان البرنامج ما يأتي :

١ ـ تلاوة القرآن الكريم ـ الشيخ عبد القوى ٠

٢ ـ الترحيب وبيان أهداف المعهد ـ مدير المعهد ٠

٣ ـ كلمة ترحيب أخرى ـ للشيخ سوتاجي تاج الدين وهو من الذين تخرجوا فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونال شهادة الماجستير من الأزهر بالقاهرة ٠

٤ ـ محاضرة دعيت لالقائها وكانت بعنوان : الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ٠

وارتفعت الأصوات مدوية بكلمة التوحيد :

كنت قبل الحضور الى القاعة طلبت من الابن عبد البر أن يقف على المنبر قبل القاء كلمتي ليقول كلمة التوحيد بصوت عال ويردد الحاضرون وراءه ذلك ٠

وعندما دعيت لالقاء المحاضرة طلبت من الحاضرين ان يرددوا وراء الابن الكلمة التى سيسمعونها منه ، فصعد المنبر وقال :

لا إله إلا الله .. نوالى من والاها .. ونعادى من عاداها ٠

وهم يرددونها بعده ثلاث مرات ثم صعدت أنا المنبر وبينت معنى الموالاة والمعاداة ومن نوالى ومن نعادى وأن أعداء الله جادون فى تغيير هذا الولاء بغيره من التراب أو اللغة أو المذهب أو اللون ٠

وانه يجب الحذر منهم لأن تغيير هذا الولاء فيه القضاء على الأمة الإسلامية وتحطيم راية الإسلام ٠ وان القوميات التى نشأت فى كثير من بلدان المسلمين إنما كان مخططا لها من

قبل أعداء الله فى الدول الأوربية ـ ولاسيما القومية العربية التى شتت الله بها شمل العرب عندما أقامها بعض المجرمين مقام دين الله ولما كان معهد كنتور هذا قد حاز قصب السبق فى تدريس اللغة العربية والاهتمام بها حتى أن أساتذته وطلبته لا يحتاجون الى من يترجم لهم المحاضرة التى تلقى باللغة العربية ، لما كان المعهد كذلك حصل لبس عند فضيلة مدير المعهد من كلامى عن القومية العربية فظن أن اهتمام المعهد باللغة العربية قد يظن منه التعصب للعرب فعلق بكلمة مختصرة وضح فيها ان المعهد انما يهتم باللغة العربية لانها لغة الإسلام وبها نزل القرآن فذكرت له ان من أهم الاسباب التى جعلتنى اذكر القومية العربية وان الولاء الحق هو للإسلام لا للجنس انكم تهتمون بلغة العرب أكثر منهم ولو كان الولاء للقوميات لكانت اللغة الأندونيسية أولى بكم ففهم المراد · وطلب فضيلة مدير المعهد من الطلبة أن يقوموا احتراماً لنا عند الخروج فقاموا جميعاً فصعدت المنبر وذكرت لهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كره القيام لنفسه من صحابته الذين تركوا القيام له مع شدة محبتهم له وان لنا فى ذلك أسوة حسنة وأن القيام إنما يحصل من الأعاجم لملوكهم وقد نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبت منهم أن يقعدوا جميعاً واعتذرت لفضيلة المدير فقعدوا وخرجنا وهم على مقاعدهم ·

ورافقنا بعض المدرسين إلى مقر نزلنا حيث تبادلنا الأحاديث فى شئون الدعوة والتعليم ثم تركونا لنلتقى غداً فى المسجد لصلاة الفجر ثم كلمة الصبح ·

كليـــة الصبـــح :

ومن النشاطات التى يقوم بها المسئولون فى هذا المعهد كلية الصبح وهى تطلق على محاضرة ثابتة كل يوم بعد صلاة الفجر وقد طلبوا منى أن أتولاها فى هذا اليوم · وتضمنت : المسلم بين تزكية نفسه وتزكية غيره وموقعه ، موقع الأستاذ بالنسبة لغيره ، والذين يدعوهم الى الله ينقسمون الى قسمين ـ قسم السادة المكابرين وقسم الاتباع الأذلين وكلهم فى حاجة إلى صبر ومصابرة حتى يحقق الله على يديه رفع راية الإسلام ·

والداعي كما أنه لا يذل الا لله فانه لا يتكبر على خلق الله ·

نبذة موجزة عن معهد كنتور :

لابد من التعريف بهذا المعهد الذى يندر له نظير فى أندونيسيا ، ولا أدرى عن غيرها ـ وقد بدأ بعض الطلبة الذين اتموا دراستهم فيه يحاولون انشاء معاهد على غراره ·

ولا أقصد من نفى النظير أن المعهد أكبر من غيره من المؤسسات الإسلامية كما لا أريد أنه أقدم المعاهد الإسلامية ، ولا ان طلبته أكثر من طلبة غيره ولا أن مناهجه فاقت المناهج الأخرى ·

ولكن الذى اقصده ان المعهد قام على البذل والتضحية من قبل المؤسسين ثم من قبلهم ومن قبل المعاونين لهم فى الشئون الادارية والمدرسين والطلبة على السواء ٠

فقد قام بتأسيس المعهد الحاج أحمد سهل رحمه الله حيث أوقف قطعة أرض بنى عليها مبنى للدراسة وآخر مثله مصلى ، كل واحد منها مثل الفصل الدراسي المتوسط وكان ذلك فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ ٠ وساعده أخواه فضيلة الحاج زين الدين فناني وفضيلة الشيخ الحاج إمام زركشي ٠

ثم أخذوا يجمعون له التبرعات ويتوسعون فى البناء : بناء الفصول الدراسية والمبانى السكنية والمرافق العامة الأخرى حتى أصبح الآن شبه مدينة جامعية وأصبحت أرضه الموقوفة عليه والتى يستعان بريعها على تسييره مائتين وخمسين هكتارا ، ومساحة حرمه ستة هكتارات والأمر الغريب فيه ـ وما كان ينبغى أن يكون غريبا عند المسلمين ـ هو أن موظفيه وأساتذته وطلابه يقومون ببناء ما يحتاجون من الفصول والمساكن بأيديهم ويدير موظفوه إدارته ويدرس الأساتذة مواده ويشارك الطلاب فى نشاطاته المادية التى تعود اليه بالفائدة دون مقابل ، فهو من هذه الناحية شبيه بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بناه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بأنفسهم وكان الصحابة يقولون وهم يرونه يتقدمهم فى البناء وحمل الأخشاب والحجارة والطين :

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل

ولا يتفقون مع المقاولين فى البناء إلا فيما يحتاج إلى آلات أو تأسيس لا يتدربون عليه مثل المسجد المكون من طوابق ومئذنته الكبيرة والذى اسهم فى بنائه جلالة الملك فيصل رحمه الله بمائة ألف ريال سعودي ٠

وقد سألت بعض أساتذة المعهد إذا كنتم لا تأخذون أجراً مقابل تفرغكم للتدريس فى المعهد والقيام بنشاطات متعددة فمن أين يأتيكم المال الذى تنفقون منه على أنفسكم وأسركم فاجابوا بأنهم اشتروا لهم بعض المزارع القريبة وان خيراتها تكفيهم لسد حاجاتهم ٠

وعدد طلبة المعهد حاليا (١٦٠٠ طالب) وكلهم ذكور وهم ينتمون الى جميع مقاطعات الجزر الأندونيسية وبعض الدول المجاورة كاستراليا وماليزيا وتايلاند وصباح واليابان ٠٠ وبلغ عدد المدرسين به مائة وخمسة وعشرين مدرسا يحملون مؤهلات من بعض جامعات أندونيسيا ومن بعض الجامعات العربية والبريطانية ، وبعضهم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منهم ابن المؤسس الشيخ حسن سهل ٠

وهو يشتمل على مرحلتين :

١ ـ المرحلة الثانوية للمعلمين وتشتهر بكلية المعلمين الإسلامية ٠

ومدة الدراسة بها ست سنوات ٠

٢ ـ جامعة دار السلام : وبها كليتان ـ كلية التربية ، وكلية أصول الدين ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات ٠

ويدرس المعهد باللغات الثلاث : اللغة العربية وتدرس بها العلوم الإسلامية والعربية ٠ واللغة الانجليزية وتدرس بها العلوم الانجليزية ، واللغة الأندونيسية ويدرس بها العلوم الأخرى ٠

والتخاطب فى داخل المعهد يجب أن يكون باللغة العربية أو اللغة الانجليزية ـ والفضل للأولى ـ والذى لا يلتزم يعزر بعقاب عندهم قد يكون منه حلق الرأس ٠

وقد أجمل بيانهم الموجز عن المعهد طريقة التدريس فيه فى الجملة التالية :

« وقصارى القول أن نظام التربية والتعليم فى هذا المعهد هو السير على الجانب النظري والجانب العملي للتربية الحديثة » ٠

القســـم الـــداخلي :

يسكن الطلبة كلهم فى مساكن المعهد الداخلية ويعيشون ـ كما فى البيان الموجز ـ « بنظام صارم لما فيه من مصلحة عظيمة تعود عليهم » ٠

والمقصود بالنظام الصارم : الالتزام الكامل بأنظمة المعهد الشبيهة بالنظام العسكري من أجل تعويدهم على حياة بعيدة عن الميوعة والتسيب ٠

ويقوم الطلبة بادارة كل شئونهم فى المعهد تحت اشراف الأساتذة ويشتركون كلهم فى الحركة الكشفية التى تعتبر فتوة جهادية ٠

وينقسمون إلى جمعيات تعاونية : مثل الجمعية التعاونية الاستهلاكية ومقصف الطلبة ، ومطعم الطلبة وربح هذه الجمعيات كلها يعود لمصالح المعهد ٠

أثـــر المعهـــد فى المجتمـــع :

انقل هذه الجمل التى توضح أثر المعهد فى المجتمع عن البيان الموجز :

« انتشر المتخرجون من هذا المعهد (كونتور) فى جميع أنحاء المقاطعات الأندونيسية وبعض الدول الأخرى ، يجاهدون فى بناء المجتمع ويكافحون فى معركة الحياة ويحتلون فى المجتمع مناصب اجتماعية متباينة ويلعبون فيه أدوار مختلفة منها الوزير ، وعضو مجلس النواب ، ورئيس القرية ، ورئيس المكتب والموظف الكبير فى الحكومة ، والمزارع أو الفلاح ، والتاجر والمدرس ، وما الى ذلك ، وكلهم على اختلاف مراكزهم ومناصبهم يكادون يتفقون فى كونهم دعاة للإسلام ٠

هذا وفى ختام الكلام عن هذا المعهد المبارك فانا ندعو الله أن يوفق قادته ومدرسيه وطلابه للسير به قدما ليكون - على مر الزمن - قلعة إسلامية تنطلق منها جحافل العلم والدعوة والجهاد الى كل أنحاء أندونيسيا وغيرها من البلدان المجاورة ، كما ندعو الهيئات الإسلامية فى أندونيسيا أن تحذو حذو هذا المعهد فى الاهتمام باللغة العربية لغة القرآن والسنة والدين الإسلامي الحنيف وندعو كذلك المؤسسات الإسلامية فى بلادنا وغيرها أن يبذلوا العون لهذا المعهد وأمثاله ليكون قادرا على استيعاب الأعداد الهائلة التى تؤمه ويرغب فى الالتحاق به فلا يقدر إلا على تلبية رغبات القليل منهم ، وعلى أغنياء الأمة الإسلامية أن يودعوا ما يريدون ثوابه عند الله فى صندوق هذا المعهد وفى صناديق معاهد أخرى قريبة منه لانقاذ أبناء المسلمين من فخ أعداء الله من النصارى وغيرهم .

زيارة معهد التربية الإسلامية (والى صاعانج) ١١ / ٩ :

كان الأستاذ الحاج ابراهيم الطيب قد زارنا ليلة أمس فى الليل بعد صلاة التراويح وطلب منا أن نزور المعهد المذكور الذى أسسه سنة ١٩٦١ م .

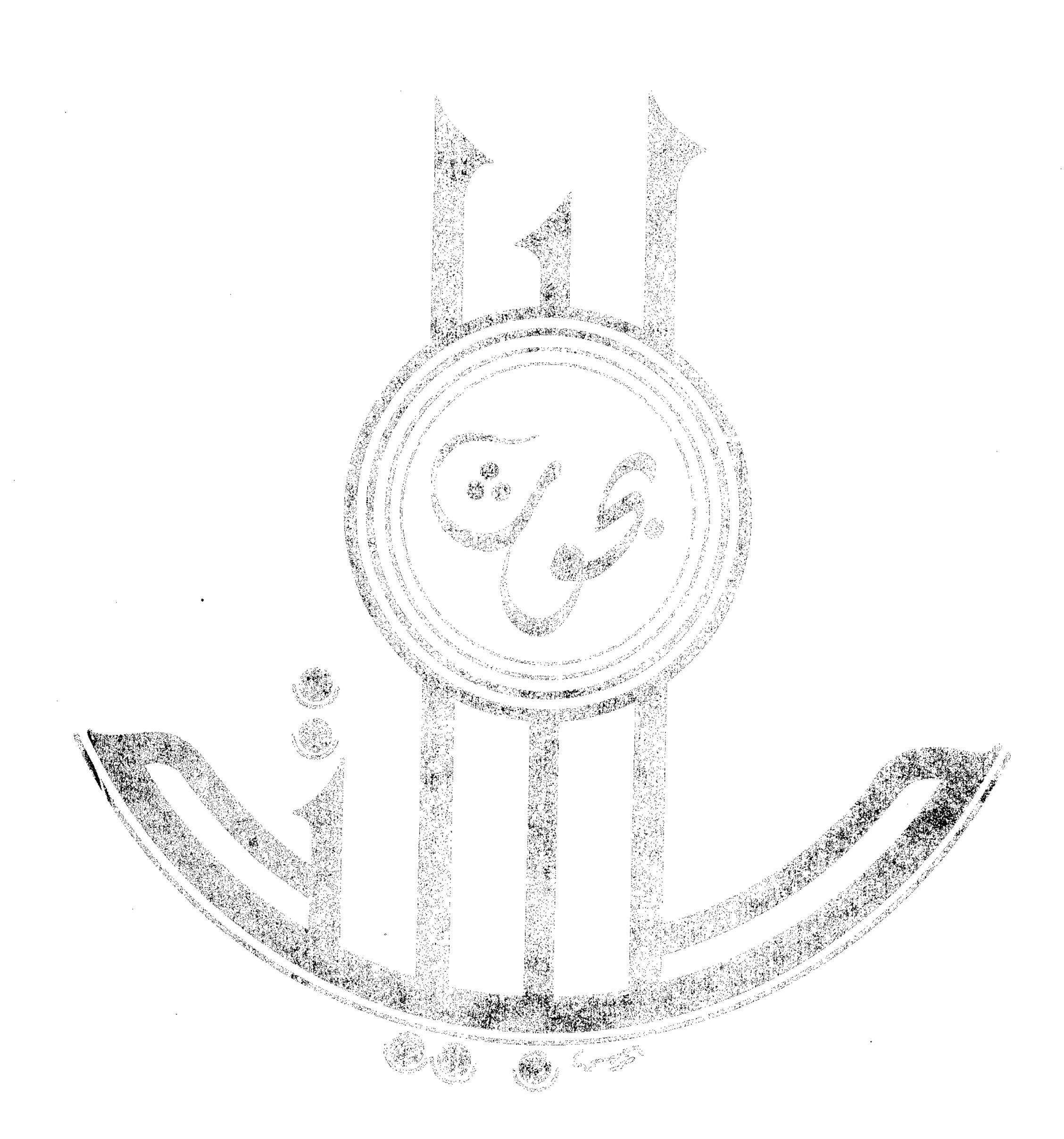
والحاج ابراهيم الطيب متخرج فى معهد كونتور فلبينا رغبته ومررنا به ونحن مسافرون الى سورابايا . وهذا المعهد يحاول مؤسسه أن يسير به على غرار معهده الذى تخرج فيه ويقع فى قرية عابر فونوروقو وفيه قسم خاص بتعليم الفتيات والحاج ابراهيم هو الذى أوقف أرضه على هذا المعهد وأنشأه فيها .

وعدد طلابه تسعمائة تقريبا وقد تحصل على مساعدات من المملكة العربية السعودية وقد كان برنامج الزيارة قراءة ما تيسر من القرآن الكريم وكلمة من المؤسس رحب بنا فيها وشكر المملكة على المساعدة ثم كلمة توجيهية مني .

زيارة معهد المعلمين :

ثم مررنا بمعهد المعلمين الذى أسسه الحاج صائمان لقمان الحكيم وهو متخرج فى معهد كونتور أيضا وأحد المدرسين فيه وأخبرنا أن جلالة الملك خالد قد أسهم فى بناء هذا المعهد بمبلغ ثلاثين مليون ومائتان واثنتان وأربعون ألف روبية أندونيسية .

وهذا المعهد والمعهد الذى قبله قريبان من معهد كونتور وهذا تابع للجمعية المحمدية يقع فى قرية جنيس .



السَّمع

مِن آياتِ اللَّهِ في أنفُسِنا

للدكتور فوزي أحمد سلام
أخصائي الأذن والأنف والحنجرة بالجامعة

يقول رب العزة والجلال :

« الذي أحسنَ كل شيء خَلَقَهُ ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نَسلَه من سلالةٍ من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من رّوحه وجعل لكم السمعَ والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون . » (السجدة ٧ ـ ٩) .

يقف الإنسان عاجزاً أمام خلق الله عندما يرى الآيات الواضحات في داخله عجيبة تجعله يعض على دينه بالنواجذ .

والسمع في الإنسان جعله الله له المصدر الأول للمعرفة الإدراكية في حياته الأولى ، هذه النعمة الممنوحة لنا خصها الله بالعناية في القرآن الكريم ، فأغلب السور يحتل فيها السمع موقعاً ، ذلك لأنه من الحواس التي بها يسترشد الإنسان ، هذه المهمة الملقاة على السمع .. جعلته في موقف المساءلة يوم الحساب العظيم « **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** » (الإسراء ٣٦) .

والقرآن نزل مسموعاً من روح القدس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ونقل منه إلى الصحابة رضى الله عنهم مسموعاً ، بل إن تاريخ البشرية أجمع وتواتر نقله مسموعاً قبل أن يُدوّن ويُحفظ .

تعالوا معى نتجول داخل هذه الآية الربانية لنرى الجهاز السمعى بمكوناته التشريحية الدقيقة المتناسقة ، التي يتحدث عنها قوله تعالى : « **خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير** » (التغابن ٢) .

ـ نظرة تشريحية وظيفية للجهاز السمعي :

يتكون الجهاز السمعي جملةً من الأذن التي تنقسم إلى :

(١) الأذن الخارجية ·
(٢) الأذن الوسطى ·
(٣) الأذن الداخلية ·

(١) الأذن الخارجية :

تتكون من (أ) صيوان الأذن · (ب) القناة السمعية الخارجية (حـ) غشاء طبلة الأذن ·

ـ وصيوان الأذن الذي تحسه على جانبي الرأس مركب من غضاريف مكسوة بجلد رقيق وتختلف من إنسان لإنسان وتعتبر أيضاً مقياساً من مقاييس الجمال ·

ـ أما القناة السمعية الخارجية ·· فيبلغ طولها ٢٤ مليمتراً ـ الثلث الخارجي منها غضروفي يحتوي على غدد عرقية وصملاخية وكذلك بصيلات شعر ، وهذه المجموعة تخدم هذه القناة والأذن بأسرها بإفراز مادة الصملاخ لونها أصفر ، التي تمنع الأتربة والميكروبات من دخول الأذن ·

والباقي من القناة السمعية عظمي التكوين أملس ، ومن روعة صنع الخالق ودقته أن كل جزء يتجه باتجاه مخالف للجزء الآخر حماية لغشاء الطبلة الرقيق من مفاجآت الصوت والهواء الشديد الداخل للأذن ·

ـ وأما غشاء الطبلة فإنه أبيض اللون بيضاوى الشكل رقيق ، طوله ٩ مليميتر وعرضه ٨ مليميتر وسمكه لا يتعدى النصف مليميتر ، ويتكون معظمه من ثلاث طبقات من الأنسجة ، وتلتصق به من الخلف عظمة المطرقة ·

وسبحان القائل : « **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » (الذاريات ٢١) ·

ولأهمية هذا الغشاء الرقيق يغذيه المولى سبحانه وتعالى بثلاثة أعصاب مخية ـ العصب الخامس والعصب العاشر « الحائر » من الخارج ، والعصب التاسع من الداخل ·

وهناك ملاحظة دقيقة دلنا عليها علم التشريح ، وهى أنه كما توجد الصلة بين المسموع ووصوله لأعماق القلب ، فإنه توجد صلة بين الأذن والقلب إذ يغذيهما معاً العصب العاشر ، فالعلاقة بينهما روحية تشريحية ·

أضف إلى ذلك أنه إذا ضُرب إنسان على أذنه فإنه يسقط مغشياً عليه والسبب في ذلك أنه عندما يستثار العصب العاشر فإنه يسبب هبوطاً مفاجئاً في القلب فيسقط الإنسان مغشياً عليه ·

ويلاحظ أن غشاء الطبلة أخذت منه فكرة صناعة الأجهزة السلكية والاسلكية ·

(٢) الأذن الوسطى :

تتكون من ثلاثة أجزاء : أذن متوسطة ــ وقناة استاكيوس ــ ونتوء حلمى ·

ــ أما عن الأذن المتوسطة : فتشبه علبة الثقاب تماماً ــ وتقع بين غشاء الطبلة وبين الأذن الداخلية وتحتوي هذه العلبة الدقيقة على ثلاثة أجزاء رغم أنها يبلغ طولها ١٥ مليمتراً وعرضها ١٣ مليمتراً وارتفاعها ٤ مليمتراً ··· هذه المساحة الضيقة تشمل :

١ ــ ثلاث عظيمات هى المطرقة والسندان والركاب ·
٢ ــ الجزء الخاص بالتذوق من العصب السابع (الوجهي) ·
٣ ــ عضلتين قابضتين باسطتين لحماية الأذن من الأصوات المرتفعة ·

ــ وأما قناة استاكيوس فهى قناة تصل بين تجويف الأذن المتوسطة والبلعوم الأنفي وطولها ٣٦ مليميتراً · وفائدتها الرئيسية حفظ التوازن الضغطى داخل الأذن المتوسطة والضغط الجوي ــ وكذلك التهوية وهنا فائدة علمية تطبيقية تجدر الإشارة إليها ·· وهى أنه عند ركوب الطائرة وعند الهبوط بالذات يستحسن أن نحرك الفك لأسفل وأعلى مرات ومرات حتى لا تصاب طبلة الأذن نتيجة التغير في الضغط ·

(٣) الأذن الداخلية :

وتتكون من هيكل عظمي خارجي بداخله جهاز غشائي ، وهذا للأهمية القصوى لوظيفتها حيث السمع والتوازن في هذه المنطقة ــ لذا اختار الله لها أقوى عظام الجسم صلابة ووضعه فيها ·

فالهيكل العظمي ثلاثة أقسام :

(أ) قسم أمامي : ويسمى بالقوقعة وبها جسم « كورتى » ، وهو الجزء الخاص بالسمع ·

(ب) قسم خلفي : وهو عبارة عن ثلاث قنوات هلالية الشكل ، وهو الجزء الخاص بالتوازن ·

(حـ) قسم متوسط : ويصل بين القسم الأمامي والخلفي ، ويسمى بالدهليز ـ أضف إلى ذلك : القناة السمعية الداخلية : وهى التي تبلغ من الطول سنتيمتراً واحداً ، وتحمل بداخِلها العصب « السمعي التوازني » الثامن والعصب الوجهى « السابع » والشريان الأذني الداخلي وهى الممر الوحيد بين الأذن والمخ .

سبحان ربي أحسن الخالقين ، « **هو الله الخالق البارئ المصور** » « الحشر ٢٤ » .

ـ كيف تسمع أيها الإنسان ؟

قال الله تعالى : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (النحل ٧٨) .

إن رحلة الصوت ، التي تسير موجاته في الهواء ، إلى صيوان الأذن ـ للقوقعة التي بها جسم « كورتي » الخاص بالسمع ثم إلى المخ رحلة طويلة علمياً حيث كُتب فيها أكثر من مرجع برغم أنها تستغرق جزءاً من الثانية .

فهيا معي للرحلة المعقدة لنرى الآية الكامنة على جانبى الرأس :

تستقبل القناة السمعية الخارجية الصوت مهذباً مجموعاً بواسطة صيوان الأذن حيث تسقط هذه الموجات الصوتية على غشاء الطبلة الرقيق الذي يهتز لها اهتزازاً دقيقاً يتناسب مع قوتها .

وبتحرك الطبلة فإن المطرقة والسندان يتحركان معاً حركة شبه دائرية على مفصل بينهما .. وذلك كى تنتقل الحركة تبعاً إلى عظمة الركاب التي تتحرك للداخل والخارج على شباك بيضاوى هو الصلة بين الأذن الوسطى والداخلية مع مثيل له دائري .

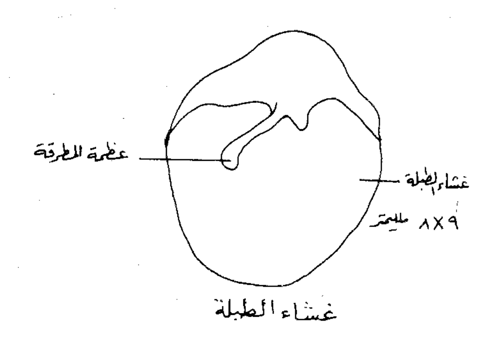
هذه الحركة الميكانيكية للغشاء والعظيمات تُحرك الغشاء الذي يسد الطريق بين الأذنين ، فيتحرك السائل اللمفاوي الداخلي ليلامس أطراف الخلايا السمعية الموجودة في القوقعة المكونة لجسم « كورتي » . هنا تتحول الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية ، حيث تصل الذبذبة للعصب السمعي التي تتجمع نهايات الخلايا السمعية لتكونه ، ليسير في القناة السمعية ، إلى المخ ثم تصل الإشارة إلى مراكز السمع في المخ ، وهى مرقمة عددياً .

هناك مراكز أشبه بالكمبيوتر تماماً يحول الذبذبة الواصلة إليه إلى مراكز الفهم حيث يحدث ما يلي :

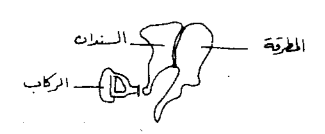
وصول الذبذبة وسمع ، لفهم ومتابعة ، تصل وتركز لمراكز الفهم ·

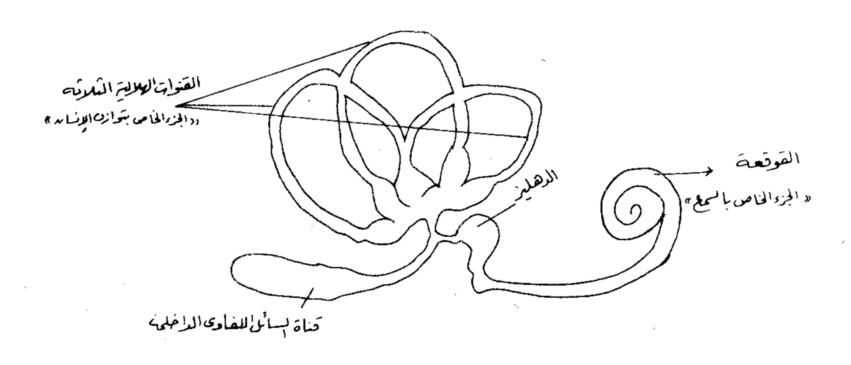
وصول الذبذبة وسمع ، ورد بالكتابة ، تصل الإشارة لمركز الكتابة في المخ فيبعث الإشارات لأعصاب اليد لتكتب · سمع ، ورد بالكلام ، تصل الإشارة لمركز الكلام (وهذا المركز يوجد على الناحية اليسرى « الفص الأيسر » للمخ للذي يكتب باليمين ، ويوجد على الناحية اليمنى « الفص الأيمن » للمخ للذي يكتب باليسار ، تصل الإشارة للأعصاب المغذية للسان والحنجرة والفك ليكون الرد كلاماً إلى سمع ، ورؤية ، تصل الإشارة لعصب العين وعضلاتها لترى ما سمعت ·

وفي حقيقة الأمر تدور الأبحاث حول هذا المركز الذي يقوم بعمل الكمبيوتر في المخ ·



غشاء الطبلة





وكما علمنا كيف نسمع ، فإنه يجدر بنا أن نقيس سلامة هذا الجهاز فإن سلامة وصلاحية كل جهاز تقاس بمدى مقدرته على القيام بوظيفته إلى جانب مقدرته على التفاعل المطلوب بأقصى طاقة ممكنة ، لذا فإنه يجب علينا كلما سمعنا كلمة السمع أن نذكر كلمة « الصمم » .

« **أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون** » (يونس/ ٤٢) .

وعليه فإنه قبل أن نتكلم عن الناحية الروحية ، علينا أن نلقي الضوء على نقيض السمع وهو « الصمم » .

ـ الصـــمم :

تعريفه طبياً : هو عدم المقدرة على السمع بالوضوح التام لشخص يتكلم في معدل ومكان محدد بصوت قوته ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ سيكل/الثانية .

والإنسان الطبيعي يميز ويسمع الصوت العادي على بعد ١٢ متراً ، ويسمع الكلام الهامس من على بعد ٦ أمتار .

والصمم ثلاث أنواع : ـ صمم إنسدادي ـ صمم عصبي ـ صمم مختلط .

أسباب الصمم الإنسدادي : ـ

١ ـ تجمع الصملاخ وتجمده بالقناة السمعية الخارجية .

٢ ـ وجود جسم غريب بالأذن ـ كحبة فول أو جسم معدني .

٣ ـ وجود فطر « عش الغراب » داخل الأذن .

٤ ـ التهابات الأذن الوسطى الحادة والمزمنة .

٥ ـ تليس عظمة الركاب .

٦ ـ انخلاع عظيمات الأذن الوسطى .

أسباب الصمم العصبي : ـ

١ ـ أسباب وراثية « كزواج الأقارب » .

٢ ـ إصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية .

٣ ـ إصابة الجنين أثناء الولادة .

٤ ـ مرض الطفل أثناء حضانته بالحميات مثل : ـ التهاب الغدة النكفية ـ الانفلونزا المتكررة ـ الحصبة ـ الالتهاب السحائي ـ مرض السل ·

٥ ـ تعاطي بعض المرضى لبعض أدوية لمدد طويلة وبكميات كثيرة مثل : ـ الاستربتوميسين ـ النيوميسين ـ الكينين ـ السالسلات ·

٦ ـ الإصابة بأمراض الكبد والكلى ·

٧ ـ انسداد الشريان الأذني الداخلي بجلطة أو نزيف ·

٨ ـ مرض مانيير Meniere

٩ ـ الأورام الخبيثة بالمخ والعصب السمعي ·

أما العلاج من الصمم الانسدادي فقد أصبح سهلًا وميسراً ، حيث تشخص الحالة ويجري لها ما يناسبها من علاج طبي أو جراحي ·

أما عن علاج الصمم العصبي ، فإن الوقاية من مسبباته أسهل وأيسر من علاجه · حيث أن أغلبها لا يجدي ، وعلى المريض أن يستعين بسماعة طبية ·

رحلة روحية مع السمع :

من صفات الله سبحانه وتعالى صفة « السمع » ، ومن أسمائه الحسنى « السميع » ·

وهو تعالى له سمع يسمع به حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ·

« **ليس كمثله شيء** » (الشورى ١١) ·

ومعنى السميع أي الذي لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى فيسمع سبحانه « دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » ·

وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات سرها وعلنها ، وقريبها وبعيدها ، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات وعلى تفنن الحاجات وكأنها لديه صوت واحد · وسمعه تعالى نوعان :

ـ سمع جميع الأصوات ·

ـ سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدين · ومنه قوله تعالى على لسان خليله ابراهيم عليه السلام : « **إن ربى لسميع الدعاء** » (إبراهيم ٣٩ » ·

وقال ابن القيم : ـ

وهو السميع يرى ويسمع ما في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لاتخفى عليه بعيدها والداني

والوليد يفد للدنيا لا يعلم شيئاً ، ولكنه مستعد للتعلم بما وهبه الله من حواس يستطيع أن ينمي بها مداركه ، فالسمع من الحواس التي تعتبر مصدراً أولياً للطفل على النمو والتعلم ، كما قال تعالى : « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** » (النحل ٧٨) .

هكذا ينمو الوليد ليصير شاباً يافعاً يستقي العلم سمعاً ورؤية ، وهنا يلعب السمع الدور الرئيسي في إيمان الرجال وإسلامهم .

ـ ففريق يسمع ، ويعقل ما يسمع ، ويستفيد مما سمع فيسلك الطريق القويم طريق الحق والهدى والإيمان . كما أشار تعالى بقوله :

« **ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا** » . (آل عمران ١٩٣) .

وقوله : « **وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** » . (البقرة ٢٨٥) .

وقوله : « **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به** » (الجن ١٣) .

فالفائز في هذه الدنيا الذي يسمع الحق ـ فيؤمن به ، ويُطيع ، فيكون السمع نعمة عليه .

ـ وهناك من يسمع ولكنه يصم أذنيه عن داعي الحق ـ ويحيد عنه بعصيانه ، كما أشار تعالى بقوله : « **قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم** » (البقرة ٩٣) .

« **ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّم ولو كانوا لا يعقلون** » (٤٢ يونس) .

وفريق يسمع ولكنه يُصِر على عدم الاجابة ، بل على تحريف كلام الله .. كما أشار تعالى بقوله : « **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم** » (فاطر ١٤) .

وقوله : « **يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه** » (٧٥ البقرة) .

اللهم اجعلنا من الذين يسمعون فيؤمنون واجعل سمعنا معيناً لنا على طاعتك .

وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على التقوى والسمع والطاعة بقوله : « **فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا** » (١٦ التغابن) .

وقبل أن أنهي حديثي عن رحلة السمع الروحية فإنى ألفت نظر القارئ إلى أن السمع يتقدم على البصر كما أشار تعالى في قوله « **إن السمع والبصر** » ، « **وجعل لكم السمع والأبصار** » ، « **وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار** » .

وهناك أسباب لتقدم السمع على البصر نذكر منها :

(١) أن الأذن أول ما يربط الإنسان بالدنيا ، إذ هى أول عضو يؤدي وظيفته بعد مولد الوليد حيث يتبعه البصر في اليوم السابع .

(٢) أن الأذن هى أداة الاستدعاء في الأذان .

(٣) أن السمع هو الطريق الأول للهدى أو للعصيان .

(٤) يقول بعضهم إن الأذن مفضلة على العين ، ذلك أن الأذن لاتنام بينما العين تنام والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشىء الذي ينام .

في نهاية القول نقول إن هذه الآية الإلهية تستوجب منا وقفة ، وقفة شكر للخالق سبحانه ، على ما وهبنا من نعم داخل أنفسنا .

ونسأله تعالى أن نكون من « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الدعوة في الخارج

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الي حضرة فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية

سلمه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فحيث يوجد فى مدينة توسان التابعة لولاية اريزونا ، مسجد يشرف عليه شخص يدعي : رشاد خليفة ، مصرى الأصل أمريكي الجنسية • يقوم فيه بالدعوة الاسلامية على أساس بعيد عن الاسلام ، لانكاره السنة واستنقاصه من منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بما ثبت لدينا من التقارير بحقه من عدة جهات والتي ملخصها ما يلي :

١ ـ أن المذكور يقيم فى مدينة توسان بولاية اريزونا . إحدى الولايات المتحدة الأمريكية • ويحمل الدكتوراه في الهندسة الزراعية مما لا يؤهله للقيام بالدعوة إلى الله على وجه صحيح . بل إن دعوته للإسلام يظهر منها المخادعة والتغرير بالمسلمين الجدد والسذج من العامة باسم الإسلام بإنكار السنة وتعاونه مع المنكرين لها قولاً وفعلاً أمثال محمد على اللاهوري ، وغيره • وقد قامت حوله ضجة علمية حول اكتشافه سر إعجاز القرآن حسب زعمه •

٢ ـ في زيارته لليبيا عام ١٣٩٩ هـ • سجل في إذاعتها أحاديث ووجد من يستمع إليه حول رأيه في السنة المطهرة ، بل إنه حينما سئل من قبل أحد أساتذة الجامعة قبل صعوده للطائرة عن رأيه في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب باختصار نظراً لضيق الوقت قائلاً : (الحديث من صنع ابليس) !

ومن مواقفه التي توضح رفضه للسنة وتأويل القرآن الكريم حسب ما يراه :

أ ـ قوله : أنه لا يجوز رجم الزاني أو الزانية سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، لأن ذلك لم يرد في القرآن •

ب ـ تبجحه بصورة مستمرة بما يروى (لا تكتبوا عني سوى القرآن) ليثبت أنه لا تجوز كتابة الأحاديث •

جـ ـ استدلاله على ما ذهب إليه من أنه لا حاجة للسنة ولا لتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن بقوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (وما كان ربك نسيا) •

د ـ ادعاؤه أن الأخذ بالسنة وكتابتها وجمع الأحاديث في القرنين الثاني والثالث كان سبباً في سقوط الدولة الإسلامية !

هـ ـ عدم التصديق بالمعراج ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد في الصلاة ، لأن العرب قد توارثوها بهذه الكيفية عن جدهم إبراهيم •

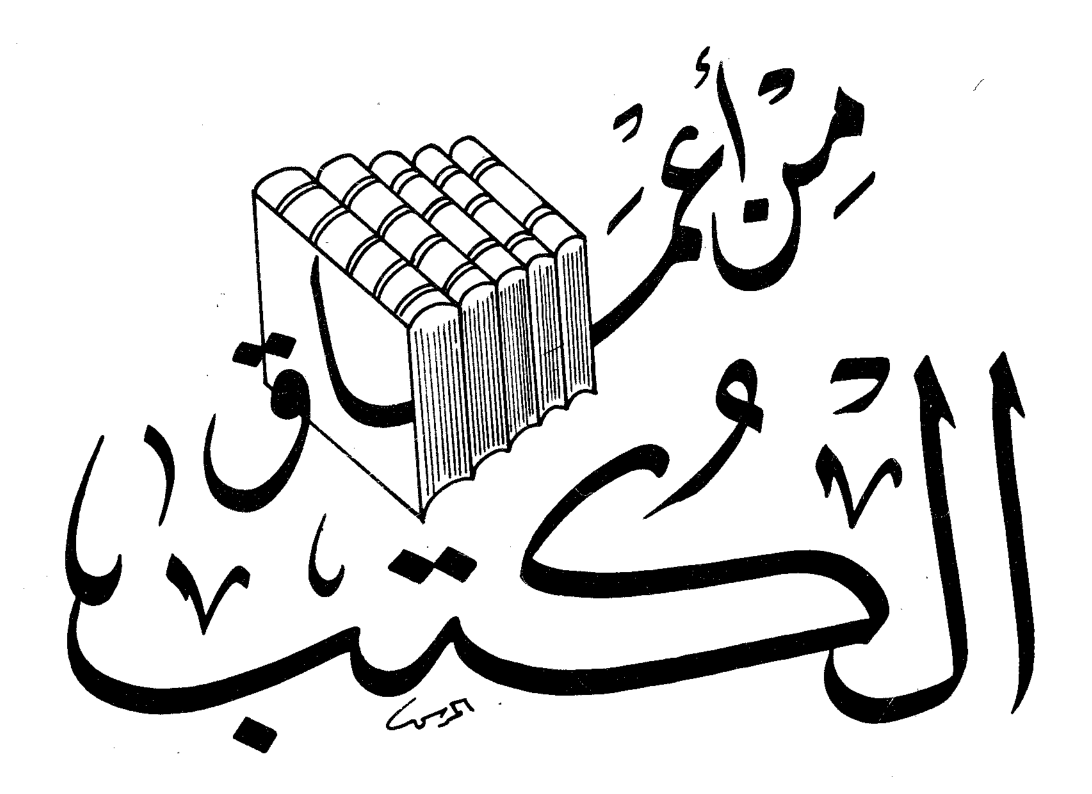
و ـ له تأويلات في كيفية كتابة الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور . ويقول هذه ليست الكتابة الصحيحة لها • وفي قوله تعالى : (الم) يجب أن تكتب هكذا (الف لام ميم) وقوله تعالى : (ن) يجب أن تكتب هكذا : (نون) وغير ذلك من الشطحات التي يفرق بها كلمة المسلمين مع ما فيها من محادة لله ورسوله •

لذا فقد رأينا من واجبنا توضيح أمره وكذب حقيقته لوقف التعاون معه والتنبيه لمغالطاته ، وبراءة للذمة ونصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، راجياً تعميم كتابنا هذا على منسوبيكم والجهات ذات العلاقة أعانكم الله على كل خير وجعلنا وإياكم من أنصار السنة والكتاب ، ومن دعاة الحق على بصيرة إنه جواد كريم •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد


من أعماق الكتب

التبيان في أقسام القرآن

للإمام ابن قيم الجوزيه

من روائع ما كتب الإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله - كتابه المسمى (التبيان في أقسام القرآن) ، نهج فيه نهجه التحليلي العلمى الدقيق الذي يتسم فيه بما أفاض الله تعالى عليه من النظر الفاحص ، وعمق الفهم ، وشفافية الحس . ومن طيب ما كتب في كتابه المذكور ما يلي :

والذي أحصاه المشرحون من العظام في البدن مائتان وثمانية وأربعون عظما سوى الصغار السمسميات التي أحكم بها مفاصل الأصابع والتي في الحنجرة . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلاً . فإن كانت المفاصل هي العظام فقد اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظاماً صغاراً لم تدخل تحت ضبطهم وإحصائهم . وإن كان المراد بالمفاصل المواضع التي تنفصل بها الأعضاء بعضها عن بعض - كما قال الجوهري وغيره المفصل واحد مفاصل الأعضاء - فتلك أعم من العظام فتأمله وأن السلاميات المذكورة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر « يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة . فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة » الحديث فالسلامي العظم ، وجمعه سلاميات ، فهنا ثلاثة أمور : أعضاء ، وعظام ، ومفاصل . وجعل الله سبحانه العظام أصلب شيء في البدن ، لتكون أساً وعمدة في البدن ، إذ كانت الأعضاء كلها موضوعة على العظام ، حتى القلب ، كما سيأتي بيانه إنشاء الله تعالى . وهى حاملة للأعضاء ، والحامل أقوى من المحمول . ولتكون وقاية وجنة أيضاً ، كالقحف ، فإنه وقاية للدماغ ، وعظام الصدر وقاية له . وجعلت العظام كثيرة لفوائد ومنافع عديدة : منها الحركة فإن الإنسان قد يحتاج إلى حركة بعض أجزائه دون بعض . وقد يحتاج إلى حركة جزء من عضو .

ومنها أنه لو كان على عظم واحد لكان إذا أراد أن يتحرك، تحرك بجملته .

ومنها أنه كان يتعذر عليه الصنائع والحل والربط .

ومنها أنه إذا أصابه آفة عمت جميع البدن ، فجعلت العظام كثيرة ليكون متى نال بعضها آفة لم تسر إلى غيره من العظام مقامه في تحصيل تلك المنفعة .

ومنها تعذر المنافع التي حصلت بسبب تعدد العظام ، ولولا كثرتها وتعددها لفاتت تلك المنافع .

ومنها أن من العظام ما يحتاج البدن إلى كبيره ، ومنها ما يحتاج إلى صغيره ، ومنها ما يحتاج إلى مستطيله ، ومنها ما يحتاج إلى مجوفه ، ومنها ما يحتاج إلى محنيه ، ومنها ما يحتاج إلى مستقيمه · ولا يحصل ذلك إلا بتعدد العظام ·

ومنها بديع الصنع ، وحسن التأليف والتركيب ، وغير ذلك من الفوائد ·

ثم شد الخالق بعضها إلى بعض بالرباطات والأسر المحكم ، ثم كساها لحماً ، حفظاً لها ووقاية · ثم كسى اللحم جلداً ، صوناً له ·

ولما كانت الفضلات تنقسم إلى لطيفة وغليظة جعل الله للغليظة منها مجاري تنجذب إلى أسفل ، ويخرج منها خروجاً ظاهراً للحس · وأما اللطيفة فهي الفضلات البخارية ، ولما كان من شأنها أن تصعد إلى فوق وتخرج عن البدن بالتحليل جعل في العظام العليا منها منافذ يتحلل منها البخار المتصاعد · فلم تكن تلك المنافذ محسوسة ، لئلا يضعف صوان الدماغ ــ وهو القحف ــ بوصول الأجسام المؤذية إليه · فجعل الدماغ مركبة من عظام كثيرة · ووصل بعضها ببعض بوصل يقال لها الشئون · ومنه قولهم : فلان لم تجمع شئون رأسه ·

ويشتمل الرأس بجملة أجزائه على تسعة وخمسين عظماً ، وجعل القحف مستديراً تاماً في مقدمه ومؤخره وجانبيه ، بمنزلة غطاء القدر وعظامه ستة ، وهي : عظم اليافوخ · وعظم الجبهة · وعظم مؤخر الرأس · والعظمان اللذان فيهما ثقبا السمع · وفي كل واحد من الصدغين عظمان مصمتان ·

وعظام اللحى الأعلى أربعة عشر عظماً : ستة منها في محاجز العينين · واثنان للأنف واثنان تحت الأنف · وهما المثقوبان إلى الفم · واثنان في الوجنتين · واثنان تحت الشفة العليا ·

وأما العظم الشبيه بالوتد فهو واحد وهو كالقاعدة للرأس ·

وعظام اللحى الأسفل اثنان : وهما متصلان في وسط الذقن ، وبينهما بنيان ، ويتصلان من فوق باللحى الأعلى اتصالاً مفصلياً ·

والأسنان اثنان وثلاثون ، في كل لحى ستة عشر ، أربع ثنيات وتليها الرباعيات ، ويليهما الأضراس : خمسة من هنا وخمسة من هنا · والنواجذ أول الأضراس ، وهما ناجذان في كل ناحية ناجذ · وربما نقصت النواجذ في بعض الأفراد ، وكان في كل جانب أربعة أضراس ·

وصدق الله (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) · فاعتبروا ياأولى الأبصار ·

بَابُ الفتاوى

سئل شيخ الإسلام

مفتى الأنام أوحد عصره فريد دهره : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ـ رحمه الله ورضى عنه ـ

عن الرجل : **إذا قطع الطريق وسرق أو أكل الحرام ونحو ذلك . هل هو رزقه الذي ضمنه الله تعالى له أم لا ؟**

فأجـــاب ـ الحمد لله : ليس هذا هو الرزق الذي أباحه الله له ، ولا يحب ذلك ولا يرضاه . ولا أمره أن ينفق منه . كقوله تعالى : (**ومما رزقناهم ينفقون**) وكقوله تعالى : (**وانفقوا مما رزقناكم**) ونحو ذلك لم يدخل فيه الحرام ، بل من أنفق من الحرام ، فان الله تعالى يذمه ويستحق بذلك العقاب في الدنيا والآخرة ، بحسبدينه . وقد قال الله : (**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**) وهذا أكل المال بالباطل .

ولكن هذا الرزق الذي سبق به علم الله وقدره ، كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك . ثم يكون مضغة مثل ذلك . ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد** » . فكما أن الله كتب مايعمله من خير وشر وهو يثيبه على الخير ويعاقبه على الشر ، فكذلك كتب ما يرزقه من حلال وحرام ، مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام .

ولهذا كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره ، كما تقع سائر الأعمال لكن لاعذر لأحد بالقدر ، بل القدر يؤمن به ، وليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر ، بل لله الحجة البالغة ، ومن احتج بالقدر على ركوب المعاصي ، فحجته داحضة ، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول ، كالذين قالوا : (**لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا**) والذين قالوا : (**لو شاء الرحمن ماعبدناهم**) كما قال تعالى : (**ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين**) .

وأما الرزق الذى ضمنه الله لعباده ، فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه ، بأن يمنحه ما يعيش به الدنيا ، ثم يعاقبه في الآخرة ، كما قال عن الخليل : **(وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ـ قال الله ـ : ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير)** ·

والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته ، لم يبحه لمن يستعين به على معصيته ، بل هؤلاء وان أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فانه يعاقبهم ، كما قال : **(ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير)** وقال تعالى : **(احلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم)** فانما أباح الأنعام لمن يحرم عليه الصيد في الاحرام ·

وقال تعالى : **(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)** فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق ، فانه يعاقب على أخذ مالم يبح له ، سواء كان محرم الجنس ، أو كان مستعينا به على معصية الله ، ولهذا كانت أموال الكفار غير مغصوبة بل مباحة للمؤمنين ، وتسمى فيئاً إذا عادت إلى المؤمنين ، لأن الأموال إنما يستحقها من يطيع الله لا من يعصيه بها ، فالمؤمنون يأخذونها بحكم الاستحقاق والكفار يعتدون في انفاقها ، كما انهم يعتدون في أعمالهم ، فاذا عادت الى المؤمنين فقد فاءت إليهم كما يفيء المال الى مستحقه ·

وسُـــــئلَ :

(٢) عن الخمر والحرام : هل هو رزق الله للجهال ؟ أم يأكلون ما قدر لهم ؟

فأجـــاب : ان لفظ « الرزق » يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد وملكه إياه ، ويراد به ما يتغذى به العبد ·

(فالأول) كقوله : **(وانفقوا مما رزقناكم)** **(ومما رزقناهم ينفقون)** فهذا الرزق هو الحلال ، والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام ·

و **(الثانى)** كقوله : **(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)** · والله تعالى يرزق البهائم ، ولا توصف بأنها تملك ، ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية ، فإنه لا تكليف على البهائم ـ وكذلك الأطفال والمجانين ـ لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم

عليها ، وإنما المحرم « بعض » الذى يتغذى به العبد وهو مَن الرزق الذي علم الله أنه يتغذى به ، وقدر ذلك « بخلاف » ما أباحه وملكه ، كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح · قال : فوالذي نفسي بيده أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » ·

والرزق الحرام مما قدره الله ، وكتبته الملائكة ، وهو مما دخل تحت مشيئة الله ، وخلقه ، وهو مع ذلكَ قد حرمه ونهى عنه ، فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ماهو أهله ـ والله أعلم ·

من أين تؤتـــون ؟؟

قدم المنهزمون من الروم أمام المسلمين على (هرقل) وهو بانطاكية فدعا رجالاً من عظمائهم فقال لهم : (ويحكم ما هؤلاء الذين تقاتلونهم من العرب أليسوا مثلكم ؟ قالوا بلى ! قال : أفأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم اضعافاً في كل موطن · قال : ويلكم فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فقال شيخ منهم أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون قال أخبرنى ، قال : إنهم إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا وانا نحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر ، قال : ويلكم فما بالكم تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا ؟ قال : من أين هو ؟ قال لأن القوم يصارعون بإيمان ويصاولون بروح لا تهزم وإن من صميم عقيدتهم التمرن على الصبر فهم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ثم إن جمعهم واحد ليس بينهم خلاف لأنهم يوفون بالعهد ويتناصحون بينهم لا يظلمون أحداً أما نحن فإنا نشرب الخمر ونزني ونظلم ونغضب ونأمر بما يسخط الله وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض ·

(من كتاب سيرة سيد ولد آدم)

«مسابقة القرآن الكريم الدولية»

شهدت (مكة المكرمة في أوائل شهر جمادى الثانية عام ١٤٠٣ ﻫ مسابقة القرآن الكريم الدولية الخامسة، وقد أقيمت هذه المسابقة تحت رعاية الملك فهد بن عبد العزيز حيث أناب جلالته صاحب السمو الملكى الأمير ماجد بن عبد العزيز في إفتتاحها في مهبط الوحى ومتنزل القرآن.

وألقى الأمير ماجد كلمة جاء فيها: في «بلد الله الحرام حيث أشرق ضياء القرآن على هذا العالم فبدد الظلام، وأزال الجهل، وقضى على العصبيات التي تقوم على رابطة الدم والنسب، وكوّن القرآن من المجتمع الاسلامي أخوة متحابين رواداً للبشرية في الطريق الى الله».

وأشار سموه الى أن بعثات المسلمين الأولى إلى شتى أنحاء العالم لم تقدم جديداً في الرقى المادي، ولا جديداً في فنون الصناعة والتجارة ــ ولكنها حملت «أعظم هدية وأرقى مدنية تليق بهذا الانسان الذي استخلفه الله في الأرض».

نعم، أن الفاتحين المسلمين حملوا رسالة القرآن ومنهجه في صنع المجتمعات وأخذوا بهذا المنهج يربون الأمم فأنقذوها مما (كانت) تعانيه من ضيق النفس والظلم وتعاسة الأيام وأعادوا لها حياة الإستقرار والكرامة والعزة.. واذا بالمجتمعات الاسلامية يسودها الترابط والمحبة.

«ولنا.. في رسول الله أسوة حسنة وفي أصحابه قدوة وإننا لن نستطيع أن نقدم سوى ما قدم هذا الرسول الكريم وأصحابه الأطهار.. ألا وهو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس».

وهذه المسابقة التي تقام مرة كل عام نبتت فكرتها في مهرجان تونس الذي انعقد قبل بضع سنين وكان أن تقرر فيه إقامة مهرجانات دولية ومسابقات لتلاوة كتاب الله.

وحققت (المملكة العربية السعودية) السبق في تبني هذه الفكرة في نطاق وزارة الحج والأوقاف وأقيمت أربع مسابقات:

المسابقة الأولى عام ١٣٩٩ ﻫ (١٩٧٩م).
المسابقة الثانية عام ١٤٠٠ ﻫ (١٩٨٠م).
المسابقة الثالثة عام ١٤٠١ ﻫ (١٩٨١م).
المسابقة الرابعة عام ١٤٠٢ﻫ (١٩٨٢م).

وكان عدد المتسابقين في الأعوام الأربعة التي مضت كبيرا، وهذا العام بلغ عدد المتسابقين (١٣٤) متسابقاً يمثلون (٢٥) دولة و (٣١) جمعية.

وقد قسمت المسابقة الى خمسة فروع بحيث تستوعب الحافظين والمجودين والمرتلين والمفسرين للقرآن. وهذه الفروع هى:

١ ــ فرع حفظ القرآن كاملا مع التجويد وتفسير الجزء الثانى وتسابق فيه ١٠ أشخاص.
٢ ــ فرع حفظ القرآن كاملا مع التجويد وتسابق فيه ٣٦ شخصاً.
٣ ــ فرع حفظ عشرين جزءاً من القرآن مع التجويد وبه ١٧ شخصاً.
٤ ــ فرع حفظ عشرة أجزاء من القرآن وبه ٣١ شخصاً.
٥ ــ فرع ترتيل القرآن مع حسن الصوت وحفظ جزء واحد منه وبه ٤٠ شخصاً.

وهدفت المسابقة من هذا التوزيع شدَ الشباب للمشاركة في هذه الفروع حسب طاقة كل منهم وظروفه.

وبفضل الله تتوسع المسابقة عاما بعد عام، ويزيد الإقبال عليها من كل مكان.

ووزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية معنية بهذا التوسع، ودعم المسابقة والقيام بكل ما يساعد على تحقيق غاياتها الخيرة.

والمأمول أن يأتى اليوم الذي يكون فيه مبنى الأمانة العامة للمسابقة حقيقة يشاهدها المسلمون كدليل جديد على رعاية حكومتنا الرشيدة لكل ما له صلة بالقرآن وتدارسه وحفظه.

والمأمول كذلك أن ينشأ قريبا معهد القراءات وعلوم القرآن ليكون رافداً من روافد المسابقة يمدها بالمتسابقين المتدبرين لآيات الكتاب الحافظين له بحفظ الله.


مختارات من
الصحف

وَا إسْلامَاهُ...!

وصلت الرسالة التالية من سيدة يعمل زوجها في العاصمة الإندونيسية جاكارتا · ونقدم الرسالة كما هي بعد حذف الفقرة الأولى وهي : المتضمنة السلامات والتحيات : التحقت بنتي بالمدرسة الباكستانية ·· وهى المدرسة المسلمة الوحيدة هنا لتعليم الأجانب اللغة الانجليزية لان الحكومة هنا لم تصرح بفتح مدارس إسلامية كثيرة ولكنها أعطت تصريحاً بفتح ألفي مدرسة تبشيرية للدميسكو التابع للفاتيكان رغماً عن أن عدد سكان اندونيسيا حوالي ١٢٠ مليون نسمة ٩٥ ٪ منهم مسلمون و ٥ ٪ ديانات متعددة منها البوذية وهى الأغلبية ومنهم عبدة النار وحوالى ١٪ منهم مسيحيون ·

ولا تتخيلي هنا شرطاً من شروط إنشاء هذه المدارس هو أن تكون الإدارة وهيئة التدريس من المسيحيين التابعين للكنيسة والصليب معلق فوق كل سبورة في كل فصل لتثبت صورة التبشير وبشدة ·

وهنا ــ في جاكارتا ــ وبسهولة شديدة يشترون الناس اما بالأرز حيث ترتفع نسبة البطالة وخاصة أن الأمطار هذا العام لم تهطل ··

وتمر أندونيسيا بموسم جفاف شديد وهذا الأمر غير معتاد في هذا الوقت من السنة حيث كانت تهطل الأمطار مرتين أو ثلاثاً في اليوم ولمدد تصل في الغالب ما بين ساعتين وثلاث ساعات في المرة الواحدة ·· والزرع يجف من قلة المطر وشدة حرارة الجو والشمس حارقة يعنى الناس هنا يمرون بمحنة وحملات بلا رحمة لشراء النفوس ·· تجدين الشخص مثلا منهم يحمل ورقة فيما يشبه بالبطاقة الشخصية ولكنها تصريح له للخروج من محافظته الى المنطقة التي يرغب الانتقال إليها ··

تجدين ديانته مدونة كالآتي (مسلم ــ مسيحي ــ كاثوليك) وهذا دليل على الضغط الذي يواجهه ··

لا يوجد رزق في مقابل وعود بعمل في شركة للبترول ومال وفير أو أن يتغاضوا عن طفل من أطفالهم مقابل تعليمه وإعطائهم الأرز الكافي لحياتهم حيث هو عماد حياتهم هنا يأكلونه ثلاث مرات يومياً وفي مقابل هذا العطاء والعلاج المجاني حيث هنا العلاج باهظ ولا توجد مستشفيات مجانية لغير القادرين وطبعاً القادرون هنا فقط الجنس الصيني أي الصينيون

الذين استقروا هنا وأصبحوا من الثراء بحيث يمسكون بزمام البلاد في أيديهم وجميعهم مسيحيون أما الاندونيسي فهو فقير مقهور حتى الذي يحظى بقدر من المال فهو مسكين أمام الأخطبوط الصيني الذي يستطيع أن يمحقه ويعلن تفليسه في دقائق لأن زمام التجارة والاقتصاد هنا في يد الصينيين تجدين الأسرة الصينية هنا لديها ـ ليس فقط ـ فيلات بل قصور فخمة ·· وتجدين الشخص منهم يمتلك ثلاثة قصور في أنحاء متفرقة وسيارات وخدماً وحشماً ·· ويحولون أموالهم على الفور للخارج خشية ثورة الشعب عليهم ·· ولا توجد هنا شغالة مسيحية كلهن مسلمات فقط وتتفشى الأمراض الخلقية حيث يأمر صاحب المنزل الخادمة بأن تقيم في نفس غرفة الخادم أو السائق أو جميعهم في غرفة واحدة ·· وإذا رفضت تطرد ويقفل أمامها باب الرزق ·· وأمام إغراء الهدايا والأموال التي تغدق في سبيل تنصيرهم يضعف إيمان البعض ·· وأي ضعف ·· فليغفر الله لهم ويرحمهم ويعز الإسلام والمسلمين ·

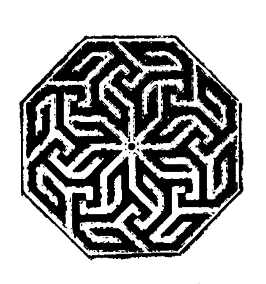
ونحن هنا نحاول مقاومة هذا ببث روح الإسلام وإحيائه في نفوس الناس الذين نخالطهم والله في عوننا جميعاً ·

(الرياض)

تعـــليق :

هذه رسالة تحمل أخباراً تتقطع لها نياط القلوب أسى وحسرة ، وإلى الله عز وجل وحده اللجأ والضراعة من خالص قلوبنا أن يجمع شتات المسلمين ويوحد شملهم ويربط على قلوبهم ليدحروا أعداء الله ويُعلوا كلمة الحق خفاقة في دروب العالمين ·

(مجلة الجامعة الإسلامية)



أحداث

العالم الإسلامي



الندوة الرابعة
لعمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة

استضافت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ندوة عمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة في اللقاء الرابع لأعمال هذه الندوة . وذلك في المدة من يوم الإثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ إلى يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ٠

وجاءت ندوة عمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة التى بدأت أول لقاءاتها في جامعة الملك عبد العزيز بجدة في المدة من ٢٨ إلى ٣٠ من المحرم ١٤٠٠ هـ استجابة طبيعية لإدراك أهمية الدور التربوي لعمادات شئون الطلاب وأهميته في إعداد الطالب الجامعي . وتوالت أعمال هذه الندوة عبر السنوات فكان اللقاء الثاني في جامعة البترول والمعادن بالظهران في المدة من ١٥ إلى ١٧ صفر ١٤٠١ هـ . وكان اللقاء الثالث في جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ . وكان اللقاء الرابع لهذه الندوة في الجامعة الإسلامية هذا العم من ٢٦ إلى ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ استكمالا ومتابعة لما بدأته في أول لقاءاتها في جامعة الملك عبد العزيز

وقائع الندوة الرابعة :

كان موضوع « الإسكان الطلابي : الواقع والتطلعات » هو الموضوع الذى حددته الندوة للبحث في اللقاء الرابع الذى تم في الجامعة الإسلامية ٠

حفل الافتتاح :

بحضور سعادة الدكتور محود محمد سفر وكيل وزارة التعليم العالي نائباً عن معالي الوزير الشيخ حسن آل الشيخ . وتحت رعاية سعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة المدينة المنورة أقيم حفل الافتتاح للندوة الرابعة لعمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة مساء يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية . وحضر الحفل معالي الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى وفضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية . ووفود من عمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة تضم العمداء ووكلاءهم وعدداً من العاملين في عمادات شئون الطلاب ٠

بدأ الحفل بتلاوة آيات من لقرآن الكريم بعدها ألقى الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية الكلمة التالية

كلمة الجامعة الإسلامية

للدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

سعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة .

معالى الشيخ راشد الراجح مدير جامعة أم القرى .

سعادة الدكتور محمود سفر وكيل وزارة التعليم العالى .

الإخوة عمداء شئون الطلاب بجامعات المملكة .

أيها الإخوة الحضور .

أرحب بكم في هذه الجامعة ، وفي هذه الأرض الطيبة . وأشكر لكم هذه المشاركة .. وإذا كان لي كلمة في هذه المناسبة فإنها لا تختلف عما سمعه الكثير منا في الندوات السابقة التى عقدت في كل من جامعة الملك عبد العزيز وجامعة البترول والمعادن وجامعة الملك سعود . إلا أن للمكان الذى نجتمع فيه وللمدينة التى نعيش في رحابها هذا اليوم شيئا يستحق منا الوقفة والتعليق . أيها الأخوة نعيش اليوم في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعود بنا الذكريات إلى تلك الأيام الأولى حينما احتضنت هذه المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت بعد ذلك بنشر دعوته .

في هذه الرحلة الذهنية نتذكر المجتمع الأول للمدينة فنتذكر الصُفَّةَ وأهلَ الصُفَّةَ الذين يمكن أن يكونوا أول مجتمع طلابي أو سكن جماعي في تاريخ التربية الإسلامية . من ذلك المكان انطلقت الدعوة الأولى . من ذلك المكان حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أكتاف أولئك الرجال قامت دعوة الإسلام فانتشرت في أرجاء المعمورة . أناس التقوا من كل حدب وصوب لينهلوا من المعرفة القرآنية - ومن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم أخذوا ما يَسَّرَ الله لهم فانطلقوا بذلك إلى أرجاء الأرض فمكن الله لهم . ونحن نعيش الآن على تلك الذكريات .

وفي هذا اللقاء نجتمع في الجامعة الإسلامية هذه اليد البيضاء التى أسدتها المملكة العربية السعودية للعالم الإسلامي فالتقى بها المسلمون من كل جانب لينهلوا من المعرفة . حيث العقيدة الصافية . والسلوك الإسلامي المستقيم . ليعودوا إلى قومهم - إن شاء الله - مبشرين بالخير . ومنذرين من الشر . ولا تختلف الجامعة الإسلامية عن غيرها من جامعات المملكة في التعامل مع الطلاب إلا أنها تعطي عناية أكثر نتيجة للخلفيات المتباينة التى يأتي منها هؤلاء الطلاب .

ونرجو أن يكون في هذا اللقاء ما يعيننا في هذه الجامعة على أن نسير بها السيرة المثلى - وأن تحقق - من خلالها - حكومتنا - وعلى رأسها جلالة الملك وفقه الله ورجال الدولة المخلصون - ما يصبون إليه من رفعة الإسلام وإعزاز المسلمين ·

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أشكر لتلك الجامعات التى استضافت هذه الندوة في المرات السابقة . وأستميحكم العذر عن أى تقصير حصل أو يحصل في هذه الندوة إلا أن الجامعة تضع بين أيديكم ما توصلت إليه من برنامج يمكن أن يكون .مُسْوَدَّةَ عمل - وهو قابل للتعديل . فيما ترون أنه يحتاج إلى تعديل ·

أيها الإخوة : أشكركم . وأتمنى لكم التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

كلمة عميد شئون الطلاب بجامعة الملك سعود

ثم ألقى سعادة الدكتور محمد ناصر الوهيبي عميد شئون الطلاب بجامعة الملك سعود والأمين العام السابق للندوة الثالثة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . إن الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وبعد :
فإني أمقت الإطالة . ولكن لابد مما ليس منه بد فأنا كما قال أخي مقدم البرنامج « الأمين العام السابق » للندوة . وأحمد الله على أن الأمانة ستنتقل إلى أيد أمينة في رحاب طيبة الطيبة وكما كان الشأن لنا مع ندوتين سابقتين أولاهما في جامعة الملك عبد العزيز والثانية في جامعة البترول والمعادن نجد من الضرورة أن نبين للإخوة أن هذه الندوات لم تأت من فراغ . بل إنها جاءت نتيجة لبذل في الجهد والوقت والمال إذ كانت عمادات شئون الطلاب قد أخذت على عاتقها النهوض بما من شأنه توفير الرعاية للطلاب والطالبات ·

وقد تحقق لنا من خلال اللقاءات المتعددة أن نحدد الأهداف المرجوة من إقامة تلك الندوات نذكرها على سبيل الإيجاز :

١ ـ تبادل الأفكار والخبرات حول العمل في المجالات الطلابية ·

٢ ـ تحقيق التعاون في مجالات الأنشطة وتبادل الزيارات ·

٣ ـ التعرف على مشكلات العمل واقتراح الحلول المناسبة لمواجهتها ·

٤ ـ تعدد اللقاءات بين المسئولين في العمادات للوصول إلى منهج مشترك ·

٥ ـ الحرص على توحيد اللوائح والهياكل التنظيمية بين العمادات لنصل إلى ما نريده من خير للطلاب في ظل عقيدتنا الإسلامية ·

وكما قلت فإن الندوة الثالثة التى تشرفت بأمانتها كانت امتداداً طبيعياً لندوتين رائدتين : الندوة الأولى ونظمتها جامعة الملك عبد العزيز والندوة الثانية ونظمتها جامعة البترول والمعادن ·

لقد تحقق الكثير من الإنجازات ليس فقط في مجال التوصيات وإنما أيضاً في مجال الأنشطة المشتركة وتبادل الخبرات . ورفع مستوى الأداء وتحقيق الكثير في مجال الرعاية والخدمات . وقبل كل هذا وبعده فقد أخذت العمادات مكانتها الجديرة بها على كل المستويات .

وفي جامعة الملك سعود التى عقدت فيها الندوة الثالثة كانت هناك التوصية الخاصة بتوحيد الهياكل التنظيمية واللوائح . وبخصوص هذه التوصية :

فقد تم إنجاز مشروعات لوائح محذدة منها :

أ ـ اللائحة الموحدة لعمادات شئون الطلاب .

ب ـ لائحة الهيكل التنظيمي .

جـ ـ لائحة الإسكان الطلابي .

د ـ لائحة تشغيل الطلاب .

هـ ـ لائحة تأديب الطلاب .

وبشأن التوصية الخاصة بالوضع الوظيفي والمعاملة المالية للعاملين بالعمادات . وتنفيذ برامج تدريبية لهم :

شكلت لجنة تضم سعادة وكيل وزارة التعليم العالى وعمداء شئون الطلاب ورفعت توصياتها لمعالى وزير التعليم العالى :

أ ـ توفير الامكانات البشرية والمالية لقطاع الرعاية الطلابية وإعطاؤه أولوية على باقي القطاعات .

ب ـ تعزيز البند ٢٥٤ الخاص بالنشاط الثقافي والرياضي وتعميمه على جميع الجامعات .

جـ ـ إصدار الإدارة العليا للجامعات توجيهاتها للكليات والمعاهد للتعاون مع عمادات شئون الطلاب والمشاركة في أنشطتها لتحقيق رسالة الجامعة التربوية والتعليمية .

د ـ تقديم مكافأة مادية ومعنوية لكل عضو هيئة تدريس يشارك في النشاط الطلابي مع تخفيف العبء الأكاديمي عنه بما يتناسب مع مسئوليته في النشاط .

هـ ـ معاملة العاملين في الأنشطة والرعاية الطلابية في الجامعات معاملة زملائهم في الرئاسة العامة لرعاية الشباب من حيث البدلات .

و ـ قيام تنسيق بين وزارة التعليم العالى وديوان الخدمة المدنية ومعهد الإدارة العامة لتدريب العاملين مع إيجاد حوافز لهم .

ز ـ قيام معالى وزير التعليم العالى باستصدار توجيه من المقام السامى إلى وزارة المالية يدعم ميزانيات عمادات شئون الطلاب والتجاوب مع طلباتها .

● وفي مجال التوصيف الوظيفي للعاملين بعمادات شئون الطلاب ويشمل مسميات الوظائف والمراتب وواجبات كل وظيفة والشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة ورفع هذا التوصيف إلى ديوان الخدمة المدنية والجهات المسئولة لإقراره :

في مجال هذه التوصية الخاصة بالتوصيف : كَلَّفَ الأمينُ العام للندوة لجنةً من الأساتذة المتخصصين في الإدارة العامة بكلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود بإعداد دراسة حول الموضوع . وقد قامت اللجنة بالدراسة المطلوبة وقدمت تقريرها إلى الأمينُ العام الذي رفعه بدوره إلى أصحاب السعادة عمداء شئون الطلاب مع استمارة التوصيف المقترحة .

وفي حالة الموافقة على خطة العملِ فإن الأمر يحتاج إلى قرابة العام . وإلى تعاون كل العمادات مع توفير الإمكانات لتوفير المطلوب .

- وفي مجال الإعداد للندوة الرابعة فقد التقت كلمة الأمانة العامة على أن يكون الموضوع الرئيسي « الإسكان الطلابي : الواقع والتطلعات » تأكيداً لدور الرعاية الطلابية في تكوين شخصية الطالب الجامعي .

ويطيب لي بإسم الأمانة العامة للندوة الثالثة لعمادات شئون الطلاب أن أشكر أصحاب المعالي مديري الجامعات ، وأشكر لمعالي وزير التعليم العالي الذى أناب عن معاليه سعادة الدكتور محمود محمد سفر وأتمنى أن يكون ـ كما عودنا ـ همزة وصل بيننا وبين معاليه . وأشكر أيضاً أصحاب السعادة وكلاء الجامعات وعمداء شئون الطلاب لرعاية كريمة قدموها . ولتعاون كريم أظهروه . كما يطيب لي أن أشكر إخواني العاملين بعمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة فقد كان لتعاونهم أثره الكريم في إنجاز ما تحقق .

ويطيب لي بإسم الأمانة العامة للندوة الثالثة أن أشكر الجامعة الإسلامية ممثلة في معالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب الرئيس على كريم تفضله بأن جعل في يد الندوة حرية التصرف في البرنامج ، فأكثر الله خيره وَنَعِدُه بأن نكون أمناء على هذا البرنامج : وأشكر لسعادة أخي عميد شئون الطلاب والإخوة العاملين بالعمادة لاستضافتهم الكريمة للندوة الرابعة التى شرفها الله أن تكون في رحاب مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وأتمنى أن نوفق دائماً أبداً للوصول إلى الأمثل . ونعاهد الله أن نكون أمناء على ما استرعانا الله إياه .

هديةِ جامعة الملك سعود إلى الجامعة الإسلامية

وختم سعادته كلمته بتقديم هدية تذكارية للجامعة الإسلامية وقدمها بقوله :

إن جامعة الملك سعود احتفلت في العام الماضي بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشائها وقد اختارتِ معلماً حضارياً من معالمها وهو برج مدينة الرياض . ويسعد عمادة شئون الطلاب بجامعة الملك سعود أن تقدمه للجامعة الإسلامية ليشعرنا فقط بذكرى حضورنا لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأشكر مرة أخرى جميع الحضور وأتمنى أن نحظى بتأييدهم . سعادة الشيخ سعد السديري وكل الحضور ونعلق الآمال على الله.وعليهم أن لا يبخلوا علينا بالتوجيه وبالمؤازرة بالنسبة للمسئولين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية
لفضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شئون الطلاب بالجامعة

ألقى فضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم .. سعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة . أصحاب الفضيلة والسعادة . أيها الحفل الكريم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فإنها فرصة سعيدة تتاح لنا في الجامعة الإسلامية إذ نلتقي بالإخوة المربين القائمين على شئون الطلاب في جامعاتنا السعودية . فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً . وحياكم الله في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم مهد النور ومأرز الإيمان . وأشكر الله سبحانه الذى يسر هذا الاجتماع الذى أرجو أن يجعل من ثماره كل خير ونفع لجامعاتنا وأبنائنا الطلاب .

أيها الإخوة الأفاضل : لا يخفى عليكم أن البشرية اليوم تعاني من أزمات هذا العصر . والتى تزداد تعقيداً وإرهاقاً يوماً بعد يوم . لأن الفكر الذى يشكل الإنسان المعاصر يقوم على حضارات تحمل في أسّها عناصر التحطيم والفناء . والمنهجَ التربويَّ العالميَّ بمعطياته الجاهلية يعيش بإنسان هذا العصر في حلقة مفرغة . يُذْهب حياته وجهده في الضياع ويدمِّرُ في كيانه أمْنَه الذاتِيّ مما يجعل المسئولية الملقاة على كواهل المربين وأهل الفكر في جامعاتنا مسئولية جسيمة . أنها مسئولية إعادة المركب الذى تقاذفته الرياح والأمواج إلى شاطىء الأمن والسلام .

أيها الإخوة : إن عمليةَ الإشراف على الطلاب تتطلب أمرين لا يجوز التفريط في احدهما :

الأمر الأول : العمل على توفير كل ما يريح الطالب . ويهيىء له الجو المناسب لتحصيله العلمي من سكن وغذاء ورعاية ونشاط . وأعتقد أن جامعاتنا خطت فيه خطوات إيجابية . والتفكيرُ في تطويره واستمراره مستمر ومتواصل .

الأمر الثاني : وهو ما ينبغي أن يكون محل العناية الفائقة من الجامعات بصفة عامة ومن عمادات شئون الطلاب بصفة خاصة ـ وهو كذلك إن شاء الله ـ وهو الجانب التربوي والثقافي المتصل بالنواحي الروحية والعلمية . ووضع الخطط الناجحة والبرامج المعطاءة في سبيل إعداد الطالب إعداداً يجعله صاحب رسالة ورجل دعوة متبصراً بالنور الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتجعله في الوقت نفسه متطهر الفكر والضمير من كل ما يدنسه .

وهذا الأمر من الخطورة بمكان . وهو ما حدا بالإخوة في عمادات شئون الطلاب أن يعملوا على الإلتقاء في مثل هذا الاجتماع حتى تُوَحَّد الجهودُ وتكرَّس في سبيل الوصول بشباب جامعاتنا إلى الأهداف المرجوة منهم إن شاء الله خاصة وأن شباب هذه البلاد وشباب الجامعات مستهدفون من الشرق والغرب بفضل ما يحظون به ويلقونه من رعاية وتربية سليمة .

وكل الإخوة بفضل الله يدركون أن السبيل الوحيد إلى ذلك إنما هو التربية وفق شريعتنا الغراء التى تقوم على النور الذى بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم . ثم غرسْ هذا النور في نفوس هؤلاء الشباب حتى يُعطىَ لحياتهم وسعيهم جدوى وكدحهم في الطلب أملا ورغبة في الخير .

هذا وختاما أتوجه بالشكر لمقام وزارة التعليم العالى التى تشجع على إقامة مثل هذه الندوة . ولمديري الجامعات الذين يولون هذه الندوة كل عناية وتقدير داعيا الله سبحانه أن يكلل جهود الجميع بالنجاح وأن يجعلنا عند حسن ظنهم .

وأتقدم بأسمى آيات الشكر لسعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة فجزاه الله خيرا .

كما أتقدم بالشكر لكل من شارك في هذه الندوة أو أعَدَّ لها . وأخص بالذكر الإخوة الأفاضل عمداء ومسئولى شئون الطلاب في جامعاتنا والذين يبذلون جهودا مضنية لتوفير كل أسباب الرعاية والراحة لأبنائهم الطلاب فجزى الله الجميع الخير وسدَّد خطانا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة سعادة وكيل وزارة التعليم العالى

ثم ألقى سعادة وكيل وزارة التعليم العالى الدكتور محمود محمد سفر الكلمة التالية في حفل افتتاح الندوة الرابعة لعمادة شئون الطلاب في الجامعة الإسلامية .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله حمداً كثيرا كما أمر والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم :

أيها الإخوة الأعزاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

انه لمن دواعي سروري وغبطتي أن أكون بينكم اليوم في هذا اللقاء الذى يأتي كواحد من سلسلة لقاءات ممتدة أثمرت بحمد الله وسوف تثمر ـ باذن الله ـ مزيدا من الانجازات في مسيرة جامعاتنا الفتية . تلك الانجازات التى تأتى متناسقة ومتكاملة مع الجهد البارز والبذل اللامحدود لحكومة جلالة الملك المعظم في سبيل العناية بالإنسان الذى هو أغلى وأعز ثرواتنا والذى نبدأ به جميع خططنا ونصل به إلى طموحاتنا وإليه تنتهى تلك الخطط والطموحات .

وخصوصية عناية عمادات شئون الطلاب برعاية الطالب خلال دراسته الجامعية ـ عقائديا وتربويا واجتماعيا وثقافيا ورياضيا في المسكن والفصل والمعمل والمكتبة إنما يضع عليها عبئاً ضخما ومسئولية كبيرة لا أشك أنكم كعمداء لهذا القطاع الهام تستشعرونها وتعملون على القيام بها بكل ما تملكون من طاقة وما يتوفر لكم من امكانيات .. وهي مسئولية كبيرة لأنها تتعلق برعاية وتنمية تلك الثروة البشرية اللامحدودة والتى اذا ما أحسن إعدادها وتعليمها ورعايتها فإنها ستكون بإذن الله وقوته زاداً لمسيرة الخير والنماء وقوة دفع لها على طريق الحق والرشاد .

أيها الاخوة الزملاء، عمداء شئون الطلاب :

إن مسؤوليتكم كبيرة لأنها تتولى رعاية النشء والعناية به في أدق مراحل عمره ـ تلك المرحلة الحرجة التى تتبلور فيها شخصيته ويتم فيها تكوينه العلمي والثقافي والاجتماعي ليخرج لمجتمعه إنساناً مسلما ملتزما متخصصا ومؤهلا ليواجه الحياة ومعتركها بإيمان وعلم وعزم وتصميم .

من هنا أيضا كان من المحتم والضروري أن تتكامل في تلك المرحلة كل من الأنشطة الصفية والأنشطة اللا صفية وأن يمتزج التكوين العلمي مع التكوين الاجتماعي والثقافي والرياضي لبناء إنسان متزن وملتزم مدعم بقيم الحق والخير ومسلح بسلاح العلم النافع والإيمان الصافي ومؤهل لقيادة تطور مجتمعه وتطوير أمته التى تتطلع إليه بأمل وشوق .

أيها الأخوة الزملاء :

ان الموضوع الذى تجتمعون من أجله هو « الاسكان » وهو موضوع ذو أهمية خاصة وأبعاد كبيرة فبعد نجاح تجربة الاسكان الجامعي في جامعاتنا اتسعت دائرته وتشعبت قضاياه وتكونت لدى المسؤولين عنه حصيلة كبيرة من الخبرة والممارسة . وطرحه بجميع أبعاده على طاولة البحث والنقاش بتخصيص هذه الندوة جاء في الوقت المناسب وله دلالته الايجابية بدون شك لأن تبادل الخبرة بين الجامعات في أمر الاسكان الجامعي والتشاور في ما قد يعترضه من قضايا لهو بادرة جيدة تعبر عن طموحاتكم للوصول بهذه الخدمة الى المستوى الذى نتطلع اليه لأن الفترة التى يقضيها الطلاب في الإسكان الجامعي خلال الدراسة تترك أثرها في حياتهم وتظل ملتصقة بأذهانهم بعد تخرجهم بما تحمله من ذكريات ومواقف .

ان اجتماعنا أيها الأخوة اليوم انما هو تعبير صادق وأكيد عن مدى إصرار جامعاتنا المتنامي والمتجدد والنابع من رغبة حكومة جلالة الملك المعظم على توفير الرعاية وأسباب الطمأنينة لشباب الجامعات بنوعيه وهي فرصة مناسبة لمراجعة كافة التجارب والنظر فيما وصلنا إليه وما نطمح في الوصول إليه .

وانى لعلى ثقة ويقين من أن استمرار هذه اللقاءات وامتدادها كفيل بأن يصل بحول الله بالخدمات الطلابية الى المستوى الذى تتطلعون اليه وتحلمون به ولن يتحقق ذلك إلا بالعزم والاخلاص والمثابرة التى وهبها الله لكم .

وانى اذ أدعو الله أن يتمم أعمال ندوتكم هذه بالنجاح والسؤدد . أسأله وهو العلى القدير لكم التوفيق والسداد في كافة ما تخططون له وتعملون على تنفيذه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

كلمة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة

ثم كانت الكلمة التالية لسعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة ألقاها في حفل الافتتاح للندوة الرابعة لعمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة :

بسم الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن والاه ..

أيها الأخوة الأعزاء أرحب بكم أجمل ترحيب بالمدينة المنورة مثوى المصطفى صلى الله عليه وسلم .. أرحب بكم في رحاب الجامعة الإسلامية : هذه الجامعة التى نفتخر بها ، وتعد من منارات العلم التى وفقت حكومتنا الرشيدة بإنشائها في هذا البلد الطاهر بالذات : لخدمة الدين الإسلامي ولتكون مناراً لأبناء الأمة الإسلامية يعبون منها العلم النافع ويتفقهون في دينهم لينشروه في أصقاع المعمورة ·

أيها الاخوة نحيى إجتماعكم هذا المبارك فأنتم تساهمون بإقامة وصقل القاعدة من الكفاءات الوطنية في مختلف التخصصات التى يبنى عليها مستقبل بلادنا الزاهر · إن الجامعات السعودية خطت خطوات كبيرة وتساوت ان لم تكن قد تجاوزت بعض الجامعات العربية التى سبقتها ومحل الفخر أن الكفاءات السعودية التى حصلت على الشهادات العليا أصبحت تشكل نسبة كبيرة في هيئة التدريس ·

وهذا ناتج من التخطيط السليم فقد بدأ هذا التخطيط منذ انشاء أول وزارة للمعارف كان وزيرها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله فقد بدأ يخطط لهذه النهضة العلمية الجبارة التى وصلت إليها بلادنا الغالية وسوف تزداد نمواً وشموخاً في المستقبل ·

أيها الأخوة على هممكم ونشاطكم ومثابرتكم يكون النهج المستقبلى للعلم النابع من إطار دستور هذه البلاد الشريعة الإسلامية ومن قيمنا المتوازنة التى سيكون نجاحنا مضمون ما دمنا نسير في مضمار ذلك · سدد الله خطاكم وجعل المولى التوفيق حليفكم والله يرعاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

أعمـــال النـــدوة وتوصيـــاتها

بعد الانتهاء من حفل الافتتاح في مساء اليوم الأول الاثنين والذى عرضنا وقائعه والكلمات التى قيلت فيه توجه المشاركون في أعمال هذه الندوة لحضور حفل العشاء الذى أقامته الجامعة الإسلامية تكريما لهم ·

وفي الأيام التالية تابعت الندوة أعمالها إذ كونت أربع لجان عمل تابعت أعمالها للبحث في الموضوع الذى خصص لها ، وكان تشكيل اللجان على الوجه التالى :

١ ـ اللجنة الأولى لدراسة أهداف وأسس الإسكان الطلابي ·

٢ ـ اللجنة الثانية لدراسة واقع الإسكان الطلابي وتطلعاته ·

٣ ـ اللجنة الثالثة لدراسة أثر الإسكان في بناء شخصية الطالب ٠

٤ ـ اللجنة الرابعة لدراسة إسكان المتزوجين ٠

وتابعت هذه اللجان أعمالها في جلسات صباحية ومسائية على امتداد يومي الثلاثاء والأربعاء ٠

واختتمت اللجان أعمالها في حفل ختامي تكريمي في تمام الساعة العاشرة من مساء يوم الأربعاء ٠ سبقه اجتماع موسع للجنة الصياغة التى كتبت التوصيات التى أصدرتها الندوة الرابعة بعد مناقشتها وإقرارها ٠

وقد استهل حفل الاختتام بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم أعقبها كلمة شكر وتقدير للمشاركين في أعمال هذه الندوة ألقاها فضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية ٠ ثم ألقى سعادة الدكتور محمد ناصر الوهيبي عميد شئون الطلاب بجامعة الملك سعود والأمين السابق للندوة كلمة المشاركين في هذه الندوة ثم قرأ سعادة الدكتور خالد العجيمي عميد شئون الطلاب بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية قرأ التوصيات التى انتهت إليها الندوة في لقائها الرابع ٠

ثم كانت كلمة ختامية للدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بهذه المناسبة شكر فيها العمداء الذين أسسوا لهذه الندوة والذين يمارسون هذه المهام ولوكلائهم وعمدائهم وأكد على أهمية الدور الذى تقوم به عمادات شئون الطلاب في مجال رعاية الطلاب وتربيتهم وتوجيههم التوجيه التربوي الإسلامي القويم ٠

ثم ألقى فضيلة الشيخ صالح بن سعود العلي مدير المعهد العالى للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة بهذه المناسبة أشاد فيها بالدور الهام الذى تقوم به عمادات شئون الطلاب في جامعات المملكة كما شكر الجامعة الإسلامية على ما لقيه المشاركون في الندوة من كرم الضيافة الذى لا يستطيع التعبير أن يوفيه حقه مستشهداً بقول المتنبى :

لا خيل عندك تهديها ولا مال — فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

وفي الختام قدمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هدية ثقافية للجامعة الإسلامية وهي عبارة عن مجموعة من مطبوعات جامعة الإمام ٠

توصيات الندوة الرابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة

أعلنت الندوة الرابعة لعمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة التوصيات والقرارات بعد اجتماع اللجان الفرعية المختصة بالنظر في الموضوعات ٠ وقد اشتملت هذه التوصيات على :

أ ـ توصيات عامة

ب ـ وتوصيات اللجان الأربعة الفرعية على النحو التالى :

أولا : التوصيات العامة :

١ ـ تشكيل مكتب دائم لمتابعة توصيات ندوات عمادات شئون الطلاب والعمل على تنفيذها ، وتضع له الأمانة العامة للندوة لائحته التنفيذية ·

٢ ـ الأخذ بعين الاعتبار ما انتهت اليه الأمانة العامة للندوة الثالثة من مشروعات لتوحيد اللوائح والهياكل التنظيمية في عمادات شئون الطلاب ·

٣ ـ قيام الأمانة العامة بتشكيل لجنة لبحث الإسكان الطلابي في المدن الجامعية بجامعات المملكة للتوصل الى تحقيق أفضل السبل لتطبيق ما جاء في توصيات هذا اللقاء ·

٤ ـ قيام الأمانة العامة بترتيب برنامج لتبادل الزيارات والخبرات للمسؤولين والعاملين بعمادات شئون الطلاب ·

٥ ـ قيام الأمانة العامة للندوة بالتنسيق مع ديوان الخدمة المدنية ووزارة المالية لتصنيف كادر خصوصي موحد لمن يقومون بالاشراف على الوحدات السكنية مع توحيد المعاملة المالية لهم ·

٦ ـ توحيد جهاز التعليم الجامعي للطالبات والاشراف على رعايتهن في جهة موحدة توفر لها الطاقات والامكانيات المناسبة ، وذلك في ضوء معاينة عمادات شئون الطلاب لمشكلات إسكان الطالبات ·

٧ ـ عقد لقاء خاص للأخوات المسؤولات عن شئون الطالبات بجامعات المملكة وذلك لدراسة شئون الطالبات ، ورفع توصياتهن للأمانة العامة للندوة لاتخاذ ما تراه بشأنها ·

٨ ـ التأكيد على الأمانة العامة بالاستمرار في تنفيذ توصيات اللقاءات الثلاثة السابقة وتذليل الصعوبات التى تعترض ذلك ·

٩ ـ توجيه الشكر لجامعة الملك سعود وعمادة شئون الطلاب فيها للنهوض بأعباء الندوة الثالثة ومتابعة توصياتها ·

١٠ ـ توجيه الشكر للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعمادة شئون الطلاب فيها لاستضافتهم الكريمة . وحسن إعدادهم للندوة الرابعة في رحاب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ·

١١ ـ قبول الدعوة الموجهة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لاستضافة اللقاء الخامس بها ، وتقديم الشكر على هذه المبادرة لمعالى مدير الجامعة وسعادة عميد شئون طلابها ·

١٢ ـ اسناد مهام الأمانة العامة للندوة لعمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية ويكون عميد شئون الطلاب بها أمينا عاما لحين اللقاء الخامس ، وتتمنى الندوة للأمانة العامة كل توفيق في مهمتها ·

١٣ ـ رفع توصيات هذا اللقاء الى معالى وزير التعليم العالى والرئيس الأعلى للجامعات والى أصحاب المعالى مديري الجامعات والى الجهات ذات العلاقة ·

ثانيا : توصيات اللجان الفرعية

(توصيات اللجنة الأولى) : أهداف وأسس الإسكان الطلابي

أ ـ أهداف الإسكان :

١ ـ تحقيق مجتمع إسلامي متكامل لأبنائنا الطلاب وترسخ فيه عقيدة الإسلام · وتسود فيه قيمه الرفيعة . وتذوب فيه الحواجز العرقية والأقليمية ·

٢ ـ بناء شخصية الطالب المتكاملة وتدريبه على تحمل المسئولية والأعمال القيادية . وتعويده على الانضباط ·

٣ ـ تدريب الطلاب على المشاركة والاندماج في حياة اجتماعية سليمة تؤهلهم لخدمة دينهم ومجتمعهم ·

٤ ـ التعرف على مشكلات الطلاب والعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها ·

٥ ـ تأمين الاقامة المريحة للطلاب وتهيئة المناخ الملائم لهم لزيادة تحصيلهم العلمي ·

٦ ـ توفير الرعاية الصحية والنفسية للطلاب والعناية ببرامج الترويح الهادفة لهم ·

ب ـ أسس الإسكان الطلابي :

١ ـ مباني الإسكان ومرافقه :

أ ـ انشاء مدن جامعية تتوفر فيها كافة الأسس السليمة التى تحقق أهداف الإسكان الطلابي ·

ب ـ الأهتمام بتوفير المرافق الأساسية في المدن الجامعية (المساجد ـ الأندية الثقافية ـ الملاعب ـ مراكز الهوايات ـ السوق التجارية) ·· فذلك يعين على تحقيق دور الإسكان في بناء الشخصية المتكاملة للطالب ·

٢ ـ الاشراف والتوجيه :

أ ـ توفير العدد الكافي من المشرفين المتخصصين في مجالات الرعاية الطلابية ·

ب ـ الاستعانة بالموجهين الأكفاء الذين يتوفر لديهم الاستعداد على توجيه الطلاب ومعايشتهم وبخاصة الطلاب الوافدين ·

جـ ـ اتاحة الفرصة لمشاركة الطلاب في أعمال الاشراف والادارة ·

٣ ـ الرعاية الطلابية :

الاهتمام بتوفير الرعاية والأنشطة الطلابية اجتماعية . وثقافية . ورياضية . وترويحية . لتحقيق الأهداف التربوية وتنمية المواهب وتقويم السلوك ·

(اللجنة الثانية) واقع الإسكان الطلابي وتطلعاته :

١ ـ مشاركة المسؤولين في العمادات في جميع مراحل التخطيط للمدن السكنية للطلاب ·

٢ ـ الإسراع في إقامة المدن الجامعية المتكاملة بجميع الجامعات تحقيقاً لتوصيات الندوات السابقة ·

٣ ـ مراعاة ألا تزيد أدوار الوحدات السكنية عن ثلاثة أدوار وألا يزيد ساكنوها عن مائة طالب مع توفير عوامل السلامة والأمان ٠

٤ ـ الوفاء بالاحتياجات الأساسية للمدن الجامعية بتوفير المرافق الأساسية (المساجد ـ المكتبات ـ المطاعم ـ صالات الترويح ـ الأندية الثقافية ـ مراكز الهوايات ـ مواقف السيارات ـ المراكز التجارية) ٠

٥ ـ اتباع نظام الجناح أو الشقة في إسكان الطلاب بحيث تضم الشقة ثلاث أو أربع أو خمس غرف تحقق الاستقلال في النوم مع الخدمات المشتركة (صالة للمذاكرة ، المرافق) ٠

٦ ـ مراعاة ألا يزيد عدد الطلاب الذين يشرف عليهم المشرف الاجتماعي بالوحدة السكنية أثناء مناوبته عن مائة طالب ٠

(اللجنة الثالثة) أثر الإسكان في بناء شخصية الطالب :

١ ـ الحرص على رسالة المسجد التربوية في المدن الجامعية ، وارتباط الطلاب به بحسن اختيار الأئمة لإقامة الجمعة والجماعة والعناية بالقرآن الكريم (تلاوة ، وتجويداً ، وحفظاً ـ والسنة المطهرة وسائر العلوم الإسلامية) ٠

٢ ـ تنظيم برامج تدريبية لتكوين القيادات الطلابية وتحقيق مشاركة الطلاب في إدارة مدنهم الجامعية ووحداتهم السكنية ، مع إيجاد الحوافز عن طريق نظام تشغيل الطلاب ٠

٣ ـ التأكيد على أهمية الدور التربوي الذي ينهض به المشرف في مجتمع الإسكان الجامعي باعتباره دوراً مماثلاً للدور الذي يجب أن تنهض به الأسرة مع تهيئة الظروف المعينة للمشرف على تأدية رسالته ٠

٤ ـ تنسيق الأنشطة بالإسكان الجامعي ضمن خطة النشاط العامة بما يتفق مع طبيعة الإقامة بالإسكان ٠

٥ ـ تأكيد ما سبقت التوصية به من العناية باختيار المشرفين المؤهلين الذين تكون لديهم الخبرة والقدرة على التوجيه والعطاء من خلال الإدارة البصيرة والقدوة الحسنة ومعالجة ما قد يظهر من سلبيات وسط التجمع الطلابي ٠

٦ ـ وضع ضوابط سلوكية من خلال لوائح ونظم الإسكان ترعى السلوك القويم وتحافظ على سلامة المظهر العام كما تتناول وسائل تأديبية لردع المخالفين ٠

(اللجنة الرابعة) إسكان المتزوجين :

١ ـ اعتبار إسكان الطلاب المتزوجين هدفاً تسعى إليه العمادات تحقيقاً للاستقرار النفسي للطلاب وتشجيعاً لهم على الزواج المبكر ٠

٢ ـ ضرورة اشتمال كل المخططات العامة للمدن الجامعية على مساكن للطلاب المتزوجين تضم المنشآت الضرورية (المسجد ـ المدرسة الابتدائية ـ العيادة الطبية) ٠

٣ ـ توفير الاشراف والرعاية المتكاملة للطلاب وأسرهم ٠

٤ ـ صرف بدل تغذية للطلاب المتزوجين لا يقل عن ٥٠٠ ريال شهرياً .
٥ ـ زيادة بدل السكن للطالب المتزوج إلى ١٨٫٠٠٠ ريال سنوياً .
٦ ـ تسهيل إجراءات استقدام زوجات طلاب المنح وتيسير إجراءات صرف إعانة السكن لهم .

قرار بالتشكيل الجديد للمجلس العلمي للجامعة الإسلامية وتعريف بصلاحياته وإنجازاته ومشروعاته المستقبلية

صدر مؤخراً قرار من فضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتشكيل الجديد للمجلس العلمي للجامعة . وقد أسندت رئاسة هذا المجلس إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، وهو أقدم أستاذ في الجامعة الإسلامية . وذو كفاءة علمية نادرة وخبرة واسعة في شئون البحث العلمي في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية . وتولى فضيلته منصب نائب رئيس الجامعة فترة من الزمن . وقد ضم المجلس في ظل هذا التشكيل الجديد كلًا من أصحاب الفضيلة :

١ ـ فضيلة الدكتور عبد العزيز القاري عميد كلية القرآن الكريم .
٢ ـ فضيلة الدكتور أحمد عطية الغامدي عميد كلية الدعوة وأصول الدين .
٣ ـ فضيلة الدكتور أكرم ضياء العمري الأستاذ بقسم الدراسات العليا .
٤ ـ فضيلة الدكتور ربيع هادي مدخلي الأستاذ المساعد بكلية الحديث .
٥ ـ فضيلة الدكتور عبد العظيم الشناوي الأستاذ بكلية اللغة العربية .
٦ ـ فضيلة الدكتور عبد الله الغنيمان الأستاذ المشارك في الجامعة .

هذا والمجلس العلمي أحد المجالس المتخصصة وقد أنشىء بموجب نص المادة ٣٠ من نظام الجامعة الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٧٠ في ١٣٩٥/٨/٧ هـ .

وقد حددت اللائحة اختصاصاته فيما يلى :

١ ـ وضع السياسة التى يسير عليها المجلس في إعداد البحوث العلمية والتأليف والترجمة وتجميع التراث الإسلامي وتوفير العناية بحفظه وتحقيقه ونشره .

٢ ـ تنظيم القيام بهذه الأعمال وتوجيهها بما يحقق أهداف الجامعة منها والإشراف عليها ووضع قواعد تشجيعها وإعداد الخطط والبرامج لتنفيذها ومتابعتها وتيسير سبل التنفيذ .

٣ ـ اقتراح إنشاء مراكز البحث العلمي والتنسيق بينها والإشراف عليها ومتابعة جهودها وتوجيهها .

٤ ـ تنظيم الصلة مع مراكز البحوث المختلفة خارج الجامعة والتعاون معها في المجالات العلمية في إطار أهداف الجامعة .

٥ ـ تحديد المكافآت التشجيعية والتقديرية على الأعمال العلمية ·
٦ ـ نشر ما يرى نشره من بحوث ومؤلفات وكتب مترجمة وإصدار المجلات التى تخدم أغراضه ·

٧ ـ التوصية بإنشاء الجمعيات العلمية ومتاحف التراث الإسلامي والتنسيق بينها ·
٨ ـ التوصية بأن تتبنى الجامعة عقد مؤتمرات وندوات علمية محلية أو إقليمية أو عالمية والمشاركة في تنظيمها وأعمالها ·
٩ ـ وضع القواعد المنظمة لاتصال أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ومن في حكمهم بالهيئات والمؤسسات العلمية لتشجيعهم على ذلك ، ولتنظيم مشاركتهم في المؤتمرات والندوات العلمية داخل المملكة وخارجها ·
١٠ ـ اقتراح الميزانية السنوية للمجلس ·
١١ ـ تقديم تقرير سنوي شامل عن أعمال المجلس إلى رئيس الجامعة في موعد لا يتجاوز الشهر الثاني من انتهاء العام الدراسي ·

أهم الإنجازات السابقة للمجلس العلمي :

بدأ المجلس أعماله بعد استكمال تشكيله وتحديد اختصاصاته منذ عام ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ . وتمت له خلال المدة الوجيزة الإنجازات الآتية :

● في مجال البحوث العلمية والتأليف بلغ عدد الكتب والرسائل التى نظر فيها المجلس نحواً من أربعين كتاباً ورسالة ونشرة قدمها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وغيرهم . وأجاز منها ما رآه موافقا للمستوى المطلوب في ضوء المقاييس العلمية الجامعية ·

وقد تم طبع الكتب والرسائل العلمية الآتية :

١ ـ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ـ لمحمد بن الحسن بن زبالة ـ المتوفي عام ١٩٩ هـ ·
٢ ـ الضعفاء ـ لأبي زرعة الرازي ·
٣ ـ البيهقي وموقفه من الإلهيات ·
٤ ـ كتاب الإيمان لابن مندة ·
٥ ـ مرويات غزوة بنى المصطلق

وقد أحال المجلس الكتب الآتية للطبع وهي :

١ ـ كتاب الطبقات لابن سعد ـ قطعة كبيرة متعلقة بتراجم أهل المدينة ينشر لأول مرة ·
٢ ـ سؤالات الآجري لأبي داود السجستاني ·

وهناك سبعة كتب أخرى تحت الطبع ·

وقرر إحالة بعض ما وصله من كتب ومؤلفات لعدد من الخبراء المختصين لدراستها وكتابة تقارير عن صلاحيتها للنشر من حيث اتصافها بالأصالة والابتكار . وتحقيقها لأهداف الجامعة أو عدم صلاحيتها ·

ومن انجازات المجلس العلمي في دوراته السابقة دراسة التقويم القمري الموحد الذى أعدته لجنة انعقدت في اسطنبول ·

كما أوصت باستخدام الحرف العربي في كتابة اللغات الإفريقية بناء على المذكرة الواردة إلى الجامعة الإسلامية من رابطة العالم الإسلامي ، وكلف المجلس بتقديم دراسة حول هذا الموضوع ·

كما قرر البدء في تحقيق مخطوط اتحاف المهرة بأطراف العشرة ـ للحافظ ابن حجر العسقلاني ·

هذا · والمأمول من المجلس العلمي ـ بعون الله وتوفيقه ـ بعد صدور القرار بتشكيله الجديد أن يحقق كثيراً من الإنجازات في مجال البحث العلمي سواء في مجال التأليف أو التحقيق أو الترجمة مما يعمل على تزويد المكتبة العربية والإسلامية بروائع الذخائر في مختلف مجالات المعرفة التى تخدم رسالة الإسلام ·

إنشاء شبكة تلفزيونية مغلقة في قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية

يجري العمل حاليا في تركيب شبكة تليفزيونية حديثة مغلقة في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث من المتوقع أن تقوم هذه الشبكة بعد الانتهاء من تجهيزها بتسجيل جميع أوجه النشاط المختلفة والتى تتم داخل القاعة من عقد الندوات ، وإلقاء المحاضرات ، وإقامة المحاضرات ومناقشة الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه ·

ويمكن عن طريق هذه الشبكة إعادة عرض المواد المسجلة عن هذه النشاطات على طلبة الجامعة وزوارها ·

هذا ويقوم المركز الدولي للإلكترونيات بتركيب أجهزة هذه الشبكة كما يقوم نفس المركز بأعمال الصيانة لإدارة هذه الشبكة لمدة عام تتم خلاله عملية وإعداد الفنيين اللازمين لإدارة وصيانة وتشغيل هذه الشبكة من داخل الجامعة ·

نشـــاط عـــلمي وثقـــافي

شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة نشاطاً علمياً وثقافياً متعدد الجوانب في خدمة أهداف الجامعة وتحقيق رسالتها ·

ففي مجال النشاط العلمي نوقشت خلال هذه الفترة مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية من قسم الدراسات العليا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه ومن ذلك :

١ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : تأثير القرآن في دراسة اللغة العربية في القرون الثلاثة الأولى · قدمها الطالب السعودي الجنسية عبد الرحمن محمد سعد الحجيلي ونوقشت يوم الاثنين ١٤٠٣/١/١ هـ ·

٢ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : منهج لتصنيف موسوعة حديثية · قدمها الطالب عبد القادر أحمد عبد القادر مصري الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/١٠ هـ ·

٣ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : فواتح السور في القرآن الكريم · قدمها الطالب فاروق حسين محمد أمين مصري الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/١١ هـ ·

٤ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : أحكام الغنيمة والفيء في الشريعة الإسلامية · قدمها الطالب عواض هلال العمري سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/١٣ هـ ·

٥ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : أحاديث الهجرة · جمع ودراسة وتحقيق قدمها الطالب سليمان بن علي السعود · سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/١٧ هـ ·

٦ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : سعيد بن جبير ومروياته في التفسير · قدمها الطالب محمد أيوب محمد يوسف · سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/١٨ هـ ·

٧ ـ **رسالة دكتوراه موضوعها** : الحكم ذو الكفاية · قدمها الطالب عبد الله عمر محمد الأمين الشنقيطي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/٢٣ هـ ·

٨ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : المطلق والمقيد وأثرها في اختلاف الفقهاء · قدمها الطالب حمد حمدي الصاعدي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/٢٤ هـ ·

٩ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : أحكام العدة في الفقه الإسلامي · قدمها الطالب سامي محمد حسن ديولي · سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/١/٢٧ هـ ·

١٠ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : الإجماع حقيقته وحجيته وإمكانه · قدمها الطالب فواز بن فراغ المحمادي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢/١٠ هـ ·

١١ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : الدعوة الإسلامية في مواجهة التبشير بأندونيسيا · قدمها الطالب مسعدي سلطاني أندونيسي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢/٢٤ هـ ·

١٢ ـ **رسالة ماجستير موضوعها** : (دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا في العصر الحاضر) قدمها الطالب عبد الحفيظ أحمد قلورنشو ونوقشت يوم ١٤٠٣/٣/١ هـ ·

٦٨٠ منحة دراسية هذا العام

تم في هذا العام اعتماد وقبول ٦٨٠ طالبا من جميع أقطار العالم الإسلامي والأقليات المسلمة في بعض الدول غير الإسلامية في الجامعة للعام الجامعي ١٤٠٢ هـ / ١٤٠٣ هـ ·

ويأتي ذلك في إطار جهود الجامعة المستمرة لنشر الدعوة الإسلامية في جميع أقطار العالم وفتح المجال أمام أبناء المسلمين لتلقي تعاليم الإسلام ·

صياغة الشيخ محمود محمد سالم

محتويـــــات العـــــدد

الموضوع	الصفحة

ثقافة إسلامية

سيرة وتاريخ

لغة وأدب

محتويـــات العـــــدد

الموضوع .... الصفحة

جـولات عالميـة

بحوث طبيـــة

من أعماق الكتب

الفتـــاوى

مختارات من الصحف


القسم

careful to report Hadith in the same words as they had heard from the Prophet except where the wording was forgotten. In the latter case some of the Prophet's Companions took the liberty of transmission according to meaning with due acknowledgment that the text was not the same pronounced by the Prophet (peace be upon him).

Most of the collectors of Hadith paid more attention to the investigation of the narrators than the other critical tests, and they were justified in this, for their object was to produce reliable collection of Hadith and, therefore, their first concern was to see that the Hadith could be authentically traced back to the Prophet through a trustworthy chain of narrators. This part of the criticism was the more essential, as the longer chain of narrators, the more difficult would it have been to test their reliability, other tests coulde be applied to any Hadith at any time, and the laps of a thousand years could in no way affect the value of these tests, but the passing away of another century would have rendered the task of the examination of the chain of narrators so difficult as to be for all practical purposes impossible. Hence the collectors of Hadith rightly focused their attention on this test. Nor did the work of collecting the Hadith close the door to further critcism.

The above explanation would determine the role of Sunna or Hadith of the Prophet in expounding Islamic rulings, as a principle of the Religion and the second source of Islamic legislation. And its abandonment would be rejection of the ordinance of the Holy Quran itself as set out in the above quoted verses. This represents the unanimous attitude and practice of true Muslims at the time of the Prophet and in subsequent.

" Abu Huraira is reported to have said : The Prophet of God came to us while we were writing Hadith, and said : What is this that you are writing ? We said : Hadith which we hearfrom you. He said : What ! a book other than the Book of Allah ? You should well know that people before you have missed the path of righteousness because of what they had written besides God's Book ".

Now the objection of the Prophet to the writing down of the Hadith clearly shows fear lest Hadith be mixed up with the Holy Quran, though there was nothing essentially wrong in wring down the Hadith, nor did the Prophet ever forbid its being done, on the other hand, as late as conquest of MAKKAH we find him giving orders himself for the writing down of a certain Hadith at the request of a hearer. He also wrote letters, and treaties wese also put down in writing. What he feared as the report clearly shows, was that if his sayings were written down generally like the Quran, the two might get confused together, and the purity of the text of the Quran be effected. On the other hand, memory was a reliable means for the preservation of Hadith for the Holy Quran itself was safely preserved in the memory of the Companions of the Prophet in addition to being commietted to writing.

The Arab had a wonderfully retentive memory, and he had to store up his knowledge of countless things in his memory. In fact, had the Holy Quran been simply preserved in writing, it could not have been handed down intact to future generations. The aid of memory was invoked to make the purity of the text of the Quran doubly sure. Some scholars held the view that the objection to writing down Hadith was only in the early years of Islam when a confusion of the Hadith with the Quran was feard. For the only writing material then that time was leaves and stones which provided only a limited writing space, were the Quran and the Hadith if written together, could be so confused. However, when the Quran later spread among the people, and it was memorised and could be identified, there was no longer any possibility of confusion and the restriction on recording was lifted.

The Companions of the Prophet, their followers and desciples exercised great caution and prudence in accepting and transmitting reports. Pious and God fearing, they were careful in quoting the Prophet for what he sought to inculeate in them in the way of interpretations of God's Religion, verdicts in reply to questions put to him, or judgements in the disputes he considered . Such was their wonted habit whenever such reports or questions were needed in connection with some incident referred to them. Many of them were also

The Companions of the Prophet knew well that his actions and practices were to be followed, should no express direction be met with in the Holy Quran. It is related that when Mūad Ibn Jabal, on being appointed governor of Yemen by the Prophet, was asked how he would judge cases, his reply was, ' by the Book of Allah '. Asked what he would do if he did not find a direction in the Book of Allah, he replied : ' by the Sunna of the Apostle of Allah '. And what he would do if he did not again find a direction in the Sunna, he replied : ' I will then contrive an opinion '. Whereupon the Prophet approvingly said : ' Thanks be to God for having guided the emissary of God's messenger to God's Path '.

The Sunna was therefore recognised in the lifetime of the Prophet as affording guidance in religious matters. The need of the Sunna, its force as law, and its preservation are all traceable to the lifetime of the Prophet. A special importance was , from the first, attached to his sayings and deeds which were looked upon as a source of guidance by his followers. They were conscious of the fact that these things must be prserved for future generations. Hence they not only kept them in their memory but even resorted to write them down for their preservation.

The Companions of the Prophet while translating into practice his sayings endeavoured also to preserve them in memory as well as in writing. It is, however, a fact that whatever the companions heard from the lips of the Prophet they tried to keep in their memory as it was chief means of their presevation. It is reported that the Prophet sometimes opjected to the writing don of the Hadith, lest it be mixed up with Holy Quran, as it is clear from the following report :

The transmission of the Hadith or practices and sayings of the Prophet from one person to another, thus become necessary during the Prophet's lifetime. In fact, the Prophet himself used to give instructions with regard to the transmission of what he taught. There are ample historical evidences that whenever a people embraced Islam, the Prophet used to send to them one or more of his Companions who not only taught them the Holy Quran but also explained to them how the injunctions of the Holy Book were to be carried out in practice. It is also on record that people came to the Prophet and demanded teachers who could teach them the Quran and the Sunna.

deemed certain only if veiwed as a whole and not in detoil; for while the Prophet's sayings, acts and rulings are sure to have imanated from him and constituted what is known as Sunna, no particular one of them could be taken for granted unless it has been commonly reported, which is a rare case, or otherwise presumed through study and the consideration of available evidence in the light of controls prescribed by the scholars of the Hadith, and established by news reporting and varification rules.

The Quran therefore, should have a procedence over the Hadith, beeing definitly certain and not supposed. The Companions of the Prophet after his death, are reported to have been used whenever a case was referred to them or advice, to consult the Holy Quran the first place then the Sunna in the absence of a relevent Quranic ruling, otherwise they contrived an opinion of their own if they failed to find the answer in the Sunna. This procedure had received the Prophet's approbation. If we consider to what extent can teachings of Islam, its principles and its laws, be drawn from the Sunna of the Prophet, we can see that the Holy Quran generally deals with the broad principles or essentials of religion, and going into details in very rare cases. The details were generally supplied by the Prophet himself, either showing in his practice how an injunction shall be carried out or by giving an explanation in words.

Since Islam covered the whole sphere of human activities, many points had to be explained by the Prophet by his example in action and word.

On the moral side his was the pattern which every Muslim was required to follow. The Holy Quran has made clear this point in the following verse :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (الأحزاب ٢١) .

(Verily in the messenger of Allah you have good example) 33 : 21.

Every Muslim, therefore, stood in need of both the Holy Quran and Hadith.

To clear this point we can take as examples two most important religious institutions of Islam; Prayer and Zakat. When the injunctions related to prayer and zakat were delivered no details were supplied, and it was the Prophet himself who by his own actions gave the details of the performance of the Prayer. And yet it was the Prophet who gave the detail rules and regulations for the payment and collection of Zakat. These are but two examples.

And let those who conspire to evade orders beware lest grief or painful punishment befall them] 24 : 63.

Now the Quran has made it clear that obedience to the Prophet is a pre-requisite of true faith, and it has also given order in conjunction with caution for prospective offenders. The Holy Quran, however is the first source and the structure on which the Sunna is based. It therefore, provides the origin of all proofs as the Almighty God said :

«إنا أنزلنا أليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» (النساء ١٠٥).

[Verily, We reveal unto thee the Scripture with the truth, that thou mayest judge between mankind by that which Allah showth thee] 4 : 105.

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (النحل ٨٩).

[And We reveal the Scripture unto thee as an exposition of all things, and a guidance and a mercy and good tidings for those who surrendered to Allah)) 16 : 89.

«وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (النحل ٦٤).

(And We have revealed the Scripture unto thee only that thou mayst explain unto them that wherein they differ, and as a guidance and a mersy for a people who believe) 16 : 64.

«وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (النحل ٤٤).

(And We have revealed unto thee Remembrance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them and that haply they may reflect) 16 : 44.

Thus , the Holy Quran is given precedence over the Sunna as a basis of the religion and a source of its basic principles. The Sunna or the Hadith becomes subservient to it and interpreter of its rulings.

This is due to the certainty of the contents of the Holy Quran both as a whole and in detail, which is not the case with the Hadith. The latter could be

«ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» (النساء ٦٩).

[Whose obeyth Allah and the messenger, they are with those unto whom Allah has shown favour ...] 4 : 69

«من يطع الرسول فقد أطاع الله» (النساء ٨٠).

[Whose obeyth the messenger, obeyth Allah] 4 : 80

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً» (الأحزاب ٣٦).

[And it becometh not a believing man or believing woman, when Allah and His messenger have decieded an affair [for them], that they should [after that] claim any say in their affair; and whose is rebellious to Allah and His Messenger, he verily goeth astray in error manifest] 33 : 36.

Several other Quranic verses speak of the authority of the Prophet such as :

«يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (الأعراف ١٥٧).

[He will enjoin on them that which is right and forbid them that which is wrong. He will make lawful for them on good things and prohibit for them only the foul : and he will relieve them of their burden and fetters that they used to wear] 7 : 157.

«إنما المؤمنون الذين إذا آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه» (النور ٦٢).

[They are only the true believers who believe in Allah and His messenger and, when they are with him on some common errand, go not away until they have asked leave of him] 24 : 62. And,

«لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (النور ٦٣).

[Make not the calling of the messenger among you as your calling one of another. Allah knowth those of you steal away, hiding themselves.

THE SIGNIFICANCE OF « SUNNA » OR ' HADITH ' OF THE PROPHET

By :
Dr. Mohiaddin Alwaye

prof. Islamic University
Madinah

Sunna or Hadith is the second source from which the teachings of Islam are drawn. In effect it covers the sayings, the practices and actions of the Prophet, and also his silent approval of the action or practice of another. Allah has ordained the obedience of of His messenger.

Several verses of the Quran may be quoted in this effect which go to prove that Sunna or the Hadith provided the second source of the principles of the religion.

It is incumbent on Muslims to act upon it in demonstration of their obedience to Allah and His messenger. Its abandonment, on the other hand, would be a repudiation of Allah's Book and a rejection of His ordinance as set out in the following verses of the Holy Quran :

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» (النساء ٥٩).

[O ye who believe ! Obey Allah and obey the messenger] 4 : 59

«وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون» (النور ٥٦).

[Obey the messenger that haply you may find mercy] 24 : 56

«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر ٧).

[And whatsoever the messenger gives you, take it. And whatsoever he forbidth, abstain from it] 59 : 7

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى

لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MUNAWWARAH

RABI'E THANI—JUMADA ULA—JUMADA THANI

1403 A. H.
[QUARTERLY]

58

15 th Yea